المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات العليا

الدعوة و العقيدة في قصة موسى عليه السلام

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إشراف
د. عبد الشكور محمد امان العروسي

إعداد
الطالب : سليمان طلق عبد الله الحازمي

١٤٠٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الرسالة (**الدعوة والعقيدة في قصة موسى عليه السلام**) تشتمل على تمهيد وبابين

أما التمهيد فهو تعريف بالدعوة والعقيدة والقصة القرآنية وفي كل منها مباحث .

فالباب الأول :

(باب الدعوة في قصة موسى عليه السلام)

ويشمل ثلاثة فصول وهي :

الفصـــل الأول : نشأة موسى عليه السلام ، وفيه مبحثان : ولادة موسى وهجرته .

الفصل الثاني : شروط الداعية ، وتعريفه والصفات التي ينبغي أن تكون في الداعية من خلال قصة موسى ، كالاخلاص ، والفصاحة ، والشخصية القوية ، القول اللين ، والعلم والقدوة والصبر ، والثقة العميقة بالله عز وجل .

أما الفصل الثالث : فتكلمت عن المدعويين وهم : فرعون وملؤه والسحرة وبنو اسرائيل ثم أسباب دعوتهم وموقفهم من الدعوة – ثم نتائج الدعوة – وماحصل لبني اسرائيل من نعم – وماحل بعدوهم من نقم .

الباب الثاني :

العقيدة في قصة موسى

ويشمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وجود الله وانكار فرعون له – توحيد الربوبية في قصة موسى عليه السلام – توحيد الألوهية في قصة موسى عليه السلام – توحيد الاسماء والصفات في قصة موسى عليه السلام – صفة الكلام في قصة موسى عليه السلام – رؤية الله في قصة موسى عليه السلام . وآخر مبحث القضاء والقدر في قصة موسى عليه السلام .

الفصل الثاني : وتحدثت فيه عن المعجزات في قصة موسى ، وقصته مع الخضر ، وقصته مع القبطي .

الفصل الثالث : المعاد واليوم الآخر في قصة موسى عليه السلام – تعريف البعث – دعوة موسى الى الايمان بالبعث والجزاء – مراحل اليوم الآخر كما جاء في قصة موسى عليه السلام .

ثم الخاتمة : وهي خلاصة البحث وفيه النتائج في الدعوة والعقيدة في قصة موسى عليه السلام ومن أهمها في الدعوة :

(١) استعمال الاساليب الحكيمة والقول اللين مع المدعويين خاصة مع علية الأقوام .

(٢) الابتلاء والامتحان سنة من سنن الله للمؤمنين .

وفي العقيدة :

(١) الشرك أمر طارىء على الأمم وبقايا آثار التوحيد الموجودة بينهم تدل على أن الأصل التوحيد .

(٢) دعوة الأنبياء كانت واحدة في جانب الاعتقاد بحيث دعوا الى الأركان الايمانية التي يجب الايمان بها .

الطالب **المشرف** **عميد الكلية**

بسم اللہ الرحمٰن الرحیم

وبہ نستعین

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولًا
شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ
كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولًا

المزمل ۱۵

شکر و تقدیر

(٣)

شكـــــــر وتقديـــــــر

****

اتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساهم فى هذه الرسالة باى عطاء اى كان نوعه وأخص بالشكر فى ذلك استاذى المشرف الذى اعطانى الشيئ الكثير من وقته وجهده فى ابراز هذه الرسالة على الوجه الذى حاولت ان ابين بعض معالم قصة موسى عليه السلام فى الدعوة والعقيدة ، فجزى الله عنى خيرا كل مساعد ومعاون لى فيها ومن لا يشكر الناس لا يشكر اللـــــه .

المقدمة

أولاً

منهج البحث وأهمية الموضوع وأسباب اختياره ومحتوياته

بسم الله الرحمن الرحيم :-

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، اما بعد فان انبياء الله عز وجل هم الذروة المختارة من البشر " وربك يخلق ما يشاء ويختار " (١) .

وان القرآن الكريم فى قصصه سجل لنا الشىء الكثير من حياتهم ما يفيد البشر الى ان تقوم الساعة ، ومن المواضيع المهمة التى سجلها عنهم دعوتهم لاقوامهم ومحور دعوتهم الذى تمثل فى العقيدة . وهذا الذى جعلنى اختار الدعوة والعقيدة فى موضوعى هذا من دعوة نبى من انبياء الله عز وجل ومن ذوى العزم من الرسل .

(١) اسباب اختيار الموضوع :-

وتزداد الاهمية اكثر حينما نعرف ان هناك مماثلة بين دعوة موسى عليه السلام ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم ولهذا جاءت فى القرآن اكثر من غيرها وتتمثل الاهمية وسبب الاختيار فى التشابه بين اسلوب الدعوة الموسوية والدعوة المحمدية فى سيرها وبين الوثنية التى تلقى دعما وتاييدا من المترفين فى عهد موسى عليه السلام والوثنية التى كانت سائدة عند مبعث محمد صلى الله علسه وسلم كما ان هناك تشابها بين الدعوتين فى ان كلا من الرسولين الكريمين قد حرص كل الحرص على

---

(١) القصص : آية ٦٨ .

تربية الامة وتنشئتها على العقيدة الصافية ومجاهدة الكفار بالعصبة المؤمنة التى تواجه الباطل بقوة الايمان وقوة السلاح .

فانه بنزول التوراة ما نزل العذاب حدا فاصلا بين المجيبين للدعوة الربانية والمعارضين لها ، بل فرض الجهاد (١). وموسى قد دعى اصنافا كثيرة فى المجتمع المصرى ، دعا الملأ ودعا الطبقة المثقفة وهم السحرة ودعا بنى اسرائيل الذين استضعفوا فى الارض وهذه الاصناف تتجدد بين الناس الى يوم القيامة فكان فى دراستها ما يفيد الدعاة .

(د) منهجي فى هذا البحث :-

وقصص الانبياء فى القرآن حينما يتناول الدارسون له من حيث الترتيب الزمنى فانه تظل امامهم حلقات فى التاريخ البعيد يختلفون فيما بينهم فى تقريرها ، وتدفع ضريبتها الذين يقررون فيها ويحشون القصص القرآني والتفسير القرآن باخبار بني اسرائيل ، اذ أن ذلك وخاصة فيما يتعلق بتفسير كتاب الله عز وجل مخرج لمضمونه الرباني اذ التعويل عليهم تعويل على التحريف ، ولهذا لا يعنى القرآن فى مسائل تتصل بالتاريخ الغابر لبنى اسرائيل من حيث الاسماء والازمان والاماكن الا بالقدر الذى يفيد القصة والموضوع الى سيقت من اجله الايات وفى المواضيع التى لا يختلف فيها اثنان .

ونظرا لارتباط القصة الموسوية بالقرآن فقد دعانى هذا الى الوقوف على بعض تفاسير القرآن وعلى التفاسير التى عنيت بابراز مواقف الدعوة وامور الاعتقاد وهذا جعلنى اقف على ما كتب فى التفاسير.

---

(١) غير اهل القرية الذين مسخوا قردة بعد موسى
تفسير ابن كثير (٣ : ٣٩٠)

ففى الباب الاول : وهو الدعوة فى قصة موسى عليه السلام رأيت بعض التفاسير المتأخرة لها عناية بأمور الدعوة اكثر من سابقها فكنت ارجع اليها بعد نظرى الى التفاسير المتقدمة التى تتناول شرح الايات وخاصة تفسير الطبرى رحمه الله والذى كل التفاسير التى بعده تعتبر عمدة عليه فاستخلص دروس الدعوة من خلال شروحها التى تتعرض لها هذه التفاسير.

واما باب العقيدة ، فالى جانب كتب العقيدة التى تناولت امور الاعتقاد فانى ارجع الى كتب التفاسير التى كان لامور الاعتقاد فيها بحث طويل كالفخر الرازى فى تفسيره والى جانب هذه النقطة العامة فى منهجى فى هذا البحث افصل هذا الامر فى الامور التالية :-

(١) لقد سلكت اول شيىء فى كل باب فى مباحث فصوله بجمع الايات حول الموضوع المراد بحثه ، واخذت انظر الى اقوال المفسرين حول الايات سواء كان ذلك فى باب الدعوة او العقيدة .

(٢) قضايا المبحث الذى يحتاج الوقوف معها اكثر من غيرها وتحتاج الى بسط فى القول حاولت ان اقف معها بما يناسب كقضية تربية موسى فى بيت فرعون فى باب الدعوة وكقضية انكار وجود الله عز وجل فى قصة موسى فى باب العقيدة .

(٣) اذا سردت فى الاستشهاد بمجموعة آيات فى مبحث معين جعلت التعليق عليه يسيرا بما يناسب موقع الاستشهاد لافادة العنوان فى المبحث المراد من الايات وقد اكررالايات نفسها فى مواضع مختلفة وذلك لانها تناسب الاستشهاد فى كل هذه المواضيع .

(٤) فى جانب الالهيات فى مسالة الصفات لم استقرأ كل القصة لاظهر كل ما يتعلق بالاسماء والصفات ، بل اكتفيت ببعضها نظرا لاهميتها ولان القصة تناولتها بصورة واضحة ولذا اهملت الكلام فى صفة الكلام والرؤية لاهميتهما ولان الفرق الاسلامية قد تنازعت فيهما كثيرا .

(٥) سجلت فى نهاية كل فصل الدروس التى يستفيدها الدعاة .

(٦) حرصت ان اعزو الايات والاحاديث النبوية الى مصدرها .

مشكلات البحث :-

ثم انه قد واجهتنى بعض الصعوبات فى الكتابة لهذا البحث منها :-

(١) ما اتصل بعنوانها ، فكانت الرسالة بعنوان " الدعوة والعقيدة فى قصة موسى " فتساءلت هل اقدم العقيدة على الدعوة باعتبارها الاهم ؟ ولقد ناقشت هذا عند الكلام فى مبحث التعريف بالدعوة فى بداية الرسالة ، ثم ابقيت اسم البحث على نفس العنوان .

(٢) ومما واجهنى ايضا : ما تعلق ايضا ببحث قصة موسى وهى موضوع خاص فى القرآن ، (١) وهذا يعنى بحث قصة معينة فى جزء معين من القرآن فبحث العقيدة والدعوة بهذا الاعتبار فى قصة موسى انما هى بحث جوانب معينة من العقيدة والدعوة الربانية او هو معاناة موسى عليه السلام فى دعوة قومه الى العقيدة التى جاء بها من عند الله عز وجل .

---

(١) انظر قواعد منهجية للباحث عن الحقيقة فى القرآن والسنة القاعدة الاولى ص (١٠ - ١٥) د . فاروق احمد حسين دسوقى ، دار الدعوة . الاسكندرية .

ولهذا كانت بعض جوانب من العقيدة مجال الكلام فيها كبير ، كجانب النبوات وحسبى انى حاولت . اظهر معالم كثيرة فى الدعوة فى هذه القصة لانها قصة طويلة حوت اكثر من خمسمائة آية من كتاب الله عز وجل وابرزت جوانب العقيدة التى وردت ايضا فيها .

ومما واجهنى ايضا ما تعلق بالفصل الثانى : نشأة موسى عليه السلام فمع انه يعتبر مقدمة تاريخة يمكن ان تضاف الى المقدمة فتاتى بعدها حيث كان هذا الفصل يحوى امور الدعوة والعقيدة فترددت فى وضعه هل يكون فى باب الدعوة او باب العقيدة ، ولما رأيت ان امور الدعوة فيه اكثر جعلته فى باب الدعوة .

ومما يجدر ان ابينه حول التكرار فى مخطط البحث فى اصناف المدعوين ان عقدت مخطط البحث فصولا فى دعوة فرعون وملئه والسحرة وبنى اسرائيل وكل طائفة من هؤلاء فصل معين وهو على النحو التالى :-
المبحث الاول التعريف بهم ، والمبحث الثانى : اسباب دعوتهم والمبحث الثالث طريق دعوتهم ، والمبحث الرابع : دروس الدعوة التى تمثلت فى دعوتهم ، ثم رأى مشرفى ان هذا تكرار فرأى ان يجعل فى فصل واحد تحت عنوان المدعويين ويكتب فى اسباب دعوتهم جميعا وطريق دعوتهم وكذا موقفهم ودروس الدعوة من دعوتهم وبذلك يكون قد عرض لاصول الدعوة .
فعرفنا الدعوة اولا ثم الداعى فى نشأة موسى عليه السلام وفى شروط الداعية ، ثم المدعويين ثم مادة الدعوة التى تمثلت فى الباب الثانى وهى العقيدة التى جاء بها موسى عليه السلام ولم اتعرض لغير العقيدة كالشريعة التى جاء بها وان كان تدخل تحت عنوان الدعوة فى قصة موسى وذلك لانى اردت بالدعوة الطريقة والاسلوب والمنهج الذى اتبعه موسى فى عرض العقيدة الاسلامية التى هى الاساس فى دعوة قومه

محتويات البحث :-

لقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد وبابين وخاتمة .

اما المقدمة فبينت امرين فيها اسباب اختيارى للموضوع ومنهج دراستى فى البحث ومحتوياته الرئيسية واما الامر الثانى فهو التمهيد للبحث وهو تعاريف : التعريف للدعوة والعقيدة والقصة القرآنية وقد جعلته فى مباحث وجاء فى الباب الاول وهو الدعوة فى قصة موسى عليه السلام عدة فصول :-

الفصل الاول : نشأة موسى عليه السلام وفيه عدة مباحث :-

المبحث الاول : تمهيد تاريخى .

المبحث الثانى : ولادة موسى عليه السلام ونشأته .

المبحث الثالث : هجرة موسى عليه السلام من مصر .

المبحث الرابع : مواطن الدعوة فى نشأته وهجرته .

والفصل الثانى : شروط الداعية ومنه استخلصت بعض الصفات التى ينبغى ان يتحلى بها الداعية وذلك فى قصة موسى عليه السلام .

والفصل الثالث : فهو عن المدعوين ، فعرفت بالمدعوين وهم فرعون وملئه كهامان ...الخ وكذا السحرة وعرفت ببنى اسرائيل ، ثم اسباب دعوتهم وطريق دعوتهم وموقفهم من الدعوة وجعلت كل واحدة من هذه الامور فى مبحث واخيرا فى باب الدعوة الاول من هذا البحث جعلته فى نتائج الدعوة التى تمثلت فى الدنيا من خلال دعوة موسى عليه السلام وجعلت ذلك فى ثلاثة مباحث :-

الاول : ما حصل لبنى اسرائيل من نعم .

الثانى : ما حل بعدهم من نقم .

الثالث : ما حل بعدوهم من نقم ثم العبرة من هذه النتائج .

اما العقيدة فهو الباب الثانى من هذا البحث فقد جعلته فى ثلاثة فصول .

الفصل الاول : الالهيات فى قصة موسى عليه الصلاة السلام وقد جعلته فى ثمانية مباحث :

(١) المبحث الاول : الشرك ومظاهره فى قصة موسى عليه السلام .

(٢) المبحث الثانى : وجود الله او انكار فرعون له .

(٣) المبحث الثالث : توحيد الربوبية فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام .

(٤) المبحث الرابع : توحيد الالوهية فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام

(٥) المبحث الخامس : توحيد الاسماء والصفات فى قصة موسى عليه الصلاة السلام

(٦) المبحث السادس : صفة الكلام فى قصة موسى عليه السلام

(٧) المبحث السابع : رؤية الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام .

(٨) المبحث الثامن : القضاء والقدر فى قصة موسى عليه السلام .

الفصل الثانى : وقد جعلته فى النبوات وفى عدة مباحث :

(١) المبحث الاول : المعجزات (الدلائل والبراهين والايات فى قصة موسى عليه السلام .

(٢) المبحث الثانى : قصته مع الخضر عليه السلام .

(٣) المبحث الثالث : قصته مع القبطى .

واما الفصل الثالث : فقد جعلته فى المعاد واليوم الاخر وجاء فيه عدة مباحث .

المبحث الاول : تعريف البعث فى اللغة والاصطلاح ومفهوم الجزاء واقسامه ومراتبه .

المبحث الثانى : دعوة موسى عليه السلام الى الايمان بالبعث والجزاء .

المبحث الثالث : البعث والجزاء فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام .

وحاولت وسعى فى ابراز معالم الدعوة والعقيدة فى قصة موسى عليه السلام . فما وفقت منه فذلك يرجع الفضل فيه للمولى عز وجل ، وما كبوت فيه واخطات فمنى ومن الشيطان ، واملى ان يكون هذا البحث لبنة من لبنات الموضوعات التى كتبت فى الدعوة وخاصة التى كتبت فى قصص الانبياء وحيث انهم هم الاسوة لنا فى الدعوة الى اهم امر من امور الدين وهو العقيدة انه ولى ذلك والقادر عليه وهو نعم المولى ونعم النصير .

ثانياً

تمهيد للبحث في تعاريف الدعوة، العقيدة، القصص في القرآن

ثـــــانيــــا

تمهيد للبحث فى تعاريف

الدعوة ، والعقيدة ، والقصة القرآنية

التعريف بالدعوة والعقيدة والقصة القرآنية واغراضها .

(١) المبحث الاول ـ التعريف بالدعوة فى اللغة والاصطلاح .

(٢) المبحث الثانى ـ التعريف بالعقيدة فى اللغة والاصطلاح

(٣) المبحث الثالث ـ التعريف بالقصة القرآنية واغراضها .

المبحث الاول .

التعريف بالدعوة فى اللغة والاصطلاح

(١) معنى الدعوة فى اللغة .

(٢) معنى كلمة الدعوة فى القرآن الكريم .

(٣) تعريف الدعوة فى الاصطلاح واختلاف الباحثين في تعريفها .

(٤) اقتران الدعوة والعقيدة فى عنوان هذه الرسالة .

(٥) المعنى الذى توصلت اليه فى مفهوم الدعوة . .

(أ) معنى الدعوة فى اللغة :-

نجد ان كلمة الدعوة فى اللغة على معانى عديدة ، منها الدعاء والانتساب والصياح ، والتجمع ، والنداء ، والزعم ، والسؤال ، والاستغاثة ، والحث ، والطلب ، والميل والابتهال والرغبة واليك بعض هذه المعانى من معاجم اللغة العربية :-

(١) قال الراغب الاصفهانى :"دعوته اذا سألته واذا استغثته والادعاء ان يدعى انه له " .(١)

(٢) وقال الزمخشرى فى اساس البلاغة :" ودعا الكتاب : استحضره (يدعون فيها بفاكه) (٢) ...... ٣) وانا اداعيك احاجيك ، وبينهم أدعية يداعون بها ..وتداعت عليهم الحيطان ، وتداعينا عليهم الحيطان من جوانبها : هدمناها عليهم (٤) فالدعوة فيها معنى الطلب والمحاجه والمجادلة لمن احتاج الى ذلك .

وقال ايضا " وتداعوا بالحرب : اعتزوا به وشهدنا دعوة فلان . وهو دعى بين الدعوة . ودعى داعى اللبن وداعية اللبن : ما يترك فى الضرع ليدعو ما بعده .....

وتداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتالبت بالعداوة"(٥)

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ، لأبى القاسم محمد المعروف بالراغب الاصفهانى (م ٥٠٢. هـ) ت .محمد سيد الكيلانى ، الطبعة الاخيرة ، ١٣٨١ هـ . ص (١٦٩) .

(٢) الدخان آية 55 .

(٣) اساس البلاغة لمحمود بن عمر الزمخشرى (م ٥٣٨ هـ) ت . عبدالرحمن محمود ، جدار المعرفة ، بيروت : لبنان ، ص (١٣١)

(٤) المرجع السابق ،ص (١٣١) (٥) المرجع السابق ،ص (١٣١)

(٣) ودعا بالشيء دعوا ، ودعوة ، ودعاء ، ودعوى ، طلب احضاره ...
ودعا : رغب اليه وابتهل ....ودعا الى الشيء حثه على قصده قال دعاه الى القتال ودعاه الى الصلاة ودعاه الى الدين والى المذهب : حثه على اعتقاده وساقه اليه "(١) .

ومفاد معنى الدعوة فى اللغة انه " مطلق الطلب اى مطلق طلب اى شيء حسى كالطعام او معنوى كفكرة . وسواء كانت الى خير كعمل طاعة او الى امر سيء كاقتراف معصية " . (٢)

" قال رب السجن احب الى مما يدعوننى اليه " (٣) اى من مواتاتها والوقوع فى الفاحشة . (٤)

والذى يهمنا من كلمة الدعوة فى تعريفها اللغوى هو ما يلى :-

الاول : دعا الرجل يدعوه دعاء : بمعنى : ناداه والاسم الدعوة .

الثانى : ودعاه الى الشيء وللشيء : حث عليه ودعاه الى الله اى الى عبادته . (٥)

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية قام باخراج هذه الطبعة الدكتور : ابراهيم انيس والدكتور : عبد الحليم منتصر والدكتور عطية الصوالحى والدكتور محمد خلف الله احمد الطبعة الثانية سنة ١٣٨٠ هـ . ١٩٦٠ م .

(٢) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب ، دار المعرفة ببيروت ط ١/ سنة ١٤٠١ هـ ص (٢٣) .

(٣) يوسف آية / ٣٣ .

(٤) هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة ، الشيخ على محفوظ ، دار المعرفة ، ص (١٧) .

(٥) معجم الفاظ القرآن الكريم ، مجمع اللغة العربية ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ،ط ٢،سنة ١٣٩٠ هـ ص (٤٠٧-٤١٥) .

والدعوة فى كل منهما تفيد الطلب ، واعلم ان كلمة الدعوة اتت فى القرآن بمثل بعض هذه المعانى السابقة فى معاجم اللغة " وانما اختلفت معنى كلمة دعوة عن اخرى بسبب وضعها فى الكلام والسياق " (١)

واليك بعض المعانى الواردة لكلمة الدعوة فى القرآن الكريم الذى هو مرجعها والمهيمن عليها ، كما ذكرها الدامغانى فى كتابه اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم (٢)

(أ) النـــداء :-

كقوله تعالى "فدعا ربه انى مغلوب فانتصر " (٣)

وقال عز وجل "يوم يدع الداع " (٤) ....يقول يوم ينادى المنادى

وقال تعالى "ولا يسمع الصم الدعاء" (٥) يعنى الدعاء .

وقال تعالى " ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم " (٦)

يقول تنادوهم لا يسمعوا نداءكم

---

(١) مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ،ص (٢٣) .

(٢) اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم . الحسين محمد الدامغانى باختصار ، ، حققه ورتبه واكمله واصلحه عبد العزيز سيد الاهل . ط دار العلم للملايين ، سنة ١٩٧٧ ، ص (١٧٣ - ١٧٤)

(٣) القمر آية: ١٠

(٤) القمر آية: ٦

(٥) الانبياء اية:٤٥ .

(٦) فاطر اية : ١٤ .

(٢) الاستغاثـــــة :-

قوله تعالى " وادعوا من استطعتم من دون الله " (١) استغيثوا .
وقال تعالى " وليدع ربه " (٢) يعنى وليستغيث بربه .

(٣) القـــول :-

كقوله تعالى " فماكان دعواهم اذ جاءهم بأسنا " (٣) يعنى ما كان دعواهم اذ جاءهم عذابنا ، وقال تعالى " دعواهم فيها سبحانك اللهم (٤)
يعنى قولهم اذا اشتهوا الطعام سبحانك اللهم .

(٤) الســـــؤال :-

ادع ربك بمعنى سل كقوله تعالى " ادع لنا ربك بما عهد عندك "(٥)
وكقوله : " ادعوا ربكم تضرعا وخفيه " (٦) .

---

(١) يونس آيـــة:٣٨ .
(٢) المومن آيـــة:٣٨ .
(٣) الاعراف آيـــة:٥ .
(٤) يونس آيـــة١٠ .
(٥) الاعراف آيـة:١٣٤ .
(٦) الاعراف آيـــة:٥٥ .

(٣) تعريف الدعوة فى الاصطلاح :(عند علمائنا القدماء والمعاصرين)

(أ)تعريفها عند علمائنا القدماء :-

لم اقف على تعريف الدعوة فى كتب علمائنا السابقين سوى شرح لمعنى الدعوة وبيان للمراد بها . ومما وقفت عليه من الشرح ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله " الدعوة الى الله هو الدعوة الى الايمان به ، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما اخبروا به وطاعتهم فيما امروا ....(١)

وهذا شرح لمعنى الدعوة وليس تعريفا لها ولهذا قال الشيخ سيدى محمد الحبيب فى كتابه " الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم ..." ولم ار من القدماء من عرف الدعوة الى الله فى الاصطلاح ....(٢).

(ب) تعريفها عند العلماء المعاصرين :-

لقد تتبعت معنى كلمة الدعوة فى الاصطلاح عند من كتبوا فى الدعوة الى الله عز وجل من المعاصرين . فوجدت تعدد التعريفات لها باختلاف نظرات الباحثين اليها .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية . جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصمى النجدى ، طبع تحت اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ، تنفيذ مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة سنة ١٤٠٤ هـ . ص (١٥ - ١٥٨) .

(٢) الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم ، سيدى محمد الحبيب ، دار الوفاء ، ط (سنة ١٤٠٦ هـ . ص (٢٦).

(١) فمنهم من نظر اليها كمادة يدعى اليها فعرفها على هذا الاساس اى تعريفا عاما كان يراد به الدين الاسلامى .

(٢) ومنهم من نظر الى الدعوة الاسلامية كوسيلة لنشر الدين فعرفها على هذا الاساس .

(٣) ومنهم من عرف الدعوة كفن وعلم فعرفها على هذا واليك بيان ذلك حيث يراد بها ثلاثة امور :-

(١) الامــــر الاول :- (١)

المنهج الذى جاءت به الرسل فى الاصول والفروع اى الدين الحق ويقال فى هذا :

هذه دعوة نوح وهذه دعوة موسى وهذه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر المصادر التالية :

١ - مع الله دراسات فى الدعوة والدعاء ، محمد الغزالى ، دار الكتب الاسلامية ، ط ٥ سنة ١٤٠١ هـ ، ص (١٧).

٢ - الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ، الشيخ محمد الراوى ، الدار العربية بيروت ، ط ٢ ظ، ص (١٢) .

٣ - القاموس الاسلامى ، احمد عطيه ، مكتبة النهضة المصرية ط ١ سنة ١٣٨٦ ،(٢ : ٣٧٣) .

٤ - الدعوة الاسلامية فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه : محمد ابراهيم غيطاس ، المكتب الاسلامى ، ط الاولى ١٤٠٦ هـ ص ٨)

وقد ذهبوا الى ان الدعوة تعنى الدين الاسلامى وذهب كتاب آخرون فى معنى الدعوة الى هذا التعريف غى احد قولهم منهم ما يلى :-

١- صاحب كتاب ، خصائص الدعوة الاسلامية محمد امين حسن ، مكتبة المنار الاردن ، سنة ١٤٠٣ هـ ، ص (١٨) .

٢- وصاحب كتاب (الدعوة الاسلامية) اسسها وغاياتها ، احمد غلوش دار الكتاب المصرى ـ القاهرة ـ ص (٩ ـ ١٤) .

٣- وصاحب كتاب " تاريخ الذعوة الى الله بين الامس واليوم) آدم عبد الله الالورى ، مكتبة وهبه ط ٢ سنة ١٣٩٩ هـ ، ص (١٤)

٤- وصاحب كتاب " الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم الخليل "سيدى محمد الحبيب ص (٢٢٦) .

والذى يمكن ان يضاف هنا :- ما ذكره صاحب كتاب " ابراهيم عليه السلام ودعوته فى القرآن الكريم احمد الاميرى ، دار المنار جده ، ط (، سنة ١٤٠٦ هـ ، ص (٢٢) ، غى حصر معنى الدعوة فى الدين الاسلامى او الاسلام فقال " ان لفظ الدعوة لا ينصرف اصطلاحا الى الرسالة الاسلامية بل هو لفظ عام يفيد معانى مختلفة عند مختلف الباحثين والدارسين او القراء والمطالعين او المدعويين والمخاطبين من جملتها الرسالة الاسلامية " وانظر مناقشة د . رؤوف شلبى لمن يذهبون الى ان الدعوة بمعنى الدين فى كتابيه :-

١ - المجتمع العربى قبل الاسلام . المكتبة العصرية . صيدا ، ص (١٢ ـ ٢٤) .

٢ - الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغاياته د . رؤوف شلبى دار القلم ط ٣ ، سنة ١٤٠٢ هـ ، ص (٢٠ ـ ٣٧) .

(٢) الأمـــــر الثانى : (١)

تبليغ الناس بأمور الدين ، أصوله وفروعه وحثهم على الايمان والعمل بما بعث به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

وعلى هذا دل قول الله تعالى :" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة " . (٢)

وقوله :" قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعنى"(٣)

---

(١) انظر المصادر التالية :-

١ - مرشد الدعاة : محمد نمر الخطيب ، ص (١٨) .

٢ - هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة ، الشيخ على محفوظ ص (٢) .

٣ - خصائص الدعوة الاسلامية ، محمد امين حسن ، ص (١٨) .

٤ - تاريخ الدعوة بين الامس واليوم"آدم عبد الله الالورى ص (١٧)

٥ - الدعوة الاسلامية . اسسها وغاياتها " احمد غلوش ،ص (٩-١٤).

٦ - الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم"سيدى محمد الحبيب، ص (٢٧)

٧ - الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى ، مناهجهـــا وغاياتهـــا د. رؤوف شلبى ، ص (٢٠ -٣٧) .

٨ - المجتمع العربى قبل الاسلام ، رؤوف شلبى ، ص (١٢ -١٤) .

٩ - تذكرة الدعاة ، الاستاذ البهى الخولى ، دار القرآن الكريم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ هـ ص (٤) .

١٠ - منهج الدعوة النبوية فى المرحلة المكية ، على بن جابر الحربى الزهراء للاعلام العربى ط ١ ، سنة ١٤٠٦ هـ ، ص (٤٢).

(٢) النحل آيـــة ١٢٥ .

(٣) يوسف آيـــة ١٠٨ .

(٣) الأمـــــر الثالث :-

علم يبحث فيه عن طريق ووسائل التبليغ بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مصطلح حديث . (١)

واليك بعض التعاريف المختارة حول هذه الامور فى تعريف الدعوة فى هذه الثلاثة امور .

(أ) القائلون بأن الدعوة هى الدين الاسلامى :-

(١) قـال صاحب القاموس الاسلامى يطلق لفظ الدعوة اصطلاحا على الرسالة الاسلامية كما يطلق على الرسول صلى الله عليه وسلم داعى الله " اى صاحب الدعوة الى توحيد الله ، لهذا يعتبر الاسلام دين الرسالة او دين الدعوة اى انه من الاديان التى تدعو الانسانية الى اعتناق المبادىء التى تنادى بها ، كما يعتبر الرسول صلى الله عليه وسلم اول الدعاة ..(٢)

(٢) وقال الاستاذ محمد الراوى "فما هذه الدعوة اذن ؟ بعد ان تمت وكملت على يد خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم : انه الدين الذى ارتضاه للعالمين تمكينا لخلافتهم ، وتيسيرا لضرورتهم ، ووفاء بحقوقهم ورعاية لشئونهم وحماية لوحدتهم وتكريما لانسانيتهم وتقرير الحقوق والواجبات "(٣)

(١) الدعوة الاسلامية ، اسسها وغاياتها ، د .احمد غلوش ،ص (٩ -١٤)

(٢) القاموس الاسلامى ، احمد عطيه (٢ - ٣٧٣) .

(٣) الدعوةالاسلامية دعوة عالمية ، محمد الراوى ، ص (١٢)

(٢) القائلون بأن الدعوة هى تبليغ الناس امور الدين :-

(١) قال صاحب مرشد الدعاة "الدعوة : هى الحث على فعل الخير واجتناب الشر والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والتحبيب بالفضيلة والتنفير عن الرذيلة واتباع الحق ونبذ الباطل(١).

(٢) وقال صاحب هداية المرشدين " الدعوة : هى حث الناس على الخير والهدى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل " .(٢).

(٣) القائلون بأن الدعوة علم وفن :-

وقد عرف القائلون بهذا القول الدعوة بانها " العلم الذى به تعرف كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية الى تبليغ الناس الاسلام بما حوى من عقيدة وشريعة واخلاق " (٣).

---

(١) مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ، ص (٢٤) .

(٢) هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة ، الشيخ على محفوظ ، ص (٢) .

(٣) الدعوة الاسلامية ، اسسها وغايتها . د. احمد غلوش ص (٩ -١٤) .

الخـــلاصـــة :-

****

اذا عرفنا ان الدعوة فى اللغة مطلق الطلب فاعلم انه اذا قصد بهذا الطلب وقيد الى خير بطلب مخصوص وهى الدعوة الى الدين الحق الذى هو الاسلام كان معنى الدعوة الى الاسلام " الانتساب اليه ، والحث عليه ،والنداء به والجهر بمبادئه ،والسؤال الدؤوب عنه وجمع الناس كافة للالتفات حوله ، والسير على طريقه القويم وهديه المستقيم(١) " وفى هذا موافقه لمعنى الكلمة فى اللغة .

واذا قلنا دعوة الاسلام او دعوة موسى فالاضافة بيانية كقولنا دين الاسلام او دين موسى الذى بعث به وهى تعنى بذلك الدين سواء الاسلامى الذى جاء به موسى عليه السلام ،أو محمد صلى الله عليه وسلم من عقيدة وشريعة .

(ج) اقتران الدعوة والعقيدة فى عنوان البحث :-

واعلم ان مقارنة الدعوة والعقيدة فى عنوان الرسالة يدل على ان المراد بالدعوة : التبليغ باساليبه المختلفة والمراد بالعقيدة : اسس الدين وقواعده التى تختص بالجانب الايمانى التصديقى الباعث على العمل لا الجانب العملى من الدين كالصوم والصلاة وغيرهما من اركان الاسلام أو ترك ما امر وأوجب الله تركه فهى كلها من مستلزمات العقيدة الصحيحة الراسخة فى قلوب المؤمنين وليست من مسائل العقيدة وقد يسأل سائل فيقول ، لماذا قدمت الدعوة فى العنوان مع ان الاصل العقيدة ؟ والجواب من عدة وجوه :-

---

(١) مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ، ص (٢٣) .

الاول :- ان الدعوة كما عرفت فى احد معانيها يقصد به الدين عقيدة وشريعة ، فتاخير العقيدة وعطفها على الدعوة التى بمعنى الدين من باب عطف الخاص على العام للاهتمام به .

الثانى :- ان الدعوة المقصود بها فى هذا البحث وسائل الدعوة الى العقيدة التى دعا اليها موسى وذلك لان العقيدة واحدة و(٤)ن القرآن قضيته الاساسية العقيدة والشرائع تختلف باختلاف الامم والعقيدة واحدة .

الثالث :- انه اذا كانت الدعوة بمعنى الوسائل فلا باس من تقديم الوسائل على المقاصد اذ لا يعنى ذلك انها اشرف منها .

واعلم ان الدعوة : جاءت بين ثنايا نصوص الدين الربانى الموحى الى الانبياء ، فكانت بذلك اى النصوص الربانية وخاصة القرآن تجمع بين جوانب من المستحيل ان تجتمع فى غيره ، وكذلك سنه النبى صلى الله عليه وسلم ، فيهما اولا الرسالة وفيهما ثانيا اسلوب العرض والتبليغ للرسالة وساشرح هذا مفصلا فيما يتعلق بالقرآن

وهذا غير الذى بيناه فى تعريف الدعوة سواء فى نظرات علمائنا القدامى او المحدثين مما استنبطوه من الكتاب والسنة ودعوة النبى صلى الله عليه وسلم فى مرحلتيها المكية والمدنية .

فتلك النصوص التى عرفت الدعوة بصفة خاصة والتى ذكرنا طرفا منها تعطى معالم بارزة تعرف فى كل منها جانبا من جوانبها حسب فهم العلماء من نصوص القرآن والسنة فى مفهوم الدعوة .

(٦)كيف جاء القرآن الكريم فى نصه جامعا بين معنيى الدين والتبليغ:-

---

وهذه النقطة اختم بها الخلاصة لمفهوم الدعوة الذى سبق الحديث عنه بعد ان عرضنا لتعريفها فى اللغة وعند علمائنا القدامى والمحدثين وعرضها فى ضوء بعض الايات والاحاديث التى عرفت الدعوة من

جوانب متعددة ،يقول د. عبد الغنى بركه فى هذا المجال " ان القرآن الكريم قد جمع فى نصه الربانى بين جوانب من المستحيل ان تجتمع فى غيره فهو الدين والرسالة وهو ثانيا اسلوب العرض والتبليغ للرسالة

اما انه الدين فلانه قد سجل المبادىء والافكار والاحكام التى يريد ابلاغها للناس واما انه اسلوب العرض والتبليغ فقد صيغ فى صورة هى المثل الاعلى فى قوة التاثير فى النفوس وحمل المخاطبين على الاقتناع والايمان ويمكن ان يبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ويقرأه عليهم دون زيادة او نقص ليحقق ما يريد ويدخل الناس فى دين الله افواجا .

اذن فنحن امام دعوة فريدة لا تنفصل فيها الافكار عن اسلوب التبليغ ولا تنتظر هناك ، كغيرها من المبادىء فى صورتها النظرية حتى يتيح لها من يستطيع ان ينقلها الى الواقع ويبث فيها الحياة بقدرته على الاقناع ونبوغه فى وسائل التبليغ لها ....

انها دعوة الأمية فى مصدرها الامية فى صيغة تبليغها مستمد من ذاتها دليل صدقها .. ويكفيه صلوات الله وسلامه عليه نجوحه بتبليغها وصبره على الاذى فى سبيلها ...((١)

بل ان الكلمة الصحيحة عن الاسلام لهى دعوة واسلوب اليه : وفى ذلك يقول صاحب الموسوعة فى سماحة الاسلام " " وماذا فى الاسلام اكثر من كلمة ؟ كلمة يتلقفها العقل تفقها ويقينا فيرسلها الى القلب والروح نورا واشراقا فيزجيانها الى اللسان بيانا والى الجوارح عملا ، واذا بقائلها قد خلق خلقا جديدا غير خلقه الاول الذى عليه قبل ان يلقاها ويؤمن بها . (٢)

---

(١) اسلوب الدعوة القرآنية بلاغة ومناهجاد. عبد الغنى محمد سعد بركه ،دار غريب للطباعة ،مكتبة وهبه ط١ ،سنة ١٤٠٣ هـ،ص (٤٢).

(٢) الموسوعة فى سماحة الاسلام ، محمد الصادق عرجون(٢: ٩٣٩ - ٩٤٣).

(٦) المعنى الذى توصلت اليه فى مفهوم الدعوة :-

ان الدعوة هى القيام بتبليغ الرسالة الموحى بها على نبينا صلى الله عليه وسلم استخدام كافة الوسائل للقيام بهذا التبليغ وفى مقدمته تبليغ الناس نحوى الوحى التى فيها الرسالة وفيها الدعوة من خلالها والقاؤها على مسامعهم ، والالتزام بها ومطالبة الناس بذلك والصبر وتحمل الاذى فى سبيل ذلك حتى ينجو الانسان من الخسران فى الدنيا والاخرة الحاصل فى السير فى الحياة الدنيوية بغيرها .

المبحث الثانى

****

التعريف بالعقيدة فى اللغة والاصطلاح

---

(١) المعانى اللغوية لكلمة عقد .

(٢) الاستعمالات المختلفة للكلمة .

(٣) العقيدة فى الاصطلاح .

(١) تعريف القدماء للعقيدة .

(٢) تعريف المعاصرين من العلماء للعقيدة .

(٤) الفرق بين الايمان والعقيدة ، وآراء العلماء فى ذلك قديما وحديثا .

ثانيـــــا – تعريف بالعقيدة فى اللغة والاصطلاح:-

(أ) المعانى اللغوية لمادة عقيدة :- تدور على التاكيد والتوثيق والشد فتستخدم تارة فى الامور الحسية كعقد الحبل واعتقاد الطين وتارة فى الامور المعنوية كعقد البيع وعقد النكاح والعهود . وقد وردت فى القرآن الكريم ما يفيد المعنى الثانى فمنه " اوفوا بالعقود " و " عقدة النكاح " عقدتم الايمان وكلمة العقيدة مشتقة من هذه المادة ولم يرد استخدامها فى الكتاب والسنة كما لم يستخدمها السلف فى مصنفاتهم وانما الوارد فى القرآن والسنة وعبارات السلف هو الايمان وانما العقيدة من عبارات المتاخرين من علماء الاسلام ، واليك بيان ذلك :-

عقـــد : العين والقاف والدال اصل واحد دال على شد ، وشدة وثوق ، واليه ترجع فروع الباب كلها ....

وعاقدته : مثل عاهدته ، واعتقد الشيء : صلب .

والعقد : الخيط ينظم فيه الخرز ، وجمعه : عقود

والعقد : التصميم ، والمعقد : مصدر ميمى بمعنى الاعتقاد .

والعقيدة: جمعها عقائد ، واعتقد بمعنى اقتنى .

والعقد : يجمع على العقود كما قال تعالى " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " " (١) وهو مصدر ميمى استعمل فجمع نحو " اوفوا بالعقود .

والعقدة : بالضم موضع العقد وهو ما عقد عليه وهو ما يمسك الشىء ويوثقه .

---

(١) المائـــدة آيـة ١ .

وعقد العهد واليمين يعقدها عقدا وعقدهما : اكدهما ، واعتقده ،
ويقال : عقدت الحبل فهو معقود وكذلك العهد ، ومنه عقد النكاح .

وقال ابن الانباري : فى قولهم لفلان عقده ، والعقدة عند العرب الحائط الكثير النخل ، ويقال للقرية الكثيرة النخل : عقدة .
وكان الرجل اذا اتخذ ذلك فقد احكم امره عند نفسه واستوثق به ثم صيروا كل شيىء يستوثق الرجل به نفسه ويعتمد عليه عقده " (١) .

قال الزبيدى فى شرحه للقاموس " الذى صرح به ائمة الاشتقاق ان اصل العقد نقيض الحل ، يقال : عقد يعقده عقدا وتعاقدا ، وعقده وقد انعقد وتعقد " (٢) .
واظهر التعريفات ما ورد فى لسان العرب " العقد نقيض الحل ، يقال

---

(١) انظر ما يلى :-
١- معجم مقاييس اللغة ، لابى الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت.
د.عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر (٤ - ٨٦) .
٢ - لسان العرب للامام العلامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى مادة عقد ، دار صادر ، بيروت .
٣ - اساس البلاغة للزمخشرى ، ص (٢٩٦) .
٤ - المفردات للاصفهانى ، ص (٥١٠).
٥ - متن اللغة العربية ، احمد رضا ، دار مكتبة الحياة بيروت .
١٣٧٧ هـ (٤ / ١٥٧ و ١٥٨) .
٦ - مختار الصحاح ، محمد بن ابى بكر الرازى ، مادة عقد ، ط دائرة المعاجم فى مكتبة لبنان ، سنة ١٩٨٦ م .
٧ - المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مادة عقد ، ج ٢ .
٨ - القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيرز بادى ، مكتبة البابى الحلبى ، القاهرة ، ط ٢/١٩٧٢/٢ م . ص (١-٣٥)
(٢) تاج العروس من جواهر القاموس . لمحب الدين السيوطى الزبيدى ،ط الاهلية سنة ١٢٨٦ هـ مادة عقد .

عقده يعقد عقدا وتعقادا ، واعتقده كعقدة ، يقال عقد الحبل فهو معقود ومنه عقدة النكاح ..(١) .

(٢) الاستعمالات المختلفة للكلمة: وامثله على هذا الاستعمالات من المعاجم:-

وقد نص كل من الراغب والاصفهانى فى المفردات (٢) ، والرازى فى المختار (٣) والزبيدى فى شرحه للقاموس (٤) ما يدل على الاستعمالات التى تعاقبت فى استخدام هذه الكلمة فى اللغة العربية .

(١) قال الراغب الاصفهانى فى مفرداته : عقد : العقد الجمع بين اطراف الشىء ويستعمل ذلك :-

(١) فى الاجسام الصلبة كعقد الحبل وعقد البناء .

(٢) ثم يستعار ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرها (٥) .

---

(١) لسان العرب لابن منظور مادة (عقد).

(٢) المفردات ، للراغب الاصفهانى . مادة عقد (٥٠٢ صـ) .

(٣) مختار الصحاح ، للرازى ، مادة عقد . (٧٨٠) .

(٤) شرح القاموس ، للزبيدى ، مادة عقد .(١٢٥٠ صـ)

(٥) المفردات للراغب الاصفهانى ، مادة عقد .

قال صاحب رسالة الفطرة فى العقيدة الاسلامية ، حافظ الجعبرى ، ص (٩ -١٠) جامعة ام القرى رسالة ماجستير ١٣٩٩ معلقا على كلام الراغب الاصفهانى " نقول الاطراف هنا تحتمل معنيين :-

اولا :- نهايات الشيىء فعقدها جميعا ، بان يضم الطرف الاول الى الطرف الثانى مثلا .

الثانى :- اجزاء مطلقا بمعنى عقدها : جمع ، بعضها الى البعض والظاهر هو المعنى الثانى كما اتضح ذلك من تمثيله فى الحبل والبناء ، ويقول معلقا على كلام الراغب " ثم يستعار ..الخ " يريد انه اصبح مجازا مشهورا فى حكم الحقيقة ..

ويبدو انه فى الماديات حقيقة وفى غيره لم ينص على ذلك اى الراغب " وكلامه حينئذ يحتمل ان العقد حقيقة فى الكل او حقيقة فى الماديات مجازا فى غيرها اصبحت حقيقة عرفية فى المعنويات .

(٢) وقال صاحب المختار :-

(١) واصله من عقد الحبل وعقد البناء ، وما الى ذلك من الامور المادية (١) .

(٢) ثم استعير مجازا للامور المعنوية نحو عقد البيع وعقد النكاح (٢) .

(٣) ثم استعمل فى التصميم والاعتقاد فهو يطلق على التصديق وعلى ما يعتقده الانسان من امور الدين " (٣) (٤) .

(٣) وقال الزبيدى (٥) والذى صرح به أئمة الاشتقاق ،ان اصل العقد نقيض الحل ويقال :-

(١) عقده عقدا وتعاقدا ، وعقدة وقد انعقد وتعقد .

(٢) ثم استعمل فى انواع العقود والبيوعات ط (٦)

(٣) ثم استعمل فى التصميم والاعتقاد الجازم " (٧) .

---

(١) أى فاولا كان مستعملا فى الامور المادية .

(٢) ثم بعد ذلك اصبح مجازا فى الامور المعنوية .

(٣) وانتقل بعد ذلك ليصبح للتصديق فى امور الدين وخاصة الامور الاعتقادية .

(٤) مختار الصحاح ، الرازى ، مادة ، عقد .

(٥) شرح القاموس للزبيدى ، مادة ، عقد .

(٦) الزبيدى هنا يتابع الراغب والرازى فى تقسيمهما وان الكلمة استخدمت اولا فى الامور المادية .

(٧) ثم استعملت فى انواع ، وقد صرح الرازى وصاحب المفردات كما سبق انها على سبيل المجاز اى انها استخدمت فى الامور المعنوية واصبحت مجاز مشهورا فى حكم الحقيقة كما سبق .

والذى يفهم من هذه النصوص ، ان الاستعمال لكلمة " عقد " فى الماديات على الحقيقة والاستعمال لها فى المعنويات على سبيل المجاز لكنه اصبح مجازا فى حكم الحقيقة ، واليك الامثلة لهذه الكلمة فى تلك الاستعمالات :-

(١) القسم الاول :-

قال الراغب " والعقد يستعمل فى الاجسام الصلبة كعقد الحبل (١)
ومن هذا القسم ما ذكره اصحاب المعاجم وهو كالتالى :-

(١) عقدالحبل ونحوه : جعل فيه عقدة .(٢)
(٢) عقد طرفى الحبل ونحوه : وصل احدهما بالاخر بعقدة تمسكها فاحكم وصلها (٣) .
(٣) عقد البناء : الصق بعض حجارته ببعض بما يمسكها فاحكم الصاقها (٤) .
(٤) العقد : الجمع بين اطراف الشئ ....(٥) .

(٢) القسم الثانى :-

قال الراغب "ثم يستعار ذلك للمعانى نحو عقد البيع والعهد وغيرها (٦)

---

(١) المفردات ، الراغب الاصفهانى ، مادة ، عقد .
(٢) ، (٣)، (٤)، مختار الصحاح ، الرازى ، مادة عقد .
(٥) المفردات للراغب الاصفهانى ، مادة عقد .
(٦) المفردات للراغب الاصفهانى ، مادة عقد .

ويظهر لى انهما قسمان :(١)

(١) احدهما : ما يكون بين العباد من العقود .

(٢) والثانى : ما يكون بين العباد ومعبودهم من العقود والعهود

فنقول فى الاولى : عقد البيع والنكاح اذا اكدهما على نفسه والتزمهما وهذه العقود التى بين العباد يظهر فيه معنى الالزام ، فمعنى العقود فى هذه الامور التاكيد والالتزام .

واما اذا كانت من قبيل القسم الثانى وهو ما يعقد بين العبد ومعبوده فالعقد هنا بمعنى التصديق والتاكيد ، وهو الذى يهمنا معناه فى مادة عقد .

واليك الامثلة التى توضح هذا القسم مما اورده اصحاب المعاجم :-

(١) عقد قلبه على كذا : اى صدقه وعقد عليه قلبه وضميره (٢) .

(٢) واعتقد بالشىء : صدقه وعقد عليه قلبه وضميره وتدين به (٣) .

---

(١) قال الزجاج عن قوله تعالى :" اوفو بالعقود " المائدة آية (خاطب المومنين بالوفاء بالعقود التى عقدها الله تعالى عليهم والعقود التى يعقدها بعضهم على بعض بما يوجبه الدين . لسان العرب لابن منظور مادة عقد فهى :-

(١) عقود بين العباد وخالقهم .

(٢) وعقود بين بين العباد انفسهم.

والاولى : تسمى بالاحكام الاعتقادية ، وعقائد الهية واهتم بهذا الجانب علماء العقيدة .

والثانى: هى المسماة بالعقود الشرعية وهى التى اهتم بها علماء الفقه واصوله .

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ج ٢ ، مادة عقد .

(٣) محيط المحيط ، المعلم بطرس البستانى ، مادة (عقد) مكتبة لبنان .

(٣) واعتقد كذا بقلبه : اى كان له عقيدة (١) .

(٤) وعقد قلبه على الشيء : لزمه (٢) والصواب لازمه (٣) .

(٥) واعتقد قلبه على كذا : فلا ينزع عنه (٤)

وفي الحديث " الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (٥)

(٦) اعتقد فلان عقدة : اى اتخذها بمعنى اتخذها عقيدة فاعتقدها (٦)

(٧) واعتقد فلان الامر : صدقه وعقد قلبه وضميره (٧) .

وعلى كل حال فقد ظهر لنا معنى العقد فى اللغة : حيث ان فيه معنى الالزام سواء كان فى الماديات او المعنويات ومعناه باختصار هو :-

(١) الربط والتوثيق ويأتى على معنى التوكيد ...فهو يدور حول معنى الربط والتاكيد والاستيثاق " (٨) .

(٢) لزوم الشىء والتزامه وتوكيده " (٩)

---

(١) متن اللغة العربية ، احمد رضا (٤ : ١٥٧ و١٥٨) .

(٢) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة عقد ومتن اللغة العربية ، احمد رضا (٤ :١٥٧ ، ١٥٨) .

(٣) نقلا عن الفطره فى العقيدة الاسلامية " حافظ جعبرى ، ص (١١) .

(٤) العقيدة اساس التربية ، حافظ شريدة ، رسالة دكتوراة ، جامعة ام القرى مكة الكرمة سنة ١٤٠٣ هـ. (١ : ٣٣) .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد والسير ، باب الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة .

(٦) العقيدة اساس التربية حافظ شديدة (١: ٣٣)

(٧) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مادة عقد ج ٢ .

(٨) دور اليهود فى افساد العقيدة الاسلامية : حسن محمد ابراهيم ، رسالة ماجستير جامعة ام القرى مكة المكرمة سنة ١٤٠٣ هـ ،ص (٣ ـ٤)

(٩) الفطرة فى العقيدة الاسلامية ، حافظ جعبرى ، ص (١١) .

(٣) كلمة العقيدة فى القرآن الكريم :-

اعلم ان كلمة العقيدة فى القرآن تدور حول ما ذكرنا من معناها فى اللغة "والذى ورد فى القرآن الكريم لهذه الكلمة " عقد " مشتق من الفعل الثلاثى عقد " (١) واليك بعض الامثلة فى ذلك :-

(١) " ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله "(٢) .

(٢) " والذين عقدت ايمانكم فاتوهم نصيبهم "(٣) .

(٣) " يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود "(٤) .

(٤) " واحلل عقدة من لسانى "(٦) .

(٥) "ومن شر النفاثات فى العقد "(٦) .

(٦) " ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان "(٧)

(٤) القاء الضوء على بعض هذه الايات :-

قال الله تعالى

(لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم)(٨)

(١) قال الامام الشوكانى فى تفسير قوله تعالى "لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم .(٨) اى ولكن يؤاخذكم بايمانكم المعقدة الموثوقة بالعقد والنية اذا حنثتم فيها "(٩) .

---

(١) المرجع السابق ص (٣ ـ٤).

(٢) النساء : اية ٣٣ . (٣) المائدة : اية ٨٩ .

(٤) المائدة : اية١ . (٥) طه : اية ٣٣ .

(٦) الفلق : اية ٤ . (٧) المائدة : اية ٨٩ .

(٨) المائدة : اية ٨٩ .

(٩) فتح القدير الجامع بين فنى الرواية ـ والدراية من علم التفسير ، محمد بن على الشوكانى ، دار المعرفة بيروت (٢ ـ٧١).

" واصل العقود : الربوط فهو يستعمل فى الاجسام ، واذا استعمل فى المعنى كما هنا افاد انه شديدالاحكام ،فالعقوداذاأوثق العهود "(١) .

ففى الايه ان ما عقد عليه القلب والضمير هو الذى يؤخذ به .

قال تعالى :" والذين عقدت ايمانكم "(٢) .

قال ابو زيد فى قوله ...والذين عقدت ايمانكم الاية "معناه التوكيد والتغليظ كقوله تعالى ،" ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها "(٣) وكقوله :" ياايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود "(٤) .

قيل العهود قيل الفرائض التى لزموها "(٥) .

(٥) العقيدة فى الاصطلاح :

١- تعريف العقيدة عند العلماء القدماء :-

يعرفها علماء الكلام بانها "الايمان المطابق "للواقع الثابت بدليل أو الادراك المطابق للواقع الناشىء عن دليل " قال فى حاشية الدسوقى "العقائد جمع عقيدة بمعنى المسألة المنعقدة . وهى اثبات المسائل الاعتقادية بدلائل قطعية ، اى الاعتقاد الجازم للواقع الناشىء عن دليل " (٦) ويريد بهذا التعريف العقيدة فى اصطلاح علماء الكلام .

---

(١) دور اليهود فى افساد العقيدة الاسلامية . حسن محمد ابراهيم ،ص (٣-٤)

(٢) المائدة : آية ٨٩ .

(٣) النحل : اية ٩١ .

(٤) المائدة : اية ١ .

(٥) لسان العرب ، لابن منظور عقد .

(٦) حاشية الدسوقى على ام البراهينى ، ص (١٥) .

"ويلاحظ ان علماء المسلمين يعرفون الاعتقاد بالادراك الجازم الذى ينفى الوهم والشك والظن ، ويصفونه بانه مطابق للواقع ليخرج بذلك الاعتقاد الباطل الذى يخالف الواقع ،كما يصفونه بانه الاعتقاد الناشىء عن دليل ليخرج بذلك الايمان التقليدى الذى لا يعتمد على دليل .(١)

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية العقيدة " هى الامور التى تصدق بها النفوس وتطمئن اليها القلوب وتكون يقينا عند عند اصحابها لايمازجها ريب ولا يخالطها شك (٢).

كـ عقيدة من تعريفات العلماء القدماء لكلمة عقيدة سواء قدما اعرضنا من تعريف او ما نقل عنهم من تعريفات ليس هذا مجال سردها.

(١) هناك ارتباط وثيق بين معنى العقيدة لغة ، ومعناها فى الاصطلاح عند علمائنا القدماء ، فان الشد والتوكيد والربط والجمع وما عقد القلب الخ " وتؤدى هذه الكلمات معنى الاعتقاد الجازم فى القلب حتى يتشبث فى اعماق النفس ويصعب زعزعته او الشك فيه . (٣)

(٢) لم تستعمل كلمة عقيدة الا فى الازمنة المتاخرة عن ازمنة الصحابة ولعل اول اطلاقها كان فى القرن السادس الهجرى عند ظهور العقائد النفسية (٤)..

(٣) الذين تعرضوا للتعريف انما يقصدون بها تعريف علم الكلام ويجب الفصل بين علم الكلام وبين العقيدة ، فالعقيدة منهج وتصديق .

---

(١) نظرات فى الثقافة الاسلامية ، د . محفوظ على عزام ، دار اللواء ، والنشر والتوزيع ، ط ١ سنة ١٤٠٤ هـ ص (١١٩).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل ، لابن تيمية ، ت ، محمد رشيد رضا ، سنة ١٣٤١ هـ ، ص (٢٩) .

(٣) العقيدة اساس التربية والنظم الاسلامية ، محمد حافظ شريدة (٣٨)

والكلام ، علم يقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بايراد الحجج ودفع الشبهة (١) .

(٤) ان بعضهم اطلق العقيدة بالمعنى الاعم "كقول بعضهم :- ان العقيدة هى ما انطوى عليه القلب والضمير " وهذه يصدق فى ان تقول :

ا- اعتقدت ان فلانا صديق لك ، كان هذا عقيدة .

ب - واذا اعتقدت ان الله عالم كان هذا عقيدة "(٢)

(٥) لم يكن من السهل تحديد المعنى الدقيق لهذا اللفظ عندم

(ا) فالمعنى الشائع : التصديق الجازم .

(ب) والثانى : وهو تحليل الاستعمال ويفيد الاقتناع او اليقين " (٣)

(٣) تعريف المعاصرين من العلماء للعقيدة :-

تعددت التعريفات بين العلماء المعاصرين ، واختار بعض التعاريف منها (٤) .

---

(١) المواقف فى علم الكلام ، عضد الدين القاضى عبد الرحمن الايجى ، عالم الكتب ،ص (٧) .

(٢) ،(٣) الفطرة فى العقيدة الاسلامية ، حافظ الجعبرى ، (١-٢) . .

(٤) وممن عرفها من المعاصرين :-

١- سيد سابق "العقائد الاسلامية " دار الكتاب العربى ص ٨ .

٢- محمد خليل الهراس "شرح العقيدة الواسطية " ص١٣ ط ٤ مراجعة عبد الرازق عفيف .

٣- عبد العزيز السلمان "الكواشف الجليلة شرح العقيدة الواسطية " ص٣٠ ط ١١ ، ١٤١٠ هـ .

٤ -محمد المبارك "نظام الاسلام "ص٣٥ . مكتبة القيحطية مكة .

٥- د. على عبد المنعم عبد المجيد "العقيدة الاسلامية "ص ١١ ط٢ دار القلم الكويت .

٦- د.عمر سليمان الاشقر "العقيدة فى الله ص (٩ -١٠) ط ٥ ،١٩٨٤، مكتبة الفلاح ، الكويت .

(١) عرفها الشيخ حسن البنا رحمه الله فى مجموعة الرسائل فقال:-
العقيدة : هى الامور التى يجب ان يصدق بها قلبك وتطمئن اليها نفسك وتكون يقينا عندك لا يمازجه ريب ولا يخالطه شك "(١) .

(٢) ويقول الشيخ البيصار رحمه الله فى تعريفها :-
العقيدة : هى الجانب النظرى الذى يجب على المؤمن من الايمان به اولا ايمانا يقينا مبينا على التصديق الجازم مع الشعور بالرضى والقبول واقبال النفس عليه والاطمئنان به (٢).

(٣) والعقيدة : هى فكرة يطمئن اليها القلب ويكون لديه أمن من خطئها وهى :-
١- تنعقد فى القلب فتسمى "عقيدة " وهذه التسمية للايمان محدثة .
٢- ويطمئن القلب لصحتها فتسمى "ايمانا "وهو الاصطلاح القرآنى .
٣- وهى قد تكون صحيحة اذا وافقت الحقيقة ، وعلمنا بموافقتها للحقيقة ودليله الحس والعقل والخبر الصادق ومنه الوحى .
وقد تكون باطلة وذلك عندما تكون مخالفة للحقيقة ولوظنها معتقدها حقيقة واطمأن اليها "(٣) .

(٥) والعقيدة : هى ما انعقد عليه القلب وتمسك به وتعذر تحويله عنه ولا فرق فى ذلك بين ما كان راجعا الى تقليد أو وهم وما كان راجعا الى دليل عقلى .(٤) .

والخلاصة :

"ان العقيدة ليست فى مفهومها القرآنى :-
(١) الادعاء باللسان فما اكثر المنافقين الذين يقولون بالسنتهم "آمنا وهم لا يؤمنون .

(١) مجموعة الرسائل ، حسن البنا ، رسالة العقائد ، طبعة دار القرآن ص (٤٢٩) .وهو نفس تعريف شيخ الاسلام ابن تيمية السابق .
(٢) العقيدة والاخلاق واثرها فى الفرد والمجتمع / محمد عبد الرحمن البيصار ص ٩٧ ،ط ٤ .
(٣) دور اليهود فى افساد العقيدة الالهية ،حسن محمد ابراهيم،ص (٣-٤)
(٤) العقيدة الاسلامية ،د . على عبدالمنعم ،ص (١١) .

(٢) وليست عملا بالجوارح خاليا من الاخلاص فما اكثر المرائين وقلوبهم هواء " ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم (١) .

(٣) وليست مجرد ادراك ذهنى فكم من قوم ادركوا حقيقة ولم يؤمنوا فقد علم فرعون وقومه صدق موسى ولم يؤمنوا كما قال تعالى عنهم :"وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم .."(٢) .

ان هناك فرقا كبيرا بين ان ترى أو تعلم وان تعتقد فاذا رأيت الرأى فقد ادخلته فى ذاكرة معلومات ، واذا اعتقدت ،جرى فى دمك وسرى فى مخ عظامك ، وتعلق فى اعماق نفسك "(٣)

فالعقيدة فى مفهومها القرآنى اذا :-

"هى الامور التى تنفذ الى العقل فتقنعه ، واذا اقتنع العقل تحرك القلب واتجهت الارادة استجابت "الجوارح واندفعت للعمل "(٤)

فالعقيدة :جملة من المبادىء التى سبق ذكرها (اركان العقيدة الاسلامية على مراد الله ورسوله)متى بلغت اغوار النفس واحاطت بكل جوانبها كان العقل مؤمنا بالله ، والقلب خاضعا لله والارادة متجهة لتنفيذ ما قضاه الله والجوارح مندفعة للعمل باوامر الله "(٥)

وينقسم الكلام فيها اربعة اقسام رئيسية :-

الاول : الالهيات .

الثانى : الروحانيات .

الثالث : النبوات .

الرابع : السمعيات .(٦)

---

(١)النساء :آية ١٤٢ . (٢) النمل : آية ١٤٠ .

(٣) العقيدة الاسلامية سفينة النجاة ،د. كمال محمد عيسى ،ص (٨٩ -٩٤)

(٤) المرجع السابق ،ص (٩٤) . (٥) المرجع السابق ،ص (٩٥) بتصرف

(٦) المرجع السابق ،ص (٩٥)قد درست اكثر هذه الاقسام فى باب الثانى من هذا البحث ص (١٩٥)وما بعدها .

٤) الفرق بين الايمان والعقيدة وآراء العلماء فى ذلك قديما وحديثا :-

عرفنا ان العقيدة فىالقرآن هى الايمان وتعرضنا لمفهومها فيه أو لمفهوم العقيدة فى القرآن "ولقد ظهر لى ان هناك فرقا بين تعبيرات السابقين واللاحقين فى معنى هاتين الكلمتين ، وان كان المراد بالعقيدة هو الايمان عند الجمهور من العلماء القدماء وعند المعاصرين ،وهو الاقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالجوارح ،لكن هناك فروق بين هاتين الكلمتين عند علمائنا السابقين وعند بعض المحدثين وذلك باعتبارات :-

(١) فعند جمهور علمائنا القدماء :-

الايمان والعقيدة يشتركان فى انهما تصديق ويختلفان فى ان الايمان تصديق وعمل وعند الحنفية العقيدة والايمان ، تصديق فحسب ،فتعريف الحنفية للايمان يرادف تعريف المتكلمين للعقيدة فهما يتعلقان بالقلب ولا دخل للجوارح فيها وتعريف الجمهور للايمان يشتمل معنى العقيدة ويزيد عليه ركن العمل ، فالمرء اذا لم يتبع اعتقاده بالعمل فانه يطلق عليه لفظ مؤمن ظاهرا ،ولكن ايمانه ناقص فى الحقيقة (١).

(٢) الفرق بين كلمتى العقيدة والايمان عند علمائنا المعاصرين :-

اما تصور الفرق بينهما عند من ذهب الى ذلك فليس مبنيا على الدلالة اللفظية اللغوية ولكنه مبنى على الاحساس والشعور النابعين عن التجربة :-

---

(١) شرح الطحاوية لمحمد ابى العز الدمشقى تحقيق شعيب الارنووط مكتبة دار البيان ، توزيع المؤيد ، الطبعة الاولى ١٤٠١هـ،ص (٣٠٨-٣٠٩)

(١) يقول الدكتور . عبد المنعم :-

الايمان والعقيدة ، لا يبعدان فى مدلولهما كثيرا ، بل هما عند التحقيق اسمان مترادفان لشىء واحد . ونتاجهما واحدة ...وان الكلمتين تستخدمان احيانا بمعنى واحد وهما فى بعض المواطن تعبران عن مدلولين مختلفين لان التسليم غالب على الايمان ، اما الاعتقاد ويعتد احيانا بمعرفة الاسباب ولو من قبيل التقدير والترجيح (١)

(٢) ويقول العقاد :-

الايمان احر شعورا من الاعتقاد ، فهو يجازف على علم بالمجازفة ، لانه يشعر بان الثقة اقوى ، ونتيجة البرهان انفس واغلى :(٢) .

وخلاصة القول :-

فيما اوردناه عند المحدثين ان الايمان والعقيدة يشتركان فى انهما تصديق جازم لكن الايمان ، يزيد عليها بكونه يطلب فيه الانقياد والتسليم وعدم طلب الحجج والبراهين ، وان الايمان احر شعورا من الاعتقاد .

---

(١) الايمان كما يصوره الكتاب والسنة ،د. على عبد المنعم ، دار البحوث العلمية الكويت ط١ ،سنة ١٣٩٨ ،ص (٢٠) .

(٢) عقائد المفكرين ، محمود العقاد .ط . بيروت ص (١٥)

المبحث الثالث

التعريف بالقصة القرآنية وأغراضها

(١) المعنى اللغوى للقصة القرآنية .

(٢) تعريفها فى الاصطلاح

(٣) الغرض من القصص القرآنى

(١) الغرض الاول

(٢) الغرض الثانى

(٣) الغرض الثالث

(٤) الغرض الرابع

(٥) الغرض الخامس

(٤) غرض القصة القرآنية فى ضوء بعض الايات القرآنية

(١) المعنى اللغوى للقصة القرآنية :-

"معنى القصص فى الاصل تتبع اثر الشىء للاحاطة به ومنه وقالت لاخته قصيه "(١) ثم قيل قص خبره اذا حدث به على وجه الذى استقصاه "(٢)

واذا رجعنا الى المعاجم اللغوية راينا الاشتقاق اللغوى لها هو كشف آثار وتنقيب عن احداث نسيها الناس او غفلوا عنها (٣) .

قال صاحب لسان العرب (٤) :-

والقصة: الحديث والخبر والامر ، ويقال فى رأسه قصة اى جمله من الكلام

والقص : فعل القاص اذا قصص والقصص معروفة .

والقص : اتباع الاثر ، يقال :خرج فلان قصصا فى اثر فلان وقصا اذا اقتص اثره .

وقيل القص :ان يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر وسياق الكلام سوقا ومما ورد فى معانيها فى هذا المعجم : المتابعة ،والبيان ،والاعلام ،والحفظ وورد فيها انها بمعنى القطع قال "قص الشىء رد فانت حينما تقص الحديث تقطع بصحته فيه (٥)

ومن هذا المعنى اللغوى تكون القصة فى اصلها اللغوى، الحقيقة الواقعة فهى ليست اسطورة بخلاف القصة القرآنية تفيد القطع بصحتها فهى من قبيل الواقع الصادق "(٦) .

---

(١) القصص : آيــــة (١١).

(٢) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت (٢ -١٩٥)

(٣) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنيــة ن محمود السيد محمد مصطفى . موسسة شباب الجامعة - السكندرية /ط ،(سنة ١٩٨١ م ،ص ١٤٤) .

(٤) لسان العرب لابن منظور ،مادة عقد .

(٥) العبـرة مـن قصة موسى فى القرآن الكريم ، محمد خير عدوى ، رسالة ماجستير جامعة ام القرى سنة ١٤٠٠ هـ ،ص (٧) .

(٦) المرجع السابق ،ص (٨) .

"والقصص الى جانب انها حقيقة صادقة واقعة فهي تقرر الحقيقة التاريخية لا من قبيل اساطير الاولين التى سماها به المبطلون (١)

قال تعالى فى شأن صدق القصة القرآنية "نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق (٢) .

والقصص : الخبر المقصوص (٣)

والقصص : جمع القصة التى تكتب (٤) وجمع الجمع اقاصيص (٥) فليس القصص بالفتح جمع قصة "بالكسر" كما يظنه العامة ، فان ذلك يقال فى قصص بالكسرواحدة قصة .

والقصة : هى الامر والحديث الذى يقص فعله ، بمعنى مفعول ، وجمعه قصص بالكسر (٦) والقصص بالفتح هو "النبأ والخبر (٧) والحديث (٨) "والنبأ والخبرالمهم (٩) .

وفى القرآن ما يدل على ان القصة : الامر والحديث والخبر المتتبع قال تعالى :"ان هذا لهو القصص الحق (١٠) .

---

(١) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ،احمد محمد جمال ، دار الفكر ط٢ ،ص ((٣٩ -٤٠٤) .

(٢) القصص : آية ٣ .

(٣) لسان العرب ،لابن منظور ،مادة قص .

(٤) مجمع البيان فى قصص القرآن ، سميح عاطف ، المتقدمة ، دار الفكر - بيروت ،ط٢، ١٤٠٣هـ ،ص ((١١) .

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس ، الامام محب الدين السيوطى الزبيدى الحنفى ، مادة قص .

(٦) مجمع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (١٧ :١٩ -٢٠) باختصار .

(٧) لسان العرب ، لابن منظور ، مادة قص .

(٨) المرجع السابق ، مادة قص .

(٩) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا -(٢ - ٢٩٥).(١٠)آل عمران:آية ٦٢

وقال تعالى : فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١) .

وقال تعالى فلنقص عليهم بعلم وما كنا غائبين "(٢)

ولقد جاء فى القرآن أن النبأ بمعنى الاخبار عن الماضى عن الاحداث البعيدة ازمنه او مكانا ، على حين انه استعمل الخبر والاخبار فى الكشف عن الوقائع القريبة أو الاشياء التى لا تزال مشاهدة ماثله للعيان .

قال تعالى فى مجال الانباء " تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا (٣) ..

وقال تعالى فى مجال الاخبار "ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونبلو اخباركم .(٤) .(٥) .

قلت وهذا ليس على سبيل الاستقراء بل على الغالب قال تعالى "قد نبانا الله من اخباركم (٦) وقال تعالى يومئذ تحدث اخبارها (٧) .

---

(١) الاعراف : آية ١٧٦ .

(٢) الاعراف :آية ٧ .

(٣) هود : آية ٤٩ .

(٤) محمد : آية ٣١ .

(٥) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية / محمود السيد حسن مصطفى ، ص (١٤٣) .

(٦) التوبة : آية ٩٤ .

(٧) الزلزلة : آية ٤ .

(٢) تعريفها فى الاصطلاح :-

عرفها صاحب رسالة (العبرة من قصة موسى) محمد خير العدوى فقال "هى خبر أخبر به الله تعالى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بحوادث الماضى وموجود بين دفتى المصحف بقصد العبرة والهداية سواء كان بين الرسل واقوامهم أو الامم السابقة افرادا وجماعات :"(١)

وعرفها سيد قطب رحمه الله تعالى فقال؛-

ان القصة هى وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى اغراضة الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شىء ، القصة احدى وسائله لابلاغ هذه الدعوة وتثبيتها شانها فى ذلك شان الصور التى يرسمها للقيامه وللنعيم والعذاب وشان الادلة التى يسوقها على البعث وعلى قدرة الله ،وشان الشرائع التى يفصلها والامثال التى يضربها "٢).

وهذا الكلام يفيد دور القصة فى القرآن الكريم وانها تشبه الامثال والادلة العقائدية فيما تقوم به من دور .

وجاء فى تعريفها :-

"تتبع اثار واخبار الامم الماضية وايراد مواقفهم واعمالهم خاصة مع رسل الله اليهم مع اخبار آثار الدعوات فيهم وذلك باسلوب حسن جميل مع التركيز على مواطن العبرة والعظة . (٣)

قلت والتعريف الاول جامع مانع ولمزيد من الايضاح لتعريف القصة نبين محترزات التعريفين السابقين :- وهما الاول والثالث :-

١- لقد اخرج التعريف الاول القصص النبوى لا من حيث الهدف والوقوع .

---

(١) العبيرة من قصة موسى فى القرآن الكريم ،محمد خير عدوى ،ص ١٠ .

(٢) التصوير الفنى ،سيد قطب ،ط٤ ،مطابع الشروق سنة ١٣٥٨ هـ ص ١١٣

(٣) القصة فى القرآن الكريم ، مريم السباعى ،ورسالة دكتوراة جامعة ام القرى مكة سنة ١٤٠٧ هـ . ص ٣٥ ..

٢- واخرج ايضا القصص الذى لم يكن فى الماضى كالذى حدث فى حياته أو بعده .

٣- فى التعريف الاول ايضا يدخل غير الانسان مما قصه الله علينا .

٤- وجاء فيهما ان - هدف القصص العبرة والعظة وهو عنوان للقصص القرآنى .

٥- وفى التعريف الثانى :حسن الصياغة القرآنية للقصص الذى تجلو به الفكرة والعظة والعبرة .

(٣) الغرض من القصص القرآنية :-

---

(١) الغرض الاول :ما ذكره ابن جزى الكلبى فى مقدمة تفسيره عن ، مقاصد القصص القرآنى فقال "(اثبات نبوة الانبياء المتقدمين بذكر ما جرى على ايديهم من المعجزات ، وذكر اهلاك من كذبهم بانواع المهالك .

(٢) ومنها اثبات النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم لاخباره بتلك الاخبار من غير تعلم من احد والى ذلك الاشارة بقوله تعالى "ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا "(١)

(٣) ومنها اثبات الوحدانية ، الا ترى لما ذكر اهلاك الامم الكافرة قال "فما اغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء ٢)

(٤) ومنها الاعتبار فى قدرة الله وشدة عقابه لمن كفر .

(٥) ومنها تسليه النبى صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه له بالتاسى فيمن تقدم من الانبياء كقوله " ولقد كذبت رسل من قبلك" (٣) .

(٦) ومنها تسليته ووعده بالنصر كما نصر الانبياء الذين من قبله .

---

(١) هود :آية ٤٩ . (٢) هود : آية ١٠١ .

(٣) الانعام : آية ٣٤ .

(٧) ومنها تحديث الكفار بالذين من قبلهم ، الى غير ذلك مما احتوت عليه اخبار الانبياء من العجائب والمواعظ وردهم على الكفار وغير ذلك .(١)

(٤) القاء الضوء على بعض النقاط المهمة التى ذكرها ابن جزى فى مقدمة تفسيره وذلك فى امور :-

الامر الاول :- اثبات صدق الوحى والرسالة .

وذلك "ان امر القصص من الاخبار التى بعد الزمن بها واندثرت أو كادت تندثر وبهذا سماه القرآن من انباء الغيب (٢) فيكون ذلك "بحق معجزة على صدق نبوته واعظم آية على تحقيق صدق رسالته "(٣) ومثل هذا لا يمكن الاتيان به الا بواسطة الوحى وان الذى يقصه ويتلوه فى شأن الامم الماضية انما هو رسول من عند الله عز وجل ، اذ لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم قارئا ولا كاتبا ولا عرف انه جلس الى احبار اليهود والنصارى (٤) .

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل للشيخ الامام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم محمد بن احمد بن جزى الكلبى ، دار الكتاب العربى ،ط٢ ،بيروت ،ص ٦ .

(٢) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى ،ص (١٤٤).

(٣) قصص الانبياء ،احداثها وعبرها ،محمد الفقى ، مكتبة وهبة ،ط١ ،سنة ١٣٩٩ هـ ص ٧ .

(٤) انظر رسالة العبرة فى الرد على ان محمد صلى الله عليه وسلم قد استفاد من قصص القرآن والانجيل ص (٥٧ -٦٧) رسالة العبرة ، محمد خيرى العدوى

"ولهذا كان من اعظم اغراض القصة اثبات الوحى والرسالة فى مقدمات بعض القصص او فى اعقابها (١) واليك ما يشهد لذلك :-

(١) قال تعالى :"نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين ."(٢) .

(٢) وقال تعالى :"كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق "(٣) .

(٣) وقال تعالى : "وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الاجل وما كنت من الشاهدين "(٤).

(٤) وقال تعالى :"ذلك من انباء الغيب نوحيها اليك "(٥)

(٥) وقال تعالى :"قل هو نبأ عظيم انتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون الايات "(٦) .

الامر الثانى :-

توضيح تاريخ الدعوة الى الله تعالى التى سار عليها المرسلون الى اقوامهم ويمكن ايجاز هذا التاريخ فى ضوء معنى الامور التالية :-

(١) الدعوة التى جاء بها الانبياء واحدة وهى دعوة التوحيد ومكارم الاخلاق .

(٢) العقبات ومواقف الامم التى اعترضت هذه الدعوة .

(٣) وسائل الانبياء فى تبديد هذه العقبات والاصرار على مدافعتها

(٤) مصير الصراع بين الغى والرشد (٧) .

---

(١) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى ،ص (١٤٤) .

(٢) يوسف : آية ٣ . (٣) طـه : آية ٩٩ .

(٤) القصص : آية ٤٤ . (٥) آل عمران: آية ٦٧ .

(٦) ص : آية ٦٧ .

(٧) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية ، محمود السيد مصطفى ص (١٤٦) باختصار .

"جاءت الايات فى سورة الاعراف وهود والشعراء تبين بصفة خاصة ما دعا اليه الرسل وهى كلمة .. لا اله الا الله " والمتمثلة فى قوله تعالى "اعبدوا الله ما لكم من اله غيره "(١) .

وقال تعالى " ولقد بعثنا فى كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت "(٢) وبين عز وجل عن هذه الوحدة التى دعا اليها الانبياء ان من كذب رسولهم فكأنما كذبوا الرسل اجمع .. قال تعالى "وقوم نوح لما كذبوا الرسل اغرقناهم وجعلناهم للناس آية .(٣) .

واما الوسائل التى تبعها الرسل مع اقوامهم فهى كثيرة منها الترغيب والترهيب وما اتوا به من معجزات وما بينوا من حجج وبراهين ،ودعوا العباد بالانعم التى اتوها الى غير ذلك من الوسائل الكثيرة التى اوضحها القرآن الكريم والتى ستعرض لها فى الباب الاول (٤).

واما موقف الاقوام من الرسل :فقد كذبوا وقاوموا الدعوة حتى الصد منهم وكان مصيرهم الهلاك "فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليهم حاصبا ومنهم من اخذته الصيحه ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا (٥) .

---

(١) دراسات قرآنية ،محمد قطب ، دار الشروق ،ط٢ ،سنة ١٤٠٠ هـ ، ص (١٠٢) .

(٢) النحل :آية ٣٦ .

(٣) الفرقان : آية ٣٧ .

(٤) انظر ص (١٦٩) لمعرفة طرق الدعوة التى جاءت فى قصة موسى فى هذا البحث .

(٥) العنكبوت :آية ٤٠ وانظر موقف القوم الذين ارسل اليهم موسى ،ص (٢١٦) .

الأمـــر الثـــالـــث :-

جاء القصص لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه على ما يواجهونه من الشدائد من قبل المعاندين من الكافرين : انظر الايات التالية :-

(١) قال تعالى :"ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك "(١)

(٢) وقال تعالى :"ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى آتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبا المرسلين "(٢) .

(٣) وقال تعالى :"وكلا نقص عليك من انباء ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمومنين "(٣) .

(٢) الغرض الثاني :-

"قضية الابتلاء للمؤمنين وهي سنة من السنن التي اوضحتها الصفحة القرآنية وانه لا بد ان يحدث للمؤمنين "(٤)

"الم. احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين "(٥) .

(٣) الغرض الثالث :-

"القصص القرآني بين فيه البلاغ بالانتماء الى امة كبيرة وهي امة التوحيد في كل عصر من العصور (٦) .

---

(١) فصلت : آية ٤٣ . (٢) الانعام : آية ٣٤ .

(٣) هـــود : آية ١٢٠ .

(٤) دراسات قرآنية ، محمد قطب ،ص (١٠٣) .

(٥) العنكبوت : آية (١ ـ٣) .

(٦) دراسات قرآنية ،محمد قطب ،ص (١٠٤) .

ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون "(١)

(٤) الغرض الرابع :-

- "القصص القرآنى يبين سيرة الصفوة المختارة من بنى البشر لتكون مثالا على للذات البشرية يحتذى بها وتعبيرا اسمى للنفس الانسانية (٢)

(٥) الغرض الخامس :-

"تعداد النعم على الامم وعلى الانبياء وانها لم تكن نعما مقصودة لذاتها بل ليشكروه ولكن كثيرا منهم كفروا بها وقص علينا ما كان من شانهم (٣) .

(٤) غرض القصة القرآنية فى ضوء بعض الايات القرآنية :-

١- فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (٤) فى ضوء هذه الاية جاءت القصة فى القرآن للتامل والتدبر (٥) .

٢. "وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق (٦).

فى ضوء هذه الاية غرض مهم للقصة على تثبيت العقيدة وترسيخها فى افئدة المؤمنين من خلال ما يعرض عليهم من قصص الاحداث الماضية (٧) .

---

(١) الانبياء : آية ٩٢ .

(٢) مجمع البيان فى قصص القرآن ،سميح عاطف ص ٩ .

(٣) الاعجاز اللغوى للقصة القرآنية ،محمود السيد حسن مصطفى ،ص (١٤٦)

(٤) قصص الانبياء ،محمد الفقى ،ص ٣ "المقدمة " .

(٥) هـــــود :آية ١٢٠ .

(٦) هـــود : آية ١٢٠ .

(٧) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية ، محمود السيد حسن مصطفى ،ص (١٤٦).

(٣) "ولقد اهلكنا القرون من قبلهم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات (١) .

فى هذه الاية دعوة الى الاعتبار فى مصائر هؤلاء الجبابرة والطغاة وما آل اليه امرهم (٢) .

---

(١) يونس : آية ١٣ – ١٤ .

(٢) قصص الانبياء ،محمد الفقى ،ص (٩) .

الباب الأول

الدعـــــوة

في قصة موسى "عليه السلام"

الفصـــــل الاول

****

"نشأة موسى عليه السلام "

(١) المبحث الاول : تمهيد تاريخى .

(٢) المبحث الثانى : ولادة موسى ونشأته .

(٣) المبحث الثالث : هجرة موسى عليه السلام من مصر .

****

المبحث الاول

تمهيـــــــد تاريـــــخى

وفيه مايلى

(١) انتقال آل يعقوب الى مصر واسبابه

(٢) مكانه آل يعقوب فى الوطن الجديد

(٣) تبدل الاحوال وحلول المحن بهم .

(أ) انتقال آل يعقوب الى مصر واسبابه :-

ترك ابراهيم عليه السلام موطنه الاصلى وهاجر هو ولوط الى الارض المباركة واستقر فيها وكان له رحلات (١) بينها وبين اماكن مختلفة منها بيت الله عز وجل ونزوله فى ارض جبار كما جاء فى الحديث (٢) واهداءه هاجر التى كانت اما لاسماعيل واستقر بقية ذريته من بنيه فى جنوب فلسطين حتى نزلوا بمصر زمن يوسف عليه السلام حين استدعاهم اليها يوسف عليه السلام .

"فاصل نشاة بنى اسرائيل فى مصر زمن نزول اسرائيل "يعقوب " بها زمان ابنه يوسف على نبينا وعليهما السلام (٣) وسورة يوسف تفصل لنا كيفية قدومهم عليه فتخبرنا سورة يوسف عن هذا الاستدعاء وتخبرنا ان

---

(١) انظر رحلات ابراهيم عليه السلام بين الارض المباركة التى انزل فيها ذريته والاماكن المختلفة فى رسالة "الخليل ابراهيم عليه السلام فى الكتاب والسنة عبد الله على محمد ابو سيف ، رسالة ماجستير مكة المكرمة جامعة ام القرى سنة ١٣٩٧ هـ ص :٥٠، وما بعدها .

(٢) اهل الكتاب يذكرون انه نزل ارض مصر ، والحديث الذى فى صحيح مسلم انه نزل ارض جبار وتحتمل ان تكون مصر او غيرها انظر الحديث فى صحيح مسلم كتاب الفضائل باب من فضائل ابراهيم انه قدم ارض الجبار ومعه سارة "قال صاحب الفتح (٦:٣٣٨) . اسم الجبار المذكور هو عمرو بن امرىء القيس بن سبا وانه كان على مصر وروى غير ذلك. والله اعلم فتح البارى شرح صحيح البارى ابن حجر العسقلانى .

(٣) البحر المحيط بن يوسف الشهير بابى حيان الاندلسى ، دار الفكر ، ط ٤ ،سنة ١٤٠٣ هـ ((١:٣٠١)).

يعقوب واولاده الاحد عشر خرجوا من بادية جنوب فلسطين الى مصر بعد ما مكن الله ليوسف عليه السلام فى ارض مصر .

وتخبرنا ايضا طلب يوسف عليه السلام من اخوته بعدما عرفوه وكشف نفسه لهم ان يعودوا ليحضروا اهلهم ليقيموا معه "اذهبوا بقميصى هذا فالقوه على وجه ابى يأت بصيرا وأتونى بأهلكم اجمعين .(١) .

وأقبل يعقوب عليه السلام يقود اهله واولاده الى ابنه يوسف فى مصر ودخلوا عليه "فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا (٢) وفى قوله تعالى "ورفع ابويه " رد على اهل الكتاب الذين يقولون بموت ام يوسف فى الطريق الى مصر .(٣) .

(٢) مكانه آل يعقوب فى الوطن الجديد :-

يذكر المؤرخون ان زمن تواكب مجئ اسرائيل الى مصر عندما كانت مصر محكومة من قبل الهكسوس والقرآن الكريم يعرض علينا فى سورة يوسف دوره فى انقاذ البلاد من الجوع والقحط بحكمته وعلمه وحسن تدبيره ، الامر الذى مكن الله له فجعل له مكانه بين هؤلاء الاقوام من الهكسوس ولعلنا نلمس الاختلاف الحكام عن الفراعنة سواء الهكسوس او غيرهم فى قوله تعالى "فى ملك يوسف "يا ايها العزيز "وفى زمن موسى "يافرعون "ولا يستبعد ان قدوم اسرة يوسف اضافة الى طلب يوسف بمجيئهم لا يستبعد ان يكون هو من باب تكثير الهكسوس .

ونجد فى سورة يوسف (٤) ما كان من يوسف عليه السلام من تفسير الرؤيا

---

(١) يوسف اية ٩٣ وانظر كتاب الشخصية اليهودية ،صلاح الخالدى ، دار القلم ط ١ سنة ١٤٠٧ ص (٦١)

(٢) يوسف اية ٩٩ / ١٠٠ وانظر المرجع السابق ص (٦١)

(٣) الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، اصحاح (٣٥) الجمل (١٣- ١٩) طبعة بدون . (٤) انظر الايات من سورة يوسف (١٨ -٥٦)

وقبلها كيف وصل الى السجن واستدعاء الملك له وطلب يوسف ان يكون وزيرا على مال مصر لاصلاح اوضاعها ، وقد جعله ذلك حتى اذا قدم اليها اخوته عرفهم ثم كان من شانه وشانهم ما تفصله السورة الكريمة حتى استدعاهم الى ارض مصر بقيادة والدهم يعقوب .

وسورة يوسف تبين مكانة آل يعقوب بنزولهم آمنين مكرمين والظاهر انهم قد نزلوا في منطقة طيبة(١) التربة خصبة الانتاج من ارض مصر يقومون بزراعتها ويعملون على فلاحتها والانتفاع بها .

(٣) تبدل الاحوال وحلول المحن بهم :-

عاشت ذرية يعقوب عليه السلام بين ظهرانى سكان وادي النيل قرونا عديدة ويبدو ان الاسلام قد انتشر على ايديهم واستمر الحال هكذا ، حتى بدأت الدعوة تخبو فى النفوس والصدور وبدأ بنو اسرائيل المتمكنون يزحزحون عن مكان القيادة لان الخيرية بدأت تنزع عنهم تدريجيا بسبب بعدهم التدريجى عن نظام الاسلام وشريعته فاسقط نظام الحكم الذى قام على اكتاف يوسف عليه السلام والذى تسميه الكتب التاريخية "حكم الهكسوس وقام نظام وثنى جاهلى طاغوتى ....وهو يسمى "حكم الدولة الحديثة ١٥٧٠ -١٠٩٠ ق. م .ادعى الالوهية والربوبية (٢) " وتلك الايام نداولها بين الناس (٣) .

---

(١) وهى جاسان يقول عفيف طبارة "وهى فى شمال بلبيس من مدنها ،سقط وتقع فىالقسم الشمالى من ارض مصر ، وتمتد بين التخم الجنوبى من ارض كنعان الى نهر النيل انظر :مع الانبياء فى القرآن ،عفيف طبارة .ط ،دار العلم /ط ٢ ،ص ٢١٨ .

(٢) اخطاء يجب ان تصحح من التاريخ ،د.جمال عبد الهادى محمد مسعود والدكتورة وفاء محمد رفعت ، دار طيبة ،ط١، ١٤٠٦، هـ . ص ١٣٩ باختصار .

(٣) آل عمران : آية ١٤٠ .

فقد حدث ان ثار المصريون على الهكسوس وخرجوا عليهم وحاربوهم ، وانتصروا عليهم ، وتمكنوا من طردهم من بلادهم ، وصار الحكام على مصر وملوكها من المصريين انفسهم ، فتملكوا ارضهم وديارهم ، وصاروا هم الحاكمين .(١) .

فقد تمكن (احمس) من الانتصار على الهكسوس ، وطردهم من مصر واسس الاسرة الثامنةعشرة فى القرن السادس عشر ق. موبدأت المخاوف تراود بنى اسرائيل من نظام الحكم الجديد ثم لما قامت الاسرة التاسعة عشر التى من بين ملوكها (رمسيس الثانى) جاهر المصريون بعداوتهم لبنى اسرائيل واخذوا ينزلون بهم اشد الضربات والوان العقوبات ، وذلك لانهم شاهدوا منهم عزله وغرورا ,واستيلابا لاموالهم بطرق خبيثة ، ورأوا منهم ايضا تواطؤا مع الهكسوس ضد ابناء الامة الاصليين ومحاولات لقلب نظام الحكم القائم (٢) .

قال ابن عباس عن تبديل حالهم " ان بنى اسرائيل لما كثروا تجبر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ، ولم يامروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، فسلط الله عليهم القبط (٣) ولقد حكى القرآن الكريم نماذج من المحن التى انزلها فرعون وجنوده ببنى اسرائيل قال تعالى " واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناؤكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٤) .

---

(١) مقارنة الاديان بين اليهودية والاسلام ،د. عوض الله جاد حجازى " ط٣ ، ١٤٠١هـ . ص (٧٤) .

(٢) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ،د.محمد سيد طنطاوى ،الزهراء للاعلام العربى ١٤٠٧ هـ ،ص (٢٣) .

(٣) لباب التاويل فى معانى التنزيل . علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم البغدادى المعروف بالخازن ، دار المعرفة للطباعة والنشر ،بيروت ،٣: ٣٩٦) . (٤) البقرة : آية ٤٩ .

ان الناظر الى الايات التى تناولت المحن التى صبها فرعون على شعبه وعلى بنى اسرائيل خاصة . يرى ان فرعون تتبع فى اضطهاد بنى اسرائيل سواء ماديا أو معنويا اساليب ، وفق تخطيط خبيث هداه تفكيره الشيطانى اليه وساعده آله وملائه (١) . فالقى الشعب فى حروب داخلية ووزعهم شيعا يقاتل كل منهما الآخر ثم انه صنفهم اصنافا فصنف يبنون ، وصنف يقومون بالاعمال القذرة .

وبعد ذلك صب عليهم الجرائم المادية المباشرة من بطش بهم وتعذيب وتقتيل وتذبيح وهذه الجرائم تتمثل فى نوعين :-

(١) جرائم دموية ، تتمثل فى قتل الاطفال الابرياء .

(٢) جرائم لا اخلاقية لا تقل فظاعة عن الجرائم الدموية ، امعانا فى التنكيل وامعانا فى الحذر وقد تمثل هذا فى استحياء النساء بمعنى استبقاءهن للخدمة والمهانة . وهو بهذا لا يريد ان يقتلهم جميعا ولكنه يريد ان يقتل العزة والكرامة والرجولة فيهم وان يجعلهم يعيشون الذل والهوان والعبودية

يقول الرازى عن مضار ازهاق ارواح ذكور بنى اسرائيل واستبقاء نفوس نسائهم : " وفى ذلك مضرة من عدة وجوه .

احدهما :-

ان ذبح الابناء يقتضى فناء الرجال ، وذلك يقتضى انقطاع النسل لان النساء اذا انفردن فلا تأثير لهن البته فى ذلك ، وهذا يقضى فى نهاية الامر الى اهلاك الرجال والنساء جميعا .

(٢) ان هلاك الرجال يقتضى فساد مصالح النساء فى امر المعيشة ، فان المرأة تتمنى الموت اذا انقطع عنها تعهد الرجال ، لما قد تقع فيه من نكد المعيشة بالانفراد ، فصارت هذه الخطة عظيمة فى المحن ، والنجاة فى العظيمة منها تكون بحسبها ؛

(٣) ان قتل الولد عقب الحمل الطويل ، وتحمل الكد والرجاء القوى فى

---

(١) انظر تفسير ذلك من هذه الرسالة ص (٢٧٠) .

الانتفاع به من اعظم العذاب ، فنعمة الله فى تخليصهم من هذه المحنة كبيرة .

(٤) ان بقاء النساء بدون الذكران من اقاربهن ، يؤدى الى صيرورتهن مستفرشات الاعداء ، وذلك نهاية الذل والهوان"(١)

ويصور ابن ابى حاتم فى تفسيره شدة العذاب الذى كان يلقاه بنو اسرائيل فيقول " حدثنا على بن الحسن ،ثنا محمد بن عيسى ،ثنا سلمه عن ابن اسحاق عن عبد الله بن ابى نجيح عن مجاهد قال :" لقد ذكر لى ان كان ليأمر (اى فرعون) بالقصب فيشق حتى يجعل امثال الشفار ، ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بحبالى من بنى اسرائيل فيوقفهن فيجز اقدامهن ، حتى ان المرأة منهن لتمصع بولدها ، فيقع بين رجليها ، فتظل تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها ، حتى اسرف فى ذلك وكاد يفنيهم فقيل له : افنيت الناس وقطعت النسل ، وانهم خولك وعمالك ..."(٢) .

ويصور صاحب تفسير البحر المحيط ما قام به فرعون من تسخير لبنى اسرائيل فيقول ، انه سخرهم فبنوا سبعة حوائط جائعة اكبادهم عارية اجسادهم وذبح منهم اربعين الف صبى فاى (٣)ابتلاء اعظم من هذا .

---

(١) انظر التفسير الكبير ، تفسير الفخر الرازى ، للامام محمد الرازى فخر الدين ، ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ط الاولى (١٤٠١ هـ ، دار الفكر بيروت ،ص (١ - ٣٥٨) . بتصرف د . محمد سيد طنطاوى ، بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ، ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ (٣٤٨)

(٢) تفسير السورة التى يذكر فيها القصص من تفسير القرآن العظيم ، للامام الحافظ الناقد المفسر عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى رحمه الله ،ص ٢٩ دراسة وتحقيق الطالب ، ابراهيم بكر على رسالة ماجستير جامعة ام القرى سنة ١٤٠٦ هـ .

(٣) تفسير البحر المحيط لابن حيان الاندلسى (١ : ١٩٤) .

المبحث الثانى

ولادة موسى ونشأته وفيه ما يلى

١- الاخطار المحيطة به بعد ولادته

٢- زوال الخطر بتدبير اللطيف الخبير

٣- تربية موسى فى بيت فرعون

٤- الحالة الدينية فى قومه

ولادة موسى عليه السلام ونشاته :-

(١) الاخطار المحيطه به بعد ولادته :-

يوضح لنا القرآن الكريم ان بنى اسرائيل وقع عليهم الاضطهاد آبان ولادة موسى من قبل فرعون ولا ندرى من هو هذا الفرعون ؟ ولا ندرى متى بدأ هذا الاضطهاد (١) وهل كان من قبل ظهور موسى بزمن كبير ؟ أو ان اشده وقع عند ولادة موسى عليه السلام ؟

ولا شك انه ازداد واستمر بعد ظهور موسى كما اوضحته الايات الكريمات قال تعالى فى شان بيان اضطهاد فرعون .

(١) "طسم . تلك آيات الكتاب المبين . نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . آن فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين . (٢)

(٢) قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون "(٣).

(٣) ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون" (٢)

فهل كان هذا الحذر امتداداً لحذر سابق ؟

و انه حادث لم يكن قد ظهر من قبل ؟ والعلم عند الله تعالى

وسواء كان امرا معروفا الحذر منه من بنى اسرائيل وهو بطبيعة الحال يتصل بامر البلاد فى الدرجة الاولى او امرا ظهر لهم وحذرهم منه . (٤)

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ط (١٠) دار الشروق سنة (٢-١٤ هـ : ٥ : ٢٩٧٧)

٢) القصص الايات : (١:٥) .

٣) الاعراف آية ١٢٩ .

(٢) القصص : آية ٦

(٤) كان فرعون يحذرهم من امرين :- الامر الاول : سيطرتهم على البلاد . الامر الثانى : تبديل دين المصريين من الوثنية الى التوحيد .

وقد يكون هذان الامران هما اللذان اديا الى اضطهاد بنى اسرائيل قبل موسى وان كان الخوف قد قوى بعد مبعثه .

والامر يخيل لى انه امرا كان يحذره المصريون منهم من سابق ، ولما خيرت للمصريين فرص القضاء عليهم قوية عند ولادة موسى تحت قيادة هذا الحاكم الارعن الظالم الطاشم الامر الذى برر له سهولة التخلص منه في عهده نظرا للظروف التى يملكها ، فلم تكن الفرصة سانحة لهم من قبل لاعتبارات مختلفة .منها انشغالهم بطرد الهكسوس وباعادة وتثبيت الدولة .

والامر الاهم انهم يحملون عقيدة تخالف عقيدتهم بل تحاربها ومهما وقع فى عقيدة البعض من فساد وانحراف فى ذلك الوقت فقد بقى اهل الاعتقاد باله واحد ، وانكار الوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعا (١) .

ولهذا فقد احس الطاغية ان هناك خطراً على عرشه وملكه من وجود هذه الطائفة من مصر ، فابتكر طريقة جهنمية للقضاء عليهم .

وربما تذاكر الناس فى ظهور رجل من بنى اسرائيل يقضى على فرعون ولكن قال صاحب البحر المحيط وفى سبب الذبح والاستحياءاقوال وحكايات مختلفة الله اعلم بصحتها ومعظمها يدل عل خوف فرعون من ذهاب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل (٢) .

يقول ابن كثير رحمه الله فى سبب تعذيبهم " وذلك ان فرعون لعنه الله كان قدرأىرؤيا هالته رأى نارا خرجت من بيت المقدس فدخلت بيوت القبط ببلاد مصر . الا بيوت بنى اسرائيل ومضمونها زوال ملكه يكون على يدى رجل من بنى اسرئيل ، ويقال بعد تحدث سمارة عنده بان بنى اسرائيل يتوقعون خروج رجل منهم يكون لهم به دوله ورفعه هكذا جاء فى حديث الفتون .. فعند ذلك امر فرعون لعنه الله بقتل كل ذكر يولد بعد ذلك من بنى اسرائيل وان تترك البنات وامر باستعمال بنى اسرائيل فى مشاق الاعمال وارذلها (٣) .

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيدقطب (٥ : ٢٦٧٧) .(٢) البحر المحيط ، لابن حيان الاندلسى (١:١٩٤)

(٣) تفسير ابن كثير (١:٩) .

واخرج ابن جرير بسنده عن قتادة وابن ابى حاتم فى تفسيره بسنده عن قتادة ايضا قريبا مما اخرجه ابن كثير انه كان لفرعون حازيا (١) فقال له انه يولد فى هذا العام غلام من بنى اسرائيل ، يسلبك ملكك فتتبع ابناءهم ذلك العام فيقتل ابناءهم ويستحى نساءهم حذرا مما قال له الحازى (٢) .

وقال ابن كثير رحمه الله واصفا الاخطار التى احاطت بولادته " وولد موسى فى السنه التى يقتلون فيها الولدان وكان لفرعون اناس موكلون بذلك وقوابل يدورون على النساء فمن راينها قد حملت احصوا اسمها فان كان وقت ولادتها لا يقبلها الا نساء القبط فان ولدت المرأة جارية تركتها وذهبن وان ولدت غلاما دخل اولئك الذباحون بايديهم الشفار المرهفة فقتلوه ومضوا قبحهم الله (٣)

يقول سيد قطب رحمه الله :- لقد ولد موسى عليه السلام فى ظل تلك الاوضاع القاسية .. ولد والخطر محدق به والموت يلتف عليه ، والشفرة مشرعة على عنقه ـ تهم ان تحز رأسه (٤)

---

(١) تفسير الطبرى (٢٠-٢٧) وانظر تفسير ابن ابى حاتم "سورة القصص ت .الطالب ابراهيم بكر على ، ص ٢٨ .

(٢) الحازة : جمع حاز وهو (المنجم عند ابن عباس وفى الاصل يطلق على الكاهن وعلى الذى يزجر الطير . تفسير ابن ابى حاتم تحقيق الطالب بكر ابراهيم ،ص ٢ .

(٣) ابن كثير (٣ :٣٨٠)

(٤) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥ :٢٦٧٨).

(٢) زوال الخطر بتدبير اللطيف الخبير :-

ان التقدير الربانى والجنود الربانيين الذين لا يعلمهم الا هو ، والذين ادوا مهماتهم وقاموا بواجباتهم ليوضح لنا تدبيراللطيف الخبير اتجاه الاخطار التى كانت تحوطه(١) ، وان الايات الكريمات لتوضح لنا تلك التدابير الربانية حتى رجوعه الى امه سالما غانما بدون اذى ، ان امر تلك التدابير وهى غفلة الذباحين عن ولادته وارضاعه ، ثم القاءه فى اليم بعد وضعه فى التابوت ثم طريق وصوله الى فرعون ، وحصول الامان له وارجاعه الى امه كى ترضعه وتقوم بتربيته ." ان تلك التدابير لتدل على قدرة الله عز وجل وحفظه لموسى كما قال تعالى " ولتصنع على عينى "(٢)(٣) .

(١) التدبير الاول : فى ارضاعه :-

فقد اراد الله عز وجل ان يولد موسى وان يعيش وان ينجو من اضطهاد فرعون وقتله له وهو صغير ولذلك قدر الامور وهيأ الاسباب (٤) ولنشرع فى ذكر هذه التدابير وزوال الخطر ، ولنذكر اولا تدبير ارضاعه ، لقد ذكرت من قبل فيما اوردته عن ابن كثير من ان هناك من يقوم باحصاء دقيق للحوامل ويعرف متى ستضع .؟

والقرآن الكريم يوضح لنا ان أمه ارضعته بعد ولادته ، فهل ارضعته مباشرة وقذفته فى البحر على الفور ؟ واين كان الذباحون والقوابل عن موسى وقت ولادته حتى تمكنت من ارضاعه فترة ثم لما ظهر امره فعلت به ما امره الله؟

---

(١) الشخصية اليهودية .د. صلاح عبد الفتاح الخالدى ، دار القلم . دمشق ط الاولى ، سنة ١٤٠٧ هـ . ص ٦٨ .بتصرف

(٢) طـه : آية ٣٩ . (٣)المرجع السابق : ص ٦٨

(٤) المرجع السابق : ص ٦٨

هنا تحكى روايات مختلفة ولا باس ان نستانس ببعضها ، اذ ان الفترة التى ارضعته مجهوله ، كما ان الاشارة القرآنية توضح بانه اذا ظهر امره وخافت عليه فلتلقه فى اليم ، وهو يشعر بانهم لم يتمكنوا منه -- بعد ولادته حتى القائه فى اليم فكيف تم ذلك ؟

يروى عن ابن عباس فيما اورده صاحب تفسير " المنير لمعالم التنزيل ومفادها " ان القابلة كانت صديقة لام موسى وانها رأت نورا هاليا من وجه موسى وامتنعت عن الاخبار عنه ، وان الذباحين دخلوا بعد ذلك ولكن الله عز وجل احاط موسى بعنايته والقته امه فى سجور لها ولم يحدث له شىء وبعد ذلك كان الخبر قد ظهر بعد فترة وانطلقت ام موسى لنجار[1] وهذه القصة واضحة انها لا نستبعد من حبك خيال القصاصين

واعلم ان هذه الفترة لم يتحدث عنها القرآن الكريم ، يقول الطبرى رحمه الله " لم يقل لها اذا ولدتيه فالقيه فى اليم ، انما قال لها ان ارضعيه فاذا خفت عليه الايه ... .

وقال ، جعلته فى بستان ، فكانت تاتيه كل يوم فترضعه وتاتيه كل ليلة فترضعه ..وقال آخرون بل امرت ان تلقيه فى اليم بعد ولادتها اياه وبعد ارضاعها يعنى كل ذلك فى وقت واحد .(٢)

ثم يقول رحمه الله بعد ذكره للاقوال التى تبين الحال التى امرها الله عز وجل فيها ان تلقى موسى فى اليم "قال واولى قول قيل فى ذلك بالصواب ان يقال ان الله تعالى ذكره امر ام موسى ان ترضعه فاذا خافت عليه من عدو الله فرعون وجنده ان تلقيه فى اليم ،

---

(١) التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى مراح لبيد لكشف معنى قرآن مجيد محمد نووى الجاوى ، شركة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر ط.الثانية / سنة ١٣٧٤ هـ /١٩٥٥ م (٢: ١٣٦)

(٢) تفسير الطبرى ، بتقديم وتاخير واختصار ،(٢٠ : ٣٠) .

وجائز ان تكون خافت بعد اشهر من ولادتها اياه واى ذلك كان فقد فعلت ما اوحى الله اليها فيه ، ولا خبر قامت به حجه ولا فطره فى العقل لبيان اى ذلك كان من اى "(١) .

(٢) التدبير الثانى :- وضعه فى التابوت

جاء السياق القرآنى الكريم فى وضعه فى التابوت : بالقذف "ان اقذفيه فى التابوت (٢) والقذف للشىء الرمى به ، لكن المراد كما ذهب الى ذلك الرازى (٣) وتابعه الالوسى (٤) فى تفسيره بمعنى الوضع ، ولهذا قال الالوسى " "واما قوله تعالى "فاقذفيه فى اليم "(٥) فالمراد به الالقاء والطرح ويجوز ان يكون المراد الوضع (٦) .

فان القذف يراد به بالالقاء او الوضع فى الموضعين ومنه قوله تعالى " وقذف فى قلوبهم الرعب " والتابوت : الصندوق ، واليم : البحر ، والساحل شاطىء البحر : " والبحر المذكور نيل مصر (٧) والذى فعلته ام موسى كما يذكر الطبرى عن ابن اسحاق قال : "لما ولدت موسى امه ارضعته حتى اذا امر فرعون بقتل الولدان فى سنته تلك عمدت اليه فصنعت به ما امرها الله تعالى ، جعلته فى تابوت صغير ، ومهدت له فيه ثم عمدت الى النيل فقذفته وهذا يتمشى مع السياق القرآنى الكريم

(١) تفسير الطبرى ، (٢٠ : ٥٢) .

(٢) طـه : آيه ٣٩ .

(٣) تفسير الكبير للفخر الرازى ، (٢١ : ٥٢) .

(٤) تفسير الالوسى ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى ، لشهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى ، دار الفكر ، سنة ١٤٠٣ هـ ، (٦ : ٨٨) .

(٥) طه : آية ٣٩ .

(٦) روح المعانى للالوسى (٢١:٥٢) .

(٧) اضواء البيان (٤: ٤٠٦) . (٨) تفسير الطبرى (٢٠:٣٠) .

ويفصل بعض المفسرين ذلك الامر ولا مانع من نقله والعلم عند الله عز وجل فى ذلك فيقولون كلاما مفاده " انها كانت عقدت فى التابوت (بعد ان طلته بالقار وهو الزفت لئلا يتسرب منه الماء الى موسى فى داخل التابوت) حبلا فاذا خافت عليه من عيون فرعون ارسلته فىالبحر وامسكت طرف الحبل عندها فاذا امنت جذبته اليها بالحبل ، فذهبت مرة لتشد الحبل فى منزلها فانفلت منها وذهب البحر بالتابوت الذى فيه موسى فحصل لها بذلك من الغم والهم ما ذكره تعالى فى قوله " واصبح فؤاد ام موسى فارغا (١) (٢). واولى بالصواب ان يقال فيما ذكرته عن الطبرى ، اذ الله اعلم بصحه مثل ما ذكر فى هذا وغيره مما لا يصح الا عن طريق الوحى .

ان تدبير اللطيف الخبير يتمثل فى وضعه فى التابوت كما يقول سيد قطب ان هناك قوة واحدة فى هذا الوجود هى قوه الله ، فمن كانت قوة الله معه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ولو كان مجردا من الخطر بل فى الخطر نفسه ...(واى تدبير اعظم من هذا لموسى عليه السلام) ان الامن عنده وحده عز وجل الذى يجعل البحر ملجأ ومناما .(٣) .

التدبير الثالث :- القاءه فى تابوت وكيفية وصوله الى فرعون :-

قد سبق ان ذكرت معنى الالقاء فى هذا الموضع وقد جاء السياق الكريم بنص " فاقذفيه فى اليم (٤) الذى معناه الالقاء والاطراح والوضع . والمعنى لاية القيه فى البحر يلقيه البحر بالساحل ،

---

(١) القصص : آية ١٠ .

(٢) اضواء البيان : للشيخ العلامة محمد بن محمد المختار ، تتمه عطيه محمد سالم ، عالم الكتب بيروت (٤: ٤٠٦) .

(٣) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥ : ٢٦٧٣ ، ٢٦٧٤) باختصار .

(٤) طـه : آية ٣٩.

وان التدبير ليتضح لنا كيف جرى هذا التابوت بدون مجر والى الجهه التى التقطه فيها آل فرعون وذلك ان الله عز وجل قيض آل فرعون فى اخذه مباشرة وهذا ما تحكيه الاية ، وسواء جرى الصندوق كما يذكره المفسرون الى جهه كان يجلس فيها فرعون او الى مشرعه من آل فرعون أو غيرها فان المقصود ان الله عز وجل قد أجرى هذا الصندوق بدون مجر له حتى رأته عيون آل فرعون فالتقطوه والالتقاط من اللقطة وهو يفيد ان حصوله كان مفاجئا له ولكنه كان مدبرا من لدن عزيز حكيم ، فالله عز وجل اظهر لنا قدرته تعالى ولطفه بموسى عليه السلام وتدبيره " "وفى هذه منن على موسى زيادة على النجاة من القتل ليبين عز وجل عنايته به " كما يقول الرازى رحمه الله فى تفسيره لسورة طه .

التدبير الرابع : ما القاه الله عز وجل من محبه لمن رأى موسى عليه السلام :-

قال تعالى " والقيت عليك محبه منى ولتصنع على عينى (١) قال ابن كثير " يعنى ان فرعون لما رآه هم بقتله خوفا من ان يكون من بنى اسرائيل فشرعت امرأته آسية بنت مزاحم (٢) تخاصم عنه وتذب دونه وتحببه الى فرعون "أو ان الله عز وجل القى عليه محبه أو اكراها ، فالله عز وجل دبر الامور فى حفظه .

يقول سيد قطب عند قوله تعالى " وقالت امراة فرعون قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا اونتخذه ولدا وهم لا يشعرون (٣) "

---

(١) طه : آية ٣٩ .

(٢) سيأتى التعريف بها وقد ثبت اسمها دون ابيها انظر ص ٩٧ -٩٨ .

(٣) القصص : آية ٩ .

"لقد اقتحمت به يدالقدرة (١) على فرعون قلب امرأته ، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه لقد حمته بالمحبة ، ذلك الستار الرقيق الشفيف ، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال ، ضمته بالحب الحانى فى قلب امرأة ، وتحدت به قوة فرعون وحرصه وحزره" (٢) .

لقد زال الخطر بذلك عن موسى واصبح قرة عين لامرأة فرعون بل طلبت ان يكون له ولد عسى ان ينتفعوا به ، ولقد نفعها الله عز وجل بها فهداها الى الاسلام .

ولما رفض المراضع رجع الى امه عندما قالت اخته لهم " هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون " فرجع الى والدته فى يوم وليلة او نحوه كما يذكر ابن كثير (٣) ناجيا من تلك الاخطار واصبحت ام موسى مرضعا له قد ابدلها الله عز وجل بعد خوفها امنا فى عز وجاه ورزق دار وفى حفظ وصون لابنها .

(٣) تربية موسى فى بيت فرعون :-

اذا اردنا ان نعرف التربية التى تلقاها موسى عند فرعون والتى نسبها فرعون الى نفسه وما هيتها ، فلا بد ان نعرض الايات التى يمكن ان توضح لنا ابعاد هذه التربية ، فلنذكر اولا الايات التى جاءت فى هذا

---

(١) لا يقال يد القدرة : والصحيح ان قدرة الله عز وجل سخرت له من تحميه وتدافع عنه بان جعلها تحبه وذلك لان الله وضع محبه لموسى فى قلب من رآه .

(٢) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥ : ٢٦٧٩) .

(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٣٨٠) .

قال تعالى :"الم نر بك فينا وليدا (١).

وقال تعالى :"ولبثت فينا من عمرك سنين "(٢) .

وقال تعالى :" وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل (٣)

وقال تعالى :" وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين قال فعلتها اذا وانا من الضالين (٤) .

وقال تعالى :" والقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى "(٥)

وقال تعالى :"قرة عين لى ولك لاتقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا (٦)

وقال تعالى :"ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين (٧)

وقال تعالى :" ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض وما تريد ان تكون من المصلحين (٨) .

وقال تعالى :" فرددناه الى امه كى تقر عينها ولا تحزن ولتعلم ان وعد الله حق (٩) .

فى ضوء هذه الايات سنعرف هل تربى موسى فى بيت فرعون وما المقصود بالتربية التى اخذها فى بيت فرعون ؟ وهل صحيح ان يكون قد اخذ فى البلاط الفرعونى التعليم الفرعونى الوثنى الذى كان يتعلمه ابناء الملوك من الكهنة ؟

من المسلم به ان الله قد عصم الانبياء من الكفر ووسائله لا من الخطأ والجهل فى بعض الامور قبل رسالتهم ، والضلال المنسوب اليهم قبل مبعثهم قد فصله العلماء فى مواضعه . وسأوضحه لك فى باب العقيدة فى مسألة قتل موسى القبطى (١٠).

---

(١) الشعراء :آية ١٨ .　　(٢) الشعراء :آية ١٨ .

(٣) الشعراء :آية ٢٢ .　　(٤) الشعراء :آية ٢٠ .

(٥) طـــه :آية ٣٩ .　　(٦) القصص : آية ٩ .

(٧) القصص : آية ١٤ .　　(٨) القصص : آية ١٩ .

(٩) القصص : آية ١٣ .　　(١٠) انظر ص (٤٩٦) .

ولم ار من المفسرين من تعرض لتفصيل التربية التى تلقاها موسى فى بيت فرعون بل سكتوا عنها كما هو مسكوت عنها فى القرآن .

والقرآن يشير الى انها كانت زمن موسى وهو وليد ، وفسرها بعضهم (اى التربية) فقال "ان تربية فرعون لموسى هذه التىذكرها له يعنى فى قوله تعالى "الم نر بك فينا وليدا " هى التى ذكر مبدوها فى قوله تعالى " وقالت امرأة فرعون قرة عين لى ولك الاية ، وقوله تعالى "والقيت عليك محبة منى الاية " فلم يتجاوز الى ما لم يرد فى شانه فى تربية موسى بعد ذالك بل ذكر ان مبدءها كانت تلك "(١) .

قلت ومما يبين لنا أمر هذه التربية ان جواب موسى عليه السلام على اسئلة فرعون التى تتضمن كيف يدعى انه رسول وقد قتل ؟ وانه تربى بينهم ؟

حيث ردعليه ان تلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل " فهى تعنى نجاته وتغذيته والمعنى للاية ، انها كانت (اى نعمة التغذية) تحصل له لو لم يعبد بنى اسرائيل الذى عبدهم فلا منه له فى ذلك واليك تفصيل هذه المسالة اكثر .

اقوال مختلفة فى معنى تربية موسى فى آل فرعون :-

(أ) القول الاول (٢)

(١) وقد ذهب بعضهم الى ان موسى تلقى فى البلاط الفرعونى التربية الفرعونية حسب التقاليد على ايدى الكهنة ، وان الكهنة كانوا موحدين وانه كيف يليق بولد فرعون ان لا يعلم الحساب ، وما يعطيه الكهنة من العلوم المختلفة ؟ وكل هذا مما لم يتعرض له القرآن الكريم ولا المفسرون فى تفسيراتهم ،

---

(١) اضواء البيان ، الشيخ محمد الامين الشنقيطى (٦:٣٧) .

(٢) انظر قصص الانبياء ، عبد الوهاب النجار ، دار احياء التراث العربى بيروت ، ط الثالثة ،ص ١٥٩ .

وانـمـا دليـل من ذهب الى هذا انه ليس من المعقول ان يكون موسى جالسا فى بيت فرعون لا يتلقى مثل هذه العلوم الكهنوتية على ايدى الكهان . وهذا لا مستند له لا من الكتاب ولا من السنة .

(٢) واراد بعضهم ان يوفق بين هذا لمعنى وحماية الله عز وجل من مثل هذه الامور التى لا تليق بالانبياء والتى هى مسكوت عنها وهى فى علم الغيب فقال " ويتربى موسى عليه السلام فى حجر امه وحنانها ، آمنا من الذبح ، مع كثرة الطالبين معززا مكرما ، حتى اذا بلغ من العمر ما يكفى لرده الى القصر واليه لتكمل مراحل تربيته كما يليق بابناء الفراعنة.(١) ثم يقول " وفى هذه الاثناء نرجح انه كان يتردد على امه ، حتى اصبح له من العمر بحيث يفهم ما يقال له فاخبرته من هو ؟ ومن يكون اهله ، ونسبه وعقيدة قومه مما كان له كثير الاثر فى حياته مع الله تعالى التعلق الدائم به دعاء وتسليما ، ومع بنى اسرائيل السعى لاصلاح حالهم وحمايتهم من الظلم ، ومع فرعون وملئه :البعد من اعمالهم الظالمة ، وعدم التأثر ببيئة القصور الفرعونية وخبثها واستهتار اهلها بالحق والاخلاق وارواح الناس"(١) كان يعايشهم بالتقية .

(٣) القول الثالث :-

وذهب البعض الى إن موسى كان يعايشهم بالتقية :-(٢)

القول الصواب فى هذه المسألة :-

---

(١) انظر رسالة "العبرة فى قصة موسى ، محمد خيرى عدوى ،ص ٢٥٠ .

(٢) تفسير ابن سعدى المسمى (تيسير الكريم الرحمن فى تفسير كلام المنان " العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى ، حققه وضبطه ونسقه وصححه ، محمد زهرى النجار ، الرئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض ١٤٠٤. (٥:٩٠٥ ؛ قاله فى الحاشية من كلام المحقق .

والحق فى هذه المسالة والعلم لله عز وجل ، وقد ذكرت لك معنى التربية قريبا.

(١) ان القرآن الكريم سكت عن هذه المرحلة مثلما سكت عن كم مكث فيهم ؟ كما سكت هل كان يعيش داخل القصر ام خارجه ؟ واذا كان فى داخله فهل كان يتلقى فيه ما كان يتلقاه ابناء الملوك ؟

واذا جوز بعضهم ان يقول بحكم التقاليد لابد ان ياخذ بنصيبه من التعليم الكهنوتى ، فلم لا يجوز ان تكون تربيته كانت تحت امرأة فرعون التى كفلته فلم تجعله يرى الكهنة ويعلمونه ما يشاؤون من تعاليم .

(٢) ان اقوال بعض المفسرين عن بعض الايات فى قصة موسى توضح لنا حفظ الله عز وجل لموسى من هذه الامور :-

(ا) يقول الطبرى "جعلته فى بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة "(١)

(ب) ويقول عند قوله "والقيت عليك محبة منى ""فحببه الى امرأة فرعون حتى تبنته واتخذته وربته والى فرعون حتى كف عنه عاديته وشره "(١)

(ج) يقول الشيخ ابن سعدى فى تفسيره عند قوله تعالى "ولتصنع على عينى " اى ولتتربى على نظرى وفى حفظى وكلاتى واى نظر وكفالة ، اجل واكمل من ولاية الله الرحيم القادر على ايصال مصالح عبده ، ورفع المضار عنه فلا يتنقل من حاله الى حاله الا والله هو الذى يدبر ذلك لمصلحة موسى (٢) .

---

(١) الطبرى (١٦ :١٦٢)

(٢) تفسير ابن سعدى (٥:١٥٦) .

وفى هذا الكلام ما يبين ان موسى عليه السلام كان محفوظا منذ صغره الى ان بلغ الرسالة من الوثنية الفرعونية ، فخير لنا ان نسكت عن هذه الفترة من ان نقول انه تربى فى احضان الكهنة ، فالعلم عند الله عز وجل فى هذه المسالة والله عز وجل تولى عناية بجسده وهو طفل صغير لا يملك حيله ولا قوة فلأن يتولى تربيته وعنايته بجسده وروحه بعد ذلك من باب اولى .

(٤) الحالة الدينية فى قومه :-

عاش بنو اسرائيل فى ظلم فرعون مضطهدين ولكن رغم ذلك محتفظين لا اقول جميعهم بل الكثيرون منهم ، باصل ديانته وعقيدته ، وهى الاسلام ولم يتجاوزها الى عبادة آلهه المصريين سواء كانت أوثانا أو حكاما (١)

ولقد عرف موسى بين آباءه وعرف بين الناس بصلاحه ولا ادل على ذلك من مجريات احداث قصة الاسرائيلى مع موسى عليه السلام .

(٥)موقفه مما يجرى فى المجتمع من ظلم وكفر :-

قال الطبرى عند قوله تعالى " ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها (٢) "دخلها متخفيا من فرعون وقومه ، لانه كان قد خالفهم فى دينهم وعاب ما كانوا عليه (٣) .

والذى يظهر لى ان موسى عليه السلام بعد ان عاش مع امه وتربى عندها وتردد اليها فى مدة مكوثه ولبثه فى مصر السنين التى عاشها فى مصر وعرف منها دينه ودين آبائه فاتبعه ، ولهذا لما قرب منهم ورأى ما هم عليه من باطل وما عليه القوم اخذ يصطدم معهم ومع وثنيتهم وبدأو يحذرونه ويتربصون به الدوائر ويستبعدان يكون عايشهم تقية او قرب منـ

---

(١) ظلال القرآن ، سيد قطب (٥:٢٦٦٧) باختصار .

(٢) القصص : آية ١٥ .

(٣) تفسير الطبرى ،(٢٠ :٤٣)

قال الامام الطبرى عند قوله تعالى "ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها " (١) " اختلف اهل العلم فى السبب الذى دخل موسى المدينة من اجله عند القائلة نصف النهار (او غير ذلك من الاوقات).

(١) قال بعضهم دخلها متبعا اثر فرعون لأن فرعون ركب وموسى غير شاهد فلما حضر علم بركوبه فركب واتبع اثره وادركه المقيل فى هذه المدينة .

(٢) وقال بعضهم بل دخلها متخفيا من فرعون وقومه لأنه كان قد خالفهم فى دينهم وعاب ما كانوا عليه .

وروى الطبرى بسنده عن ابن اسحاق "لما بلغ موسى اشده واستوى ، اتاه الله حكما وعلما فكانت له من بنى اسرائيل شيعه يسمعون منه ويطيعونه ويجتمعون اليه ، فلما استدار رأيه وعرف ما هو عليه من الحق ، رأى فراق فرعون وحتى اخافوه وخافهم حتى كان لا يدخل قرية فرعون الا خائفا متخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من اهلها .(٢)

(٣) وقال آخرون: بل كان فرعون قد امر باخراجه من مدينته حين علاه بالعصا ، فلم يدخلها الا بعد ان كبروبلغ اشده ، قالوا ومعنى الكلام ، ودخل المدينه على حين غفلة من اهلها لذكر موسى اى من بعد نسيانهم خبرة وامره (٣) .

فلو صحت هذه الاسباب كما ذكره ا الطبرى اذ هناك ما يشهد لبعضها وهو المهم عندنا فى سبب دخوله المدينة كالسبب الثانى ، ففى الايات التى بعد ذلك من انتصار موسى عليه السلام ووقوفه منه مع الرجل الذى من شيعته ما يشهد على ان هناك عدم وفاق بين موسى عليه السلام وفرعون وملئه ففى دخول موسى عليه السلام على حين غفلة من اهلها سبرا للاحوال

---

(١) القصص : آيه ١٥ .

(٢) المرجع السابق ٢٠ : ٤٣ ،٤٤) .

(٣) الطبرى (٢٠ :٤٣)

ليرى عن معاينة ومشاهدة ماذا يدور من حياة الناس وخاصة بنى اسرائيل ليتفقد احوالهم ويجد لهم المخرج من الظلم الذى يعيشونه ، كما ان للمنافرة والعداء وعدم التوافق بين موسى وفرعون وملئه شواهد اعظمها حادثة القبطى الذى قتله موسى خطأ وفيه من الدلالات المختلفة التى تشير الى ان موسى كان نائيا بنفسه عن فرعون وعن قصره وحزبه ، وخلاصة ما تفيد المنافرة بين فرعون وموسى وانه كان خارجا عن القصر فى الايات التى تناولت حادثة القبطى يمكن اختصارها فى الامور التالية (١):

(١) الاسرائيلى على ثقة ان موسى مع بنى اسرائيل ضد فرعون وملئه والا لما استغاث به ضد عدوهما .

(٢) لو كان من رجال القصر لما اعتبر لقتل القبطى اى اعتبار من فعل موسى او من قبيل الملأ الذين تآمروا على هذه القضية وماذا يفعلون اتجاهها .

لقد كان موسى عليه السلام فى هذه الفترة قبل هجرته الى مدين كما سيأتى تفصيله سببا كبيرا فى التخفيف عن بنى اسرائيل ، وقد عرف ان الفرصة ليست سانحة للاصطدام مع فرعون وملئه ولذلك أنَّب الاسرائيلى لغوايته رلكن الذى حدث وكان سببا لهجرته كان بقدر من الله عز وجل .

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥:٢٦٨٣/ ٢٦٨٤/ ٢٦٨٥) باختصار وتقديم وتاخير .

المبحث الثالث

هجرة موسى عليه السلام من مصر

١- سبب هجرته .

٢- معاناته اثناء الهجرة .

٣ - وصوله الى اهل مدين

٤ - اقامته في مدين وما جرى له فيها .

أ- هجرة موسى عليه السلام من مصر :-

قال تعالى " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلان يقتتلان ...." (١) الايات .

تبين لنا الايات أنه ذات يوم دخل موسى عليه السلام المدينة والظاهر أنه كان متجولا ليرى أحوال الناس فى معانتة ، وشاهد حينما هو يتجول رجلين يقتتلان هذا من شيعته والثانى من عدوه من الفراعنة فيستغيث الاسرائيلى على القبطى ويستجيب موسى له فيقوم على الفصل بينهما الا أن يده تصيب القبطى بوكزة فتقضى عليه وهنالك استغفر الله عز وجل وأصبح بعدها خائفاً فى المدينه مما حدث للقبطى خصوصا اذا عرف أن هناك توترا بين ىموسى عليه السلام وفرعون وحاشيته كما ذكرنا سابقا .

وبينما هو فى اليوم الثانى اذ بالاسرائيلى يتشاجر مع رجل آخر واستنصر موسى مرة ثانية ويغضب موسى غضبا عليه وعلى تصرفاته فيظن أنه سيقتله ويبطش به ، وتوجه الى القبطى ليبطش به والدافع له الشفقة على مامنى به الاسرائيليون من ظلم على يد فرعون .

وانكشف سر قتيل الامس عندما قال الاسرائيلى خشية من العاقبة أو خشية على نفسه ظانا أن موسى سيقتله ، أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالامس ، فعندما ذهب القبطى ليخبر الخبر ، ويستبعد أن هذا من كلام القبطى وأنه عرفه من الفراسة (٢) ، وعلى أى الرأيين فقد ظهر أمر موسى عليه السلام وقتله القبطى فتامر الملأ واتخذوا قرارا حازما فى قتله فجاء رجل قد أخذ أقصر الطرق ليخبر بخبر الملأ فعند ذلك هاجر من أرض مصر " قال تعالى حكاية عن ماحدث لموسى مع القبطى " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان..."(١)

---

(١) القصص الايات (١٥ - ٢٠)

(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب (٥ :٢٦٨٤)

(ا) سبب هجرته :-

يقول الطبرى رحمه الله عند قوله تعالى " وجاء رجل من أقصى المدينة رجل يسعى ..." (١) الاية :- ذكر أن قول الاسرائيلى سمعه سامع فافشاه وأعلم أهل القتيل فحينئذ طلب فرعون موسى وأمر بقتله ، فلما أمر بقتله جاء موسى مخبر فاخبره بما قد أمر به فرعون فى أمره وأشار عليه بالخروج من مصر بلد فرعون وقومه وقد يكون هذا السامع هو ذلك الرجل القبطى الذى هم أن يبطش به موسى .

أورد الطبرى بسنده عن ابن عباس قال "انطلق الفرعونى الذى كان يقاتل الاسرائيلى الى قومه فاخبرهم بماسمع من الاسرائيلى حين يقول " أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس " (١) فارسل فرعون الذباحين لقتل موسى فأخذو الطريق الأعظم وهم لايخافون أن يفوتهم ، وكان رجلا من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر الطريق قريبا حتى سبقهم الى موسى فاخبره الخبر (٢).

قال ابن كثير رحمه الله " وصف بالرجولية لأنه خالف الطريق فسلك طريق أقرب من الذين بعثوا وراءه فسبق الى موسى " (٣)

واذا كان موسى كان يتنقل بين المدن المصرية لاعتراضه على ظلم فرعون ومليكه ، فكان يتخوف منهم ويتخوفون منه وله أنصاره الذين التفو حوله مؤيدين هذا الاعتراض وعدم الرضى على فرعون وعمله فان هذه الحادثة كانت بمثابة القشة التى قصمت ظهر البعير ولهذا تامرو بأكثر مايمكن عقب هذه الحادثة وخاصة لما عرفوا أن القاتل موسى فقرروا على الفور قتله ، ولذلك أرصدوا الطريق الذى كان لابد أن يسير معه وظنوا أنهم قاضون عليه فانجاه الله تعالى على يد ذلك الرجل الذى اقتصر الطريق وأتى اليه من طريق آخر ونصحه بالفرار من مصر .

(١) القصص الاية :١٩ (٢) الطبرى (٢٠ : ٥٠)
(٣) تفسير ابن كثير (٣ : ٣٨٣)

(٢) معاناته أثناء الهجرة :

لقد خرج موسى عليه السلام وفق نصيحة الرجل الذى أخبره أن القوم يأتمرون به ليقتلوه ، ومن يدرى لعل ذلك الرجل نفسه أكمل نصيحته فدله على الطريق الذى يسلكه الى مدين .

ولا داعى لما ذكره المفسرون فى معاناته نتيجة خروجه من غير زاد ولا رفيق والذى صرح به القرآن من اتخاذ الاسباب فى هجرته هو دعاءه أن يهديه سواء السبيل وأن يكون معه فى محنته .

ولاشك أن الانبياء أعقل الناس فى اتخاذ الاسباب اللازمة للحياة خاصة التى ليست فيها عرقلة لخروجهم .

ويذكر المفسرون (٢) عند قوله تعالى "رب لما أنزلت من خير فقير" يذكرون قول عمر أمير المؤمنين والله ماسأله الا خبزا يأكله لأنه كان يأكل من بقلة الارض طيلة سيره من مصر الى مدين ، أى كان هناك مايقتات به فكيف يذكرون أنه عند وصوله الى مدين كانت أمعاؤه قد

(٣) وصوله الى أهل مدين :

بينت الآيات الكريمات عند وصوله الى أرض مدين موقفا تجلت فيه شخصية موسى عليه السلام . "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ..." الايات (١) وهى الاستجابة للمواقف الرجولية والشهامة وفعل الخير ، لقد رأى موسى عليه السلام من حين وصوله الى ماء مدين بعد سفر طويل مجهد ، مايدعوه للمروءة والنجدة والمعروف رأى بتلك النفس النبيلة وفوجىء أمام منظر لاتستريح له النفوس ذات المروءة والفطرة السليمة ، وجد الرعاة يوردون أنعامهم لشرب الماء ، ووجد هناك امرأتان تمنعان غنمهما عن ورود الماء وثارت نخوة موسى عليه السلام فتقدم لاقرار الامر فى نصابه اذ الاولى عند ذى المروءة والفطرة السليمة أن تسعى المرأتان وتصدران باغنامهما أولا ، وأن يفسح لهما الرجال ويعينونهما فلم يقف أمام هذا المشهد الموسف الذى لاتقره الشهامة والرجولة ليشاهد مايجرى بل تقدم سائلا المرأة عن سبب ذلك الامر العظيم الذى لايقدمن ليسقيا غنمهما وينصرفا فاخبرتاه السبب فما كان من موسى الا أن تقدم وسقى لهما . (٢)

---

(٢) : تفسير ابن كثير (٣ : ٣٨٤) .

(١) القصص : الايات (٢٣ : ٢٨) .

(٢) فى ظلال القرآن : سيد قطب (٥ : ٢٦٨٥/٢٦٨٦) بتلخيص وتصرف .

( ) إقامته في مدين وما جرى له فيها :

لقد عادت المرأتان الى ابيهما الشيخ المسن (١) فاخبرتاه بما جرى من ذلك الرجل الغريب المحسن فارسل احداهما يستدعيه لمجازاته على فعله فجاءته احداهما على استحياء فاخبرته برغبة ابيها فى حضوره لمكافاته فذهب معها فلقد لمست فيه الامانة ، كما لمست فيه القوة من قبل وأشارت على أبيها أن يستاجره فما كان من والدها الا أن استاجره بزواجه من احدى ابنتيه لمدة ثمانى أو عشر حجج ووافق موسى عليه السلام ، وأصبح صهرا له ، ويقوم برعى الغنم يتمرس على قيادة الحيوان الاعجم " وهى صفات كمال لايكمل الانسان الا بها "(٢) وتحصل له التجربة ، فبعد حياة المدينة التى كان يعيشها قريبا من قصورها نراه يرعى الغنم فى الصحراء التى فيها الصفاء والطهر والتامل .

ثم قضى موسى الاجل موفيا ماعقده على نفسه فقضى أكثرهما وأطيبها وخرج الى أهله ووطنه وفى طريقه أوحى اليه الله عز وجل بالرسالة الى ليذهب الى فرعون وملئه وبنى اسرائيل .

---

(١) الصحيح أن هذا الشيخ ليس هو شعيب عليه السلام ، أنظر تفسير ابن كثير (٣٨٤:٣) .

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم للشيخ محمد بن عبدالوهاب ، أنصار السنة المحمدية ص (٢٩٠)

الفصل الثانى

" شروط وصفـــات الداعيـــه فى قصة موسى عليه السلام

المبحث الاول : التعريف بالداعية

المبحث الثانى: صفات الداعية فى قصة موسى عليه السلام

(١) الصفة الاولى : الاخلاص .

(٢) الصفة الثانية : الفصاحة فى القول .

(٣) الصفة الثالثة : الشخصية القوية .

(٤) الصفة الرابعة : القول اللين .

(٥) الصفة الخامسة : العلم .

(٦) الصفة السادسة : القدوة ؟

(٧) الصفة السابعة : الصبر .

(٨) الصفة الثامنة : الثقة العميقة بالله عز وجل .

(٩) الصفة التاسعة : ذكر الله عز وجل والمداومة عليه .

(١٠) الصفة العاشرة : الاستقامة .

المبحث الأول

(١) التعريف بالداعية .

(٢) الفرق بين تهيئة الأنبياء وغيرهم للدعوة الى الله عز وجل وكيف تحصل لغيرهم ؟

تمهـــــيد : صفات الداعية والتعريف به :

بعد أن عرفنا التعريف بالدعوة فى تمهيد البحث أتناول الكلام عن الداعية الذى هو أحدها الثانى اذ يقول البعض (١) أن أصول الدعوة أربعة (دعوة ، وداعية ، ومدعوون ، والوسائل والأساليب اليها).

وفى الفصل الأول والثانى أتحدث فيها عن الداعية وفيما بعدها من هذا الباب أتحدث عن المدعويين وهم حقل الدعوة والذين تمثلوا فى فرعون وملئه والسحرة وبنى اسرائيل كما سيأتى موضحا .

يقول الدكتور محمد على جريشة :

(ونحن نرى الداعية أهلا للدعوة ان لم يكن أهلا فيها فلا تصح دعوة بغير داعية كما لايصح داعية بغير دعوة) (٢) .

وقبل تناول صفات الداعية وتفاصيل هذا المبحث نعرف الداعية تعريفا جامعا مانعا لكل انواع الدعاة إذ ان الدعاة منهم الرسل والأنبياء وذوو السلطان وغيرهم ممن يدخلون فى مسمى الدعاة .

وذلك كما يقول الشيخ محمد نمر الخطيب : (ان للدعوة ست مراتب باعتبارين : ولكل مرتبة وتقسيم من الدعاة تعريف يناسب مميزاتهم وصفاتهم .... فالتقسيم الأول للدعوة ثلاث مراتب : دعوة الأنبياء ودعوة العلماء ودعوة أصحاب السلطة) .

والتقسيم الثانى أيضا ثلاث مراتب : دعوة الأمة المحمدية جميع المسلمين الى الاسلام ودعوة المسلمين بعضهم بعضا الى الخير ودعوة الأفراد بعضهم الى بعض (٣) .

---

(١) أصول الدعوة د.عبدالكريم زيدان دار البيان ط٣ سنة ١٣٩٦هـ ص (٥)

(٢) أصول الدعوة الاسلامية د. على محمد جريشة : مكتبة دار الوفاء للنشر والتوزيع جدة . ط ١ سنة ١٤٠٧ هـ .

(٣) مرشد الدعاة ، محمد نمر الخطيب ، ص (٦٢) .

ومن هنا ندرك أن الدعوة تشمل دعوة الانبياء والعلماء وذوى السلطان وتشمل حتى المسلم العادى وهو ليس متخصصا بفرع من فروع الشريعة ، فهو داعية بما عنده من العلم (١) .

والتعريف بهذا النوع من الدعاة يشمل ماسبق .

فالدعاة : فى اللغة جمع داعى كقاضى وقضاه ورام ورماه (٢) وفى الاصطلاح الداعى : (هو المسلم المكلف شرعا بالدعوة الى الله تعالى) (٣)

ولاشك أن هذ التعريف يشمل كل من النبى والعالم وذوى السلطان والمسلم العادى ، لكن لما كان موضوعنا هو قصة موسى عليه السلام ، فان الحديث سيكون على تعريف الداعية النبى ، وعلى نبى من أولى العزم من الرسل قال تعالى (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) (٤) وأمته مأمورة بالاقتداء تبعا لنبيهم صلى الله عليه وسلم وخاصة فى مجال الدعوة وعرضها على الناس ووسيلتهم اليها ومعرفة الصفات المشتركة بينهم من متطلبات الدعوة اليه اذ أن منهج الانبياء فيه الحكمة والعقل

(٦) قال تعالى " سنة من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا ولن تجد لسنة الله تحويلا " (٦) .

فالداعية النبى : (هو المسلم المكلف شرعا بالدعوة الى الله بتكليف موحى به من الله مؤيدا بالمعجزة ، منتدبا من قبل العناية الالهية) (٧) .

---

(١) المرجع السابق ص (١٠٩) (٢) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١٥٣:١)

(٣) مرشد الدعاة : محمد نمر خطيب ص (١٠٩) . (٤) الانعام : آيه ٨٩ .

(٥) أنظر كتاب منهج الانبياء فى الدعوة ال الله فيه الحكمة والعقل د. ربيع هادى مدخلى . ص ٧٤ ومابعدها .

وأنظر أيضا منهج الانبياء فى الدعوة الى الله . تأليف محمد سرور بن نايف زين العابدين ط دار العلم ،الكويت ١٤٠٥ هـ (١٣ -١٦) .

(٦) الاسراء آيه : ٧٧ (٧) مرشد الدعاة محمد نمر خطيب ص (١٠٦) .

ولعل فى عرض صفات الأنبياء مايكشف للدعاة ماذا يجب أن يتحلوا به فى سبيل الدعوة ، اذ أن دعوة الرسل هى أكمل الدعوات وهى الدعوة المثلى وقد يسأل سائل فيقول أن الأنبياء قد هيئوا من قبل الله عز وجل لكى يكونوا دعاة اليه بصناعة خاصة من قبله عز وجل وأنهم سواء فى صفاتهم المكتسبة أو الوهبية انما حصلت لهم بتوفيق الله عز وجل واقدارهم واعانتهم على تحملها بالاضافة الى حفظهم بالعناية والعصمة وأنهم لابد وأن يكونوا قدوة للبشر ، فكانوا بشرا على أكمل صورة .

فالدعوة هبة وليس تعلم وفنا مكتسبا بل العلم والفن فى عرضها على الناس ، قال تعالى مخاطبا موسى " قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالتى وبكلامى " (١) ، وقال تعالى " الله يعلم حيث يجعل رسالته " (٢) ، وهذا يدل على الاصطفاء منه تعالى للداعية ، فالدعوة هبة وليس للانسان أن يتشرف بها الا باذن الله عز وجل وباختياره .

والجواب من عدة وجوه :-

الأول :

أن الله عز وجل دعانا الى التشرف بالدعوة فمن استجاب وأخلص لحق بالدعاة وهيأه لحمل هذا الدين وللدعوة اليه ، ولو كانت الدعوة خاصة بالرسل لما دعى اليها غيرهم لكنه عز وجل يجعل مناط الرسالة المكلفة بابلاغها والدعوة اليها مما اختص نفسه بعلمه فلا يطلع على ذلك أحدا من خلقه الا أن يرى الداعية حقيقة ماثلة أمام الناس جميعا وهذه الموهبة لاتظهر للناس الا باذن ربها فاذا كان اختيار الله للداعية ، أن كان نبيا مرسلا من عنده كان الاذن بابلاغ الرسالة التى أمر بابلاغها " وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله " (٣)

---

(١) الأعراف : آيه ١٤٤ .   (٢) الأنعام : آيه ١٢٤ .

(٣) المؤمن : آيه ١٢٤ .

فتظهر الموهبة ويتداعى الناس الذين تسقط الغشاوة قلوبهم بايديهم فانهم يظلون فى منأى عنها ....

ومشيئة الله عز وجل تقضى أن تقع الخلائق كلها فى قبضتها ومنه موهبة الداعية فلا تسلك الناس فى نظامها الا اذا شاءت ، وهذه الموهبة تظل منتظرة الاذن من ربها ليظهرها أو يلهمها أن تظهر وهذا ماأشارت اليه الايه الكريمة " ولو شئنا لبعثنا فى كل قريه نذيرا " (١)

وهذه الايات ومايشابهها تتحدث عن الموهبة التى لابد أن تكون أول مايجب أن يتحلى به الداعية (٢) .

والفرق بين النبى وغيره فى هذا المجال أن النبى يوحى اليه والله عز وجل علم استعداده فخصه بذلك وغير النبى ، أقبل على العلم الذى أوحى الله عز وجل الى الأنبياء

فاذا شرف بالدعوة أظهر خصائصه الكامنة وسلك به سبيل الدعوة وجعلهم فى زمرتهم اذا قاموا بما جاء به الأنبياء وقام بهم .

ومن هذا فلا حجة لمحتج فى أن الأنبياء خصوا ووهبوا وأقدرهم الله عز وجل بما وكلوا اليه ، بل المطلوب التشرف بالدعوة والعون من الله عز وجل وهو لم يكلفنا بها ونحن لانقدرها أو كلفنا ولاتحمل لمن سعى اليها باخلاص بل من سلك طريقها مخلصا حققت له الهداية التى هى لاتنتهى مقاماتها فى الدنيا الا بالموت كما قال تعالى " والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا " (٣) فضمن لمن توجه لدينه بالجهد فيه أن يهديه ومن أعظم الجهد الدعوة اليه وتعلمها ونشر دينه بين الناس

---

(١) الفرقان آية : ٥١

(٢) ركائز الدعوة فى القرآن : محمد ابراهيم شقرة ص ١٠،١١ (المكتبة الاسلامية ، ط١ سنة ١٤٠٣ هـ (١٠ - ١١) .

(٣) العنكبوت آيه : ٦٩ .

الثانى :

أن المطلوب من اتباع الرسل الاقتداء بهم والتحلى بصفاتهم قدر الطاقة التى اعطيها الداعية " لايكلف الله نفسا الا وسعها "(٤).

الثالث :

محاولة استكمال الصفات المطلوبة وذلك قياسا على الصورة المثالية المتحققة والمتمثلة فيما كان عليه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فهى صفة للمراجعة ولعرض الدعاة أنفسهم عليها .

الرابع: أن الله عز وجل قد رد على الكافرين الذين طالبوا أن يكون الرسول ملكا وبين أنه لو كان ملكا لادعى البشر أنهم بشرا لايقدرون على ماجاء به الملائكة قال تعالى " ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون " (١) .

فكان لابد أن يكون هناك بشرا يقتدى به فى صورة متناسبة ولكنه لايخرج كونه من جنس بنى آدم أنهم يتعرضون للخطأ والنسيان ولكن فى مجال ضيق ووفق ظروف معينة ويجدون انفسهم كما ذكرت سابقا فى تحصيل مايكون مثاليا من الصفات التى لم يوهبوها من قبل الله عز وجل .

وهذه المجاهدة التى يستكملونها ليست الجالبة للنبوة بل الاختيار لهم من قبل الله عز وجل خلافا لما يدعيه الفلاسفة (٣) من أنها فاضت عليهم المعرفة نتيجة هذه المجاهدة .

---

(١) البقرة آيه ٢٨٦ .

(٢) الانعام الايه : ٩

(٣) ينكر الفلاسفة أن يكون شرف النبوة محصورا فى أناس معينين يختارهم الله عز وجل ويرون أن النبوة يمكن كسبها بالرياضة وصفاء النفس والمجاهدة ، الرد على المنطقيين ص (٢٢٧) .

الخامس :

بالنسبة للأمور الخلقية التى كان عليها الأنبياء والتى لم يتخلف عنها نبى ولارسول وهو يرسل الى قومه هذه الأمور لاتختص بغيرهم فليس لأحد أن يدعى أنه مادام أنه أوتى لسانا مثلا غير فصيح لايدعو الى الله عز وجل أو أنه لايمتلك الجمال والهيئة التى كان عليها الرسل الأمر الذى يجعله مما يتأخر عن الدعوة ، فالرسل فى هذا المجال كملوا لأنهم أساس الدعوة ، والمطلوب التشرف بالدعوة وان لم يرزق المرء الصورة الخلقية التى كان عليها الرسل والأنبياء ، وقد جاء فى قصة موسى عليه السلام موضوع اللكنة التى فى لسانه وعاب فرعون كون موسى لايبين وسيظهر كما سنعرف أن المهم هو وضوح الأساسيات للمدعو ، وأن ما أصاب موسى عليه السلام قد زال عنه ، وان كانت لاتعرف من أين حدث ذلك وهى عبارة عن معجزة وكرامة لموسى ليتضح لفرعون زوال هذه اللكنة وهى قبل الكرامة والمعجزة ومع ذلك فقد عابه بأمر قديم كان فيه

المبحث الثاني

شروط وصفات الداعية في قصة موسى عليه السلام

١ ـ الاخلاص .

٢ ـ الفصاحة فى القول .

٣ ـ الشخصية القوية .

٤ ـ القول اللين .

٥ ـ العلم .

٦ ـ القدوة .

٧ ـ الصبر .

٨ ـ الثقة العميقة بالله عز وجل .

٩ ـ ذكر الله عز وجل والمداومة عليه .

١٠ ـ الاستقامة .

شروط وصفات الداعية فى قصة موسى عليه السلام :

لقد كانت مهمة موسى عليه السلام من أشق المهمات التى تتطلب صفات عظيمة تواجه تلك المهام التى أنيطت به .

وأننا بدراسة صفاته عليه السلام مايكون خير زاد للدعاة فان دراسة أحوال الأنبياء فى دعوتهم الى الله عز وجل من أعظم معين يرسم للداعية طريق الدعوة فى سائر أبعادها .

الصفة الأولى : الاخلاص

(أ) أهم مايجب أن يتصف به الداعية الاخلاص وهو : تصفية العمل من ملاحظة المخلوقين (١) والاخلاص اذا قارن العمل كان ذا أثر فى المدعوين ، ولقد جاءت الحوارات المختلفة تبين اخلاص موسى عليه السلام وكان فرعون يخاف على نفسه وعلى قومه من أثر دعوته لأنه باخلاصه قد دخل قلوبهم ولا أدل على ذلك مما حدث للسحرة .

ولقد وجهوا اليهما الشبه فى أنهما لايريدان الله عز وجل والدعوة اليهما فقالوا " وتكون لكما الكبرياء " فرموهم بأن دعوتهم مقصودها هى أن يسلبوا ملك فرعون وتكون لهما السيادة عليهم ، وقد بين موسى عليه السلام لفرعون : أنه رسول من رب العالمين ؛ وأنه حقيق بالصدق والتزام الحق فى التبليغ عن ربه وهو شديد الحرص على ذلك الصدق .

قال تعالى " واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا (٢) " قرأ مخلصا بالفتح والكسر (٣) وقال ابن عاشور (٤) رحمه الله فى تفسيره وقرأ الجمهور بكسر اللام من أخلص القاصر اذا كان الاخلاص صفته والاخلاص فى أمر ما الاتيان به غير منسوب

---

(١) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين محمد بن علان الصديقى دار الكتاب العربى ، ص (٣٤) .

(٢) مريم آية (٥١) .

(٣) الجلالين جلال الدين السيوطى ، دار المعارف بيروت ص (٤٠١) .

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦ : ١٢٧) .

بتفريط ولا تقصير ولا مواده مشتق من الخلوص وهو التمخض وعدم الخلط والمراد هنا : الاخلاص فيما هو شانه وهو الرسالة لقرينة المقام . وقرأ حمزة وعاصم والكسائى ، وخلف بفتح اللام من أخلصه اذا اصطفاه وخص موسى بعنوان (المخلص) على الوجهين لأن ذلك مزيته فانه أخلص فى الدعوة الى الله فاستخف بأعظم جبار وهو فرعون وجادله مجادلة الأكفاء .... فكان الاخلاص فى اداء أمانة الله تعالى سيرته .

ولأن الله اصطفاه لكلامه اليه مباشرة قبل أن يرسل اليه الملك بالوحى فكان مخلصا بذلك أى مصطفى لأن ذلك مزيته قال تعالى " انى اصطفيتك على الناس " (١) .

الصفة الثانية : الفصاحة فى القول :

يجب أن يكون الداعية على درب البيان ، ومعرفة وجوه القول ولايشترط

---

(١) قال ابن القيم " اصطفى موسى واستخلصه لنفسه وجعله خالصا له من غير سبب كان من موسى ولاوسيلة فانه خرج ليقتبس النار ، فرجع وهو كليم الواحد القهار وأكرم خلقه عليه ابتداء منه سبحانه وتعالى من غير سابقة استحقاق ولا تقدم وسيلة وفى مثل هذا قيل :

أيها العبد كن لما لست ترجو ... من صلاح أرجى لما أنت راجى

ان موسى أتى ليقبس نارا ... من ضياء رآه والليل داجى

فانثنى راجعا وقد كلمه الله ... وناجاه خير مناجى

مدارك السالكين ، ابن القيم ، ت محمد حامد الفقى ،دار الكتاب العربى ١٣٩٣ هـ (٢ : ٤٥٧) .

أن يكون خطيبا مدرها (١) بل يكتفى بان يعرف كيف يخاطب الناس ويأتى بهم من قبل أن يدخل الى نفوسهم فيأتيهم من قبل مايالفونه .

واعلم أن الفصاحة قد جاءت فى اللغة ، حسن الكلام تقول رجل بليغ حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه مافى قلبه " (٢)

(أ) طلب موسى فصاحة القول :

كان نبى الله موسى أول ممن استعمل اسلوب المناظرة العلنية لاظهار الحق حيث قام أمام فرعون يناظره حسبما جاء فى سورة الأعراف والشعراء وغيرهما والصواب ممن استعمل أسلوب المناظرة العقلية (٣)

وهذا المقام يحتاج الى فصاحة القول ولهذا طلب موسى من ربه أن يحل عقدة من لسانه حرصا على الدعوة ولبيان أهمية الفصاحة قال تعالى حكاية على لسان موسى عليه السلام " وأحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى " (٤)

قال الرازى رحمه الله (٥) " واختلفوا أنه عليه السلام لم يطلب حل تلك العقدة على وجوه ؟

الأول : لئلا يقع فى أداء رسالته خلل البته .

الثانى : لازالة العيب لأن العقدة فى اللسان تقتضى الاستخفاف بالقائل وعدم الالتفات اليه .

---

(١) مدرها : الدال والراء والهاء ليس أصلا لأن الهاء مبدل الهمزة يقال درأ أى طلع ثم يقلب هاء فيقال دره المدره : لسان القوم والمتكلم عنهم .

معجم مقاييس اللغة لأبى الحسين بن فارس بن زكريا (٢ : ٢٧١)

(٢) لسان العرب ، مادة (فصح)

(٣) تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم ، آدم عبدالله الالوى ص ٦٠ .

(٤) طــه آيه : ٢٧ - ٢٨ . (٥) التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٢ : ٤٨)

الثالث : اظهار المعجزة فكما أن حبس لسان زكريا عليه السلام عن الكلام كان معجزة فى حقه ، وكذا اطلاق لسان موسى عليه السلام معجزة فى حقه .

الرابع : طلب السهولة لأن ايراد مثل هذا الكلام على مثل فرعون فى جبروته وكبره عسير جدا فاذا انضم اليه تعقد اللسان بلغ العسر الى النهاية فسأل ربه ازالة تلك العقدة ". أ.هـ.

قال سيد قطب رحمه الله " ان فى صدره ضيقا لايحتمل الكذب على الله تعالى ولا يستطيع الصبر على ذلك ....خوفه ليس من مجرد التكذيب ولكن من حصوله فى وقت يضيق فيه صدره ولاينطق لسانه فلا يملك أن يبين أو يناقش هذا التكذيب ويفنده للحبسة وهى تعذر الكلام عند ارادته) والتى من شأنها أن تنشىء حالة من ضيق الصدر ، وتنشأ من عدم القدرة على تصريف الانفعال بالكلام وتزداد كلما زاد الانفعال فيزداد الصدر ضيقا ...... وهى حالة معروفة خشى منها خشى موسى أن تقع له هذه الحالة وهو فى المواجهة بالرسالة لظالم جبار كفرعون.(١)

ومن هذا فقد سأل موسى عليه السلام ربه حين بعثه الى فرعون بابلاغ رسالته والابانه عن حجته والافصاح عن أدلته ، لتكون الأعناق اليه أميل اليه وأفهم والنفوس أسرع فان خصمه فرعون كان مشاغبا سبابا قد ذهب مذهب كل جاحد معاند ، وشانه كل مختال مكابر .

شبه افتراء فرعون على موسى لايكاد يبين :

قال صاحب التحرير والتنوير :

عند قوله تعالى (لا يكاد يبين)(٢) اشار الى ما كان فى منطق موسى من الحبسة والفهاهة ، وليس مقام موسى يومئذ مقام خطابة ولا تعلم

---

(١) فى ظلال القرآن سيد قطب (٥ : ٢٥٨٩) .

(٢) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٢٥ : ٢٣١) .

وتذكير حتى تكون قلة الفصاحة نقصا فى عملة ولكن مقام استدلال وحجة فيكفى أن يكون قادرا على ابلاغ مراده ولو بصعوبه وقد ازال الله عنه ذلك حين تفرغ لدعوة بنى اسرائيل كما قال ." قد أوتيت سؤلك ياموسى "

ولعل فرعون قال ذلك لما يعلمه من حال موسى قبل أن يرسله الله حين كان فى بيت فرعون فذكره ذلك من حاله ليذكر الناس بامر قديم .

واعلم أن الله عز وجل قد أعطى موسى مايماثل ماليعارون من المقدرة على اقامة الحجة اذ قال تعالى " ويجعل لكما سلطانا " (١) وقد دل على ذلك ماتكلم به موسى عليه السلام من حججه فى مجادلة فرعون كما فى سورة الشعراء وماخاطب به بنى اسرائيل كما حكى فى سورة الاعراف ، وانما هذا الشبه افتراء عليه ، قال ابن كثير وقوله " ولايكاد يبين افتراء عليه فان كان قد اصاب من لسانه فى حالة صغره شيء فقد سأل الله عز وجل وقد استجاب الله له وبتقدير أن يكون قد بقى شيء لم يسأل ازالتت كما قال الحسن البصرى انما سأل زوال مايحصل معه الابلاغ والافهام ، فالأشياء الخلقية التى ليست من فعل العبد لايعاب بها ولايذم عليها . (٢)

(٣) الصفة الثالثة : أن يكون صاحب شخصية قوية :

وهى التى عبر عنها ابو زهرة فقال " أن يكون له شخصية نافذة لاتقتحمها الأعين ولاتزدريها النفوس وألا يكون معيبا خلقيا أو نفسيا ، وأن يكون معروفا بكمال الخلق وفيه كمال السمت ، يتكلم فى موقع القول ويصمت فى موقع الصمت ويكون صمته حكما " . (٣)

---

(١) السلاطة والتمكن من القهر ، وسميت الحجة سلطانا وسلاطة اللسان القوة على المقال والسليط من الرجال الفصيح اللسان الذرب لسان العرب مادة (سلط.

(٢) تفسير ابن كثير (٤ : ١٣٠) .

(٣) الدعوة الى الاسلام أبو زهرة ص (١٢٩) .

وأن عناصر الشخصية القويه تتمثل فى الأمور التالية : الاتزان والصراحة والشجاعة والعزيمة القوية والعاطفة الرقيقة وكل هذه الأمور تمثلت فى موسى عليه السلام .

(١) أما الاتزان :

لقد كان أول لقاء لموسى مع فرعون الذى تأله فى الأرض أثبت فيه الهدوء والاتزان والبيان ماجعله جديرا بالتقدير والاكبار ، واليك موقفين من مواقف متعددة تعتبران نموذجان لاتزان موسى وهدوئه وثباته .

الموقف الأول : " قال فمن ربكما ياموسى قال ربنا الذى اعطى كل شيىء خلقه ثم هدى قال فما بال القرون الأولى قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى" (١)

الموقف الثانى : " فلما جاءهم بآياتنا بينات قالو ماهذا الا سحر مفترى وماسمعنا بهذا فى آبائنا الأولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الكافرون" (٢) (٣).

(٢) العنصر الثانى : الصراحة :

وقد برز عنصر الصراحة فى موسى بشكل واضح ، وفى أدق المواقف التى تهتز لها مشاعر المرء لم تخن موسى صراحته ، فقد قربه الله اليه بكلفة أعباء الرسالة الى فرعون وقومه ، وكان عليه أن يسمع ويطيع دون مناقشة لأن الله فى غنى عنها ولكن صراحته هى التى دفعته الى أن يستفسر من ربه عن الحقائق التى تجيش فى صدره " واذ نادى

---

(١) طه الايات : ٥١ - ٥٢ .

(٢) القصص آيه ٣٧ .

(٣) أولو العزم من الرسل ، محمد عبدالله السمان ص (١١١) .

ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولاينطلق لسانى فارسل الى هارون ولهم على ذنب فاخاف أن يقتلون " (١) .

ومثله صراحته مع ربه عن نكوص قومه عن دخول الأرض المقدسة " قال رب انى لاأملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين " (٢) .

ومن أصعب المواقف التى كانت وجها لوجه أمام فرعون لم تفلت الصراحة من لسان موسى وجاءت صراحته غاية فى القوة وغاية فى الاتزان وغاية فى الايجاز " وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين حقيق على ان لاأقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معى بنى اسرائيل " (٣) ، (٤) .

---

(١) الشعراء آيات ١٠-١٤ .

(٢) المائدة آية ٢٥ .

= وجاء قبل ذلك السياق الكريم بان رجلين خالفا القوم فى العصيان قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب " الايه " وفى هذه الايه يخبر عز وجل حكاية على لسان موسى أنه لايملك الا نفسه وأخاه ، قلت وقد يستانس بقراءة " يخافون " بالضم فيكونا الرجلان من الأعداء أنعم الله عليهم فجاء مخبرين ومشجعين على الدخول على قومهما ، ومع ذلك يظهر أن بنى اسرائيل لم يستجب منهم أحد ولهذا قال موسى " رب لاأملك الا نفسى وأخى " .

(٣) الأعراف لآيات (١٠٤ : ١٠٥) .

(٤) أولو العزم من الرسل محمد السمان باختصار ص (١١٢) .

وهذه الصراحة متفقة مع لين القول الذى أمر به فى دعوة فرعون كما ستعرف فى الصفة التالية " فهو يمثل المواقف المتماسكة والأسلوب الذى لايعرف التنازلات مهما كانت ضئيلة والصدع بالحق مع لين الأسلوب لأن اداء الحق لايعنى خشونة اللفظ وقسوة الاداء " (١) .

(٣) الشجـــاعة :

منح الله عز وجل موسى عليه السلام كل أنواع الشجاعة ، منحة الشجاعة الجسمانية والشجاعة الخلقية وهو الاعتراف بالخطأ ، ومنحة الشجاعة القلبية التى تفوق كل شجاعة اذ قد واجه فرعون ذلك الطاغى ووضحت شجاعته أمام السحرة وما أحضروه .

قال تعالى فى بيان هذه الألوان من الشجاعة ، ففى الشجاعة البدنية " فوكزه موسى فقضى عليه " (٢) وفى الشجاعة الخلقية ما مر بنا فى قصة سقيه لابنتى شعيب (٣) حيث تقدم لاقرار الأمر فى نصابه تساعده تلك الشجاعة النفسية التى غوت له مساعدتهما ، قال تعالى "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون " الآيات (٤) .

ومن المعلوم أن من البداهة أن الشجاعة ينبغى أن تكون مقرونة بالحكمة والموعظة الحسنة والروية وسداد الرأى " فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى " (٥) ، (٦) .

---

(١) العبرة من قصة موسى ، محمد خيرى عدوى باختصار ، ص (١١٢) .

(٢) القصص آيه (١٥) .

(٣) أنظر ص (٩٨) .

(٤) القصص آيه (٢٣) .

(٥) طه الايه ٤٤

(٦) مرشد الدعاة محمد نمر الخطيب ، ص (٢٠٩) .

(٤) العزيمة القوية :

وقد تمثلت واضحة فى عدة مواضع من قصة موسى فى القرآن الكريم منها ماجاء من أمره مع الخضر وأنه سيظل يطلبه حتى ولو مكث حقبا وأنظر فى باب العقيدة فى شانه عزيمته فى قصته مع الخضر .

ويتجلى عزمه أيضا فى حادثة العجل الذى عبده قومه ووضعه لهم السامرى فعزم على أن يعطى السامرى وقومه درسا ماديا قاسيا لن ينسوه أبدا وعمد الى العجل فاحرقه ونسفه فى اليم نسفا ، وهو درس بالغ ماكان لموسى أن يعطيه لهؤلاء الضالين لو لم يكن يتمتع بعزيمة من أقوى العزائم " (١) .

قال تعالى " فاذهب فان لك فى الحياة أن تقول لامساس وأنظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا " (٢) .

(٥) العاطفة الرقيقة :

موسى عليه السلام الذى منح صلابة وصرامة وقوة عاش على جانب كبير من العاطفة النبيلة انظر الى قوله تعالى حكاية عنه عند قتله القبطى " انه من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين " (٣) .

الصفة الرابعة : القول اللين :

وقد عبر عن هذا الجانب الشيخ محمد ابو زهرة فقال " أن يكون اليفا موطأ الكنف فى المعاملة لينا من غير ضعف ، متواضعا فى غير ضعة ، حليما رزينا يتجه الى معالى الامور ولاينزل الى سفاسفها (٤) .

---

(١) أولو العزم من الرسل محمد عبدالله السمان ص (١١٥) .

(٢) طه آيه ٩٧ .

(٣) القصص آيه ١٥ .

(٤) الدعوة الى الاسلام ، محمد ابو زهرة ، ص (١٣٩) .

القول اللين والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن من الصفات التى ينبغى للداعية أن يتصف بها . ولقد أوضحت قصة موسى عليه السلام هذا الأمر غاية الوضوح وكانت منهجا متبعا للدعاة بل اهلت هذا المنهج فى خطاب علية الأقوام بالقول اللين الرقيق يقول ابن القيم " أمر الله تعالى أكرم خلقه عليه بمخاطبة رئيس القبط بالخطاب اللين فمخاطبة الملوك والرؤساء بالقول اللين أمر مطلوب شرعا وعقلا وعرفا ولذلك تجد الناس كالمفطورين عليه " (١)

<u>امتثال موسى عليه السلام أمر ربه فى دعوة فرعون الى الله عز وجل :</u>

قال ابن القيم (٢) رحمه الله معلقا على الاية الكريمة التى تبين امتثال موسى لما أمر به فى دعوة فرعون " هل لك الى أن تزكى وأهديك الى ربك فتخشى " (٣) ففى هذا من لطف الخطاب ولينه وجوه :-

أحدهما : اخراج الكلام مخرج السؤال والعرض لامخرج الأمر والالزام وهو ألطف ونظيره قول ابراهيم لضيفه المكرمين " ألا تأكلون " (٤) ولم يقل كلوا .

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم ، دار الكتاب العربى عن بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى ادارة الطباعة المنيرية (٣: ١٣٢: ١٣٣)

(٢) المرجع السابق (٣ : ١٣٢، ١٣٣) وهو نقلا بتصريف (ابن القيم وحسه البلاغى فى تفسير القرآن د . عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربى ، ص (١٨١ ١٨٢)

(٣) النازعات الايات (١٨ - ١٩

(٤) الذاريات : آيه ٢٧ .

الثانى: قوله " الى أن تزكى " والتزكى النماء والطهارة والبركة والزيادة فعرض عليه أمرا يقبله كل عاقل ولايرده الا كل أحمق جاهل .

الثالث : قوله " تزكى " ولم يقل " أزكيك " فاضاف التزكية الى نفسه وعلى هذا يخاطب الملوك .

الرابع : قوله "وأهديك " أى أكون دليلا لك ، وهاديا بين يديك ، فنسب الهداية اليه ، والتزكى الى المخاطب ، أى أكون دليلا لك وهاديا ، فتزكى أنت كما تقول للرجل : هل أدلك على كنز تاخذ منه ماشئت ؟ وهذا أحسن من قوله أعطيك .

الخامس :قوله " الى ربك " فان هذا مايوجب قبول مادل عليه وهو أنه يدعو ويوصله الى ربه فاطره وخالقه الذى أوجده ورباه بنعمة جنينا وصغيرا وكبيرا ، وآتاه الملك وهو نوع من خطاب التلطف والاستدعاء . كما تقول لمن خرج عن طاعة سيده : ألا تتبع سيدك ومولاك ومالكك ؟ وتقول للولد : ألا تتبع والدك الذى رباك ؟ .

السادس :قوله " فتخشى " أى اذا اهتديت اليه وعرفته خشيته لأن من عرف الله خافه ، ومن لم يعرفه لم يخفه ، فخشيته تعالى مقرونة بمعرفته وعلى قدر المعرفة تكون الخشيه .

(٥) الصفة الخامسة العلـــم :-

وهذا نبى الله موسى وكليمه اصطفاه الله عزوجل بكلامه وقد اوضحت لنا القصة موافقة مع الخضر ابتغاوه العلم وحرصه على الزيادة منه . وجاءت فى قصة موسى عليه السلام مع الخضر امور التعليم والتعلم واضحة وانظر من هذه الرسالة امور التعلم فى قصته مع الخضر فلا بد من العلم

ولابد أن يصاحب العلم العمل حتى يأتى ثمرته وحتى يعبد الله عز وجل على طريقة صحيحة واذا دعا الناس على أساس يحبه الله عز وجل رضاه ويكون مما شرعه ، وقد مر بنا (١) نقل ابن تيميه عن معنى الحكمة عند العرب أنها العلم والعمل به .

(٦) الصفة السادسة : القدوة :

من أخص صفات الداعية الذى هو صورة مصغرة عن الرسول أن يكون بنفسه قدوة ، لابأقواله ولا بلسانه بل بنفسه على معنى أن يكون متحليا للفضيلة التى يدعو اليها ، مجتنبا للرذيلة التى ينهى عنها " (٢)

لقد كان موسى عليه السلام قدوة مطبقا تعاليم رسالته بخلاف أتباعه الذين عاصروه والذين جاءوا من بعده فقد كانوا يخالفون أقوالهم

---

(١) أنظر ص (٧٧) وقد قال الحسن البصرى مازال أهل العلم يعودون على التذكر بالتفكر وبالتفكر على التذكر ويناطقون القلوب حتى نطقت فاذا لها أسماع وأبصار فنطقت بالحكمة وأورثت العلم " . والمقصود بالتذكر يعنى بالعلم على العمل وبالعمل على العلم "أنظر) حد الاسلام وحقيقة الايمان " للشيخ عبدالمجيد الشاذلى مركز البحث العلمى جامعة أم القرى ١٤٠٤ هـ ص (١٩٧)

(٢) مرشد الدعاة محمد نمر الخطيب ص (٢٠٠)

بأفعال بعيدة عن الهدى الربانى والله عز وجل ذمهم على عمل هذا الصنيع فى أكثر من موضع فى القرآن الكريم ... قال تعالى فى شأن بنى اسرائيل من بعده " أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " .(١)

(٧) الصفة السابعة : الصبــــر

لقد واجه موسى فرعون المتأله المتكبر ليلقى منه كل سخرية وكل استخفاف وكل تهديد فلم يزده ذلك الا هدوءا واتزانا وتذرعا بالصبر

(١) صبره على طغيان فرعون واستبداده :-

(١) قال تعالى " قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ماجئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض فينظر كيف تعملون "(٢)

٢ قال تعالى " قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين"(٣)

(٢) صبره على تمرد وعصيان بنى اسرائيل :

ان أحوال بنى اسرائيل مع موسى فى كل الأطوار التى انتقلوا فيها ناطقة بالتنكر والالتواء ، ومع ذلك ظل موسى يروضهم السنوات الطوال ولو لم يرزق طاقة تحمل وصبر عظيمين ماكان فى استطاعته أن يلبث معهم ساعات ولهذا يقول نبينا محمد صلى الله عليه وسلم " رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر" (٤) .

(١) البقرة آيه (٤٤) . (٢) الأعراف آيه (١٢٩) .

(٣) الشعراء آيه (٢٩) .

(٤) صحيح مسلم كتاب الزكاة باب اعطاء المؤلفة قلوبهم على الاسلام وتصبر من قوى ايمانه .

وان عدم صبره الذى جاء فى سورة الكهف فى شأن قصته مع الخضر فقد أوضحته لك فى القصة فارجع اليه " وكذا عدم صبره مع ملك الموت الذى جاءه فى صورة رجل (١) .

(٨) الصفة الثامنة : الثقة العميقة بالله عز وجل :

ان أعظم حال ظهرت فى هذه القصة ثقته بالله عز وجل وذلك فى أخطر مواقف بنى اسرائيل مع فرعون وذلك عند خروجهم من مصر ، ولقد أوشكت أعصاب بنى اسرائيل على الانهيار لولا أن تداركها ثقة موسى العميقة بربه عز وجل ، قال تعالى حكايه على لسان موسى فى هذه الثقة العميقة بالله عز وجل بأمر الله " كلا ان معى ربى سيهدين " (٢) .

(٩) الصفة التاسعة : ذكر الله عز وجل والمداومة عليه :-

أمر الله عز وجل نبيه موسى وأخاه هارون أن لايغفلا عن ذكره قال تعالى " كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا " (٣) وقال تعالى " ولاتنيا فى ذكرى " (٤) ومعنى الذكر كما يقول الرازى : قيل فيه أقوال أحدها : -- المعنى لاتنيا بل اتخذوا ذكرى آلة لتحصيل المقاصد واعتقدا أن أمرا من الأمور لايتمشى لأحد الا بذكرى ، والحكمة فيه أن من ذكر جلاله الله استحقر غيره ولايخاف أحدا ، وأن من ذكر جلاله الله تقوى روحه بذلك الذكر فلايضعف فى المقصود ، وأن ذاكر الله سبحانه وتعالى لابد وأن يكون ذاكرا لاحسانه ، وذاكرا احسانه لايفتر بأداء أوامره (٥) .

---

(١) أنظر الباب الثانى النبوات فى قصة موسى مع الخضر ص (٤٦٥ ، وكذا فى قصته مع ملك الموت ص (٤٠٣-٤٠٤) ولعل كل هذا يفسر لنا بشدة حدته وتفاعله مع المواقف صرامة وصراحة تتوجب فى كثير منها هذه المواقف : قال ابن القيم " وكان موسى عليه السلام من أعظم خلق الله هيبة ووقارا وأشدهم باسا وغضبا ، وبطشا بأعداء الله وكان لايستطاع النظر اليه ، مدارج السالكين ابن القيم (٢ : ٤٥٨) .

(٢) الشعراء آيات (٦١-٦٨) . (٣) طه آيات (٣٣ - ٣٤) .

(٤) طه آيه (٤٢) . (٥) التفسير الكبير للرازى (٢٢ : ٥٧)

فالمقصود أن الذكر حياة الداعية وبقدر تشبثه به بقدر ماتنزل المعونة عليه .

(١٠) الصفة العاشرة : الاستقامة :

وهذه الصفة جامعة لأمور الدين كله ، وقد أمر الله عن وجل موسى وأخاه بأن يستقيما فى دعوتيما وفى دينيما وأن يصبرا على الدعوة ، وقد قيل بين دعوة موسى لفرعون وهلاكه عشرين سنه وفى هذا درس للدعاة أن يستقيموا على أمر الدعوة وان طالت نتائجها " وأعظم الاستقامة الاستقامة على العقيدة بالتوسط فى مسائلها المختلفة بين الاثبات والنفى والتشبيه والتأويل (١) ثم الاستقامة فى العبادة بين الغلو والتقصير فان للشيطان فى العبادات اما الى افراط أو تفريط(٢)

---

(١) ذكر البيضاوى فى تفسيره أن ذلك فى غاية العسر ورد صاحب المنار عليه وأبان أن ذلك نابع من التأويل وعدم الاقتداء بما كان عليه السلف ، أنظر تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ناصر الدين أبى سعيد عبدالله ابن عمر الشيرازى البيضاوى ، مؤسسة شعبان (١٢٣:٣) أنظر تفسير المنار محمد رشيد رضا (١١:١٦٦:١٦٨) .

(٢) أنظر مدارج السالكين ، ابن القيم (١٠٣:٢/١٠٥) .

الفصل الثالث : المدعوون

فى قصة موسى عليه السلام

(١) المبحث الأول : القوم الذين أرسل اليهم موسى عليه السلام

(٢) المبحث الثانى : التعريف بهم

(٣) المبحث الثالث : أسباب دعوتهم المشتركة والخاصة لكل فئة .

(٤) المبحث الرابع : منهج وطرق وأساليب الدعوة فى قصة موسى .

(٥) المبحث الخامس : موقفهم من الدعوة

(٦) المبحث السادس : دروس الدعوة من دعوة موسى لفرعون وقومه ولبنى اسرائيل .

المبحث الأول

(١) هل القوم الذين أرسل اليهم موسى عليه السلام هم قوم فرعون أو بنو اسرائيل

القوم الذين ارسل اليهم موسى عليه السلام : -

لقد دار خلاف حول القوم الذين ارسل اليهم موسى عليه السلام عند بعض الايات هل المقصود بالقوم هم قوم فرعون أم قوم موسى وهم بنو اسرائيل :؟ وهل مفاد قوله تعالى " أن أرسل معى بنى اسرائيل " (١) أنه مرسل الى بنى اسرائيل فقط ؟ وكذا قوله تعالى " أن أخرج قومك من الظلمات الى النور " (٢)الى غير ذلك من الايات .

لقد بين القرآن صراحة عن دعوته الى فرعون وقومه وبين أن رسالته قصد بها بنو اسرائيل وطلب من فرعون أن يرسل معه بنى اسرائيل .

قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى " ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين " يقول تعالى مخبرا عن موسى عبده ورسوله عليه الصلاة والسلام أنه بعثه الى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبنى اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وحده لاشريك له وينهاهم عن عبادة ماسواه (٣) قال الشيخ محمد سيدى الحبيب " كثر التعبير فى القرآن عن بنى اسرائيل بلفظة القوم مضافة الى موسى مما يؤيد أن المراد من قوله " أن أخرج قومك وهم بنو اسرائيل قال تعالى " .اتخذ قوم موسى من بعده عجلا جسدا له خوار " (٤) ومعلوم أن المراد بالقوم هنا بنو اسرائيل لأن هذا بعد اغراق فرعون ونجاة بنى اسرائيل وذهاب موسى لميقات ربه وقال تعالى " واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا " والمراد بالقوم هنا هم بنو اسرائيل وقال تعالى " ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا " وذلك فى رجوعه من مناجاة ربه وكل ذلك بعد عبور بنى اسرائيل للبحر واغراق فرعون وقومه ثم يقول " ووردت آيات

---

(١) الشعرا آيه ١٧ . (٢) ابراهيم آيه (٥) .

(٣) تفسير ابن كثير (٤ : ١٢٩) . (٤) الاعراف آيه ١٤٨ .

أخرى تدل على أن القوم المراد اخراجهم من الظلمات الى النور هم فرعون وقومه فقد أخبر الله فى غير ما آيه أنه أرسل موسى الى فرعون وقومه فقال " أنا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول " (١) ......

وقال "ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين " (٢) ثم يقول القرآن كثر فيه التعبير عن الكفر بالظلمات وعن الايمان بالنور وعليه فيكون القول بان القوم المذكورين بنو اسرائيل خاصة مخالف للغالب فى القرآن اذا قلنا انهم كانوا مؤمنين .

وقد استدل على أن المراد بالقوم هنا فى هذه الآيه أنها لاتخص بنى اسرائيل فقط بما يلى :-

" قال أعلم بأن الله صرح بأنه أرسل موسى عليه السلام الى قوم فرعون حيث قال : " واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون" (٣) وصرح بأنه أرسله الى فرعون " اذهب الى فرعون انه طغى" (٤)

ومن المعلوم أن بنى اسرائيل فى ذلك الوقت الذى بعث فيه موسى الى فرعون تحت سيطرة فرعون وتحت حكمه وقد أخرج الله بعضا من قوم فرعون من ظلمات الكفر الى نور الايمان مثل آسيه بنت مزاحم زوج فرعون التى قالت " رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين " (٥) وكمؤمن آل فرعون الذى ذكر الله فى سورة غافر فى قوله " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله " (٦) .

---

(١) المزمل آيه ١٥ . (٢) الدخان آيه

(٣) الشعراء آيه (١٠) . (٤) النازعات آيه (١٧) .

(٥) التحريم آيه (١١) . (٦) غافر آيه (٢٨) .

وكذلك خازن فرعون وامرأته أى امرأة الخازن والسحرة وقد ذكر المفسرون أن هؤلاء المذكورين هم الذرية التى أخبر الله أنها آمنت لموسى وذلك فى قوله تعالى " فما آمن لموسى الا ذريه من قومه على خوف من فرعون وملئه "(١) وكونها من بنى اسرائيل يبعده أن بنى اسرائيل آمنوا كلهم أو جلهم (٢) . والحق أنه لايمنع أن يكون الذرية من بنى اسرائيل كما سيأتى وقد أرجع ابن كثير الى الضمير فى قوله " من قومه " عائد على فرعون وأن المعنى الا ذرية من قوم فرعون وهم الشباب وهو قول ابن عباس وأما بنو اسرائيل فامنو كلهم بدليل الايه التى بعدها وهى قوله تعالى " وقال موسى ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين " (٣) ،(٤).

وأنت ترى هذا الكلام أن القوم تارة يراد بهم قوم موسى وتارة يراد بهم قوم فرعون والايات صرحت أنه بعث الى هؤلاء وهؤلاء ولامانع من اطلاق قومية عليهم وان لم يكن منهم نسبا فيكفى انه [illegible] قوم موسى وفرعون وقد قال بعض المفسرين (٥) عند قوله تعالى " يستضعف طائفة منهم " أى من أهلها أى أهل مصر مع أن الطائفة هم بنو اسرائيل فاعتبرهم من أهل مصر كما اعتبر قوم فرعون من قوم موسى باعتبار أن موسى تربى فيهم .

قال أبو حيان(٦) عند قوله تعالى " أن أخرج قومك من الظلمات الى النور"

---

(١) يونس آيه .

(٢) الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم سيد محمد الحبيب ص (١٦١، ١٦٢)

(٣) يونس آيه (٨٤) .

(٤) تفسير ابن كثير (٤:١٢٩) ط . دار احياء الكتب العربية

(٥) الفتوحات الالهية الجمل (٣:٣٣٤).

(٦) تفسير ابن حيان (٥:٤٠٤).

(١) والظاهر أن قومه هم بنو اسرائيل وقيل القبط فان كانوا القبط فالظلمات هنا الكفر والنور الايمان وان كانوا بنو اسرائيل وقلنا انهم كلهم كانوا مؤمنين فالظلمات ذل العبودية والنور العزة بالدين وظهور أمر الله وان كانوا أشياعا متفرقين فى الدين ، قوم مع القبط فى عبادة فرعون وقوم على أشياعا فىالظلمات الكفر والنور الايمان .

(٢) وقيل كان موسى مبعوثا الى القبط وبنو اسرائيل .

(٣) وقيل الى القبط بالاعتراف بوحدانية الله وأن لايشرك به والايمان بموسى وأنه نبى من عند الله والى بنى اسرائيل بالتكليف وبفروع شريعته لانهم كانوا مؤمنين .

فابو حيان قد ضعف كون موسى مبعوثا الى القبط بصفة التمريض واستظهر ابن جرير وابن كثير والزمخشرى .... أنه فقالوا المراد بالقوم هم بنو اسرائيل .

المبحث الثانى

التعريف بالمدعوين وأصنافهم

(أ) التعريف بالملأ الطالح (علية القوم الطالحة)

(١) التعريف بفرعون

(٢) التعريف بالملأ الذين كانوا حول فرعون (الملأفي اللغة والاصطلاح).

(٣) التعريف بهامان

(٤) التعريف بقارون

(ب) التعريف بملأ فرعون الصالح (علية القوم الصالحة) .

(١) التعريف بمؤمن آل فرعون .

(٢) التعريف بامرأة فرعون .

(ج) التعريف بالسحرة (وتعريف السحر فى اللغة والاصطلاح) وبيان دور السحرة فى المجتمع المصرى .

(د) التعريف بالقبط ودورهم فى الحياة الفرعونية

(هـ) التعريف ببنى اسرائيل .

بعد أن عرفنا بالداعية والدعوة سنعرض فى هذا الفصل الى حقل الدعوة وهم المدعوون وسندرس أسباب دعوتهم على أصنافهم المختلفة والأساليب التى استخدمها موسى عليه السلام معهم وموقفهم من دعوته عليه السلام والذين تمثلو فى فرعون ملئه أو علية القوم وفى السحرة وبنى اسرائيل ونخلص بعد هذه الدراسة لنرى دروس الدعوة المستفادة من دعوة موسى عليه السلام لهؤلاء .

وقبل الحديث فى نقاط هذا الفصل نعرف بالمدعويين أولا : -

أولا : التعريف بعلية القوم وهم فرعون وملئه وقارون ويدخل فى هذه العلية علية أخرى وهى علية صالحة كمؤمن آل فرعون وآسة زوج فرعون ، كما أعرض للتعريف بعد ذلك لبنى اسرائيل والسحرة والشبد .

ثانيا : ثم نتناول أسباب دعوتهم وهى قسمان : -

(١) الأسباب المشتركة (٢) الأسباب التى تخص كل صنف منهم

ثالثا : أساليب موسى عليه السلام فى دعوتهم وهى قسمان :

(١) أساليب مشتركة (٢) أساليب تخص كل صنف بما يتمشى مع طبيعته

رابعا : ثم ندرس أخيرا المواقف من دعوتهم وهى مواقف كل طائفة من المدعوين .

خامسا : وأخير انستقى الدروس المستفادة من دعوتهم .

علبة القوم الظالمة :

(أ) التعريف بفرعون :-

فرعون علم جنس لملك مصر فى القديم أى قبل أن يملكها اليونان وهو اسم من لغة القبط قيل أصله فى القبطية (فاراه) ولعل الهاء فيه مبدله عن العين فان (رع) اسم الشمس فمعن (فاراه) نور الشمس لأنهم كانوا يعبدون الشمس فجعلوا ملك مصر بمنزلة نور الشمس لأنه يصلح الناس ...و هذا الاسم مثل كسرى لملك ملوك الفرس القدماء و(قيصر) لملك الروم و(نمرود) لملك كنعان و (النجاشى) لملك الحبش و (تبع) لملك ملوك اليمن و(خان) لملك الترك .

واسم فرعون الذى ارسل اليه منفتاح الثانى أحد ملوك العائلة التاسعة عشر من العائلات التى ملكت مصر على ترتيب المؤرخين من الفرنج وذلك عام (١٤٩١) قبل ميلاد المسيح (١) .

ومن هذا فلفظ فرعون يدل على حاكم البلد الأعلى واسمه وهو لقب لكل من حكم مصر منذ الفترة التى تلت حكم الهكسوس .

والناظر فى الايات الكريمات بشأن فرعون الذى أرسل اليه موسى وعاصره حتى أغرقه الله عز وجل يجد أنه واحد لااثنان .

وهذا يتمشى مع مايقوله المفسرون وأصحاب التواريخ عندما يعرفقون فرعون لموسى ، وان كان هناك اختلاف فيما ذهبو اليه من مسميات هذا الحاكم لكنهم يشيرون الى أنه شخص واحد .

قال صاحب الفتوحات الالهية " وفرعون اسم ملك العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح ككسرى وقيصر لملكى الفرس والروم وهو الوليد بن مصعب بن ريان كما عليه أكثر المفسرين وهو الأشهر .(٢)

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩: ٣٥) .

(٢) الفتوحات الالهية ، الجمل ، (١ : ٥١) .

وأما الذين يعتمدون على الاثار فانهم يقولون أنهم اثنان أحدهما اضطهده والثانى طارده ، ويعتبرون أن موسى عاصر الاثنين فأول رمسيس الثانى والثانى منفتاح ولهؤلاء أدلة مادية يستانس بها- والعلم عند الله عز وجل (١) .

ولنا فى القرآن أننا نجد أنه خاطب فرعونا واحدا فى كل اطوار معاصرته لموسى منذ ولادته حتى غرقه فى البحر قال تعالى " ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا ...... " الايات (٢)

وقال تعالى " ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين " الايات (٣) ، والقرآن الكريم يعرفنا به ونلمس منه آن فرعون موسى كان حاكما فاسدا غاية الفساد حكم الناس بالقوة وفرق شمل الأمة أحزابا متناحرة ومتنافرة وادعى الالوهية وعاند وصال حتى أخذه الله نكال الآخرة والأولى .

قال تعالى فى شأن هذا الفرعون :-

(١) " ان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين " (٤) .

(٢) قال تعالى حكاية عن دعواه الألوهية " يا أيها الملأ ماعلمت لكم من اله غيرى " (٥) .

(٣) وقال تعالى عن طغيانه " فكذب وعصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الأعلى " (٦) .

---

(١) أنظر : المقصود بالأسماء فى القرآن ، عند الحديث ، فى الباب الثانى من مبحث من هو الخضر ؟

(٢) القصص الايات (٥ ، ٦) .

(٣) الشعراء آيه (١٨) .

(٤) يونس آيه (٨٣) .

(٥) القصص آيه (٣٨) .

(٦) النازعات الايات (٢١ : ٢٤) .

(٢) التعريف بالملأ الذين كانوا حول فرعون :-

الملأ فى اللغة : -

قال فى لسان العرب " ملأ يملؤ ملاءه ، فهو ملىء : صار مليئا أى ثقة والملأ مهموز مقصور : الجماعة وقيل : أشراف القوم على وجوههم ورؤسائهم ومقدوميهم الذى يرجع الى قولهم (١).

وفى تعريف القرآن الكريم هم علية الأقوام كالأحبار والأكابر المترفين ومنهم الصالحون وهم قليل وأكثرهم الصادون عن دعوة الرسل .

وملأ فرعون من خلال القرآن الكريم نجدهم أنهم " هم أشراف القوم وعليته وهم أصحاب النفوذ والمصالح فى دولة فرعون والبطانة المحيطة به وأهل مشورته ومعونته فى حكمه وهم زمرة المنتفعين أيضا من فساد حكم فرعون وظلمه ، وهم الذين كانوا يشيرون على فرعون بما يفعل مع موسى عليه السلام ويدبرون له المكيدة ويقومون على تنفيذها أيضا وقد شملتهم رسالة موسى عليه السلام فاستكبروا وعتوا عن أمر ربهم وعادوا موسى وكادوا له الا واحدا منهم هو مؤمن آل فرعون " (٢) وأعلم أن رأس الملأ هو فرعون الذى سبق وأن عرفنا به ، وهذا الوصف ينطبق على ملأ فرعون الذين ساندوه فى باطله وتحدوا معه لدعوة موسى عليه السلام والقرآن الكريم تعرض بالذكر لبعض ملئه وهم قسمان : -

(١) القسم الأول : قسم ينطبق عليه وصف الملأ السابق الغالب مثل هامان وقارون .

(٢) القسم الثانى : وهم قسم استجاب للدعوة مثل مؤمن آل فرعون وامرأة فرعون .

---

(١) لسان العرب مادة ملأ .

(٢) العبرة من قصة موسى ، محمد خيرى عدوى ص (٢٠٢) .

وهنا نقطتان تتعلان بالملأ : –

الأولى : هل فى قوم موسى ملأ وماكان دورهم فى ملأ فرعون ؟

الثانية : هل آل فرعون يمكن أن يعتبروا من ملأ فرعون ؟

قال تعالى " فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملائهم أن يفتنهم وان فرعون لعال فى الأرض وانه لمن المسرفين " (١) فهم البعض من ملئهم أى ملأ قوم فرعون وملأ بنى اسرائيل واستبعد ابن كثير هذا (٢) وقال " لم يكن في بنى اسرائيل من يخاف منه أن يفتن عن الايمان سوى قارون فانه كان من قوم موسى فبغى عليهم لكنه كان طاويا الى فرعون متصلا به متعلقا بحباله " ويستدل ابن كثير على أن بنى اسرائيل كانوا مؤمنين بقوله تعالى " وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا " (٣) .

ولهذا قال فى شان التعبير فى الآيه " فما آمن لموسى الا ذرية من قومه " أى قوم فرعون وهم الشباب وهو قول ابن عباس وأما بنو اسرائيل فآمنوا كلهم بدليل الآيه بعدها ، أى يعنى الايه " وقال موسى لقومه ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ....(٤) " الآيه .

---

(١) يونس آيه (٨٣) .

(٢) تفسير ابن كثير (٢: ٤٢٧/٤٢٨) .

(٣) يونس آيه (٨٣) .

(٤) يونس آية ٨٣ .

وعليه فإن الملأ واحد وهم آل فرعون ، وجاء ذكر الملأ بعد خروج موسى من مصر قال تعالى " ألم تر إلى الملأ من بنى إسرائيل من بعد موسى ..." (١) ولامانع اعتبار الذرية من بنى اسرائيل فيكونوا قبلوا الدعوة دون آبائهم وإن كانوا مؤمنين بالله واحد هو رب اسرائيل ولم يتخذوا فرعون اله وقارون كان من ملأ فرعون الطاغى وإن كان من قوم موسى وأما الآل : فهم خاصته وأتباعه ويطلق عادة على أولى الخطر والشأن من الناس فلا يقال آل الحجام أو الإسكاف (٢) وجعلت النجاة منهم فى الآية الكريمة " وإذ نجيناكم من آل فرعون "(٣)

ولم تجعل من فرعون مع أنه الأمر بالتنبيه على أن حاشيته وبطانته عونا له فى اذاقتهم سوء العذاب " (٤) ، واذا عرفت أن الملأ هم علية القوم فلا يمنع من أن يكون الآل من الملأ خصوصا وقد شاركوا فى تعذيب بنى اسرائيل وذكرهم الله عز وجل بالمؤاخذة والعذاب وتعدد ذكرهم ، قال الطبرى " آل فرعون هم أهل دينه وقومه وأتباعه " (٥)

وقال صاحب المنار (٦) "أطلقت فى موضع لاتحتمل غيرهم ، أهل بيته خاصة ؛ وفى مواضع معنى ملئه وخاصة أتباعه أو جملتهم .... وهم أشراف قومه ورجال دولته ، وبهذا تعرف بأن المقصود بآل لايمنع أن يكون هم الملأ .

(٢) هـامان :

هامان وزيره المقرب الذى شاركه فى الكفر والعناد ويبدوا أنه

---

(١) البقرة آية (٢٤٦) (٢) تفسير الطبرى (١ : ٢٧٠) .

(٣) البقرة آيه (٤٩) .

(٤) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة د.محمد سيد طنطاوى ص (٣٤٦-٣٤٧) .

(٥) الطبرى : (١ : ٢٧٠) .

(٦) تفسير المنار محمد رشيد رضا (٩ : ٨٦ : ٨٧) .

أكثر أتباعه اطمئنانا اليه وقد شاركه مشاركة فعالة فى كل ماكان يقوم به فرعون ويروجه على شعبه ولا أدل على فعالية وقوة سيطرة هذا الوزير ماطلب منه فرعون من مطلب سخيف من بناء صرح له يطلع الى اله موسى قال تعالى حكاية عن طلب فرعون السخيف من هذا الوزير الأسخف " وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا " (١).

قال الرازى فى تفسيره " قال اليهود أطبق الباحثون عن تواريخ بنى اسرائيل وفرعون أن هامان ماكان موجودا البتة فى زمن موسى وفرعون وانما جاء بعدهما بزمان مديد ودهر داهر وأما القول بان هامان كان موجودا فى زمان فرعون خطأ فى التاريخ وليس لقائل أن يقول بان وجود شخص يسمى هامان بعد زمان فرعون لايمنع من وجود شخص آخر يسمى بهذا الاسم فى زمانه وقالوا لأن هذا الشخص المسمى بهامان الذى كان موجودا فى زمان فرعون ماكان شخصا خسيسا فى حضرة فرعون بل كان الوزير له . ومثل هذا الشخص لايكون مجهول الوصف والحلية فلو كان موجودا لعرف حاله وحيث أطبق الباحثون عن أحوال فرعون وموسى أن الشخص المسمى بهامان ماكان موجودا فى زمان فرعون وانما جاء بعده بادوار علم أنه غلط فى التواريخ قالو نظير هذا لو أنا نعرف فى دين الاسلام أن أبى حنيفة انما جاء بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلو أن قائلا ادعى أن أبا حنيفة كان موجودا فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم وزعم أنه شخص آخر سوى الاول وهو أيضا يسمى بابى حنيفة فان أصحاب التواريخ يعدون خطئه فكذا هنا .... اجاب الرازى فقال " ان تواريخ موسى وفرعون قد طال العهد عليها واضطربت الأدوار والأحوال فلم يبق على كلام أهل التواريخ اعتماد فى هذا الباب فكان الأخذ بقول الله أولى بخلاف حال رسولنا مع أبى حنيفة فان هذه التواريخ قريبة

---

(١) القصص : آيه ٧٦ .

غير متطربة بل هى مضبوطة فظهر الفرق بين البابين " (١)

(٣) قـــــــارون :-

هو مـن قـوم مـوسى عليه السلام كما قال تعالى " ان قارون كان من قوم موسى" (٢) والايه الصريحة فى أنه كان معاصرا لموسى قوله تعالى .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى (١٧ : ٢٦٧) .

(٢) القصص آيه (٧٦)

قلت ولايستفاد من هذه الايه أنه كان من قوم موسى أى من عاصر موسى بـل يـحتمل ذلك أو أنه جاء من بعده ومما يدل على ذلك قوله تعالى ومـن قـوم مـوسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون " الاعراف آيه (١٥٩) قـال بـعض الـمفسرين المراد بهؤلاء من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام وغيره والايه ليست صريحة فى ذلك .

والمتتبع للايات القرآنية فى أخبار أهل الكتاب يجدها ثلاثة أنواع

(١) بـعضها تـفيد من أدراك زمن النبى صلى الله عليه وسلم " الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون " القصص آيه ٥٢ .

(٢) مـاكـن صريـحا فى زمـن موسى عليه السلام الى عهد البعثة "كالايه التـى مـعنا" "ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق " الاعراف آيه (١٥٩) .

(٣) المـحتمل للـقسمين يحتمل المراد بهم فى زمن موسى أو من بعده " مـن أهل الكـتـاب أمـة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يـسـجدون " آل عمـران آيـه (٥٧) .دعوة الرسل أحمـد العدوى ص (٢٠٩) بـاختـصار . قـلـت ومـن هذا فان الايه أن قارون كان من قوم مـوسى فبـغـى علـيـهم " يحتمل أنه من قوم موسى أو من بعده اذ لايعرف زمـن ظهور قـارون بعده لكن آية غافر حددت أنه فى زمن موسى وقال بـعض المفسرين أنه ابن عم له كما سترى وكما جاء عن ابن عباس فـيـمـا رواه ابـن أبى حاتم باسناد صحيح كما أورده صاحب الفتح (٦:٤٤٨) .

"ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون"(١) وروى ابن أبى حاتم (٢) باسناد صحيح عن ابن عباس انه ابن عم موسى والقرآن الكريم يبين أنه كان مثال التكبر والتجبر ورمز الطغيان بالمال على أصحابه " .

وقارون اسم معرب أصله فى العبرانية قورح بضم القاف مشبع وفتح الراء ، وقع فى العربية بعض حروفه للتخفيف وأجرى وزنه على متعارف الأوزان العربية مثل طالوت وجالوت فليست حروف اشتقاق من مادة قرن ،و(قورح) هذا ابن عم موسى عليه السلام (دينار) فهو قورح بن يصهار ابن قاهت بن لادى بن يعقوب وموسى هو ابن عمرم المسمى عمران فى العربية ابن قاهت يصاهر أخا عمرم ، وذكر المفسرون أن فرعون جعل قورح رئيسا على بنى اسرائيل فى مصر وأنه جمع ثروة عظيمة وماحكاه القرآن يبين سببه نشوء الحسد فى نفسه لموسى لأن موسى لما جاء بالرسالة وخرج بنو اسرائيل زال تأمر قارون على قومه فحقد على موسى ، وقد أكثر القصص من وصف بذخ قارون وعظمته ماليس فى القرآن ، وماليهم به من برهان وتلقفه المفسرون حاشا ابن عطية "(٣)

التعريف بملأ فرعون الصالح : التعريف بمؤمن آل فرعون :

اسمه :

قال القرطبى(٤) رحمه الله " وذكر بعض المفسرين أن اسم هذا الرجل حبيب وقيل شمعان بالشين المعجمة ، قال السهيلى وهو أصح ماقيل فيه

---

(١) غافر آيه ٢٣ - ٢٤ .

(٢) فتح البارى ابن حجر العسقلانى للامام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار المعرفة بيروت - لبنان (٦ : ٤٤٨) .

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٠ : ١٧٥) .

(٤) تفسير القرطبى الجامع لأحكام القرآن لأبى عبدالله محمد الأنصارى القرطبى ."(٢) سنة ١٣٧٢ هـ مصححه أحمد عبدالعليم البردونى .(١٥: ٣٠٦)

ثم قال وفى تاريخ الطبرى (١) رحمه الله " اسمه خبرك وقيل حرقيل ذكره الثعلبى عن ابن عباس وأكثر العلماء " .

وقال الزمخشرى(٢) واسمه سمعان أو حبيب ، واختلف هل كان اسرائيليا أو قبطيا ؟ فقال الحسن وغيره :كان قبطيا ويقال أنه كان ابن عم فرعون قال: وهو الذى نجى مع موسى عليه السلام ولهذا قال " من آل فرعون ...." وهذا الرجل هو المراد بقوله تعالى " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى " وقال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى فقال " ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك (٣) .

وقال الألوسى : وقيل كان غريبا ليس من الفئتين ووصفه بذلك باعتبار دخوله فى زمرتهم واظهار أنه على دينهم وملتهم (٤) ،والمراد أنه أختلف فى اسمه وفى نسبه وقال سيد قطب رحمه الله عن التحقيق التاريخى للأشخاص " لأن الاشارة القرآنية تعنى حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص والأشخاص مجرد أمثلة " (٥)

وأما نسبه فالأقرب عندى أنه قبطى لما ذكره الطبرى والقرطبى والرازى رحمهم الله واليك بيان بذلك :-

(١) قال الطبرى " ان الرجل المؤمن كان من آل فرعون لأنه قد أصغى لكلامه واستمع منه ماقاله ، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله

---

(١) أنظر تاريخ الطبرى ، تاريخ الأمم والملوك لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى . دار الكتب العلمية بيروت (١:٢٤٢) .

(٢) أنظر تفسير الزمخشرى المسمى بالكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، أبى قاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى ، مكتبة المعارف الرياض (٣:٣٦٨).

(٣) تفسير القرطبى (٥ : ٣٠٦) .

(٤) تفسير الألوسى (٢٤:٦٣).

(٥) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٦:٣٦٢).

وقيله ماقال ، وقال له : ما أراكم الا ما أرى ، وما أهديكم الا سبيل الرشاد ، ولو كان اسرائيليا لكان حريا أن يعالج هذا القائل له ولملئه ماقال بالعقوبه على قوله لأنه لم يكن يستنصح بنى اسرائيل لاعتداءه اياهم أعداء له ، فكيف بقوله عن قتل موسى له لوجد اليه سبيلا ولكنه لما كان من ملأ قومه استمع قوله وكف عما كان هم به فى موسى " (١) .

(٢) وقال القرطبى رحمه الله : عند قوله تعالى "ياقوم لكم الملك اليوم " (٢) الايه وفى قوله "ياقوم" دليل على أنه قبطى ولذلك أضافهم الى نفسه فقال "ياقوم" ليكونوا أقرب الى قبول وعظه " .(٣)

(٤) وقال الرازى رحمه الله " قيل أنه ابن عم له ، وقيل كان قبطيا من آل فرعون وماكان بعد أقاربه وقيل أنه كان من بنى اسرائيل ثم قال والقول الأول أقرب " يعنى ابن عم له " لأن لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة قال تعالى " الا آل لوط نجيناهم بسحر "(٤)(٥) ولنا أنه عن القرآن الكريم قد ورد مرة واحدة بوصفه بالايمان وقد دافع عن موسى عليه السلام والقى خطبته التى حوت التذكير بالله واليوم الاخر وفى التعريف به لابد من ايضاح دوره فى الدعوة من خلال تلك الخطبة العظيمة من دروس فى الدعوة والعقيدة وغيرها كما سياتى ان شاء الله فى موضعه فى موقف المدعويين من دعوة موسى عليه الصلاة والسلام فى هذه القصة

---

(١) تفسير الطبرى (٢٤:٥٨) .

(٢) غافر آيه ٢٩ .

(٣) تفسير القرطبى (١٥:٣٠٠).

(٤) القمر : آيه(٣٤) .

(٥) تفسير الرازى (١٤ : ٥٨) .

(٢) التعريف بامرأة فرعون :

ان امرأة فرعون قد نص فى اسمها وأنها آسية (١) واختلف فى اسم أبيها ونسبها وهل هى من بنى اسرائيل أوغير ذلك .

" والراجح أنها من غيرهم لأن الفراعنة كانوا يضطهدون بنى اسرائيل فضلا عن الزواج منهم " (٢) .

واذا كان هناك اختلاف فى نسبها واختلاف فى فرعون موسى هل هو واحد أو اثنان ؟ لكن لانذهب بعيدا لنتساءل ماذا كانت هى امرأة فرعون أم أنه أم أحد الفراعنة ؟ وهو اخناتون الذى سبق ظهور فرعون موسى بفترة كبيرة .

وقد أشار الى هذا سيد قطب رحمه الله وبين السبب فى ذلك فقال رحمه الله " ولعلها كانت آسيوية من بقايا المؤمنين بدين سماوى قبل موسى وقد ورد فى التاريخ أن " أم امنتحوتب الرابع " الذى وحد الآلهة فى مصر ورمز للاله الواحد بقرص الشمس وسمى نفسه " اخناتون " كانت آسيوية على دين غير دين المصريين والله أعلم اذا كانت هى فى هذه السورة أم أنها امرأة فرعون موسى .

وهو غير أمنحوتب هذا ثم يقول " ولايعنينا هنا التحقيق التاريخى لشخص امرأة فرعون فالاشارة القرآنية تعنى حقيقة دائمة مستقلة عن الأشخاص ، والأشخاص مجرد أمثلة (٣) ." وقبل أن نجيب ، هل آسية امرأة فرعون موسى أو فرعون غيره أو أما لأحد الفراعنة ؟

---

(١) أنظر صحيح البخارى ، كتاب أحاديث الأنبياء باب قوله تعالى " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون" الى قوله " وكانت من القانتين " ونص الحديث فى هذا الباب " لم يكمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا آسية امرأة فرعون ومريم ابنت عمران وأن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " .

(٢) العبرة من قصة موسى فى القرآن الكريم محمد خيرى عدوى ص (٢٠٧)

(٣) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٦:٣٦٢١) .

لابد من الاشارة الى ماذكرناه من قبل الى أن القرآن يخاطبنا عن فرعون واحد ولم ترد اشارة واحدة تحكى أنهما اثنان بل كما مر بنا فى التعريف بفرعون أنه واحد .

ولنا أن هذه الاشارة التى أوردها سيد قطب :

أولا : أنه أوردها بصيغة التضعيف " ولعلها ....

ثانيا : أن " أمنتحوتب الرابع " المعروف" باخناتون " قد خلط بين الوثنية والتوحيد وهذا لايعقل من ابن امرأة أشاد القرآن بها اشادة عظيمة ، وكما ستعرف أن من أسباب فعلته هذه كانت لظروف سياسية على الوجه الاغلب ، أراد البقاء على سلطة الكهنة فلو كان ابنا لتلك المرأة المؤمنة التى بنى الله لها قصرا فى الجنة لسار بالتوحيد وقضى على سلطة الكهنة لله وحده عز وجل .

ثالثا : ولعل سيد قطب ذهب الى ذلك نظرا لما أحدثه اخناتون من دعوة [illegible] أنها دعوة الى التوحيد أو تأثرا به والواقع غير ذلك اذ أنها وثنية مزجت بشىء من التوحيد فى صورة بشرية لسبب سياسى ، ومن ثم فان هذه الاشارة بعيدة فى أن تكون امرأة فرعون هذه هى التى تبنت موسى وكان سببا لهدايتها وامتحانها من قبل فرعون ومفارقتها له .

ثم أن القرآن أوضح أنه امرأة فرعون ولم يقل أنها أم فرعون وهو دليل واضح انها لم تكن ام اخناتون اضافة الى ان الوقت كبير بين ظهور موسى واخناتون .

ويبدو انها امرأة فرعون " منفتاح " غالبا والذى يهمنا فى التعريف بهذه المرأة ما ذكره القرآن عنها من البراءة من فرعون وعمله والولاء لله عز وجل ولرسوله موسى عليه السلام كما ستعرف فى موقفها من الدعوة

التعريف بالسحرة :

لكى نعرف السحرة لابد من الوقوف على معنى السحر فى اللغة والاصطلاح :-

السحر فى اللغة:(١)

(١) بضم أوله أو ضمه وسكون الثانى هو الرئة يقال: كل ذى سحر يتنفس ويتطلب الغذاء ، ثم قد يطلق على الغذاء نفسه وعلى آخر الليل لأنه تنفس الصبح وكل هذا فيه معنى الخفاء ، فان الرئة خفية فى ذات الحيوان والنفس ألطف شيء منه والغذاء تخفى مجاريه فى البدن وتدق تاثيره .

(٢) يطلق السحر بمعنى التعليل والتلهية " وما أنت الا من المسحرين " فسر بالمعللين (٢).

(٣) يطلق بمعنى الخداع تقول سحرت الصبى اذا خدعته وبمعنى الصرف والاستمالة ومنه " إن من البيان لسحرا " (٣) بمعنى ان البيان يصرف القلوب والسامعين اليه .

وفى الاصطلاح :

(١) عرفه ابن العربى فقال " حقيقته أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب فيه المقادير والكائنات " (٤) .

---

(١) الشرك ومظاهره للمحلى ص (٨٥) و أنظر لسان العرب مادة سحر والمفردات للراغب الأصفهانى ص (٢٢٦) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣:١٣٨).

(٢) الشعراء آيه (١٨٥) .

(٣) صحيح البخارى كتاب السحر ، باب من البيان سحرا .

(٤) احكام القرآن لأبى بكر محمد بن عبدالله المعروف ابن العربى ط. عيسى البابى الحلبى وشركاه .ت. على محمد البجاوى (١:٣١).

(٢) وعرفه صاحب المنار فقال " كل أمر خفى سببه وتخيل على غير حقيقته وجرى مجرى التمويه والخداع " (١)

ولايمنع مع ماسبق أن يكون للسحر حقيقة فى الواقع من حيث تاثيره على المسحور خلافا لما يقوله المعتزلة من أن السحر لاحقيقة له فى الواقع ولكن يستحيل به قلب الأعيان (٢) واحالة الطبائع والا صاهو الأنبياء فى معجزاتهم مع بيان الفرق أن المعجزة مبنية على الحق وعلى التحدى بخلاف السحر .

واذا عرفنا السحر فتلقى ضوءا على دور السحرة فى حياة الناس فى تلك القرون ودورهم فى دولة فرعون وماذا كانوا يقومون به من أعمال .

تعتبر طبقة السحرة بما يمكن وصفها اليوم أنها فى عداد الخبراء والمثقفين بشكل عام .

يقول صاحب المنار (٣) وقد كان المصريون يطلقون لقب الساحر على العالم كما يؤخذ من قوله تعالى " وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك " (٤) . وقال ابن عاشور رحمه الله فى تفسيره التحرير والتنوير " وقد صار عند الكلدان والمصريين خاصية فى يد الكهنة وهم يومئذ أهل العلم من القوم الذين يجمعون فى ذواتهم الرئاسة الدينية والعلمية فاتخذوا قواعد العلوم الرياضية والفلسفة والأخلاقية لتسخير العامة اليهم واخضاعهم بما يظهرونه من القدرة على علاج الأمراض والاطلاع على

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا (٩:٤٩) .

(٢) المقصود بقلب الأعيان : الأمور التى ليست فى مقدور البشر لأنه لو قدر للساحر على هذا القدر أن يرد بنفسه الى الشباب بعد الهرم وأن يمنع نفسه من الموت وهذا القول أن الساحر يستطيع أن يقلب الأعيان قول واضح البطلان

(٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا (١:٤) .

(٤) الزخرف آية (٤٩) .

الضمائر بواسطة الفراسة (١) والتأثير بالعين وبالمكائد (٢)

وقد قال أبوبكر الرازى فى الأحكام مبينا كيف خلط السحرة السحر بالنجوم فقال " كان قوم بابل قوما صابئين ، يعبدون الكواكب السبعة ويسمونها الهة ، ويعتقدون أنها الفعالة لكل مافى العالم وعملوا أوثانا على أسمائها ولكل واحد هيكل فيه صنمه يتقرب اليه بما يوافقه بزعمهم من أدعية وبخور.وهم الذين بعث اليهم ابراهيم عليه السلام"(٣) والمقصود أنه كان للسحر منزلة عظيمة فى أرض مصر يعنى به الملوك والأمراء ويكافئون عليه وهذا أمر لم يزل كشف الاثار المصرية يبين عنه كل يوم " (٤) .

يقول الأستاذ محمد قطب " الطغيان الروحى هو من طبيعة الأديان الموضوعة التى تركز على الجانب الروحى وكذلك كان الأمر مع سحرة فرعون وهم كهنته فى ذلك الوقت " فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم " (٥) . وكذلك الأمر مع كهنة الديانات الوضعية القديمة كلها فالكاهن محوط بالأسرار والغموض على أساس أن له صلة خفية بالاله المعبود ، ومن ثم ففيه عنصر اضافى غير بقية البشر العاديين ليتيح له ذلك السلطان المرهوب على القلوب لأنه يملك فى حسهم أن يستنزل رضا الرب وغضبه على السواء وبعد قليل يصبح غضبه - فى حسهم - كأنما هو غضب الرب وكذلك رضاه " (٦) .

---

(١) لايعلم مافى الضمائر الا رب العالمين ويستبعد أن تعرف بالفراسة المشار اليها .

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (١:٦٣٢) .

(٣) أحكام القرآن لأبى بكر أحمد بن على الرازى الجصاص ، دار الكتاب العربى بيروت (١:٤٣) . ا

(٤) قصص الأنبياء عبدالوهاب النجار ص (١٨٨) .

(٥) الأعراف آيه ١١٦ .

(٦) مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب دار الشروق ط اولى سنة١٤٠٣ هـ ص ٣٠

ويقول النجار في قصص الأنبياء " أن الكهنة كانوا كل شيء لكل شيء وأنهم كانوا الأطباء ومعلمي الحساب والهيئة و... والتاريخ والصيدلة والفلسفة ومعلمي القراءة والكتابة وفي أيديهم وحدهم كل علوم الثقافة (١) .

ومن هذا يتبين لنا أن هذه الفئة لها دور كبير في السيطرة الروحية على العباد ولها سيطرة وإدارة في أمور التثقيف الذي كانوا يقومون بتدريسه للناس ، وأنها يبدوا لاتجمع بين السلطة الروحية والمدنية بل تتمثل سلطتها الروحية فيما يتصل بأمر التثقيف وهي ترضخ للحاكم وتتقرب إليه بما يحب والطبقة المحترفة منها تستجدي النفع لنفسها بالأجر دون القرب من السلطة التي وعدهم فرعون زعما منه أنهم من المقربين إن كانوا هم الغالبون وإلا فإنهم في الحقيقة مادة ترويج للجماهير ولهذا قالوا " لعلنا نتبع السحرة " (٢) حملا لهم على الانضمام والسعد لاعلى حقيقة الاتباع لهم فإن وضعهم يخص أنهم جمهور في صورة تدل على عدم احترامهم والاكتراث بهم فهم في أزمة احتيج إليهم ثم إذا نجحوا رموهم رمي النفايات .

والمقصود أن هذه الطبقة كان لها شأن في أمور التثقيف للناس وفي السيطرة الروحية عليهم ولهم صناعة تتعلق بأمور الشعوذة والسيطرة على عقول العامة بما يستطيعوا أن يقوموا به من أعمال خارقة للعادة وقد احتيج إليهم الآن وأحضر الكثير منهم " لأن ملأ فرعون علموا أن أمر دعوة موسى لايكاد يخفى وأن فرعون إن سجنه أو عانده ، وتحقق الناس أن حجة موسى غلبت ، فصار ذلك ذريعة للشك في دين فرعون فرأوا أن يلاينوا موسى وطمعوا أن يوجد في سحرة مصر من يدافع آيات موسى فتكون الحجة عليه ظاهرة للناس " (٣) .

---

(١) قصص الأنبياء عبد الوهاب النجار ص (١٦١) .

(٢) الشعراء آية (٤٠).

(٣) التحرير والتنوير ابن عاشور (٩: ١٤٤) .

وخلاصة القول فى دورهم " كانت هذه الطبقة تموج بهم مصر فى شتى المعابد وكان الكهنة هم الذين يزاولون أعمال السحر اذ الوثنيات كلها تقريبا يقترن الدين بالسحر ويزاولون السحر كهنة الديانات وسدنة الالهة " .(١)

<u>القبط :-</u>

القبط فى اللغة : قبط الشيء يقبطه جمعه بيده وخلطه .

وينسبهم المسعودى (٢) الى قبط أحد أولاد مصر بن بيصر وكان لمصر أولاد أربعة قبط ، أشمون ، أتريب ، صا ، وكثر أولاد قبط وصارت النسبة اليهم وهو يطلق على سكان مصر القدماء وقد حكمهم الهكسوس الذين نزل فى عهدهم بنو اسرائيل الى مصر فى زمن يوسف حتى زمن طردهم على يد أحد فراعنتهم تحتمس ، وفرعون مصر فى زمن موسى كان هؤلاء من القبط .

<u>دورهم فى الحياة :-</u>

قال تعالى " وأن يحشر الناس ضحى " (٣) " فاستخف قومه فأطاعوه " (٤)

وقال تعالى " وقيل للناس هل أنتم مجتمعون " (٥) .

ومن خلال هذه الايات وغيرها فان شعب مصر لم يعارضوا فرعون فى نداءاته بل استجابوا لها وساروا حيث سار وكيفما وجههم بل ودخلوا مع فرعون وملئه ضد موسى قال تعالى " قالوا أجئتنا لتلفتنا ..." (٦) الايه

---

(١) مذاهب فكرية : محمد قطب ص (٣٠) .

(٢) مروج الذهب أبو الحسين على بن الحسين على المسعودى . ت . محمد محيى الدين عبدالحميد المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ط.٤ سنة ١٩٦٤ م (١:٣٥٧).

(٣) طه آيه (٥٩) .

(٤) الزخرف آيه (٥٤) .

(٥) الشعراء آيه (٣٩).

(٦) يونس الايه ٧٨ .

ووافقوا فرعون فى رميه لموسى بالسحر مع ماظهر لهم على يديه وأبطل به السحر وهم يعلمون هذه الصناعة ولكن على أسوأ تقدير وقفوا موقف المتفرج أو الناصر لفرعون والظاهر أنهم مروضون على الطاعة والتبعية التى وضعت بخطط خبيثة محكمة مع الطول الذى تعاهد عليهم حتى تسير هذه الشعوب الى المذابح وهى تصفق وتهتف بحياة الجزار التى يسوقها . الى جانب الأساليب التى ضحك بها فرعون وملئه على هذه الشعوب وهم فى غفلة وهم يحضرون الى ميدان المواجهة مع موسى وسيأتى موقفهم من دعوة موسى بما يوضح الكلام عنهم أكثر (١) .

<u>التعريف ببنى اسرائيل :-</u>

<u>معنى اسرائيل فى اللغات :-</u>

<u>(١) اسرائيل فى اللغة العبرية :-</u>

(أ) اسرائيل كلمة عبرانية مركبة من " آسرا " بمعنى عبد أو صفوة ومن "ايل" وهى الله فى العبرانية فيكون الاسم اسرائيل على هذه الدلالة عبد الله " (٢) .

(ب) يسر معناها أو فى أحد وجوهها العبرية معنى " غلب " وآيل " عندهم الله فيكون المعنى غلب الله " (٣) .

<u>(٢) فى لغة الهكسوس :-</u>(٤)

اعتبرها البعض من الكلمات التى كانت متداولة فى أيام الهكسوس على المعنى التالى " ايل " اسم الاله الواحد فى نظرهم وعندما يقال يعقوب آيل فمعناها يحمى الاله يعقوب .

---

(١) أنظر ص (٢٢٥) .

(٢) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة محمد سيد طنطاوى ص (١٨) .

(٣) التراث الاسرائيلى فى العهد القديم وموقف القرآن الكريم منه د.صابر طعيمة دار الجيل . بيروت سنة ١٣٩٩ هـ ص (٣٠) .

(٤) العبرة من قصة موسى محمد خيرى عدوى ص (١٦٨) .

(٣) وفى اللغة العربية :-

اسرائيل اسم قبيل هو مضاف الى ايل قال الأخفش هو يهمز ولا يهمز قال ويقال اسراءين بالنون كما قال جبرين واسماعين وفى معاجم اللغة أنه اسم مضاف الى "ايل ".

الا أن الراغب فى مفرداته (١) : لم يوافقه على هذا الاستعمال لكلمة "ايل" فقال :- وقيل فى جبرائيل وميكائيل أن " ايل " اسم الله تعالى وهذا لا يصح بحسب كلام العرب لأنه كان يقتضى أن يضاف اليه فيجر " ايل " فيقال جبرائيل .

الخلاصة من هذا :

أن اسرائيل اسم شاع بالغلبة على نبى الله يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم جميعا السلام ودلالة هذه التسمية كما هو شائع أيضا وعلى حد ما ذهب اليه الدكتور محمد سيد طنطاوى (٢) أن اسرائيل كلمة عبرانية مركبة من " أسر " بمعنى عبد أو صفوة ومن " أيل " وهو الله فى العبرانية فيكون معنى اسم " اسرائيل " على هذه الدلالة " عبدالله " وعلى هذا فكل من انتسب الى اسرائيل بالجنس أو بالعقيدة فهو " الاسرائيلى " نسبة الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم " (٣) .

---

(١) قال المفردات للراغب الأصفهانى ص (٣١)

قال فى لسان العرب : سرل :سرأل اسرائيل واسرائين اسم ملك ولاندرى ما هو دليله على أنه ملك مع أن أسماء الملائكة توفيقية "

(٢) أنظر الشخصية اليهودية من خلال القرآن" د. صلاح عبدالفتاح الخالدى ص (١٨) (٢) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة محمد سيد طنطاوى ص (١٨) .

(٣) التراث الاسرائيلى د. صابر طعيمة ص (٢٨) .

المبحث الثالث

اسبـــــاب دعوتـــهم

****

(أ) الاسباب المشتركة :-

١- السبب الاول :- التكليف الربانى

٢- والسبب الثانى :- اخراجهم من ظلالات الشرك والوثنية التى كانوا واقعين فيها .

٣- السبب الثالث :- الدعوة الى التوحيد .

٤- السبب الرابع :- الاختيار والابتلاء .

٥- السبب الخامس :- ما اتصل بطباعهم المتفردة فى الانحراف

(ب) الاسباب الخاصة بكل فئة من المدعويين .

١- اسباب دعوة فرعون وملئه الطالح .

٢- اسباب دعوة السحر .

٣- اسباب دعوة بنى اسرائيل .

@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@@

الاسباب المشتركة بين المدعوين الذين توجهت لهم دعوة موسى عليه السلام :-

السبب الاول :- التكليف الربانى :-

السبب الاول هو التكليف الربانى لرسوله موسى عليه الصلاة والسلام لدعوة هؤلاء الناس جميعا باذنه عن وجل وفى الوقت المناسب والصدع بالدعوة . لان كل نبى لا يبدأ دعوته الا بامر الله عن وجل .

ولقد جاءت الايات مبينة هذا التكليف فى دعوة فرعون وملئه ووزرائه وقواده وجنوده ورعاياه وسحرته الذين انتدبهم لمواجهة موسى جاءت فى اكثر من آية " قال تعالى " ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العلمين (١) .

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الاية :- يقول تعالى مخبرا عن عبده ورسوله موسى عليه الصلاة والسلام انه ابتعثه الى فرعون وملئه من الامراء والوزراء والقادة والرعايا من القبط وبنى اسرائيل يدعوهم الى عبادة الله وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ماسواه (٢) والناظر فى آيات التكليف من قبل الله عن وجل لموسى لدعوة اهل مصر جميعا ، يرى ان الدعوة توجهت الى فرعون نفسه اولا كما قال تعالى "اذهب الى فرعون انه طغى (٣) . وقوله تعالى " فقولا له قولا لينا (٤) فكانت اول الامر قاصرة على فرعون نفسه فى مجلسه فلم يكن بمرأى ومسمع من العامة لان الله تعالى قال "اذهب الى فرعون انه طغى " وقال فى موضع آخر الى فرعون وملئه كما اشرت من قبل وانما اشتهرت الدعوة بعد

---

(١) الزخرف : آية ٤٦ .

(٢) تفسير ابن كثير (١٢٩:٤) ط دار احياء الكتب العربية .

(٣) النازعات : آيه ١٧ .

(٤) طه : آية : ٤٤ .

اجتماع السحرة ،فانه لما عجز فرعون عن مواجهة موسى تحدى له بمشوارة ملئه الذين كانوا فى مصر .

وكما جاءت الايات تبين التكليف بامر موسى بدعوة فرعون جاءت تبين التكليف ايضا فى شان دعوة بنى اسرائيل اذ الاهم ان الدعوة متوجهة اليوم ، وليس من الحكمة دعوتهم وهم تحت سيطرة فرعون اذ لا يملكون من امر انفسهم شيئا فاقتضى دعوة فرعون وطلب ارسال بنى اسرائيل«فسال بنى اسرائيل اذ جاءهم (١) .

(٢)السبب الثانى : اخراجهم من ضلالات الشرك والوثنية التى كانوا واقعين فيها :-

اما فرعون فقد وقع هو وقومه فى شرك التعطيل الذى هو اقبح انواع الشرك اذ قال "وما رب العالمين (٢) وقال عن قومه " فاستخف قومه فاطاعوه (٣) الى غير ذلك من امور الاعتقاد المنحرفة عن منهج المرسلين .

واما السحرة فيكفى فى انحرافهم وفى جهالات الشرك وما كانوا يقومون به من امور الشعوذة والسيطرة الروحية بمساعدة الجن او بغيرها ، على عقول الناس ونفوسهم .

---

(١) الاسراء : الاية ١٠١ .

(٢) الشعراء : آية ٢٣ .

(٣) الزخرف : آية ٥٤ .

ويتقرب الناس الى عبادتهم بطاعتهم فى اوامرهم وما يقومون به من ادعائهم لمعرفة الغيب وكل ذلك من امور الشرك والوثنية التى كان السحرة يقومون بها فى اخضاع الناس للفرعون ولانفسهم واما بنو اسرائيل فلم تصل الجهالة الى الاعتقاد فى ان فرعون الاههم .

ولقد جاءت الايات تبين عن بنى اسرائيل وارتكابهم ى وثنيات فرعون وتاثرهم بها " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهه .. الايات(١)

وقال تعالى حكاية عن ضلالهم وارتكاسهم فى الوثنية بما صنعه لهم السامرى" لن نبرح عاكفين حتى يرجع الينا موسى (٢) .

وسياتى مزيد تفصيل عن مظاهر الشرك والوثنية فى فرعون وقومه ومدى تاثر بنى اسرائيل بها .(٣) .

السبب الثالث : الدعوة الى التوحيد :-

دعى موسى فرعون وملئه وقومه وسحرته وبنى اسررائيل الى التوحيد الذى به نجاتهم فى الدنيا والاخرة . قال تعالى " اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (٤) .

---

(١) الاعراف ـ آية ١٣٨ .

(٢) طه : آيات : ١٤ : ١٥ .

(٣) انظر العقيدة ، مظاهر الشركفى فرعون وقومه ومدى تاثر بنى اسرائيل بها .

(٤) طه : آية ١٤ــ ١٥ .

(٤) السبب الرابع : الاختبار والابتلاء :-

اختبر الله عز وجل فرعون وقومه بما اعطاهم من النعم واراد ان يشكروها فكفروا وجحدوا بنعم الله عز وجل ورسالته ورسوله فانتقم الله منهم - وكذا الشان فى بنى اسرائيل ابتلاهم بالنقم والنعم لينظر كيف يعملون فيها وهل يشكرونها ام يكفرونها ؟

وطريق الابتلاء للكافر والمومن حاصل ما دام يعيش فى هذه الدنيا ليرى الله عز وجل كيف يصنع عباده المومنون والكافرون فيما اعطاهم من النعم وفيما انزل عليهم من النقم .

قال تعالى فى شان ابتلاء آل فرعون بالنعم " ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض (١).

وقال تعالى فى شان ابتلاء آل فرعون بالنقم " ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (٢) .

واما الايات فى شان بنى اسرائيل فجاءت الايات تبين ابتلاهم بالسراء والضراء لينظر عز وجل كيف يعملون .

السبب الخامس : ما اتصل بطبيعة هولاء الناس :-

فاما فرعون وملئه فكانت تسيطر عليهم الكبرياء والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة والجهل الذى يخيم على مثل هذه النفوس التى تعشق العلو فى الارض والترف فى الحياة . وكل هذه آفات اذا استاصلت فى النفوس صعب علاجها .

---

(١) الاعراف : آيه ٢٩ .

(٢) انظر نتائج الدعوة فى بنى اسرائيل فى الدنيا .

وبهذا لم تجد دعوة موسى عليه السلام فى نفوسهم اى قبول حتى هلكوا وعاينوا الهلاك جميعا واليك بعض الايات التى تبين طبيعة هؤلاء الصنف من الناس .

وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فاوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين واستكبر هو وجنوده فى الارض وظنوا انهم الينا لا يرجعون فنبذناهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الكاذبين (١) .

اما بنو اسرائيل فلقد كانت طبيعتهم متمرده مستكبره حاقده فاسدة مما يدل على ان موسى ارسل الى اناس يحتاج الى علاجهم الى وقت طويل واليك بعض هذه الشناعات التى تبين طبيعة بنى اسرائيل :-

(١) "واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين " .

(٢) واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا . الاية (٣)

(٣) واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره . . الاية (٤)

وبهذا يتبين لنا ان مهمة موسى كانت شاقة امام هذه الطبائع المتمردة المنحرفة بل من اشق المهمات .

(٣) اما طبيعة عامة الناس ومنهم السحرة فان هؤلاء يصدق عليهم انهم اتباع الرسل دائما من عامة الناس ومن غير الملأ . واذا ذكرنا من قبل ان العامة فى مصر تابعين ومؤيدين بل ومناصرين فان ذلك للغلبة عليهم . اكثر منه للاتباع والمشى الى الهلاك بايديهم ولجهلهم فلم يكونوا كالسحرة عالمين بشان السحر وبما اتى به موسى .

---

(١) القصص : الايات ٣٨ : ٣٩ . (٢) البقرة : آية ٩٣ .
(٣) البقرة : آية ٦١ . (٤) البقرة : ٥٥ .

وهنا نرى ان الذين تابعوا الرسول موسى عليه السلام كثير منهم من بنى اسرائيل المستضعفين والسحرة الذين كانوا بمثابة المثقفين " والخبراء فلما جاءتهم الايات عرفوها دون غيرهم . ولذلك عبروا لما جاءتنا اى انما دونك يافرعون وقومك فاننا نحن اعرف بهذا منك .

فكانت طبيعة قابلة للحق عندما بانت لهم ولم يبالوا بما يحدث لهم . والسحرة فى ذلك العهد مبعدين عن السلطة ولهذا حشروا بصورة مزرية مما يدل على امتهانهم ، وانهم مادة آزمة احتج اليهم ثم اذا هم نجحوا رموهم رمى النفايات .

(ب) الاسباب الخاصة بكل فئة من فئات المجتمع المصرى الذى ارسل فيهم موسى عليه السلام .

&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&

(أ) أسباب دعوة فرعون وملئه الطالح .

(٢) اسباب دعوة السحرة .

(٣) اسباب دعوة بنى اسرائيل .

* * * * * * * * * * * * * * * * *

(١) اسباب دعوة فرعون وملئه الطالح :-

(١) الملأ عقبة فى طريق الدعوة الى الله عز وجل .

الاشراف والسادة هم عقبة الاصلاح فى كل زمان ومكان ، لانه يثقل عليهم ان يكونوا تابعين لغيرهم ، وفى قلوبهم حب الرياسة مما يمنعهم من الاستماع للحق ، الذى يهدم عزهم ولهذا يشق ان يكونوا مروضين للاوامر والنواهى التى تحرم عليهم الاسراف الضار وتوقف شهواتهم عند حدود الحق والاعتدال . ولهذا فان دعوة هؤلاء مهمة ، اذ انهم اذا امنوا بالرسل واتبعوهم زالت العقبات المانعة لعامة الناس من معرفة الحق واتباعه ، ولذلك لما كان العامة لا يملكون سوى اتباع الملأ واصحاب السلطة جعل سبحانه ارسال الرسل كانه خاصة بهم كما قال تعالى " ثم بعثنا من بعدهم موسى باياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١) ويتضح من بيان اسباب دعوة موسى لملأ فرعون وفرعون نفسه ، قال تعالى حكاية عن عدم قبولهم الحق ورميهم موسى عليه السلام وهارون بالداء الذى يعيشونه وهو الاستكبار " وتكونا لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين (٢) .

(٢) الاستكبار والاعتداد بالمال والراى والطغيان :-

قال تعالى حكاية عن استكبارهم " اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى (٣) وقال تعالى عن استكبارهم " ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه باياتنا فاستكبروا (٤) .

---

(١) الاعراف : اية ١٠٣ . (٢) يونس : آية ٧٨ .

(٣) الزخرف : ٥١ . (٤) يونس : آية ٧٥ .

وقال تعالى عن استكبار واعتداد قارون بماله " ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض ان الله لا يحب المفسدين قال انما اوتيته على علم عندى او لم يعلم ان الله قد اهلك من قبلك من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون . فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا . الايات (١)

وقال تعالى حكاية عن استكبار فرعون واعتداءه برأيه وطغيانه " قال فرعون ما اراكم الا ما ارى وما اهديكم الا سبيل الرشاد (٢)

وقال تعالى " وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المفسدين (٣) .

(٣) تعبيدهم الناس لشهواتهم ومصالحهم وادعاء رغبتهم الالوهية والربوبية :-

قال تعالى حكاية عن ادعاء فرعون انه ربهم وانه الههم "

(١) وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت من اله غيرى (٤) .

(٢) وقال تعالى حكاية عن ادعاء فرعون الالوهية وتهديد موسى ان اتخذ اله غيره " لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين (٥) .

---

(١) القصص : الايات ٧٦ : ٨٢ .

(٢) غافر : آية ٣٩ .

(٣) يونس : آية ٨٣ .

(٤) القصص : آية ٣٨ .

(٥) الشعراء : آية ٢٩ .

(٣) وقال تعالى " فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى "(١) .

(٤) الادعاء بالتمسك بما عليه الاباء الاولون وعدم مخالفته :-

---

(١) قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آبائنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض (٢) .

(٢) قال فما بال القرون الاولى (٣) والمعنى فما تقول فى شان اباءنا فانهم كانوا على ما نكون عليه ، فما هو مصيرهم ؟

(٥) العبث واللعب والسفاهه فى بعثرة الاموال واضاعة الثروة التى

يظهر فيه الظلم الاجتماعى بالعبث بالبناء وغيرها :-

---

(١) وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربهم سوط عذاب "(٤)

يقول الاستاذ العقاد وهو يتكلم عن الاسباب والاصناف من الناس التى تصد عن الدعوة وهو فى نفس الوقت يبين الاسباب التى يدعون بسببها " يمنعهم ان يجيبوا الدعوة الى المصلحين غطرسة او سيادة مهددة او مصلحة فى بقاء القديم ومحاربة الجديد ، او ذهن مغلق لا ينفتح للفهم والتذكير ، او مغامسة الشهوات التى يحبب اليه ان يستنيم الى الذى يحبها ويعرض عن الهداية التى تحظرها ، وتقف فى سبيلها أو يتعصب للعقيدة فى ابناء قومه ، سواء فهم المتعصبون لها والقائلون لها على المجاراة والمداراة او حين ينهاهم ان يخرج على المألوف ويتحدى لسخط الساخطين وان يتبين طريق الاستقامة والسداد .

---

(١) النازعات : آية ٢٣ ـ ٢٤ . (٢) يونس : آية ٧٨ .

(٣) طه : آية ٥١ . (٤) الفجر : الايات : ١٠ ـ ١٤ .

او ابتهال فى الشيخوخة يبعد الانسان عن كل تغيير ، ويميل به الى كل تواكل ومتابعة وتقليد او حداثه سن تجعله تابعا لغيره فى الرأى والخليقة وتجعله له شره تحجبه عن التروية والمراجعة ، او ذله مطبوعة تلحقه بمن اذله ويبسط سلطان عليه (١) .

والى جانب هذا يمكن ان نأخذ اسبابا اخرى فى دعوة ملأ فرعون وفرعون نفسه من خطبه مؤمن آل فرعون .

(١) اسباب دعوتهم الى الله عز وجل من خلال المحاورة التى ادارها مؤمن آل فرعون مع فرعون وملئه .

(١) ان هذا الرجل موصوف بالايمان وهؤلاء مشركون فكان لا بد ان يدعو اولا للتوحيد الذى فيه نجاتهم فى الدنيا والاخرة ، فهو السبب الذى حاج بدعوته من اجله وهو الرجوع الى التوحيد ونبذ الشرك .

(٢) الدفاع عن موسى ودعوته بعدما هموا بقتله .

(٣) الشفقة عليهم بحكمه واحد منهم كما ظهر ذلك فى سياق الايات .

(١) " فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا "(٢)

(٢) "انى اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب "(٣) .

(٣) انى اخاف عليكم يوم التناد (٤) .

(٤) يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد (٥)

(٤) التذكير فيما رأوا من الايات على يد موسى حتى يرجعوا الى الحق .

(٥) التذكير بالنعمة التى هم فيها فانها تستحق الشكران لا الكفران " ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين "(٦) .

---

(١) عبقرية الصديق ، عباس محمود العقاد ،ص ١٠٠ - ١٠١ "ط .دار الكتاب العربى - بيروت .

(٢) غافر : آية ٢٩ . (٣) غافر : آية ٣٠ .

(٤) غافر : آية ٣٢ . (٥) غافر : آية ٣٨ .

(٦) غافر : آية ٢٩ .

(٦) ان بأس الله اقرب ما يكون لأصحاب الملك والسلطان فى الارض فانهم احق الناس بان يحذروه ، ولهذا فهو يذكرهم بهذا . واجدر الناس بان يحسوه ويتقوه ، وان يبيتوا منه على وجل فهو يتربص بهم فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار .

(٧) فهو واحد منهم ينظر مصيره معهم وهو اذن ناصح لهم مشفق عليهم ولعل هذا ان يجعلهم ينظرون الى تحذيره باهتمام ، ويأخذونه مأخذ البراءة والاجلال وهو يحاول ان يشعرهم ان بأس الله ان جاء فلا ناصر ولا مجير عليه .

(٨) الطغيان الذى كان يعيشه فرعون ، اذ انه لم ير من موسى والسحرة الحق فلكون واحد من الملأ يخاطبه ففيه تكسير لطغيانه .

(٩) الواجب الذى يدفعه هذا الرجل ان يؤديه ، وهو ان يقف الى جوار الحق الذى يعتقده امام كائنا من كان حتى ولو رأس الطغاة .

التذكير بتاريخ الملوك الذين قبلهم . ليقين منه عن خلود وماذا حل بهم ، وما جاء فى هذه القصة ايضا على لسان قوم موسى عندما دعوا قارون . ومن الاسباب ايضا فى هذه القصة ما جاء على لسان قوم موسى مذكرين قارون ويمكن ان نلخص بعض الاسباب فى دعوة هذه الطبقة ودعوة قوم موسى لقارون .

اسباب دعوة قوم موسى لقارون :-(١)

(١) الاستحقاق للناس بالمال والبغى عليهم بالثراء وغيره والتطاول والاعراض عن النعم بقيم المال .

(٢) بيان المنهج الربانى فى المال بالمراقبة بالقصد والاعتدال ومراعاة الاخرة فيه . وقارون مخالف لهذا المنهج فهو سبب لدعوته الى معرفة الوجه الصحيح .

(٣) بيان عاقبة المال وصاحبه الذى يتصرف فيه على مبتغى هواه .

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥: ٢٧١٠ / ٢٧١١ / ٢٧١٢، ٢٧١٣ / باقتباس

(٤) قيمة المال فى ميزان الله ، ولفت نظره الى من هو اشد منه قوة واكثر جمعا .

اسباب دعوة السحرة :-

بعد ان توجهت دعوة موسى عليه السلام اولا الى فرعون نفسه كما مر معنا فكانت دعوة موسى اول الامر قاصرة على فرعون فى مجلسه فلم يكن بمرأى ومسمع من العامة وانما اشتهرت الدعوة بعد اجتماع السحره .

ان الدعوة توجهت اذا اولا الى فرعون وملئه واخبرهم بالاصول الثلاثة ،الايمان والنبوة والمعاد حول اصول التوحيد الامر الذى وضح فيه ، عدم تبينهم لهذه الامور او تجاهلهم لها وهو الارجح وبأن عجزهم أمام الادلة الواضحة التى تخاطب عقولهم وتبين صدق الرسول سواء ما يتعلق به بما جاء به ،

ولكن " من لم يؤت بصيرة فى معرفة حال الرسول وشاهد الاشباح المجردة والاجسام الممثلة اعتورتهم الشبهه فيمن يأتيه الوحى من الله وادعى السفارة بينه وبين الله عز وجل كما قال تعالى " وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة واترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون منه (١).. (٢)

ولكن لما رزق الله موسى عليه الصلاة والسلام شخصيه مهيبة لم يستطيع فرعون اكثر من ان يسمع ويحاور فى حدودالمنطق الذى تقرره النبوة وما لها من تاثير انتقل موسى الى براهين اخرى تتفق مع سيرة دعوة الانبياء لاقوامهم وانارة الطريق امامهم ، انتقل الى ما يمكن ان يحس ويشاهد وترى فيه القدرة الالهية .

---

(١) المؤمنون : آية ٣٣ .

(٢) الاعتقاد ، للراغب الاصفهانى . رسالة ماجستير جامعة ام القرى ١٤١٠هـ .ت الطالب اختر جمال محمد لقمان ، ص ١٣٧ .

وتشاء حكمته ان يختار للانبياء فى براهينهم فتكون بذلك مناسبة لما برع فيه اقوامهم ، فتكون بذلك آخر ما يمكن ان يدعى بها الجاحدين الايات العقلية الحسية واول ما يتضح بها الطريق لاهل الصناعة والحرفة كما يشترك فى ذلك عامة الناس الذين تصبح بينات الرسل المادية كاشفة الحق لهم من خلال ما يرون لموافقة ذلك لمستوياتهم العقلية وعندها يعرف الجميع الحق وتقوم الحجة عليهم ويستجيب من يريد الله نجاته يقول عليه الصلاة والسلام " ما من الانبياء الا اعطى من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى اوتيته وحيا اوحاه الله الى فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة (١) .

يقول الشيخ ابو زهرة "وكانت معجزة كل نبى تقع مناسبة لحال قومه ، فقد كان السحر فاشيا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة ، لكنها تلقف ما صنعوا ولم يقع ذلك بعينه لغيره " (٢) .

ويمكن تلخيص الاسباب فى الامور التالية :-

---

(١) السحرة من كهنة الديانات الوثنية كالوثنية الفرعونية كانت تمكن رقاب الناس باسم الدين للفرعون ، ولاغراضها الحياتية ولذلك كان السحر عملا فاسدا والله لا يصلح عمل المفسدين .

(٢) انتداب السحرة انفسهم فى نصر فرعون للوقوف امام موسى بما صنعوه فاقتضى الامر المواجهه بينهم وبينه قولا وفعلا .

(٣) ابطال سلاح العلم الفاسد الذى يقوم على الباطل ونصرته

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب فضائل القرآن ،(٦ : ٢٢٤) .

(٢) المعجزة الكبرى ، الشيخ محمد ابو زهرة ،ص (٤٠٦ / ٤٠٧) مطبعة دار غريب للطباعة القاهرة .

(٣) اسباب دعوة بنى اسرائيل :-

قال الراغب الاصفهانى رحمه الله فى كتابه الاعتقاد :-

ان اديان الانبياء بعد ابراهيم تجرى من نفوس البشر مجرى الطب للاطباء فى ابدانهم....وهو ضربان : ازالة الامراض بالدواء ، وحفظ الصحة بالغذاء والغذاء يحتاج اليه فى كل حال ، والشرائع كانت قبل الاسلام جرت من نفوس الناس مجرى الدواء ، اما معالجة افراط او معالجة تفريط ، وذلك ان بنى اسرائيل قد حمل منهم الحمية لما لحقهم من جهة القبط ، فانهم كانوا يسومنهم سوء العذاب يذبحون ابناءهم ويستحيون نساءهم فبعث الله موسى عليه السلام لينقذهم من المذلة ويدى فيهم قوة الحمية ، والى ذلك اشار تعالى بقوله " ولقد ارسلنا موسى بآياتنا ان اخرج قومك من الظلمات الى النور " ولذلك اباح لهم الاطعمة الخشنة وحملهم على الاسفار الشاقة وحرم عليهم استيطان البلدان اربعين سنة يتيهون فى الارض ، وقيل لهم اقتلوا انفسكم فروى انهم تقاتلوا حتى قتل منهم سبعون الفا ، فلما شبوا على ذلك وطالت مدتهم وتعدوا اطوارهم فصاروا كما قال تعالى " او كلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون " فاحتيج الى مداواة ذلك الافراط بما يضاده من التفريط ، كمداواة الحرارة المفرطة بما يضادها ، فبذلك يعود حاله الى حد الاعتدال ، كذلك حال الدين (فيهم) لما فسد بالافراط احتيج فى رده الى حد الاعتدال انه يداوى بما يضاده من التفريط فبعث الله تعالى عيسى بشريعه اقتضت خمود شهوتهم وكلال قوتهم فامرهم بالزهد..........(١)

ومن هذا نفهم ، ان مقصد وسبب دعوتهم ما وقع عليهم من ذلة ويبعث فيهم الحمية التى قد ذهبت بذلك الاضطهاد الذى تفنن به فرعون فى

---

(١) الاعتقاد للراغب الاصفهانى ، ص ١٤٧ .

جنسهم ولم يحطموا بعده لدور يؤدونه حتى هلكوا فى التيه (١)
قال الشيخ احمد عدوى رحمه الله :-

---

(٢) ليس من الحكمة ان توجه الدعوة الى قوم لا يملكون من امر انفسهم شيئا انما الحكمة ان توجه الدعوة الى من بيدهم الامر ، وان كان المقصود بالدعوة الشعب الاسرائيلى .(٢)
(٣) تخليصهم من الوثنية التى التى علقت بهم من جراء اقامتهم مع الفراعنة وبعث الهمم ليغرس فى نفوسهم حب التوحيد ، ويجتنب منها عروق الشرك .
(٤) امر الله عز وجل الذى تلقاه موسى عليه السلام بدعوة قومه واخراجهم من الظلمات الى النور .
(٥) رفع الظلم عن بنى اسرائيل حيث لم يسمح لهم بالخروج من ارضه وهذا قال له موسى " ان ارسل معى بنى اسرائيل ولا تعذبهم ٣ .
(٦) امتنان الله عز وجل عليهم بالنجاة من فرعون وجعلهم منهم ائمة يهتدى بهم وقادة الى الخير ومكن لهم فى الارض الى حين ليقوموا بالدور الايمانى المطلوب منهم .
(٧) لبيان ان طريق الهجرة هى الطريق الوحيد عند حدوث الايذاء للمؤمنين وعدم تمكنهم من قيامهم بالدين .
(٨) لبيان سنن الله تعالى فى الاجتماع بان لا يدوم الظلم للظلمة فان الله عز وجل قضى بان الايام دول ، فيجعل السادة عبيدا ويجعل العبيد سادة يوم آخر ، والحاكمين محكومين والمحكومين حكاما كما وقع فى شان القبط وبنى اسرائيل .

---

(١) وينبغى ان نفهم ان الاغلال والاصار التى حملوا مما لم تحمله غيرهم بسبب تمردهم وذنوبهم .(٢) دعوة الرسل ،العدوى ص ( ) .
(٣) طه الاية ٤٧ وفى الشعراء "ان ارسل معى بنى اسرائيل "آية ١٧ وانظر اسباب عدم السماح لهم بخروجهم من ارض مصر .

المبحث الرابع

****

" طرق الدعوة فى قصة موسى عليه السلام واساليبها المختلفة "

(١) الطريق الاول :- الدعوة الى التوحيد واساليبه .

(٢) الطريق الثانى :- دفع الشبهات عن الرسالة والرسول .

(٣) الطريق الثالث :- الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٤) الطريق الرابع :- الدعوة بالترغيب والترهيب .

(٥) الطريق الخامس :- التأييد بالمعجزات .

(٦) الطريق السادس :- طريق الجهاد ومحاربة الاعداء .

(٧) الطريق السابع :- طريق القدرة .

(٨) الطريق الثامن :- طريق الانكار .

(٩) الطريق التاسع :- طريق الحوار .

(١٠) الطريق العاشر: طريق اتخاذ الوزارة والمعاضدة فى الدعوة

QQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQQ

طرق الدعوة فى قصة موسى عليه السلام واساليبها :- (١)

بينت قصة موسى عليه السلام ما يتصل بدعوة موسى عليه السلام لسائر المدعوين من فرعون وقومه او بنى اسرائيل ، ومنهجها واساليبها المختلفة التى جاءت بين ثانيا النصوص او فى الوصايا الربانية الموجهه له فى قيامه بالدعوة وفى اسلوبه وكل ذلك يمكن ان يعد من طرق الدعوة التى جاءت فى هذه القصة سواء على لسان موسى عليه السلام او على لسان مؤمن آل فرعون أو على لسان قومه فى مناصحتهم لقارون وبذلك تعلم اشتراك غير موسى عليه السلام فى الدعوة الى الله عز وجل فى هذه القصة .

فاما المنهج او الطريق الذى سلكه موسى عليه السلام فى الدعوة فيتمثل فى الامور التالية :-

---

(١) الطريقة والمنهج متقاربان فى اللغة والاصطلاح : فالمنهج المبادىء العامة التى تدعوا اليها وبها الرسل لتكون منارات للدعاة فى دعوتهم ، والطريقة هى كل مسلك يسلكه الانسان فى حقل محمودا كان او مذموما ، فالمنهج فى الدعوة فى قصة موسى هى دراسة الطريقة الموضوعية التى عالج بها موسى عليه السلام قومه فى دعوتهم الى الله عز وجل والطريقة فى دعوتهم هى الدراسة الوصفية فى دعوتهم ايضا الى الهيه واما الاسلوب :فهى الصور اللغوية التى ترد على ألسنة الرسل فى دعوتهم من كونها خبرا أو انشاء امرا او نهيا او استفهاما حوارا او قصصا وما الى ذلك مما هو كثير وهو ايضا بمعنى الطريق فنقول اسلوبه فى الدعوة الى كذا الترغيب انظر :(١) ابن جزى ومنهجه فى التفسير ، على محمد الزبيدى .دار القلم ط /١ سنة ١٤٠٧ هـ- (١ : ٣٣٥ / ٣٣٩ : .

الامر الاول :- الدعوة الى التوحيد وتتمثل فى الدعوة اليه فى ثلاثة اساليب :-

لقد كانت دعوة موسى كغيرها من دعوات الانبياء من قبله ، فبعد ما اصطفاه الله عزوجل لحمل رسالته ، لقنه ربه احق التوحيد وافتتح به رسالته وكلفه شخصيا بالقيام به نفسه وفى المتوجه اليهم من فرعون وقومه وبنى اسرائيل .

" وهل اتاك حديث موسى . اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى ، فلما آتاها نودى يا موسى انى انا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى ، وانا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى واقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى (١) .

ولم تات الدعوة فى قصة موسى عليه السلام بالامر بالعبادة على لسانه كما جاء مصرحا به فى دعوة الانبياء . كما قال تعالى " والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله (١) " والله عز وجل امره ان يخرج قومه من الظلمات الى النور ، واخذ الميثاق عليهم أن لا يعبدوا الا الله عز وجل ، وكان له الحظ الاكبر من دعوة قومه الى عبادة الله عز وجل وان لم يات الامر صريحا بعبادة الله عز وجل كما قال ابن عباس عند قوله تعالى " ان اخرج قومك من الظلمات الى النور (٢) اى ادعهم من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الايمان (٣) .

---

(١) طه : آيات : ٩: ١٥ . (٢) هود : آية ٦١ .

(٣) ابراهيم : آية ٥ .

(٣) تفسير الطبرى :١٣: ١٢٣ .

وعندى والعلم لله عز وجل ان القوم الذى دعاهم موسى لا تكفيهم كلمة واحدة تقال لهم بل يحتاجون الى مناظرات وتفهم ولعلنا كما تشير فى توحيد الربوبية ان توحيد الربوبية قد وضح فى قصة موسى بحيث شمل ربوبيته لكل معلوم ومجهول لدى الانسان وقريب وبعيد ، بخلاف آيات التوحيد فى هذا النوع من قبل الانبياء قبله فانها كانت فى دلائل كبرى فى الكون من الخلق والتكوين .

وهذا يعنى ان المواجهه للدعوة قد اختلف عما كان عليه سابقا فجاءت الاساليب لتعيين عبادة الله عز وجل والذى فى مقدمتها التوحيد اذ هو المقصود من قول انبياء الله عز وجل لاقوامهم " ان اعبدوا الله "

اى وحدوه فى العبادة .

(١) الاسلوب الاول فى الدعوة الى التوحيد بالحجة والبرهان :-

وهذه الحجة والبرهان اللذان اعطاهما الله عز وجل موسى واخاه فى اظهار الحق لم يلق معارضة الا ممن من مستكبر او معاند كفرعون وملئه والبرهان والحجة الاولى التى وجهها فرعون وقومه وبنى اسرائيل توجيههم الى ما فى الكون من آيات كونية وما تحوطهم من نعم والدلك بيان ذلك :-

ابان موسى عليه السلام على ان الرب الذى ينبغى ان يعبد هو رب كل شىء وهو الذى له الربوبية الظاهرة فى الايات الكونية المنعم به فى الحقيقة على الانسان لو تفكر فى شانها ، قال تعالى حكاية عن ما جاء فى دعوة موسى لفرعون فى تقرير الربوبية " قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى (١) .

---

(١) طه : الايات ٤٩ : ٥٢ .

وقال تعالى " قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين. قال لمن حوله الاتسمعون . قال ربكم ورب اباءكم الاولين . قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون "(١) .

لقد تناولت هذه الايات فى بيان هذا الاسلوب على النحو التالى :-
لقد عرض موسى عليه السلام التوحيد من خلال مظاهر الكون المخلوق لله عز وجل ومن خلال النعم التى تحيط بفرعون وقومه والتى ينبغى ان لا يصرفوا عبادته لغيره لان هذه المظاهر الكونية لم يخلقوا واحده منها وهذه النعم المسخرة لهم لن يستطيعوا ان يخلقوا منها شيئا(٢) .

يقول الدكتور محمد البهى معلقا على آيات سورة طه " وهنا دار الحوار بين فرعون وموسى عن ربه قال : فما ربكما يا موسى ؟ قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى ... حدده موسى بالصفة التى تختص بها وحده سبحانه وهى صفة الخلق لكل شىء فى الوجود . واعطائه الصورة التى له والتوجيه الذى يخصه فى الخلق ... وما خلقه الله من الانسان على صورته الخاصة به لم يتركه دون ان يهىء به سبل العيش والحياة على هذه الارض فقد مهدها له للاقامة عليها . وانشاها فيها السبل للسير والسعى من اجل الرزق فيها .

---

(١) الشعراء : الايات ٢٣ :٢٨ .

(٢) ولا شك ان بنى اسرائيل ليسو فى درجة المنكرين لوجود الله عز وجل وليسو هم كفرعون وقومه فيما يتصل بالعقيدة , ولفت الانظار الى ما فى الكون من آيات يحتاج اليه الكافر والمومن بالله عز وجل على حد سواء ولكنه فى شان الكافر من الامور التى تعرض عليه حتى يستيقظ فطرته ان كان جاحد او لديه غياهب الشكوك وظلمات المعاصى كما هو الشان فيمن فسدت فطرته .

وربطها بالسماء فانزل منها الامطار لزرعها وحصاد ما نزرع فيها .. (١) .

(٢) ولقد جاء هذا الاسلوب بلفت النظر الى النعم على لسان مؤمن آل فرعون فى خطبته العظيمة فقد اسمع فرعون وملئه ما هم فيه من نعمه الملك ومن الظهور فى الارض بما يدعو الى شكر هذه النعمة واطاعة الله عز وجل .قال تعالى " يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فمن ينصرنا من باس ان جاءنا (٢) لقد ذكرهم بالنعم التى هم فيها ونعمة الملك التى تستحق الشكران لا الكفران وبين ان باس الله اقرب ما يكون لاصحاب الملك والسلطان فى الارض فانهم احق الناس بان يحذروه ولهذا فهو يذكرهم بهذا وعليهم ان كانوا احذر الناس بان يحسوه ويتقوه ، وان يبيتوا منه على وجل فهو يتربص بهم فى كل لحظة من لحظات الليل والنهار خاصة اذا طغوا على عباده فهو المنتقم منهم ولقد جاء هذا الاسلوب على لسان قوم موسى عليه السلام عن قصة موسى عليه السلام فى القرآن الكريم حينما ذكروا قارون بنعم الله عز وجل عليه ، وعليه أن يشكرها ولا تطغيه عن عبادة ربه . قال تعالى " واحسن كما احسن الله اليك "(٣) .

(٤) اما بالنسبة للسحرة فلم تعرض قصة موسى عليه السلام هذا الاسلوب فى دعوتهم ويظهر ان السحرة كانوا بعيدين عما دار بين موسى وفرعون ولهذا لما احضروا الى مواجهة موسى ورأوا الايات التى ليست من قبل السحر آمنوا بها . فهم قد احتج لهم فى ازمة ثم يرمون بعدها رمى النفايات ولهذا حشروا حاشدين بصورة يظهر فيها الاستخفاف بهم . واما

---

(١) تفسير سورة طه . د . محمد البهى . مكتبة وهبه / ط الاولى سنه ١٣٩٧ هـ، ص ١٩ .

(٢) غافر : آية ٢٩ .   (٣) القصص : آية ٧٧ .

شعب مصر فقد سمعوا تذكير موسى لهذه النعم وبالايات فى النفس وفى الافاق ولكنهم كانوا تابعين لفرعون بل استطاع فرعون ان يحول المعركة بينهم وبين موسى وان يجعلها انه يريد ان يدافع عنهم ويحمى عقائدهم فلم تنفع معهم تذكير بالنعم

الاسلوب الثانى :-

فى الدعوة الى توحيد الله سبحانه هو طريق بيان صفات الكمال الثابتة لله وحده . وان ما يعبد من دونه على النقيض من ذلك .

كان الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهم يدعون الى توحيد الله سبحانه يبنون للاقوام حال الهتهم . من الضعف والعجز . وانها لا تملك لنفسها ولغيرها شيئا من ضر او نفع ، وانها لم تتصف باى صفة من الصفات التى يتصف بها الاله الحق ، فكيف يعبد من هذا حاله ؟ وكيف يرجى او يخاف من هذه صفته ؟ وهنا يذكر الرسل فى دعوتهم الى الله سبحانه وتعالى صفات الكمال التى يتصف بها الحق تبارك وتعالى ، الحقيق بالعبادة والتوحيد ، وقد جاء هذا الاسلوب فى دعوة كثير من الرسل عليهم الصلاة والسلام واذا نظرنا الى الايات السابقة من سورة طه او سورة الشعراء نرى موسى عليه السلام كيف عرض صفة الوحدانية ، فقد نطقت الايات فى سورة الشعراء بعموم ربوبيته تعالى لخلقه ويأتى الحوار بين موسى وفرعون ايضا فى سورة طه كاشفا عن معنى الربوبية اذ ان فرعون زعم انه ربا لموسى جهلا او تجاهلا ، لكونه ربى موسى فهو هنا اشتراك فى اللفظ ، الذى اقدر الله عز وجل عبده على فعله وهى كما سياتى فى معنى توحيد الربوبية ، انها بالاشتراك والاقدار الذى هو من قبل الله عز وجل ولهذا بين موسى عليه السلام من هو الرب وما هى صفاته التى تجلت فى قدرته البعيده والقريبة من خلال ما نرى من عرض الايات الكونية البعيدة والقريبة ،ولا ادل فى قصة موسى عليه السلام من عرض صفات الله عز وجل على فرعون وملئه وما حدث لفرعون وملئه امام عصا موسى وبقية المعجزات التى ارسل بها والتى خر لها السحرة ويمكن القول ان موسى عليه الصلاة السلام قد عرض صفات الكمال لله عز وجل من خلال البينات العقلية فيما دار بينه وبين فرعون من حوار وتذكير بشان صفات الله .

وايضا ومن خلال الايات المحسوسة التى عندما لم يستمع فرعون وقومه للايات البينات التى وجههم اليها عليه الصلاة والسلام فى ذلك لفرعون " لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر (١) .
وسياتى التفصيل الواضح حول صفات الله عز وجل فى قصة موسى عليه السلام فى باب العقيدة .

ولما وضحت الايات التى تبين صفات الله عز وجل وقدرته كما جاء فى الايات اراد فرعون ان يغير الامر الى شىء اخر حتى لايستسلم القوم لما عرضه موسى عليه السلام من صفات ربه عز وجل وهنا سال فرعون موسى عن شان آباءه والقرون الاولى التى لم يؤثر عنها زعما منه ما اتى به موسى غير ان موسى عليه السلام لم يخطىء فى الرد على هذا الامر ، بل اجابه بجواب مختصر وهو ما اخبر الله سبحانه عند قوله " قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى (٢) ثم عاد موسى عليه السلام الى الحديث السابق وهو الحديث عن عظمة الخالق سبحانه ، ويلفت النظر الى آياته فى الكون ونعمه التى لا تحصى فان ذلك ادل على المقصود ، اعنى افحام الخصم بذكر دلائل التوحيد المبثوثة فى الانفس وفى الكون كله فقال " الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى (٣) ولما كانت هذه الايات البينات كافية فى الهداية الى الله عز وجل ، والحمل على توحيده وعبادته ختمها بقوله " ان فى ذلك لايات لاولى النهى (٤)

---

(١) طه : آية ٥٢ .

(٢) انظر :

(٣) طه : آية ٥٣ .

(٤) طه : آية ٥٤

(٢) توجيه فرعون وسحرته الى قدرة الله عز وجل وبيان ضعف فرعون

وكيده :-

يقول صاحب كتاب معالم معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم :(١)
تأمل فى قوله تعالى " فتولى فرعون فجمع كيده ثم آتى " وقوله عز وجل
عن السحرة " فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا وقد افلح اليوم من استعلى
" ففرعون جمع كل ساحر فى مدائن مملكته .
وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم " والسحرة ارادوا ان يظهروا بمظهر
اميب فى صدور الرائين منهم لذلك لم يألوا جهدا فى الكيد لموسى
وهارون عليهما السلام ، ومع ذلك فقد اراهم الله سبحانه وتعالى ما
كانوا عليه من الضلال وابطل كيدهم ، وجعل الخزى على الكافرين ،
وافلت الامر من يد فرعون ، وظهر على حقيقته من الضعف والعجز بسبب
عنها امرها سارتها سبحانه ان تنتهم ما القوه عن اسحر ، وقالوا يا
موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى (٢) قال بل القوا فاذا
حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى - فاوجس فى نفسه خيفة
موسى ، قلنا لا تخف انك انت الاعلى ، والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا
انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى ، فالقى السحرة سجدا
قالوا امنا برب هارون وموسى (٣) .
(٢) اما بنو اسرائيل فقد ظهر هذا الاسلوب واضحا عندما وبخهم موسى
عليه السلام فى عبادته من لا ينفع ولا يضر ولا يرجع لهم قولا " اعجلتم
امر ربكم (٤) . الايات

---

(١) معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم ،د. عبد الوهاب الديلمى
دار المجتمع ط الاولى سنة ١٤٠٦ هـ (١ : ٢٨٣) .
(٢) طه : آية ٦٥ .   (٣) طه : الايات ٦٦ : ٧٠ .
(٤) الاعراف : آية ١٥٠ .

وبين لهم بالطريق العملى الله الذى اعتقدوه الها لهم بان احرقه ونسفه والقاه فى اليم بحيث لا يبقى له عين ولا اثر ليبين لهم سخافة عقولهم وسوء تدبير فى عكوفهم على عبادة عجل يضرب به المثل فى البلاهه والغباء ، وتركهم عبادة الله المستحق للطاعة والخضوع ، والذى لا يخفى عليه شىء فى الارض ولا فى السماء " انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شىء علما (١) .

وقد وضح هذا الاسلوب فى بنى اسرائيل من طريق المعجزات التى ظهرت لهم فى حياتهم بما تدل على صفات الله عز وجل المستحق للعبادة مما قامت فى تلك الانواع من الايات والبراهين والحجج عليهم بالطرق المتنوعات ما يزيد المهتدين هداية واعذارا وانذارا للضالين . .

(٣) الاسلوب الثالث :-

فى دعوة موسى عليه السلام الى التوحيد من طرائق الحجج العقلية :-

من اعظم الحجج التى تقام برهانا لاثبات الشئ او نفيه ، الحجج العقلية التى تلزم الخصم بالتسليم بحيث لا يبقى الا عنادا او مكابرة كحال فرعون او عمى بصيره بحيث يصبح العقل لا قيمة له عند صاحبه لانه لا يعمله فيما خلق له ، ولذلك ينعى الله سبحانه وتعالى على الكفار ، انهم لا يعقلون ولا يسمعون ولا يبصرون ، اى لانهم لم يعملوا هذه الحواس فيما خلقت له من ادراك الحقائق ، والتمييز بين الحق والباطل والضار والنافع ، والخير والشر وكان محض التقليد من الحجب التى تحملهم على اهدار العقل وعدم التفكير للتوصل الى الحق وقد يكون الى الحامل على الانحراف عن الحق الحسد ، والكبر ، او نحو ذلك ....(٢)

---

(١) طـه : آية ٩٨ .

(٢) معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم .د. عبد الوهاب الديلمى (١: ٢٩٩ ص

وإذا نظرنا الى الايات من سورة طه وسورة الشعراء السابقة معنا فى هذا المبحث (١) فى التامل فيها ما يفيد الاستدلالات العقلية المختلفة لهداية فرعون انه مربوب وانه لا يملك شيئا وانه عليه ان يعبد رب السموات والارض الذى اوجده من عدم واوجد ما يشاهده من المشارق والمغارب التى تجرى بينهما الشمس والقمر كل يوم ولا يستطيع احد ان يوقفهما او التدخل فى شؤونهما .

واليك بيان ذلك من خلال آيات طه والشعراء وما دار فيهما من حوار فى شان الربوبية ادرك موسى ان فرعون يريد ان ينفى ان له رب سواه فاجابه موسى عليه الصلاة السلام اولا بقوله "ربنا" ليدرك فرعون عقليا ان الرب واحد انه رب موسى وهارون ورب فرعون ورب العالمين ، وفى سورة طه سأل عن صفاته وفى سورة الشعراء سأل (بما) اى عن ماهيته وانما فعل ذلك وهذه اشارة من الفخر الرازى وذلك " انه لما أقام موسى عليه السلام كما فى سورة طه الصفات المتمثلة فى الرب عز وجل بما عيه البيان اخرسه وكان يحاول خلال عرض موسى لصفات الرب عز وجل ان يضع شغبا بسؤاله عن مصير الاباء وعن تاريخ الاقدمين ، او ترك التقليد بهم والخروج عن دينهم وكان موسى عليه الصلاة والسلام يسرد الادله المتواصلة على صفاته وعلى ربوبيته الامر الذى عجز فرعون ان يقف امام هذه الحجة فانتقل اللعين الى السؤال عن الماهيه التى لا يعرفها احدا الا هو عز وجل وهذا الانتقال لم يوقف موسى عليه الصلاة والسلام فى ان يعرض مزيدا من الادلة على ربوبيته وعلى صفاته بل نجد الايات فى الشعراء تحكى عرضا عقليا ، ينتقل فيه من تبين وايضاح الايات من العموميات الى الخصوصيات من دليل التكوين الى التعرف العجيب المشاهد كل يوم مرتين ، الذى يبهت كل معاند كما بهت ابراهيم عليه

---

(١) انظر ص ١٢٣ .

السلام فى استعماله له للنمرود قال تعالى " فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب ".

يقول صاحب تفسير " التنوير والتحرير(١) " عند قوله تعالى " قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون (٢) لما رأى موسى سوء فهمهم وعدم اقتناعهم بالاستدلال على الوحدانية بالتكوين المعتاد ، اذ التبس عليهم الامر المعتاد الذى لا صانع له انتقل موسى الى ما قبل لهم بحجره ولا التباس فيه وهو التصرف المشاهد كل يوم مرتين كما انتقل ابراهيم عليه السلام من الاستدلال على وجود الله بالاحياء والاماتة لما تموه على النمرود حقيقة معنى الاحياء والاماته فانتقل ابراهيم بالاحياء والاماته بطلوع الشمس فيما حكى الله تعالى " والامر ظاهر فى هذا التدبير المستمر على الوجه العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر وفى انتهاء الايات الكريمات بقوله تعالى " ان كنتم تعقلون " وهو ان ماهية الرب لا تدرك وانما الذى يعرفه هو انه عن وجه الذى يعرف بالوصف الخارجى المتصل فى الامور التى ذكرها موسى وفى كل مره يعدل عن امر لينتقل الى امر اخر ، ولهذا انتهت الايات بقوله تعالى " ان كنتم تعقلون " لانه فيه تنبيه لنظرهم العقلى ليعاودا النظر فيدركوا وجه الاستدلال لعلهم يعملون عقولهم " فانه اولا . عرض عليه فى التعريف بخالقيه السموات والارض ثم بكونه خالقا لهم ولاباءهم وذلك لانه لا يمنع ان يعتقد احد ان السموات والارض (٣) واجبه لذاتيا فهى غنية عن الخالق والموثر ولكن لا يمكن ان يعتقد العاقل فى نفسه

---

(١) تفسير التنوير والتحرير ، لابن عاشور (١٩ : ١١٩ ، ١٢٠) بتصرف وتقديم وتاخير .

(٢) الشعراء : آية (١٨) .

(٣) الواجب لذلته او واجب لذاته : اى الذى ليس له الوجود من غيره بل وجوه مقتضى ذاته .

وابيه واجداده ، كونهم واجبين لذواتهم لما ان المشاهد دلت على انهم وجدوا بعد العدم ، ثم عدموا بعد الوجود .

وما كان كذلك استحال يكون واجبا لذاته ، ومالم يكن واجبا لذاته استحال وجوده الا لمؤثر فكان التعريف بهذا الاثر اظهر ولهذا اتهم فرعون موسى بانه مجنون لخروجه عن مدار الاجابة ، ولتقرير حجه فرعون بطريق عقلى انه مربوب وانه انسان من البشر وليس الها كما يدعى او ان الالهه التى يعبد من الشمس وغيرها ايضا هى مربوبة ، فقضى باستدلالها على زعم فرعون وعلى اثبات الحق وان ربهم جميعا هو الله عز وجل الذى ينبغى ان تصرف العبادة له ، لظهور ذلك الامر لذوى العقول والابصار ، ولكن لما لم تكن لهم عقول نيرة كابروا على الحق وتعاموا عنه لعنادهم وظلمهم فانحرفوا عن قول الحق الى التهديد بالسجن والقتل .

٢- واذا رأينا تمثل هذا الاسلوب من دعوة موسى الى التوحيد عن طريق عقلى لا يلبث الخصم الا ان يسلم به ، وقد وضح غاية الوضوح مع فرعون ولكنه كابر ، لنرى ذلك واضحا فى بعض معالم القصة مع بنى اسرائيل قال الله تعالى " الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا (١) " ولقد دل العقل على ان التكلم من اوصاف الكمال وضده من اوصاف النقص وكل كمال فاولى ان يوصف الله به، فاذا ثبت ان الكمال صفة كمال فى المخلوق فالخالق اولى منه (٢) ولهذا وبخ الله عز وجل على لسان موسى من عبد العجل من حيث انه لا يتكلم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا ، فقال " الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا " وفى آية اخرى " افلا يرون الا يرجع اليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا "

---

(١) الاعراف : آية ١٤٨ .

(٢) فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة تحليل ونقد . د . محمد احمد خفاجى ط الاولى سنة ١٣٩٩ هـ مطبعة الامانة (١: ٣٠٤).

٢ - الطريق الثاني : - المدافعة على شبهات المدعوين حول الرسول والرسالة :-

أولا :- دفع سبهات فرعون التى اثارها حول موسى عليه السلام ورسالته .

حاول فرعون التشكيك فى صحه رسالة موسى عليه السلام واختلق لاجل ذلك جملة من الشبهات والافتراءات التى تلقى فى النفوس الضعيفة ريبه وهى دعواهم وزعمهم ان الرسول بشرا الى جانب الشبهات الاخرى التى تتمثل فى رميه موسى بانه كاذب وساخر ومجنون ومفسد فى الارض والبلاد لاخراج الناس من ارضهم الى غير ذلك ولقد رد موسى عليه السلام على هذه الافتراءات والشبهات بما يظهر ببراته من الافتراءات والكذب على الله تعالى بل هو كما كان معروفا منذ ان نشابين ايديهم وخالطهم وخبروا حقيقته وعلموا سلامته من كل ما يرمونه به . والرد على شبهات الاعداء طريقة من طرق الدعوة الى الله عز وجل .ولنذكر اولا الشبهات ثم الرد عليها .

(١) الطعن فى شخصية موسى بكونه بشرا :-

" فقالوا اتؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون "(١)

(٢) الطعن فى الرسالة والرسول :- (الرسالة سحر والرسول ساحر)

---

(١) انها سحر مفترى : وهذه الشبهه صدرت منهم جميعا (٢) انظر الايات التاليات ، من فرعون وملئه واتباعهما من شعب مصر .

---

(١) المؤمنون : آية ٤٥ .

(٢) كما قال تعالى " ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون الى فرعون وملئه باياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ما هذا إلا سحر مبين " يونس " (٧٥ -٦٧) .

قال تعالى حكاية عن طعنهم فى رسالة موسى وانها سحر " فلما جاءهم بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين " (١)

(٢) قالوا اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى الاية (٢)

(٣) وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك مؤمنين "(٣) .

(٤) فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين (٤)

(٥) قالوا ان هذا لسحر مبين (٥) .

(٦) قالوا ان هذا لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى (٦)

وقال على لسان فرعون هذه الشبهه :-

---

(١) انه لكبيركم الذى علمكم السحر (٧) .

(٢) يريد ان يخرجكم من سحره فماذا تامرون (٨)

(٣) الشبهه الثالثة قالوا انه لمجنون :-

قال تعالى حكاية على لسان فرعون فى رميه موسى بالجنون :-

(١) وقال ساحر او مجنون (٩)

(٢) قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون (١٠).

(٤) الشبهه الرابعة :- رميه باخراجهم من ارضهم بمكره :-

قال تعالى حكاية على لسان ملأ فرعون فى اثارة هذه الشبهه من فرعون:-

---

(١) القصص اية (٣٦) — (٢) القصص : آية ٣٦ .

(٣) الاعراف : آية ١٣٢ . — (٤) يونس : آية ٧٦ .

(٥) طه : آية ٥٧ . — (٦) النمل : آية ١٣

(٧) طه : آية ٤٦ . — (٨) الشعراء: آية ٣٥ .

(٩) المؤمنون : آية ٤٠ . — (١٠) الشعراء : آية ٢٧ .

(١) : يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون (١)

(٢) ان هذا لمكر مكرتوه فى المدينة الاية (٢)

وقال تعالى حكاية على لسان ملأ فرعون فى اشارة هذه الشبهه اتباعا لفرعون .

(٣) انذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ..الاية (٣) .

(٥) الشبهه الخامسة :- ان موسى لا يبين وهو مهين :-

قال تعالى حكاية على لسان فرعون فى هذه الشبهه "

" ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين (٤)

(٦) الشبهه السادسة " انه كاذب :-

قال تعالى حكاية على لسان فرعون فى هذه الغريبة " وانى لاظنه من الكاذبين "(٥) .

الى غير ذلك من الشبهة التى اشاروها فى موسى ورسالته وحسبنا هنا نموذجا منها كما صورتها الايات ونتبعها بالقاء الضوء على هذه الشبهات والرد عليها .

(١) الشبهه الاولى ان موسى عليه السلام بشرا فكيف يكون رسولا ؟

" فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون " قال تعالى "ثم ارسلنا موسى واخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ، فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ، فكذبوهما فكانوا من المهلكين .(٦)

---

(١) الشعراء : آية ٣٥ . (٢) الاعراف : آية ١٢٣ .

(٣) الاعراف : آية ١٢٧ . (٤) الزخرف : آية ٥٢ .

(٥) القصص : آية ٣٧ . (٦) المؤمنون : آية ٤٧ .

لم يأت فى القصص القرآنى عن الرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام ما يدل على انهم واجهوا اعدائهم للرد على هذه الشبهه مواجهة مباشرة لقصد دحضها وابطالها الا القليل كالذى حكاه الله تعالى سبحانه فى سورة ابراهيم عن الرسل عليهم الصلاة والسلام فى ردهم على زعم اقوامهم ان الرسول لا يكون بشرا " .

ولعل هذه الاية التى معنا فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام هى الاية الوحيدة التى تحكى هذه الفرية عن ملأ فرعون ولكنها باقرار فرعون فكانها صادرة عنه ، فلنعرض هذه الشبهه ومفهومها وسببها ثم لنرد عليه بما جاء حكاية عن هذا الرد عن الرسل اجمعين ومن ضمنهم موسى عليه الصلاة السلام .

يقول صاحب تفسير التنوير والتحرير (١) حول الاية السابقة فى سورة المؤمنون " فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٢) فاستكبروا اى استكبر فرعون وملؤه عن اتباع موسى وهارون ، فاعرضوا عن سبب استكبارهم عن ذلك بقولهم " انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون " وهذا ليس من قول فرعون ولكنه قول بعض الملأ لبعض . ولما كانوا قد تراضوا عليه نسب اليهم جميعا ، واما فرعون فكان مصغيا لرأيهم ومشورتهم وكان له قول آخر حكى فى قوله تعالى . وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى " فان فرعون كان معدودا فى درجة الالهه لانه وان كان بشرا فى الصورة لكنه اكتسب الالهيه بانه ابن الالهه .

والاستفهام فى (انؤمن) انكارى اى ما كان لنا ان نؤمن بهما وهما مثلنا فى البشرية وليسا باهل لان يكونا ابنين للالهه لانهما جاء

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور (١٨ : ٦٤) .

(٢) المؤمنون : آية ٤٧ .

بتكذيب الهيه الإلهه ، فكان مع فرعون لضلالهم يتطلبون لصحة الرسالة عن الله ان يكون الرسول مباينا للمرسل اليهم فلذلك كانوا يتخيلون الهتهم اجناسا غريبة مثل جسد آدمى ورأس بقرة او رأس طائر أو رأس ابن اوى او جسد اسد وراس آدمى ، ولا يقيمون وزنا لتباين مراتب النفوس والعقول وهى اجدر بظهور التفاوت لانها قرارة الانسانية ، وهذه الشبهه هى سبب ضلال اكثر الامم الذين انكروا رسلهم .

واللام لبشرين لام العلة والاجل . وهو على اعتبار انه صدق بالخبر لاجل المخبر بخلاف اذا عدى بالباء فانها اذا علق به ما يدل الخبر ، وهذا يدل على عدم قبولهم لرسول بشرا من جهة المخبر وهو البشر . واما قوله تعالى " مثلنا " وصف لبشرين .. وهذا طعن فى رسالتهما من جانب حالهما الذاتى ثم اعقبوه بطعن من جهه منشئها وقيامها فقالوا .. " وقومهما لنا عابدون " اى وهم من فريق هم عباد لنا واحط منا فكيف يسودانا .

ولقد كانت هذه الشبهه التى قالها اقوام الرسل حينما دعوهم الى الله عز وجل ، وقد رد الرسل على اقوامهم هذه الفرية بما اورده حكاية على لسانهم فقال تعالى " قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون (١) .

فالايات المذكورة ترينا ان البشرية لا تنافى الرسالة ، ولا مانع من ان يمن الله على بعض البشر فيختاره لذلك المنصب الجليل . ويصطفيه للوحى ينزل عليه ويبلغه للناس ، ولله در بعض المفسرين اذ يقول ما اعجب شان اهل الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر ورضوا للالوهية بحجر (٢) ووجه الرد فى هذه الاية على شبهه الكفار ، انهم لما قالوا " ان انتم الا بشر مثلنا " قالت لهم " ان نحن الا بشر مثلكم " قضية

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١٨ : ٦٤) .

(٢) دعوة الرسل احمد عدوى ص (٦)

التسليم بالدليل مع بقاء النزاع ، ببيان ان محل الاستدلال غير تام الانتاج وهو القول بالموجب : لان فيه اطماعا للخصم بالموافقة ، ثم الكر على استدلاله المقصود بالابطال لتبين خطئه (١) .

وقد جاء غلطهم فى الاستدلال والاستنتاج من الدليل فى قوله تعالى ولكن الله يمن على من يشاء من عبادة .

والمعنى : لكن تساوينا فى البشرية ، فان المماثلة فيها لا تقتضى المماثلة فى زائد عليها ، اذ ان البشر كلهم عباد الله تعالى والله يمن على من يشاء من عباده بما يشاء من النعم التى لم يعطيها غيرهم(٢) .

(٢) الشبهه الثانية : الادعاء بأن موسى مجنونا والرد عليها :

الشبهه الثانية : التى رمى بها فرعون موسى فى شخصية كونه مجنونا ، وهذه فرية ونى بها اكابر الاقوام المعارضين لدعوات الربانية الرسل جميعا ولنعرض الايات التى وردت فى هذه الفرية (٣) .

(١) جاء رمى فرعون بوصف الجنون لموسى عليه السلام فى آيتين من هذه القصة :-

الاولى :- من خلال الحوار الذى كان يجرى بينه وبين موسى عليه السلام عندما سأله عن ماهيه الرب فيما يذهب اليه الرازى ، وان موسى اجابه بما ينبغى لجلال الله ولعظمته وذلك بأن ابان له من عموم ربوبيته وكمال قدرته ، فعندها رمى فرعون موسى بالجنون لخروجه فى رأيه عن الاجابة التى يتطلبها سؤاله ، ولانه بعد ان استشار نفوس الملأ بعدما عرض موسى . الاستدلال ما بالخلق على الخالق عز وجل لكى لا تتمكن حجته من نفوسهم .

---

(١) معالم الدعوة فى القصص القرآنى د. عبد الوهاب الديلمى (١: ٣٢٨) .

(٢) المرجع السابق ص (١: ٣٢٨) . (٣) الشعراء : آية ٢٧ وهى قوله تعالى (ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون) .

ولكن زاد موسى بما عرض لقدسيه اباءه بذكر يخرجهم من الالوهيه فسقط فى يدى فرعون ، فعند ذلك احتد فرعون واكد كلامه بحرف التاكيد " ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ولان حالته لا تؤذن بجنونه فكان وصفه بالجنون معرضا للشك فلذلك اكد فرعون انه مجنون يعنى انه علم من حال موسى ما عسى الا يعلمه السامعون وفى ذلك خبث فرعون ولعل ملأه لم يصفوه بهذه الصفة .

وقصد باطلاق وصف الرسول على موسى التهكم به بقرينه رميه بالجنون المحقق عنده ، واضاف الرسول الى المخاطبين ربئا بنفسه عن ان يكون مقصودا بالخطاب واكد التهكم والرب بوصفهبالموصول الذى ارسل اليكم فان مضمون الموصول وصلته هو مضمون " رسولكم " فكان ذكره كالتاكيد ، وتنبيها على المقصود لزيادة تهيج السامعين كيلا يتاثروا او يتاثر بعضهم بصدق موسى لان فرعون يتهيا لاعداد العدة لمقاومة موسى لتنبت بان له شوعا فى مصر ربما يستنصر بهم ، ولقد رد موسى هذه الفريه على وزن ان تسخروا منا فان نسخر منكم كما تسخرون (١)

فان الله عز وجل اخبر على لسان موسى ما قال لهم بعد ذلك " فقال تعالى " قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون "(٢) قال صاحب التنوير والتحرير " عند قوله تعالى"ان كنتم تعقلون " ومن اللطائف جعل ذلك مقابل قول فرعون ان رسولكم لمجنون " لان المجنون يقابله العقل فكان موسى يقول لهم قولا لينا ابتداء فلما رأى منهم المكابرة ووصفوه بالجنون خاشنهم فى القول وعارض قول فرعون ان رسولكم الاية فقال " ان كنتم تعقلون " اى ان كنتم انتم العقلاء اى فلا تكونوا انتم المجانين وهذا كقول ابى تمام للذين قالا له "لم تقول مالا يفهم "قال " لم لا تفهمان ما يقال (٣)

---

(١) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (١٩ : ١١٩، ١٢٠) بتقديم كذلك

(٢) الشعراء : آية ٢٨ .

(٣) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ص (١٩ : ١٢١) .

وأما الآية الثانية : فقد وردت فى معرض الوصف من فرعون لموسى كما وصف الاقوام رسلهم بأنهم " كانوا على اتصال بالجن قال تعالى ، «كذلك ما أتى الذين من قبلهم الا قالوا ساحر أو مجنون " وهاتان الشبهتان كانتا اكثر اقوال الامم لرسلهم وعلى رأسهم الملأ ولهذا استثنى الله عز وجل هاتين الفريتين من الشبهه والاقوال الكبيرة التى كان يقولها الاقوام لرسلهم " الا قالوا ساحر أو مجنون بل لعظم شأنها وهى رميهم اعقل الناس بالجنون واقوالهم بالسحر " وكونها مشتركة بين الاقوام اخبر كأنها اوصى بعضهم بعضا بأن يقولوه قال تعالى " أتو اصوا به بل هم قوم طاغون (١) وهذا هو السبب واذا ظهر السبب بطل العجب ، اذ طغيانهم وكبرياءهم لصدهم عن اتباع الرسل ويحسبون انفسهم اعظم منه ، واذ لا يجدون وصفه يصمونه بها اختلفوا لتنقيصه علا لا تدخل تحت الضبط وهى ادعاء انه مجنون او انه ساحر .

(٣) الشبهه الثالثة : الطعن بأن موسى ساحرا والرد على هذه الشبهه :-

---

ان اشارة شبهه كون موسى ساحرا ، يعلم فرعون كذبها خصوصا ونحن نعرف ان المجتمع المصرى كان له اهتمام كبير بمسألة السحر اذ ان السحر كان فنا من فنون الفراعنة وهو لا يخفى عليهم بل ان الفراعنة كانوا يتلقون علوما فى السحر لكن لا يصل الى مستوى المتخصصين من السحرة .

يوضح القرآن معرفة فرعون ان ما عليه موسى ليس بسحر " قال تعالى " لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وانى لاظنك يا موسى مسحورا "(٢) فبعد ان استعمل موسى المعجزة سقط فى ايدى فرعون وتعامى عن هاتين الايتين العظيمتين وراح يشنع عليه وان ما جاء به موسى مجرد سحر وفى اتباعه كاتباع اى ساحر من سحرة الشعب شيء لا ينبىء على عقيدة صحيحة فى نفس صاحبه (٣)

---

(١) الذاريات : آية (٥٢)
(٢) الاسراء آية (١٠٢) .
(٣) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٢٧ :٢٢ ، ٢٣) بتقديم وتصرف .

وهو بهذا يريد ان يفصل بينه وبين الناس حتى يحول بينهم وبينه مع العلم ان الناس سيدركون بوضوح ان هذا ليس بسحر كما قرر لهم موسى انه حق وانه ليس بسحرا فان السحر هو الباطل ولهذا ادرك فرعون ان هذه شبهه ضعيفة فاشار الى جانبها بانه يريد اخراج الناس من ارضهم كما سياتى فى الشبهة التالية بعد ابطال شبهه ادعاء ان موسى ساحر

ابطال موسى عليه السلام لهذه الشبهه :-

قال تعالى حكاية على لسان موسى عليه السلام فى ابطال هذه الشبهه " اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون " (١).

انكر موسى عليه السلام وصفهم الايات الحق بانها سحر والاشارة تفيد التعريض بجهلهم وفساد قولهم ، بان الاشارة الى تلك كافية فى ظهورحقيقتها وانها ليست من السحر فى شئ .

ثم ابان لهم فساد السحر وسوء عاقبته معالجبة تحقير لهم . لانهم كانوا يتهون بشان السحر ولهذا قال لهم " لا يفلح الساحرون " والمعنى هذا ليس بسحر وانما اعلم ان الساحر لا يفلح اى لو كان ساحرا لما شنع حال الساحرين ، اذ صاحب الصناعة لا يحقر صناعته لانه لو رآها محقره لما التزمها (٢) .

(٤) الشبهه الرابعة " رميهم موسى عليى السلام ومن معه باخراجهم من ارضهم بمكرهم .:

اتهم فرعون موسى عليه السلام ومن معه من المومنين وحتى السحرة بعد سجودهم ان هذه مؤامرة اعدت فى الخفاء وحكيت فى المدينة للاطاحة بالحكم ونظامه ولاخراج الناس من ارضهم ، ونحن نعلم ان موسى عليه السلام طلب منه "ان ارسل معنا بنى اسرائيل"(٣).

وان فرعون حتى فى خروجه تابعه عندما علم بخروج بنى اسرائيل بمصر

---

(١) يونس ايى : ٧٧ . (٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١١ : ٢٥) .

(٣) الشعراء اية ١٧ .

حتى اغرقه الله عز وجل .

(١) طريقه ادعاء ان موسى يريد ان يخرجهم :-

اولا : قال فرعون لهم ان هذا يريد ان يخرجكم " قال للملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون (١)

فحرض الملا بذلك فقالوا .

ثانيا : قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون(٢) .

ثالثا :- لما وصل فرعون الى هذه النتيجة قال لموسى " اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى " ويلاحظ ان فرعون فى اول الامر خاطبهم قائلا يريد ان يخرجكم ... بضمير المخاطب الجمع كانه ليس مقصودا بهذا الاخراج او ان الاخراج لن يطوله هو . ثم بعد ان اتخذ الملأ موقفهم كان قوله بصفه المتكلم الجمع اجئتنا لتخرجنا .. الايه لانه نجح فى اشراكهم معه فى امره هذا . ثم بعد ان تداولوا الامر برويه اكثر وتخطيط اخبث رأوا ان يشركوا بقيه الشعب معهم فى المؤامرات ضد موسى عليه السلام فكان ان اخرجوا التهمة التى شاركوا فيها الشعب جميعا وهى الاعتداء على عقائد الاباء ولقد نفذت تلك المشاركة خاصة من الشعب بطريقة خبيثة (٣) .

---

(١) الشعراء : آية (٣٤ : ٣٥) (٢) الاعراف : آية ١٠٩ : ١١٠)

(٣) فلم يالبهم ضد موسى بالشرط والضغط عليهم بل استخدم اسلوب الايحاء والاشارة وقيل للناس هل انتم مجتمعون ثم عرض بطريقة الايحاء لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين " انه اسلوب ينفذ الى المشارك بطريقة الايحاء فتتسرب الى نفسه المشاركة ، فهم يتبعون السحرة فى حالة واحدة وياتون ليروا ماذا سيحدث وكان القضية بين السحرة وموسى وكانهم بعيدون عنها مع انهم لا يرون اتباع السحرة . انظر العبرة فى قصة موسى ص (٣٤١) .

(٢) الاسباب فى عدم سماح فرعون فى خروج بنى اسرائيل من مصر :-(١)

(١) حاجة فرعون وقومه لخدمة بنى اسرائيل لديهم خاصة فى الاعمال المهينة والقذرة .

(٢) المتكبر الجبار لا بد له من مكان يمارس فيه تكبره وجبروته فبخروجهم لا يجد من يقوم باذلالهم .

(٣) مخالفتهم فى العقيدة برفضهم ما عليه فرعون وقومه فارادوا استئصالهم .

(٤) خوف فرعون من بنى اسرائيل عند خروجهم ان يظهروا الشعوب الاخرى عن فضائح حكم فرعون .

(٥) توقع فرعون ان ما جاء به موسى وقومه يقضى عليه وعلى سائر الوثنيات من حوله .

الشبهة الخامسة : الطعن على موسى بانه لا يكاد يبين وانه مهين :-

وقد سبق ان عرضنا مسالة فصاحة موسى عليه السلام وشبهه فرعون فى هذا المجال ، والرد على شبهتهم ، وازيد المسالة فى هذا الموضع .

قال تعالى حكاية عن استعلاء فرعون بما اتاه الله عز وجل وانخداعه به "" ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم اليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى افلا تبصرون ام انا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين .(٢)

يفتخر فرعون بما هو فيه وبما مكنه الله عز وجل استدراجا له ، فيصف موسى بالمهانه وانه لو كان كما يدعى موسى انه محقا فيما اتى

---

(١) الشخصية اليهودية ، صلاح عبد الفتاح ، ص (٧٢ / ٧٣)

(٢) الزخرف : آية (٥١ : ٥٤) .

به لكان عنده من الملك والنعم مثل الذى هو فيه وبمثل هذا التفاخر بالمال ورمى المومنين بالقلة جاء على لسان قارون وقد جاءت القصة لتبين ان موقف المومنين فى رد هذه الفريه القلة خاصة فى قصة قارون ان المال انما ينبغى به وجه الله عز وجل والدار الاخرة وان الواقع العملى للاستعلاء بالمال قد حصل لقارون بالخسف فكان ردا لفريه الاقوام التى اعتزت بالمال .

واما قوله لا يكاد يبين فقد قال ابن كثير فهذا افتراء على موسى فانه كان قد اصاب لسانه فى حالة صغره شىء من جهه تلك الجمرة وعندى الله اعلم بصحة حادثة الجمرة (١) فقد سأل الله عز وجل ان يحل عقده

---

(١) توجيه حول حادثة الجمرة :-

لا يستبعد للانتقال الذى قام به موسى من بيئات مختلفة وبين اقوام مختلفين ان اثر هذا على لسانه ، فقد انتقل بين قصر فرعون اى القبط وبين منزل امه اى الاسرائيليين فترة [illegible] ان كان وليدا ، ثم بعد ذلك عندما كان فى مدين ومكث فيها عشرة سنين وهذه بيئات مختلفة اللهجات فكان لها اثر على لسانه واذا كانت هناك حُلقة فهى من باب كونها معجزة لمعرفة انه رسول فهذا الذى يعرفونه كان من لسان خلقه تمنعه من الافصاح الكامل ما هو فى غاية الافصاح ، وقال بعضهم فى شان هذه العقدة انها حبسه تحصل من حدته وشدة التفاعل مع المواقف بحيث يضيق صدره لمجرد الرد للحق كالذى يحصل من فرعون فبسببه يحصل ضيق يصحب معه التعبير عما يريده حيث أن لديه حبسه فى لسانه ولا ندرى من اين اتت ؟الى جانب ذلك فى صدره ضيق لا يحتمل الكذب على الله تعالى . ولا يستطيع الصبر . وكثير من المفسرين يقولون فى طلب حل عقدة لسانه هو ما كان فى كلامه من حبسه كالتمتمة او الفافاة اى التردد فى النطق ومثل هذا الشىء يحدث عادة عند بعض الافراد من الناس فلا داعى للتكلف فيه لايجاد اسبابا لهذه الحبسه بامور لا يقبلها العقل لاول وهله كقصة الجمرة او باخرى تحتاج الى دليل كقصة تاخر الرضاعة عند موسى وانظر العبرة فى قصة موسى / محمد خير الدعوى ص (٢٩١ / ٢٩٢) .

من لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله تبارك وتعالى له فى حل لكل الفقرة ذلك فى قوله " قد اوتيت سؤلك يا موسى " وبتقدير ان يكون قد بقى شىء لم يسأله ازاله .

كما قال الحسن البصرى . وانما سأل زوال ما يحصل معه الابلاغ والافهام فالاشياء الخلقية التى ليست من فعل العبد لا يعاب بها ولا يذم عليها (١) .

الشبهه السادسة الادعاء بانه كاذب :-

قال الله حكاية على لسان فرعون فى الطعن فى موسى انه كاذبا " "وانى لاظنه كاذبا " ولقد صرح موسى عليه السلام بانه لا يقول على الله الا الحق .

(٣) المنهج الثالث او الطريق الثالث : الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة :-

لقد بينت فى شروط الداعية من صفة القول اللين توجيه الله عز وجل لاعتى رجل معاند لرسالته . وجدوى ارسالها اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجة عليه وقطع المعذرة لئلا تكون له حجه " .

(٤) المنهج الرابع فهم الدعوة بالترغيب والترهيب .(٢)

لقد وضحت من قبل كيف جاءت (٣) الاية الكريمة " هل لك الى ان تزكى (٤) .

جامعة انواع الترغيب واللطف والحرص على جلب فرعون الى الخير والى

---

(١) تفسير ابن كثير (٤ :١٣٠)

(٢) المقصود بالترغيب : هو الاخبار عن الجزاء والثواب على ما يترتب فى الدنيا والاخرة والمقصود بالترهيب " الاخبار عن العقاب بما يترتب عليه فى الدنيا والاخرة .

(٣) انظر ص (١٧٧) .

(٤) النازعات : آية ١٨ .

قبول الهداية ، ولقد دعى الله عز وجل نبيه موسى مخاطبة فرعون باللين وذلك لعله يرغب فى الخير . فالطريقة فى الكلام معه جاءت مرغبة له فى قبول الهداية والخطاب الذى ناداه به موسى كان فى غاية اللطف والترغيب والتحبيب لقبول دعوه الله عز وجل . قال تعالى " اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ((١) وقال " اذهب الى فرعون انه طغى . فقل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى (٢) .

ولقد رغب موسى فرعون فى هذه الاية " وقال موسى يا فرعون انى رسول رب العالمين " " فالظاهر من هذه الاية ان خطاب موسى فرعون بقوله " يا فرعون " خطاب اكرام لانه ناداه بالاسم الدال على الملك والسلطان بحسب متعارف امته فليس هو بترفع عليه لان الله قال لهارون " فقولا له قولا لينا ، والظاهر ايضا ان قول موسى هذا هو أول ما خاطب به فرعون كما دلت عليه سورة طه (٣) .

ولكن انى للقلوب المعودة الطغيان ان ينفع معها الترغيب وانى لقلوب عشش فيها الشيطان حتى غدت له قصرا دائما ترعن للحقائق ولدعوى الخير باحسن الاساليب والطف البيان (٤).

---

(١) طه : آيات (٤٣ ، ٤٤) .

(٢) النازعات : آية ١٩ .

(٣) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٩: ٣٧) .

(٤) العبرة من قصة موسى / محمد خير عدوى ، باقتباس ص (٣٠٦) واذا كان اسلوب الترغيب لا ينفع مع المعاندين فان موسى عليه السلام رهب فرعون من اعماله وما يئول اليه شانه قال تعالى " حكاية على لسان موسى عليه السلام فى خسران فرعون اذا ظل سائرا على غوايته " وانى لاظنك يا فرعون مثبورا " الاسراء آية ، ٢ ، ١ والمثبور الذى اصابه الثبور والهلاك وهذه نذارة وتهديد لفرعون بقرب هلاكه وخسارة امره ان لم يعدل عن طريقه .

الطريق الخامس فى دعوته لقومه :-

طريق التأييد بالمعجزات :-

لقد ظهرت المعجزات فى قصة موسى عليه السلام فى دعوة فرعون وقومه او بنى اسرائيل كثيرة منها الكبير ومنها الصغير وسيأتى تفصيل الحديث عن هذه المعجزات فى باب الثانى من النبوات (٢)

الطريق السادس : طريقة الجهاد :-

فقد قاد موسى عليه السلام الجنود ووجههم الى دخلوا الارض التى كتب الله لهم فأبوا دخولهم وجبنوا الى التقدم اليها فضرب الله عليهم التيه اربعين سنه

الطريق السابع طريق القدوة :-

قد سبق وان بينا انها شرط وصفه من صفات الداعية وموسى عليه السلام قدوة تحتذى ، فصبر على قومه صبرا عظيما ، وشهدت المواطن الكثيرة فى القصة التى معنا بالاستجابات القوية التى تنبع من موضع القدوة ، وسواء كان قدوة لبنى اسرائيل لكى ينزعوا منزعه او لمن بعده فان موطنا واحدا يشهد بقدوته لتعاليم ربه واعتباره قدوة لمن بعده وذلك فى صبره على تمرد بنى اسرائيل وعلى أخراجهم من الذل الى العزة والكرامة .

الطريق الثامن او المنهج الذى تبعه موسى فى دعوته :-

منهج الانكار وطريقة الانكار :-

وقد انكر موسى عليه السلام على فرعون وقومه وعلى بنى اسرائيل والسحرة فى مواطن كثيرة من هذه القصة ، وجاء الانكار فى هذه القصة من مؤمن آل فرعون على فرعون وملئه على تآمرهم لقتل موسى كما جاء النكارة من قوم موسى عليه السلام على قارون وفرحه بماله وبغيه فيه قال تعالى مبينا انكار موسى على فرعون وقومه لما قالوا ان الآيات التى جاءهم بها سحر " قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم اسحر هذا ولا يفلح الساحرون (١) .

واما الانكار موسى على بنى اسرائيل فقد بينه الله فى كتابه حيث قال " واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون انى رسول الله اليكم (٢) .

ثم انكر موسى عليه السلام على بنى اسرائيل لما طلبوه ان يجعل لهم الها حين رأوا قوما يعكفون على اصنام يعبدونها وقالوا له " يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون (٣)

فوصفهم بالجهل انكارا عليهم لقولهم هذا وقال " ان هؤلاء متبر ما هم فيه وبطل ما كانوا يعملون . قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين (٤) وقد انكر عليه السلام على بنى اسرائيل عبادتهم للعجل فى غيبته لمناجاة ربه عز وجل لما صنع لهم السامرى عجلا جسدا له خوار فعبدوه الها وقالوا هذا الهكم واله موسى فحين رجع اليهم

---

(١) يونس : آية ٧٧ .

(٢) الصف : آية ٥ .

(٣) الاعراف : آية ١٣٨ .

(٤) الاعراف : الايات ١٣٩ / ١٤٠

انكر ذلك عليهم غاية الانكار واخبرهم ان الله وعدهم وعدا حسنا بانه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى قال تعالى " وما اعجلك عن قومك يا موسى الايات (١) .

كما انكر على السامرى ما فعله من تضليل بنى اسرائيل بعبادتهم للعجل الذى صوره لهم وامرهم بعبادته . قال تعالى فى شان ذلك قال فما خطبك يا سامرى (٢) ....(٣) .

ومن امثلة الانكار التى ورد على لسان موسى فى هذه القصة انكارهم على قارون .

ومما اطلت قصة موسى عليه السلام فى القرآن فى مجال الانكار ما جاء على لسان مؤمن آل فرعون فيما حكاه الله عز وجل على لسانه وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم " (٤) .

---

(١) طـــه : الايات ٨٣ - ٨٦ .

(٢) طـــه : آية ٩٥ .

(٣) الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم الخليل ، سيدى محمد الحبيب ص (٣٤٧ / ٣٤٨) باقتباس .

السامرى فى لغة العرب اليهودى ، وقد اختلف المفسرون فى شانه فقيل كان عظيما من عظماء بنى اسرائيل من قبيلة تعرف بالسامرة ، وقيل كان علجا من كرمان ، وقيل من اهل (باجرما) قريبة من مصر وكلها اقوال مظنونة غير محققه . بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة - سيد طنطاوى ص (٤٨٧) .

(٤) غافر اية (٢٨) .

قال الرازى معناه ان ضرر كذبه مقصور عليه ولا يتعداه وهذا الكلام فاسد لوجوه احدها لا نسلم انه بتقرير كونه كاذبا كان ضرر كذبه مقصورا عليه ، لانه يدعو الناس الى ذلك الدين الباطل فيكثر به جماعة منهم ويقعون فى المذهب الباطل والاعتقاد الفاسد . ثم يقع بينهم وبين غيرهم الخصومات الكثيرة فثبت ان بتقدير كونه كاذب لم يكن ضرر كذبه مقصورا عليه . بل كان متعديا الى الكل . ولهذا السبب اجمع العلماء على ان الزنديق الذى يدعو الناس الى زندقته يجب قتله (١) .

ومن هذا نأخذ ان الباطل لا بد من الانكار عليه وعدم السماح له بالانتشار وخاصة اذا كان داعى بدعه ، وما جلب على المسلمين المصائب الا لما فتحو ابواب المجادلات مع اهل الباطل والسماح اليهم مما اوقع الناس فى ضلالاتهم ، فاذا ظهر كاذب وصاحب باطل ونحله ودين فى دول الاسلام فعلى المسلمين الا يمكنوه من نشره واذا احتيج الى مناقشة فلتكن فى نطاق ضيق ليس على مرأى الامة وهى قاعدة جليلة فى الدعوة ان يسد على اهل الشر الابواب فى نشر باطلهم فى دول الاسلام . وان كان لا اكراه فى الدين الاسلامى لدخوله غير المسلمين فيه ، لكن ليس على حساب المسلمين بنشر باطل المبطلين وبدع المبتدعين باسم حرية الاديان كالذى وقع ايام العباسين .

الطريق التاسع :- طريقة الحوار : (٢)

لقد جاءت الحوارات والمقالات المختلفة بين موسى عليه السلام وفرعون فى تبيين الدعوة التى جاء بها موسى عليه السلام .

ونختم الوسائل والطرق والمناهج التى جاءت فى قصة موسى عليه السلام بهذه الكلمة التى جاءت عامة فى دعوة الانبياء الى اقوامهم فى كيفية دعوتهم وفى الطرق والوسائل التى يستخدمونها معهم..

---

(١) الفخر الرازى (٢٧: ٥٩) .

يقول الاستاذ العدوى " ومن مجموع السور نعرف ان الدعوة الى الله تعالى ، والتخويف من عذابه وبطشه كانت اولا ، والاتيان بالاية بعد طلبها كان ثانيا .... (١)

الطريق العاشر :اتخاذ الوزير فى الدعوة:-

قال تعالى حكاية عن طلب موسى وزيرا يستعين به فى الدعوة ويشركه فى امر الدين ويستشيره فيها واجعلى وزيرا من اهلى هارون اخى "(٢) .

فسيدنا موسى كان اول من طلب من الله موازرته بالشريك المعين له على آداء رسالته (٣) .

يقول العدوى واشتقاقه اى الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك وزارة ومؤنة ، او من الوزر بالفتح وهو اللجا ، لان الملك يعتصم برأيه ويلجا اليه فى اموره ، او من الموازرة ، وهى المعاونة " اشدد به ازرى واشركه فى امرى "(٤) ثم يقول يطلب من الله ان يشد به ازره ويقويه ويشركه فى امر الرسالة وفيه بيان الحكمة اختيار الوزير من قرابته لان الشان فى القريب ان يكون حريصا على نجاح قريبه ، فلم يطلبه لمحاباه او ايثار بذلك المنصب لانه منصب محفوف بالاخطار ، محاط بالاشواك .

ثم بين مقصد هذه الوزارة فيشرح قوله تعالى " كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا " بيان من نبى الله موسى لغايته من تلك الموازرة وهى غاية شريفة ومقصد جليل .

---

(١) دعوة الرسل احمد العدوى ص ٢٧ ، وانظر ما تحدثنا عن شخصية موسى واتزانه و شجاعة فى حوراته مع فرعون وما تضمنت هذه الحوارات من كلام فى غاية الدقة والوضوح والبيان .

(٢) طه اية ٢٩ .

(٣) تاج الدعوة الى الله بين الامس واليوم ،آدم عبد الله الالورى ص ٦٠

(٤) طه اية ٣١ ـ ٣٢ .

لم يرد بها ان يؤازره على اذلال الناس وانما طلب اخاه وزيرا له لتكون الغاية من تلك الوزارة ان يسبحوا الله كثيرا ويذكروه بما يليق به ذكرا كثيرا فيعبدوه كما ينبغى ، ويوحدوه كما يجب ويشكروه على ما ومنحهم من نعم ، وما اعطاهم من فضائل ، وذلك ما ينبغى ان تكون عليه الوزارات فى كل مكان وزمان ، يراد منها التعاون على البر والتقوى ولا يراد بها التعاون على الاثم والعدوان .. فوزارة الرسل هى وزارة اساسها الحق ليثبت ويبقى وعمادها التعاون على البر وكل ما يعود بالخير فى دينهم ودنياهم (١)

قال تعالى عن هذه الوزارة التى اتخذها موسى عليه السلام فى مشوار الدعوة : قال رب اشرح لى صدرى ويسر لى امرى واحلل عقدة من لسانى . يفقهوا قولى . واجعل لى وزيرا من اهلى . هارون اخى . اشدد به ازرى واشركه فى امرى . كى نسبحك كثيرا . ونذكرك كثيرا . انك كنت بنا بصيرا . قال قد اوتيت سؤلك يا موسى (٢)

---

(١) دعوة الرسل - د.احمد العدوى ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٢) طـــه : الايات ٢٥ - ٣٦ .

المبحث الخامس

موقف المدعوين من دعوة موسى عليه السلام

(١) موقف الملأ من دعوته عليه السلام

(ا) موقف الملأ الصالح

(١) موقف امرأة فرعون وبيان دورها فى الدعوة الى الله عز وجل

(٢) موقف مؤمن آل فرعون من دعوة موسى عليه السلام .

(ب) موقف السحرة .

(ج) موقف فرعون وملئه الطالح .

(١) التطاول والاستكبار عن قبول الايمان والاصرار على الكفر .

(٢) الاستهزاء بموسى وبمن معه من المؤمنين والسخرية منهم .

(٣) طلب الايات تعنتا وطلب وانزال العذاب العاجل عليهم .

(٤) تعذيب اهل الحق فمن آمن (تعذيب بنى اسرائيل وتعذيب السحرة) .

(٥) محاولة زعزعة الثقة بالافك والباطل .

(٦) محاولة الصد عن الدعوة بالاغراء .

موقف الملأ الصالح ويتمثل فيما يلى :-

(١) موقف امرأة فرعون . (٢) موقف مومن آل فرعون .

واليك بيان موقف امرأة فرعون من دعوة موسى عليه السلام فى ضوء ما جاءت به الايات الكريمات " قال تعالى " وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وملكه ونجنى من القوم الظالمين .(١) .

وقال تعالى " وقالت امرأة فرعون لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وهم لا يشعرون .(٢) .

موقفها من الدعوة ودورها فيها وما نالها بسبب موقفها من دعوة موسى

لقد آمنت امرأة فرعون بموسى عليه السلام وتابعته فى دينه ، وطلبت النجاة من فرعون نفسه ومن اعماله واعمال قومه . فهل نالها فى سبيل ايمانها اذى أم لا ؟ والواقع أن أقوال المفسرين مضطربة فى هذا المقام ، واكتفى بما اورده القرطبى اذ تضمن كلامه كلامهم قال " اوتد فرعون اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت " (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة . فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهى تضحك فقبض روحها ، وقال سلمان الفارسى فيما روى عنه عثمان الهندى . كانت تعذب بالشمس ، فاذا اذاها حر الشمس اظلتها الملائكة باجنحتها . وقيل سمر يديها ورجليها فى الشمس ووضع على ظهرها رحى ، فاطلعها الله حتى رأت مكانها فى الجنة وهو يبنى وقيل انه درة وعن الحسن ، ولما قالت (ونجنى) نجاها الله اكرم نجاة ، فرفعها الى الجنة ، فهى تاكل وتشرب وتنعم (٣) .

---

(١) التحريم : آية ١١ . (٢) القصص آية ٩ .

(٣) تفسير القرطبى : (٨ : ٢٠٣) .

قال ابو حيان الاندلسى صاحب تفسير البحر المحيط " وذكر المفسرون اقوالا مضطربة فى تعذيبها وليس فى القرآن نصا انها عذبت (١) قلت ولعلها انما نالت ما نالت من رفيع المنزلة وضرب المثل بها النساء المؤمنين الى يوم القيامة ،ما يصوره سيد قطب فى شانها وهو كاف فى شان المرأة ان تسلكه وتقوم به من دور فى سبيل الدعوة لله ربها والدعوة اليه ، وذلك بالبراء من الكافرين والتضرع الى الله عز وجل من عدم مشاركتهم والابتعاد عنهم والنجاة منهم ، فضلا عن عدم الاستراحة لما فيها من بحبوحه النعماء فى جو مكفهر بالظلم والطغيان وفى ذلك امتحان للمؤمنين اى امتحان خاصة اذا كانت امرأة وخاصة اذا كانت زوجه ، وهو كاف فى ان تقدمه فى مجال الدعوة بأن استنكفت عن الظلم وما يجذب المرأة الى ان تحبه فخالفت بذلك هواها وامتدح الله صنيعها فى رفض ما كانت تعيش فيه .

قال سيد قطب رحمه الله " وها هو ذى امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر التى تعيش فيه ... قصر فرعون ... عن طلب النجاة وصدها ...وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة الى ربها بيتها فى الجنة وتبرأت من صلتها بفرعون فسالت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة ان يلحقها من عمله شئ وهى الصق الناس به " ونجنى من فرعون وعمله .."

وتبرأت من قوم فرعون وهى تعيش بينهم " ونجنى من القوم الظالمين " ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا فى ازهى صورة ، فقد كانت امرأة فرعون اعظم ملوك الارض يومئذ فى قصر فرعون امتع مكان تجد فيه امرأة ما تشتهى . ولكنها استعلت هذا بالايمان ، ولم تعرض عن هذا العرض فحسب ، بل اعتبرته شرا وفسادا وبلاءا تستعيذ بالله منه وتتفلت من عقابيله ، وتطلب النجاة منه .

---

(١) تفسير ابى حيان (البحر المحيط)(٨: ٢٩٤) .

وهى امرأة واحدة فى مملكة عريقة قوية . وهذا فضل آخر عظيم فالمرأة اشد شعورا وحساسية بوطأة المجتمع وتصوراته لكن هذه المرأة وحدها فى وسط ضغط المجتمع وضغط القصر ، وضغط الملك وضغط الحاشية / والمقام الملكى فى وسط هذا كله رفعت راسها الى السماء وحدها . فى خضم هذا الكفر الطاغى . وهى نموذج عال فى التجرد لله من كل هذه المؤثرات وكل هذه الاواصر وكل هذه المعوقات ، وكل هذه الهواتف ، ومن ثم استحقت هذه الاشارة فى كتاب الله الخالد الذى تتردد كلماته فى جنبات الكون وهى تتنزل من الملأ الاعلى (١) .

والذى اميل اليه بعد هذا فى شان موقفها من الدعوة هو هذا الذى ادت وقامت به من دور ايجابى لله عز وجل وصوره سيد قطب باحسن تصوير انه لمكان عظيم كبيرعند الله عز وجل حيث انه ضرب به المثل وبهذا فلا داعى لما اورد فى شان تعذيبها اذ الحق كما يذكره ابو حيان الاندلسى اذ لا نص لمن يحكى تعذيبها واقوال المفسرين فى ذلك مضطربة وايضا لا داعى لما ذكره القرطبى فى تفسيره اذ يقول " هذا حث المؤمنين على الصبر فى الشدة اى لا تكونوا فى الصبر عند الشدة اضعف من امرأة فرعون حين صبرت على اذى فرعون " ثم ذكرر انواع الاذى وكيف كان ؟. والحق والله اعلم كما ذكر سيد قطب رحمه الله من كونها استنكفت عن حياة فرعون واتباعه وتضرعت الى الله عز وجل بالنجاة منه ومن اعماله واعمال قومه فاجابها الله عز وجل ، لما ارادت ، وان هذا الاعراض والبراءة مما كانت تعيشه لمقام عظيم وكبير تقوم به المرأة بحسها وشعورها وفى قلبها وواقعها لانه لكاف من جهاد تقدمه واذا فلا داعى لما يذكر من تعذيبها من صور لم تثبت عن الوحى المعصوم .

(٢) واما موقف مؤمن آل فرعون فقد وضح كما سبق ان اشرنا فى طريق دعوته موقفه التدريجى فاولا كان كاتما ايمانه ثم اظهره فى الوقت

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ص ٣٦٢١ / ٣٦٢٢ .

المطلوب وتدرج فى خطبته فى ترغيبهم فى قبول الحق حتى اذا رأى انهم لا فائدة فى دعوتهم الى الله عز وجل اعلنها صريحه انه من اتباع موسى وان مؤمن به وانه مفوض امره الى الله عز وجل .

(٣) موقف السحرة (١) من دعوة موسى عليه السلام ، فسوف اوضحه لك فى الباب الثانى وهو يتمثل :-

اولا :- فى اعدادهم لمواجهة موسى .

ثانيا :- بعد ايمانهم .

(ج) موقف الملأ الطالح :-

---

(٢) موقف فرعون وملئه من دعوة موسى عليه السلام ويمكن ان نضعها فى الامور التالية :-

(١) التطاول والاستكبار عن قبول الايمان والاصرار على الكفر .

(٢) الاستهزاء بموسى ومن معه من المؤمنين والسخرية منهم .

(٣) طلب الايات تعنتا وطلب وانزال العذاب العاجل عليهم .

(٤) تعذيب اهل الحق من آمن (تعذيب بنى اسرائيل وتعذيب السحرة لصدهم) عن الدعوة .

(٥) محاولة زعزعة الثقة بالافك والباطل .

(٦) محاولة الصد عن الدعوة بالاغراء .

ان موقف عليه الاقوام يكاد يكون واحدا فموقف ملأ الاقوام فى القرآن الكريم متشابه .

يقول صاحب كتاب اصول الدعوة . وهو يشرح موقف ملأ الاقوام " الملأ باوصافهم واخلاقهم التى بينها القرآن الكريم موجودون فى كل مجتمع وفى كل مكان وزمان وبهذا فهم يقفون غالبا فى وجه كل دعوة الى الله

---

(١) انظر (ملحق)

تعالى ويحاربونها بدافع من الكبر الذى يغشى نفوسهم وبدافع حب الرياسة على الناس وخوفهم من ان تسلبهم هذه الدعوة الاصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفهم . ومما يدل على بقاء الملأ فى كل زمان ومكان معارضين لكل دعوة طيبة خيرة تريد الاصلاح وايصال الناس الى خالقهم ، ان الدوافع التى دفعت الملأ من الاقوام الماضية الى محاربة رسل الله والدعوة اليه هى نفسها توجد فى نفوس الكبراء المترفين فالكبر يعلق فى النفوس المريضة والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة وانما ينقمع بالايمان (١) .

ويقول الاستاذ محمد قطب " فى كل مجتمع جاهل يوجد الملأ الذين يحكمون ويملكون والشعب الذين يسخرون لمصالحهم ومن ثم فانهم يكرهون دعوة الرسل للاسباب التالية ، ان ما يدعو اليه الرسل فى مدلول كلامهم ان الولاء لله وحده والطاعة لله وحده والعبادة لله وحده وكل هذا يتمثل فى الكلمة التى دعا اليه الرسل ، والملأ يريد ببساطة ان يكون الولاء له وحده ، والطاعة له وحده ، ومن ثم العبادة له وحده . حتى وان لم يصحبها فى كل حالة شعائر التعبد التى كانت توجد مثلا الى فرعون..انما هى عبادة الطاعة وعبادة الولاء .

ومن هنا يقوم التصادم بينهم وبين الرسل، الى حد ان يرتكبوا كل جريمة بما فى ذلك القتل . فضلا عن تسخير طاقاتهم كلها فى التشنيع عليها وعلى دعاتها ، وتنفير الجماهير منها ، بل كذلك استغلال الدهماء فى الحرب ضدها ومحاولة القضاء عليها .

---

(١) اصول الدعوة د. عبد الكريم زيدان ،ص ٣٧٤ .

ويزيد الشيخ جزاه الله خيرا شارحا مزيدا من صور التصادم بين دعوات الرسل وعلية الاقوام فيقول " لا اله الا الله معناها ان السلطة لله وحده ، وان الذى يحكم ويحل ويحرم ويحسن ويقبح ويعطى ويمنع هو الله .

والملأ يريد ان تكون السلطة بيده وان يكون هو الذى يحكم ، ويحل ويحرم على هواه وبهذا لا يطيقون الداعين لهذه الكلمة التى ترجع الموازين الى وضعها الحقيقى فاولا يلجاون الى تشويه سمعتهم فى بادىء الامر . ساحر ، مجنون ، كذاب .

ثانيا :- يريد الاستيلاء على سلطة البلاد كما قال ملأ فرعون " قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض (١) .

ثالثا :- يواصلون ضغوطهم على الرسل واتباعهم اذا اكدوا الاستمرار فى دعوتهم اذ ان استمرارهم يشعر بالتغلب عليهم فلا بد ان يضعوا حدا لضياع كبريائهم فى الارض حتى يجدوا بعد ذلك من يتكبرون عليهم .

رابعا :- فبعدها يبدؤن بمحاولة التنفير للدهماء من دعوتهم يقولون لهم :-

(أ) انها دعوة جاءت لتفريق وحدة الشعب .

(ب) الستم ترون ان الذين يعتنقونها يكونون لانفسهم فريقا متحيزا عنكم ؟

(ج) الستم ترون انهم يفسدون عليكم ابناءكم فلا يعودون يطيعونكم

---

(١) دراسات قرآنية ، محمد قطب ،ص ١٠٧ - ١٠٩) باقتباس .

خامسا :- وعندما يجذب الحق الناس هنا يعلنون تهديداتهم فيقولون :-
(١) كل من يقترب من هذه الدعوة فهو خارج علينا وسنعاملة بأقصى درجات العنف فاذا لم يأتى هذا التهديد .
(٢) ينفذوا التهديد بشتى صنوفه . بالاخراج من الديار والاموال .
(٣) وينتهى الامر بأمر فرعون . لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف الاية ..."(١) .

ولنشرع لنرى موقف فرعون وملئه من دعوة موسى بشىء من الايضاح :-

الموقف الاول :- التطاول والاستكبار .

التطاول والاستكبار عن قبول الايمان والاصرار على الكفر مع وضوح الايات الدالة على صدق موسى الا ان فرعون وملأه كان شأنهم وموقفهم امام ذلك الاستكبار والتطاول والاصرار على الكفر حتى اذا ادرك فرعون انه لا نجاة له اعلن ايمانه ولا ينفع عند ذلك نفس لم تكن امنت من قبل . قال تعالى مبينا تطاول فرعون وملأه وعدم قبولهم الحق فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون (٢) .

وقالوا مهما تأتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (٣) لقد اصروا بعد ايمان كبار السحرة على اعتبار موسى من السحرة ، وقالوا انك ان تجئنا بكل من انواع الايات التى تستدل بها على حقيقة دعوتك ...(فما نحن لك بمؤمنين) ...انزل الله تعالى بهم هذه المصائب والنكبات آيات واضحات على صدق نبى الله موسى فاستكبروا عن الايمان به استكبارا مع اعتقاد صحة رسالته وصدق دعوته باطنا ، وكانوا قوما راسخين فى الاجرام والذنوب مصرين عليها (٤) .

---

(١) الأعراف (١٢٤)
(٢) المؤمنون : آية ٤٧ .
(٣) الاعراف : آية ١٣٢ .
(٤) دعوة الرسل ، احمد عدوى ،ص ١٩٢ .

وطالب نزول الملائكة معه فقال تعالى حكاية عن تعنته " فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين (١).

(٤) الموقف الرابع تعذيب اهل الحق :-

وقد اوضحت هذه المسالة فى نعمة انقاذ بنى اسرائيل مما فعله فرعون بهم سواء قبل مبعث موسى او بعد مبعثه فانظره (٢) كما قال تعالى حكاية عما نالهم " واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب " (٣) .

(٥) الموقف الخامس محاولة زعزعة الثقة بالافك والباطل :-

وهذا الموقف من اخطر الاساليب التى اتخذها فرعون فى احلال شعبة عن دعوة موسى عليه السلام وفى الوقوف ضدها ، حيث صنع هوة بين موسى وبين قوم فرعون فى اتباعه . وذلك باثارة الشبهات والاباطيل سواء حول موسى نفسه او حول دعوته وقد تمثل ذلك فى الامور التالية :-

(١) التشكيك فى سلامة عقل موسى عليه السلام وانه مجنون .

(٢) التشكيك فى اخلاصه وانه يريد اخراج الناس من ارضهم .

(٣) التشكيك فى دعوته وانه يريد ان يغير ما عليه الاباء .

وقد سبق ان اوضحنا هذه الشبهه التى اثارها فرعون حول موسى ودعوته فى صد الناس عن دعوته . قال تعالى " قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم . يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون (٤) .

وقال تعالى " قال الملأ حوله ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون . قالوا ارجه واخاه وابعث فى المدائن حاشرين (٥) .

---

(١) الزخرف : اية ٥٣ .

(٢) انظر نتائج دعوة موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل وما بعدها .

(٣) البقرة : آية ٤٩ .   (٤) الاعراف : الايات ١٠٩ / ١١٠ .

(٥) الشعراء : الايات ٣٤ /٣٦ .

وقال تعالى " قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء فى الارض وما نحن لكما بمؤمنين (١) .
وقال تعالى " قال اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى (٢) .

محاولة الصد عن الدعوة بالاغراء :-

لقد اغرى فرعون السحرة لكى يقفوا فى مواجهة موسى ودعوته واملهم فى ان يكونوا من المقربين . وذلك فى ازمة خطيرة احتيج اليهم . قال تعالى " وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين . قال نعم وانكم لمن المقربين (٣) .
وقال تعالى " فلما جاء السحرة قالوا ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين . قال نعم وانكم لمن المقربين (٤) .

موقف قوم فرعون من دعوة موسى :-

الطاعة العمياء :-

لقد اطاعوه فى ان موسى ساحر ولا يمكن ان يكون نبى بالرغم من ظهور الايات وانتصاره على السحرة وايمان السحرة .
ودعم قضيته هذه بان موسى يريد اخراج الناس من ارضهم ، وخير ما يثير به الشعوب التى لا تميز الكيد ولا يحتاج التاثير عليها الى منطق هى تهمه الرسول بالاعتداء على عقائد الاباء . اذ هى اعز ما يملك خصوصا اذا عرفنا انها تحت نير القهر والذلة فهى آخر ما تبقى ويتجزء به بعد ضياع شخصية الشعب وضياع حقوقه ولكن هذه المعتقدات موروثه الاباء عن الاجداد الامر الذى يصعب التخلى عنها .

---

(١) يونس : آية ٧٨ . (٢) طـه : آية ٥٧ .
(٣) الاعراف : الايات ١١٣ / ١١٤ . (٤) الشعراء : آية ٣٦ .

ففى اشارة فرعون هذه النزعة يقف قومه فى صفه ضد موسى وليحركه بعد ذلك كما يشاء ، ولهذا استخف قومه واخذ ينادى فيهم بما يرونه فيه من ملك وانهار وامتلاك للذهب والاسورة ، ويقارن بينه وبين ما عند موسى الامر الذى جعل قومه يتابعونه ويستخذون له وكان ما كانوا فيه من فسق عامل كبير فى الانحدار والمتابعة لفرعون ، تغافل شعب مصر او غفلوا فى جو هذا الفسق الذين يعيشون وفى جو هذا الدهاء الخبيث من فرعون ما حدث لمن سبقوهم من الاقوام من قبل قال تعالى " فلولا القى عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين " وبلغ استخفافه بقومه وبعقول الناس " ان قال " يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب (١) .

ولهذا الاستخفاف من قوم فرعون واطاعتهم العمياء لكل ما يقال لهم بين لنا عز وجل ان مصيرهم مثل مصيره وانهم كانوا ظالمين مثله قال تعالى " واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون " وقوم فرعون هم المصريون ...وكونهم ظالمين لسكوتهم عن ظلم فرعون وقبولهم هذا الظلم وتشجيعهم له . ولهذا قال تعالى مبينا انهم داخلون فى الحرب على الدعوة الاسلامية التى جاء بها موسى واذ نادى ربك موسى ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون (٢) .

(٤) موقف السحرة من دعوة موسى :-

سافصل الحديث فى هذا الباب الثانى عند الحديث عن المعجزات التى حدثت على ايدى موسى عليه السلام (٣) ..

---

(١) غافر : آية ٣٦ .

(٢) الشعراء : آية ١٠ ـ ١١ .

(٣) انظر الصفحات . (٢١١) ومابعدها

(٥) موقف بنى اسرائيل من دعوة موسى عليه السلام :-

ان الملاحظ عندما يتحدث القرآن الكريم عن النعم التى انعم الله بها على بنى اسرائيل يذكر بعدها مباشرة موقفهم منها ولقد تعددت النعم عليها وتعدد مواقفهم الجحودية والمتمردة فبدلا من ان يشكروا الله عز وجل نراهم يكفرون بنعم الله عز وجل حتى حلت بهم العقوبات المختلفة التى ساشرحها لك فى نتائج دعوة موسى عليه السلام فى الجزء الخاص بالعقوبات التى حلت بهم (١) .

واليك بيان المواقف المختلفة من بنى اسرائيل مع موسى عليه السلام وهى تعتبر مواقف من دعوته ومن رسالته التى جاءهم بها هدى ورحمه .

الموقف الاول : بعد ايمان السحرة :-

استجابا لموسى عليه السلام فى وقت المحنة بعد ايمان السحرة اولا ايمان ذرية من قومه وهم شباب بنى اسرائيل ، آمنوا واخلصوا ايمانهم لله عز وجل ولم يستطيع اباءهم خوفا من فرعون ان يؤمنوا كما فعل هؤلاء الذرية ، حتى قال فرعون باشارة ملئه فى شانهم عندما قالوا له "اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك " قال فرعون فى شان هؤلاء الابناء " وقال فرعون اقتلوا ابناء الذين آمنوا ..الاية وفى هذه الفترة العصيبة واصل موسى تربيته لقومه حتى آمنوا واستجابوا لدعوته وقال لهم " ياقوم ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا فقالوا على الله توكلنا . (٢) .

(١) انظر ص(٢٤٣) .
(٢) يونس آية (٨٤-٨٥)

الموقف الثانى :- بعد نجاتهم حتى موت موسى عليه السلام :

وهنا سنرى مواقف عجيبه لبنى اسرائيل توضح لنا صفات القوم وما انطوت عليه نفوسهم من تمرد وجحود وعصيان ونكران لانعم الله عز وجل .

١- فالموقف الاول : طلبهم الالهه :-

كان اول م قالوا بعد ان نجاهم الله عز وجل من فرعون واهلكه ان طلبوا اليه من الاصنام يعبدونها كما يفعل هولاء الاقوام الذين يمرون بهم فبدلا من شكر الله عز وجل على اخراجهم من عذاب فرعون واهلاكه نراهم يطلبون منه ان يتخذ لهم الها " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهه قال انكم قوم تجهلون الاية (١) .

٢- الموقف الثانى :عبادة العجل :-

ويظهر انهم لم يقتنعوا بما اخبرهم موسى بحقيقة الرب الاله فلما غاب عنهم لمناجاة ربه حتى قاموا بصنع هذا الاله وعبدوه " قال تعالى " واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار (٢) .

٣- الموقف الثالث :-لن نومن لك حتى نرى الله جهره :-

لقد كانت طبيعة بنى اسرائيل فى غاية التمرد والالتواء والتعنت وعدم الاطمئنان والثقة بنبى الله موسى عليه السلام على الرغم مما رأوا على يديه من الايات فنراهم يطلبون رؤية الله عز وجل بعدما اخبرهم موسى عليه السلام بما اوحى اليهم ." قالوا ارنا الله جهرة"(٣)

ولا شك ان هذه المواقف من العتو والعناد والانحراف لم تكن من بنى اسرائيل اجمع بل كانت هناك قلة تسمع لموسى وتؤمن به .

(١) الاعراف : آية ١٣٨ . (٢) الاعراف : آية ١٤٨ .

(٣) النساء : آية ١٥٣ .

٤- الموقف الرابع : طلب موسى عليه السلام دخولهم قريه لتدريبهم على الجهاد :-

بعد ان قسمهم موسى اثنا عشر فريقا طلب منهم فى طريق سيره الى الارض المباركة ان يدخلوا قرية كانت فى طريقهم وبين لهم طريقة الدخول . ان يدخلوها خاضعين لله تعالى شاكرين انعامه عليهم وامرهم بان يقولوا حطه) اى احطط عنا خطايانا ولكنهم لم يفعلوا فبدلوا السجود بالزحف وقالوا حبه فى شعره . فانزل الله عليهم رجزا من السماء بما كانوا يفسقون . والرجز هنا الطاعون كما جاء فى الحديث الذى رواه اسامه " الطاعون رجس ارسل على طائفة من بنى اسرائيل او على من كان قبلكم (١) .

٥- الموقف الخامس : رفض النعم التى انعم الله بها عليهم فى الصحراء والحنين الى الذل :-

لقد اكرمهم الله عز وجل برزق وشراب مناسب لهم وهم يعيشون فى صحراء سيناء متوجهين الى الارض التى اراد الله عز وجل ان يفتحوها وينشروا الايمان فيها ، فتتفجر المياه عليهم حيث حلوا وينزل عليهم المن والسلوى من السماء . ولكنهم لم يطيقوا فترة الاستعداد لما هو مطلوب منهم فاخذوا يلتمسون الاعذار الواهيه ويطلبون حياة الذل ويطلبون الذى هو ادنى بالذى هو خير قال ابن كثر رحمه الله كان سؤلهم هذا من باب البطر والاشر ولا ضرورة فيه فلم يجابوا فيه(٢) .

---

(١) فتح البارى ، للعسقلانى (١٠ : ١٠٢) .

(٢) تفسير ابن كثير (١: ١٠٢) .

والظاهر انهم لا يريدون ان يواصلوا مشاور الايمان يريدون ان يبقوا على المذلة والهوان وعلى اكل الثوم والبصل وما هو موجود فى اى مصر على ان يعطوا المن والسلوى ويطلب منهم السير فى درب الايمان . انها النفس البشرية الملتوية تكره التكاليف ولهذا عاقبهم الله عز وجل بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة والغضب منه عز وجل عليهم الى يوم القيامة " قال تعالى فى بيان هذا الموقف " واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها الاية ."(١) .

٦- الموقف السادس :ج قصتهم مع البقرة والتواءهم فى تنفيذ ما هو مطلوب منهم :-

---

وقصة البقرة واضحة من السياق القرآنى وهى ان دلت على شيء فانما تدل على اللجاجة التى امتاز بها بنو اسرائيل فى اخذ الحق والعناد اضافة الى سوء ظنهم برسولهم موسى عليه السلام وعدم الثقة به . قال تعالى " واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين ، قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ؟ قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة لاشية فيها فذبحوها وما كادوا يفعلون (٢)

---

(١) البقرة آية ٦١ .

(٢) البقرة آية ٦٧ - ٧٣

٧ - الموقف الاخير حثهم على دخول الارض المقدسة وخوفهم من اهلها :-

لقد طلب منهم موسى عليه السلام ان يدخلوا الارض المقدسة التى ستكون سكنا لهم ان امنوا بالله عز وجل وان مجرد الاقدام عليها سيكون النصر حليفهم ولكنهم نكصوا على اعقابهم وتعذروا بانهم لا يستطيعون بل طلبوا ان يخرج منها اهلها لكى يدخلوها . انهم يريدون نصرا مريحا لاثمن له . كما كانت تنزل عليهم الانعام من من وسلوى بدون تعب ولا جهد . بل بلغت بهم الوقاحة حدا كبيرا ان طلبوا من موسى عليه السلام وربه ان يقاتلا وهم قاعدون فهم لا يريدون ملكا ولا عزا ولا ارض ميعاد ما دام فيها جبارون .

اى موقف اعظم من هذا فى التمرد وخاصة وقد رأوا الايات الكثيرة التى لم يتعظوا منها ، ولهذا عاقبهم الله عز وجل بالتيه اربعين سنه حتى يخرج الله عز وجل جيلا منهم يستطيع ان يقوم بالمسئولية والجهاد والشجاعة .

قال تعالى مخبرا عن هذا الموقف " واذا قال موسى يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين . يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهم ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين . قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون . قال رب انى لا املك الا نفسى واخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم اربعين سنه يتيهون فى الارض فلا تأس على القوم الفاسقين (١) .

---

(١) المائدة : الايات ٢٠ ـ ٢٦) .

المبحث السادس

مواقف الدعوة ودروسها من دعوة موسى عليه السلام لفرعون وقومه وبنى اسرائيل

(أ) دروس الدعوة من دعوته لفرعون وملئه .

(١) دروس الدعوة فيما تمثل فى دعوة الملأ الصالح .

(٢) دروس الدعوة فيما تمثل فى دعوة الملأ الطالح .

(ب) مواقف الدعوة فيما تمثلت فى دعوة موسى لبنى اسرائيل .

مواقف الدعوة ودروسها من دعوة موسى عليه السلام

لفرعون وقومه ولبنى اسرائيل

&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&&

دروس الدعوة من دعوة موسى عليه السلام للملأ :-

(أ) دروس الدعوة من دعوته لفرعون وملئه :-

اولا :- دروس الدعوةفيما تمثل فى دعوة الملأ الصالح :-

(أ) مؤمن آل فرعون :-

(١) تحسس بعض افرادالعصبة المسلمة داخل المجتمع المعادى لمصلحة الدعوة وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه " (١)

(٢) التدرج فىالنصيحة والتلطف كما تدرج مؤمن آل فرعون فى نصيحة من تذكير بنعم الله عز وجل حتى هددهم وخوفهم من بطش الله بهم ان عصوه سواء فى الدنيا او فى الاخره .

(٣) الملأ ليسوا كلهم اشرار ، فلا بد من وجود ملأ صالح حول كل حاكم كما قال عليه الصلاة والسلام" ما بعث الله تعالى من نبى ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان . بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانه تامره بالشر وتحضه عليه،والمعصوم من عصم الله تعالى(٢)

(٤) تكتيم الايمان لمصلحة الدعوة والعمل سرا لما يخدم الدعوة .

(٥) الظهور فى الوقت المناسب لصد اعداء الله عز وجل والوقوف امامهم بالكلمة الحقة فخيرالشهادة كلمة حق عند سلطان جائر(٣) .

---

(١) غافر اية ٢٨ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب باب بطانه الامام واهل مشورته البطانه الدخلاء .

(٣) سنن ابى داود للامام ابى داود سليمان بن الاشعث ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، اعداد الدعاس ، وعادل السيد . ط الاولى ١٣٩٣ هـ .كتاب الملاحم (٤ : ٤(٥١).

(٦) التضحية بالنفس فى سبيل الدعوة.

(٢) اما الدروس التى تمثلت فى شان امرأة فرعون واستجابتها موسى عليه السلام فاليك بيانها .

المواقف الايمانية فى شان امرأة فرعون او دروس الدعوة فى هذه المواقف الايمانية الذى تمثل فى ايمانها واجابتها لدعوة موسى عليه السلام والعيش بقالبها دون قلبها وهى تعيش فى كنف قصر فرعون ، واليك هذه المواقف :-

اولا :-

ان الاشخاص يختلفون فى كفاءتهم للدعوة من شخص الى آخر وان دور المرأة فى الدعوة يختلف عنه فى الرجل ، فالاستجابة للدعوة فى المرأة تتمثل فى نجاحها امام المغريات المادية اكثر منها فى الرجل

ثانيا :-

نجاح الداعية فى نعمة السراء اعظم من نجاحه فى نعمة الضراء يتمثل هذا فى انتصار امرأة فرعون على ما كان يحوطها من مغريات دنيوية يمكن ان تحدها عن الله عز وجل وعن طريقة ، وهذا لعمر الله لشان عظيم ان ينجح الداعية فى ابتلاءاته المؤذية جسديا ، ويوم ينعم عليه بالنعم يكون هلاكه فيها ، ولهذا خاف كثير من الصحابة من فتنة النعماء لان فى ثناياها يتفلت المرء من التزاماته الربانية ويتسيل لنفسه الامور التى تهواها ، اما عندما تشتد المخاطر به وتشتد الكروب يكون على الدوام مع الله عز وجل على ما يرضاه .

ثالثا :-

الداعية لا يخضع خطة القرابة عقبة فى دعوته فالاقرب اليه من يستجيب لدعوته ويكون معه فى خطة ، والا بعد اليه من يعارض دعوته ولو كان الاقرب .

وفيه ايضا عدم اليأس من ظهور الاستجابة للاسلام من عليه القوم الذين يفترض حصول الاغراض من الاكثرية منهم .

(٦) لا تنفع الكافر معاشرة المؤمن: الا اذا كتب الله به الايمان كما لا تضر المؤمن معاشرة الكافر ما دام ثابتا على الايمان مستمسكا به وفى هذا فضل عظيم لمن يعيش متمسكا بدينه فى وسط الفتن وان كان لا بد ان يعيش بين ظهرانى المسلمين كالاجئ من المسلمين فى بلاد الانحلال والفتن وكفار من ظالم قتل او غيره والا فالاصل ان يجد المسلم ما يامن فيه دينه من هذه الفتن والله اعلم .

(٢) مواقف الدعوة ودروسها من دعوة موسى لفرعون ولملأ فرعون الطالح:-

---

(١) حب الجاه والسلطان والحرص عليهما من اخطر الامور فى عدم تقبل الحق والاذعان اليه ومن اعظمها فى التاثير على صاحبها بحيث تجعله يغمط الحق ويدفعه ويستعلى عليه .

(٢) قدرة اصحاب السلطة وعليه الاقوام على التاثير على العامة وجعلهم يقفون فى وجه الدعوة التى جاء بها النبى عليه السلام

(٣) خوف الظلم من سلطان الحق الذى يكشف للناس الظلم والاستعباد والاوضاع الجائرة التى يعيشها الحاكم وملأه .

(٤) انهزام اصحاب الباطل امام براهين الايمان الواضحة وعدم وجود ما يدفعون به الحق ، سوى اساليب المكر والمغالطة والاتهامات الباطلة وتوجيه المطاعن المفتراه الى اصحاب الحق بهتانا وزورا وقد يحتمون فى النهاية الى استعمال اساليب الاغراء والتهديد اذا لم يجدوا الا ذلك لاخماد الحق واطفاء نوره

(٥) خراب الملك الذى يقوم على الباطل والافساد فى الارض .

(٦) الاستبداد بالرأى والتحكم فى العباد شان الحاكمين الظالمين

قال الرازى رحمه الله معلقا على الايات الكريمات اخر سورة التحريم " وجعل الاقارب من جملة الاجانب بل ابعد منهم (١) وقد استكمل القرآن جهات الاقرباء فجعل الدعوة خطا فاصلا بينها فى عدم الاستجابة فذكر قصة هاتين المرأتين .

امرأة نوح وامرأة لوط . وكذلك امرأة فرعون فهنا العلاقة الزوجية لا تنفع شيئا من الكفر ، وذكر ابراهيم مع ابيه ونوحا مع ولده فاستكمل جهات الاقرباء زوجة مع زوجها وولد مع والده ووالد مع ولده .

(٣) الاستعلاء على الشهوات فى سبيل الدعوة من انجح ما يتحمله الداعية فى طريق دعوته .

(٤) الدعاء من الفتن سبيل الصالحين ، فالداعية دائما اللجوء والتضرع الى الله عزوجل ، وان يجنبه الفتن .

(١) قال صاحب البحر المحيط عند قوله تعالى " ونجنى من القوم الظالمين " وفى هذا دليل على الالتجاء الى الله تعالى عند المحن والفتن وسؤال الخلاص منها وان ذلك من سنن الصالحين والانبياء (٢) وقال صاحب روح المعانى " وفى الاية الاستعاذة بالله والالتجاء الى الله عزوجل وسأله الخلاص منه تعالى من المحن والنوازل من سنن الصالحين وسير الانبياء وصدق القرآن الكريم (٣) .

(٥) ان الدعوة الى الله عزوجل ينبغى ان لا يقدر الانسان النتائج على ما يهوى فى حصول الهداية من قبل المدعوين ، فهذا فرعون لم يستجيب لدعوتها عزوجل ، واستجابت امرأته فعلى الانسان ان يقوم بالدعوة الى الله عزوجل وهو الهادى الى سواء السبيل .

---

(١) تفسير الفخر الرازى (٣٠ :٤٩) .

(٢) تفسير البحر المحيط ، لابن حيان الاندلسى (٨ : ٢٩٥)

(٣) روح المعانى ، للالوسى : ٢٨ :١٦٤ .

(٣) مواقف الدعوة التى تمثلت فى دعوة موسى لبنى اسرائيل :-

(١) لا يأتى النصر الا بعد التمحيص وهذا الذى حدث لبنى اسرائيل فى خروجهم من مصر فانهم اوذوا وابتلوا ابتلاء شديدا .

(٢) انه حين يتمحض الشر ويسفر الفساد ويقف الخير عاجزا والصلاح حسيرا ويخشى من الفتنة بالبأس والفتنة بالمال . عندئذ تتدخل قدرة الله عز وجل سافرة متحدية فلا ستار من الخلق ، ولا سبب من قوى الارض لتضع حدا للشر والفساد (١)

(٣) من تربى تحت سياط الذل والظلم والقهر حتى تطبعت نفسه على الخنوع والذل يحتاج الى المصلحين لكى يغرسوا فى نفسه العزة والكرامة والحرية من جديد الى جهود كبيرة .

(٤) تمرد النفس البشرية امام الانعم واصابتها بفتنة الرخاء وعدم رغبته فى اعمال الخير كما حدث لبنى اسرائيل فى طريقهم الى الارض المقدسة التى امرهم الله عز وجل بفتحها .

(٥) الاخذ على ايدى السفهاء العابثين بالعقيدة والقضاء على الامر الخارج عن العقيدة من انفع ما يقتلع به ما فى القلوب الفاسدة من عقائد باطله . كما فعل ذلك موسى عليه السلام عند انحراف بنى اسرائيل فى عقيدتهم .

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب (٥: ٢٦٧٤) .

الفصل الرابع

نتائج الدعوة فى فرعون وبنى اسرائيل فى الحياة الدنيوية

المبحث الاول :- النعم التى حصلت لبنى اسرائيل ومنها ما حل بعدوهم

المبحث الثانى :- النقم التى حلت ببنى اسرائيل لمخالفاتهم دعوة موسى عليه السلام .

المبحث الاول

النعم التى حطت لبنى اسرائيل ومنها ما حل بعدوهم

(١) النعم المباشرة .

(٢) العنم الغير مباشرة وهى ما حل بعدوهم .

* *

لقد تعددت النعم التى اكرم الله بها بنى اسرائيل سواء كانت هذه النعم التى كانت فى الزمن الذى عاشوا فيه مع موسىعليه السلام ، او الذى بعده فان القرآن الكريم يعرض هذه النعم على الابناء وهى قد تحققت للاباء وهى نعمة عليهم ايضا ، ويوضحها بذكر النعم اولا ثم موقفهم منها ثم ما حل بهم نتيجة موقفهم وفى الغالب مواقفهم جحودية متنكرة للنعم .

والذى يهمنا النتائج فى بنى اسرائيل منذ مبعثه وعرضه عليهم الدين الذى ارسل به اليهم حتى وفاته عليه الصلاة والسلام .

والمقصود بالنتائج لدعوة موسى عليه السلام سواء فى بنىاسرائيل او فى فرعون وقومه ، هو ما نتج من التفاعل مع هذه الدعوة التى بلغهم بها موسى ايمانا او ودفعا فى الدنيا .(١)

ولو امعنا النظر فى ذلك ، لعرفنا ان النعم التى حصلت لبنى اسرائيل كانت نتيجة استجابتهم لدعوة موسى عليه السلام وان كان بعضهم قبل استجابتها استجابة قومية او لخروجه مما هو واقع فيه تحت قبضة فرعون وهؤلاء هم الذين كثر فيهم الخروج على موسى وعدم صبرهم مع هدايات الدعوة الى نهاية مشوارها ولو انعمنا النظر ايضا فى رفض فرعون لدعوة موسى عليه السلام وعدم السماح (٢) لبنى اسرائيل او الخروج من ارض مصر للقيام بهذه لرأينا انه هو الذى جر على فرعون العذاب والهلاك .

---

(١) واما النتائج فى الاخرة فساتعرض لها فى باب العقيدة فى آخر مبحث منه (المعاد واليوم الاخر فى قصة موسى .

(٢) كما قال تعالى (موضحا سبب جعلهم ائمة اى قادة فى الخير دعاة اليه على اظر القولين اضواء البيان الشنقيطى (٦:٢٥٣) :
"وجعلنا منهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا باياتنا يوقنون " السجدة ٢٤ .

ونقتصر فى هذا الفصل على النتائج والعبر التى حصلت فى واقع الجزاء الدنيوى سواء لبنى اسرائيل او لفرعون وقومه ، ونرجئ الحديث عن الجزاء الاخروى الذى ورد فى قصة موسى عليه السلام فى باب العقيدة فى آخر فصل منه .

ويمكن حصر النتائج لدعوة موسى فى قومه وما نالوا بسبب استجابتهم لها او الوقوف فى وجهها فى بعض المواقف فى الامور التالية وهى امران :-

(١) الامر الاول :- النعم (١) التى حصلت لبنى اسرائيل ومنها ما حل بعدهم .

(٢) الامر الثانى :- النقم التى حلت بهم نتيجة مخالفتهم .

(١) الانعامات المختلفة على بنى اسرائيل :-

بيان الانعامات التى حصلت لبنى اسرائيل من استجابتهم لدعوة موسى عليه السلام :-

الامر الاول : النعم التى انعم الله بها عليهم :-

---

(١) المراد بالنعمة فى الايات الواردة فى شان تذكير بنى اسرائيل "اذكروا نعمتى ... المنعم به عليهم وتجمع على نعم ن وقد وردت فى القرآن الكريم على الجمع (١) فى قوله تعالى :-
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها " ابراهيم :٣٤ اى نعم الله الكثيرة ، ففى كل آية عندما يخاطبهم القرآن اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم ، فليست النعمة المعهودة التى وضحت بل هو من قبيل استخدام المفرد فى معنى الجمع اعتمادا على القرينة وهو من ارفع الاساليب الكلامية انظر (بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة محمد سيد طنطاوى ص ٣٢٩) .

اولا : النعم المباشرة التى نالوها :-

(١) خروجهم من تعذيب فرعون وملئه لهم (نعمه تنجيهم من عدوهم) .
(٢) تفضيلهم على عالم زمانهم .
(٣) نعمة فرق البحر وخروجهم من مصر .
(٤) نعمة عفوه سبحانه عنهم بعد عبادتهم العجل .
(٥) نعمة انزال التوراة على موسى لهدايتهم .
(٦) نعمة ارشادهم الى ما يتخلصون به من ذنوبهم .
(٧) نعمة بعثهم من بعد موتهم .
(٨) نعمة تظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى عليهم .
(٩) نعمة اغاثتهم الماء بعد ان اشتد بهم العطش .

ثانيا النعم الغير مباشرة :

وهى ما حل بعدهم وهى نعمة فى حقهم :-

(١) هلاك فرعون وملئه وغرقه " ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك (١) "الايات .
(٢) ما نال عدوهم من العذاب والرجز .
(٣) وراثة ارضهم قال تعالى " فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون (٢) .

---

(١) الاعراف : آية ١٣٤ .
(٢) الاعراف الايات : ١٣٦ :١٣٧ .

الامر الثانى : النقم التى حلت ببنى اسرائيل :-

(١) ان النقم كانت تاتى بعد النعم وذلك لموقفهم الجحودى منها ، فان بعض النعم التى مرت بنا وكان موقفهم منها عدم الشكر نزلت عليهم العقوبة بعدها مباشرة (١) .

(٢) مرحلة التيه ،وهى من اهم النقم التى حلت بهم عند نكولهم عن دخول الارض المقدسة التى كتب الله لهم .

(٣) اما ما حل بهم من عذاب من قبل فرعون مبعث موسى عليه السلام ، فهذا كان نتيجة خروجهم عن طريق الله عز وجل انقذهم من فرعون على يدى موسى عليه السلام ، ولم يكن من نتائج تفاعلهم مع دعوة موسى ولكنها يعتبر من خروجهم عن منهج الله عز وجل . والقرآن الكريم لم يتعرض لماذا عذبهم فرعون ؟ وقد قال ابن عباس انهم لما استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى سلط الله ما حل بهم من انتقام نتيجة تفاعلهم مع دعوة موسى عليه السلام لا ما قبلها . ولنفصل الحديث عن هذين الامرين النعم والنقم التى حصلت بسبب دعوة موسى .

---

(١) ان القرآن وهو يتحدث عن مظاهر النعم على بنى اسرائيل قد عقبها بموقفهم الجحودى منها وبما ترتب على موقفهم هذا من قصاص عادل يتناسب مع ما اقترفوه من آثام ، فكانه سبحانه يصورهم وهم يمرون بحلات ثلاث :-

(١) حالة المن والعطاء .

(٢) حالة الجحود والاباء .

(٣) حالة الانتقام والجزاء . انظر بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة محمد سيد طنطاوى د. ٣٢٨ .

(أ) النعم المباشرة :-

النعمة الاولى : نعمة تنجيتهم من عدوهم فرعون وملئه :-

وهذه النعمة من اعظم النعم التى حصلت لهم فى حياتهم بل صرح القرآن ان موسى عليه السلام ارسل اليهم لاخراجهم من ظلم فرعون ،اذ لا يصلح لهم امرهم تحت طغيان فرعون يعبدهم لنفسه ولقومه .

ولبيان هذه النعمة نتحدث عنها من وجهين :-

الوجه الاول : ما نالهم على يدى فرعون وملئه حتى يتبين لنا اى عذاب كانوا فيه وماذا نالهم منه ، وقد تناولت من قبل اشارت الى مالحقهم من عذاب ومن تبدل احوالهم فى الفصل الاول فارجع اليه وهنا اغفله (١)

الوجه الثانى : امتنان الله عز وجل عليهم بهذه النعمة :-

فلنشرع اول فى بيان ما لحقهم من الوجه الثانى وهى بيان امتنان الله عز وجل عليهم بهذه النعمة

الوجه الثانى : ذكر الايات التى امتن الله فيها عز وجل عليهم ونجاتهم من هذا العذاب المهين . فى عدة مواضع واليك بيان ذلك .

لقد تكررت نعمة انجاء بنى اسرائيل من فرعون فى القرآن الكريم فى عدةمواضيع وذلك لجلال شانها .

(١) من ذلك قوله تعالى " واذا انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٢)

---

(١) انظر ما حل ببنى اسرائيل ما ذكرته فى نشاة موسى عليه السلام ،ص ٧٤

(٢) الاعراف : آية ١٤١ .

(٢) وقوله تعالى " واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذا نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلك بلاء من ربكم عظيم (١) .

(٣) وقوله تعالى " يا بنى اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبى(٢)

الوجه الاول :العذاب الذى نالهم من فرعون وملئه :- واليك بيان ذلك .

الوان العذاب الذى سلطه فرعون على بنى اسرائيل :-

خطط فرعون تخطيطا قامعا لبنى اسرائيل ومشتتا لشعب مصر يمكن تلخيصه فى الامور التالية :-

الامر الاول :- ويتمثل فيما يلى .

تمزيق الشعب احزابا وشيعا وهى النزعة الفرعونية القومية التى شتت بها الناس احزابا وشيعا ، يقاتل كل منهما الاخر حتى لا يقوم لهم قائم لحق وهى ما يمكن ان نطلق عليها سياسة الهاء الشعوب بافتعال معارك داخلية (٣) .

الامر الثانى :-

الجرائم المباشرة والتى صبها على بنى اسرائيل "البطش والتعذيب

---

(١) ابراهيم : آية ٦ .

(٢) طـه : ٨١ -٨٣ .

فهذه الايات الكريمة وغيرها مما فى معناها فيها تذكير لبنى اسرائيل بنعمة من اجل نعمة الله عليهم ، حيث انجاهم سبحانه مما اراد لهم من سوء وعمل على قتلهم وابادتهم ، واستئصال شافتهم . بنو اسرائيل فى القرآن والسنة د. محمد سيد طنطاوى ص ٣٥٠ باقتباس .

(٣) العبرة فى قصة موسى عليه السلام . محمد خير عدوى (٢٤٣) .

والتقتيل والتذبيح فى الانواع التالية من الجرائم :-

(أ) جرائم دموية ، تتمثل فى قتل الاطفال الابرياء وقبلها الاستضعاف وسومهم من سوء العذاب .

(ب) جرائم خلقية لا تقل فظاعة عن الجرائم الدموية . امعانا فى التنكيل وامعانا فى الحذر وقد تمثل هذا فى استحياءه للنساء بمعنى استبقاءهن احياء للخدمة والمهانة .

(ج) الجاسوسية المتمثلة فى القوابل وفى تسلط قارون على قومه واشرافه عليهم ورصده تحركاتهم واذلالهم بماله واستطالته عليهم .

الامر الثالث :-

ويمكن ان نلمسه من خلال بعض الايات فى وسائل التعذيب المختلفة التى كان يضطهد بها شعب بنى اسرائيل والمخالفين له وهى مما توعد بها موسى ومن آمن معه ونفذت فيهم .واليك بيان هذا الامر الثالث اولا:- اشارت الايات الى الامور التاليه من الاضطهاد .

(١) السجن "لتكونن من المسجونين "(١)

(٢) الرجم : والمقصود به السخرية والاستهزاء والحرب النفسية " وانى عذت بربى وربكم ان ترجمون (٢) .

وهذا السلاح يأتى بعد القمع المادى وعندما يجد الاعداء عدم جدواة يلجأون الى عالم الدعاية المغرضة عن الداعى , وموضوع دعوته والمدعوين الذين استجابوا لدعوته " .

---

(١) الشعراء : آية ٢٩ .

(٢) الدخان : آية ٢٠ .

ولهذا قالوا بعد ذلك لموسى فى استخدام هذا السلاح وما اعظمه من سلاح فى توهين العزائم "يا ايها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك" وكذا فصل الامر فى اعقاب النداء على سبيل الاستهزاء والسخرية من موسى عليه السلام وكانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر اى بما عهد عندك من ان دعوتك مستجابة اوبعهده عندك وهو النبوة(١).

ومن ذلك ايضا ما عرضته سورة القصص لموقف فرعون من دعوة موسى واستهزائه به حيث قال تعالى حاكيا عنه : فاوقد لى يا هامان صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين .(٢)

فحرب السخريةوالتحقير المقصود به تخذيلهم وتوهين قواهم المعنوية .

(٣) قطع الايدى والارجل من خلاف والصلب والتعليق فى جذوع النخل كما هدد بذلك السحرة ، وقد اشار القرآن فى اكثر من موضع بهذا التنكيل الذى اتخذه مع السحرة " فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم اجمعين (٣) .

واكتفى بهذه الاشارة الى انواع الاضطهادات والعذاب التى استخدمها فرعون بعد بعثة موسى عليه السلام ولا يمنع من استخدامه معهم قبل مبعثه موسى اليهم .

اما الامر الاول وهو :-

النزعة الفرعونية والقومية والحرب الداخلية بالهاء الشعب المصرى فقد صنفهم اصناف سواء شعب مصر او بنى اسرائيل بوجه اخص . صنف يبنون يحرثون ، وصنف يقومون بالاعمال القذرة ولعلهم اولئك بنو اسرائيل الى جانب اثارة النزعات القومية بين المصريين وبنى اسرائيل

---

(١) الاعجاز اللغوى فى القصة ، محمود السيد حسن مصطفى ص ٢٢٨ :٢٢٩ .

(٢) القصص : آية ٣٨ . (٣) الشعراء : آية ٤٩ .

وأما الامر الثانى وهو :-

الاضطهاد المادى والمعنوى الذى صبه فرعون على بنى اسرائيل ويمكن تقسيمه الى ثلاثة امور :-

(١) الاستضعاف وهو ايضا يعنى ما سامهم من سوء العذاب .

(٢) تقتيل وتذبيح الاطفال الابرياء .

(٣) استحياء النساء وابقاءهن احياء للخدمة كبارا .

ولنوضح هذه الامور فى ضوء ما ذكره المفسرون :-

(١) الاستضعاف :-

اذا نظرنا الى الايات التى تناولت الوان العذاب الذى صبه فرعون على بنى اسرائيل

نخرج بما يلى :- قال تعالى "يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم (١) .

(١) فيما يتعلق بالاستضعاف والسوم من سوء العذاب فسر بما بعده وهو امر الذبح والاستحياء كما ذهب الى ذلك بعض المفسرين "(٢) .

(٢) وفى بعض الايات عطف الذبح والاستحياء على السوم من سوء العذاب فيكون غير الذبح والاستحياء ، وكذلك شأن الاستضعاف الوارد فى سورة القصص فسره على انه الذبح والاستحياء اى بما بعده كما قال تعالى " فى سورة ابراهيم "واذا قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ نجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (٣) .

وقال تعالى فى سورة القصص " ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم انه كان من المفسدين (٤) .

---

(١) القصص : آية ٤ . (٢) تفسير ابن كثير (١:٩٠) .

(٣) ابراهيم : آية ٦ . (٤) القصص : آية ٤ .

اذن من هذا نأخذ ان النوع الاول الذى اصاب بنى اسرائيل من فرعون ، هو هذا الاستضعاف وهو السوم من سوء العذاب .

ولقد اشار ابن كثير رحمه الله الى ان "سوء العذاب فى موضع مفسر بما بعده كما فى سورة البقرة " وفى موضع آخر كما فى سورة "ابراهيم " يعنى نوعا آخر غير الذبح والاستحياء المعطوفان عليه(١)

ولهذا قال صاحب المنار (استبطا المصريون اثر الاستدلال فى الاسرائيليين فعملوا على انقراضهم بقتل ذكرانهم واستحياء اناثهم فأمر فرعون القوابل بأن يقتلن كل ذكر لبنى اسرائيل عند ولادته لان من سنه الله فى الخلق ان قوام الشعوب والقبائل وحفظ الاجناس انما يكون بالذكور (٢) .

لكن اذا كنت قد اشرت الى معنى الاستضعاف والسوم من سوء العذاب وانه مفسر بما بعده أو انه الاستضعاف والسوم من سوء العذاب بمعنى واحد اى ان كل منهما لون معين من العذاب فما معنى كل منهما ؟ فى اللغة والواقع الذى حصل من فرعون لبنى اسرائيل ؟ . فاليك بيان ذلك

معنى السوم :-

يقول الطبرى رحمه الله "يسومونكم سوء العذاب وهو يعنى ما ساءهم من العذاب قال : وقد قال بعضهم : اشد العذاب ولو كان ذلك معناه لقيل اسوأ العذاب (٣) .

قال الراغب :السوم اصله الذهاب فى ابتغاء الشىء فهو لفظ لمعنى مركب من الذهاب والابتغاء واجرى مجرى الذهاب فى قولهم :سامت الابل

---

(١) تفسير ابن كثير (١:٩٠) .

(٢) تفسير المنار /، محمد رشيد رضا (١:٣١٣) .

(٣) تفسير الطبرى (١:٢٧١) .

فهى سائمة ، ومجرى الاستيفاء فى قولهم سمت كذا ومنه قيل :سيم فلان الخسف فهو يسام الخسف (١) فكان عذابهم دائما مستمرا بلا انقطاع ، كما كان نتيجة استيفاء فرعون وآله وطلبهم وتخطيطهم ومكرهم .

يقول سيد قطب فى معنى يسومونكم سوء العذاب "من سام الماشية اى جعلها سائمة دائما " وكان العذاب كان هو الغذاء الدائم الذى يطعمونهم اياه (٢) .

والخلاصـــــــة :-

---

(١) انهم كانوا يسومونهم ويستعملونهم بالاعمال الشاقة المختلفة

(٢) واما معنى الاستضعاف :- فقال صاحب بصائر ذوى التمييز "-واستضعفه ،عده ضعيفا قال الله تعالى "الا المستضعفين " وتضعفه بمعناه (٣) .

قال ابن جرير رحمه الله "ذكر ان استضعافه اياهم كان استعباده(٤) لهم وقال الرازى :معنى يستضعف يستخدمهم (٥).

وقال صاحب كتاب التفسير المنير :استضعفوا : قهروا (٦).

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الاصفهانى ص ٢٥٠ .

(٢) فى ظلال القرآن سيد قطب ،(١:٧٠) .

(٣) بصائر ذوى التمييز ، فى لطائف الكتاب العزيز ،مجد الدين يعقوب الفيروزبادى ، المكتبة العلمية بيروت .ت الاستاذ على النجار (٤٧٦) .

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى (٢٠:٢٧) .

(٥) تفسير الرازى (٢٤:٢٢٥) .

(٦) تفسير المنير محمد الجاوى (٢:١٣٦) .

وقال البغوى فى تفسيره : ثم فسر الاستضعاف فقال : يذبح ابناءهم ويستحى نساءهم (١) ثم قال وسمى هذا استضعافا لانهم عجزوا او ضعفوا عن دفعه عن انفسهم وعندى والعلم لله ان كلام البغوى فى تفسيره للاستضعاف له وجاهته وذلك لان اعظم ما استضعف به هذه الطائفة هو التذبيح والاستحياء لنساءهم .

والمقصود ان فرعون وآله وملئه تتبعوا فى اضطهاد بنى اسرائيل الاضطهاد المادى والمحسوس درجات .

(١) فالهوا شعب مصر فى حرب داخلية وتوزيعهم شيعا ثم استضعفوهم بعد ذلك وواصلوا اضطهادهم شأوا عظيما حتى قتلوا اطفالهم واستحيوا نساءهم وهذا الاستضعاف اوسومهم من سوء العذاب على الاحياء من الرجال فلا يفسر بما بعده بل هو خاص بما كان يفعله فى رجال بنى اسرائيل هو الاولى عندى ، اذ انه من الطبيعى ان يكون من الدرجات الاولى فى التعذيب والاضطهاد لتكون لهم فرصة للعودة الى ما يريد فرعون منهم .

ولا مانع ان يكون فى آخرى مفسر ومبين بما بعده .

وقد ذهب صاحب المنار الى انه استضعف ابدانهم لان ذلك يؤدى الى فنائهم ولكونه ياخذ وقتا طويلا عدل الى غيره (٢) فيكون الاستضعاف من خلال ما عرضنا بمعنى :-

(١) القهر والاستخدام والاستعباد .

(٢) واعمالهم فى المشاق من الاعمال .

وانما فعل ذلك حيث راى انه لا منعه لهم تمنعهم مما اراده (٣) فيهم وهذه الطائفة قال غير واحد من المفسرين هم بنو اسرائيل .

---

(١) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ،للامام ابى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى . اعداد وتحقيق . خالد عبد الرحمن العك ، مردان سوار دار المعرفة بيروت ،ط٢ سنة ١٤٠٧ هـ (٣:٤٣٤) .

(٢) تفسير المنار (٢٠:١٣١) . (٣) تفسير ابن سعدى (٦:٤).

واذا كنت قد بينت معنى السوم ومعنى الاستضعاف فاليك الحديث فى شان التقتيل للاطفال والاستحياء للنساء ولنقف عندها لنرى اى عذاب نال بنى اسرائيل من هذا الطاغية الجبار ليتعرف المؤمنون ان طريق الحق والدعوة طريق شاق وان الابتلاء الامتحان احد معالمه .

ثانياً (٢) الكلام فيما يتعلق بأمر الذبح والقتل للاطفال فى ضوء القرآن الكريم وبالنظر فى الايات الكريمات الواردة اولا فى هذا الامر (ذبح الاطفال الابرياء) يمكن الحديث عنه فى ضوء هذه النقاط التالية :-

(١) المقصود بالذبح .

(٢) وقوع الذبح على الاطفال دون الرجال على الرأى الصحيح من اقوال العلماء وادلته .

(٣) متى وقع امر الذبح والتقتيل ؟

(٤) فرعون ولغه الدماء فى عالم الابرياء افظع بشاعة عرفها التاريخ .

(١) المقصود بالذبح :-

قال القرطبى : الذبح الشق والذبح المذبوح تشقق فى اصول الاصابع وذبحت الدن ":نزلته اى كشفته ، وسعد الذابح :احد السعود "والمذابح :المحاريب والمذابح :جمع مذبح وهو اذا جاء السيل فخد فى الارض فما كان كالشبر ونحوه سمى مذبحا (١) .

والذبح فى اللغة :الشق والذبح معناه الحلقوم ، فعملية الذبح احداث الشق فى الحلقوم .

قلت واذا كان المذبح كما ذكره القرطبى "ما يساوى مقدار الشبر فى الارض مما يخده السيل والذبح بمعنى الحلقوم فى اللغة .

---

(١) تفسير القرطبى (١:٣٨٥) . (٢) انظر (ص ٤٣) .

فان الذبح الذى احدثه فرعون فى بشاعته وفى صورة الذى عرضها المفسرون ما يتفق مع هذين المعنيين . وانظر ما ذكره الطبرى وابن حاتم فى تفسيرهما عن الذبح للابناء .

(٢) وقوع الذبح على الاطفال دون الرجال على الرأى الصحيح من اقوال العلماء وادلته .

لخص صاحب كتاب "بنو اسرائيل فى القرآن والسنة ما اورده الطبرى والقرطبى والرازى حول هذه المسالة وانا انقل كلامه هنا (١) .

"رجح ابن كثير من المفسرين ان المراد بالابناء فى قوله تعالى "يذبح ابناءكم "الاطفال دون البالغين ،لان اللفظ من حيث وضعه يفيد ذلك ،ولان قتل جميع الرجال لا يفيدهم حيث أنهم كانوا يستعملونهم فى الاعمال الشاقة والحقيرة ولانه لو كان المقصود بالذبح الرجال ،لما قامت ام موسى بالقائه فى اليم وهو طفل صغير لتجنبه من الذبح .

ويرى بعض المفسرين ان المراد بالابناء الرجال لا الاطفال ،لان لفظ الابناء هنا جاء فى مقابلة النساء والنساء هن البالغات والذى نرجحه هو القول الاول لما ذكرناه ،ولانه اتم فى اظهار نعمة الانجاء ، حيث كان آل فرعون يقتلون ابناءهم قطعا للنسل ويسترقون الامهات استعبادا لهن ويبقون الرجال يتعرضوا على التدريج للهلاك وبقاء الرجال على هذه الحالة اشد عليهم من الموت .

(٣) متى وقع التقتيل فى بنى اسرائيل :-

---

(١) قبل موسى "كما قال تعالى "ان فرعون علا فى الارض وجعل اهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح ابناءهم الايات (٢) .

---

(١) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ،سيد محمد طنطاوى ص (٣٤٨:٣٤٩) .

(٢) القصص : الايات (٤:١) .

(٢) ووقع بعد ارسال موسى ومجىء الحق اليهم كما قال تعالى " فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه الاية (١) .

(٣) ووقع ايضا بعد انتصار موسى وظهور صدقة كما قال تعالى " وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحى نساءهم الاية (٢)

ولبيان هذه النقطة اكثر نلقى مزيدا من الضوء عليها كما فى هذه النقطة الاخيرة .

(٥) فرعون ولغة الدماء وافظع بشاعة عرفها التاريخ :-

فى ضوء الايات السابقات يمكن ان تتضح لنا نفسية فرعون البشعة ووحشيته يقول صاحب كتاب "اولو العزم من الرسل " " واذا كان له فى نظره الاحمق ما يبرر وحشيته قبل ظهور موسى رغبة فى التخلص من عدوه المنتظر فاى مبرر له فى وحشيته بعد ظهور موسى .

وما ذنب الاطفال والنساء بعد ان ظهر المولود المقصود ؟

وما الذى يفسر لنا بالتقتيل " بهؤلاء الابرياء بعد انتصار موسى عليه وقال تعالى " وقال الملأ من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك والهتك "(٢) .

ثم يقول :- اللهم الا ان يكون المبرر تلذذ فرعون بهذه الوحشية التى لطخت تاريخ البشرية .(٣) .

ان التاريخ لم يعرف فى حياة البشرية سفاكا للدماء ، شرها فى ازهاق الارواح متفننا فى ابتداع جرائم التنكيل ، كما عرف فرعون .

---

(١) غافر : آية ٢٥ .

(٢) الاعراف : آية ١٢٧ .

(٣) اولو العزم من الرسل ، محمد عبد الله السمان / ص (١٣٤،١٣٣) .

ان لغة الدماء عرفتها من غير شك البشرية منذ عهد آدم ابى البشر ولكن حين يكون الاطفال الابرياء ضحايا هذه الدماء ، فان لغة الدماء تحجج على الوحوش الضارية والذئاب الجائعة والكلاب الهائمة .

ومن فرعون لنفسه ان ينافس الوحوش والذئاب ، والكلاب فى جولتها فراح يتلذذ بسفك دماء اطفال بنى اسرائيل حتى لا يخرج منهم الغلام المنتظر الذى يكون هلاك فرعون على يديه .

(٣) الامر الثالث :- امر الاستحياء للنساء :-

الكلام فيما يتعلق بالاستحياء فى ضوء القرآن الكريم :-

"ابتكر فرعون جريمة ادبية لا تقل فظاعة عن الجريمة الدموية (التى تكلمنا عنها) . فانه امعانا فى التنكيل ، وامعانا فى الحذر ، استبقى نساء بنى اسرائيل وحل بينهم وبين ازواجهن ، حتى يضمن الا يخرجن الى الحياة من يقوض ملكه (١)

"ان فرعون سلك وسيلة خبيثة فى اضطهاد بنى اسرائيل وتعذيبهم "انه يريد ان لا يقتلهم جميعا ولكنه يريد ان يقتل العزة والكرامة والرجولة فيهم وان يجعلهم يعيشون الذل والهوان والعبودية ، وهداه تفكيره الشيطانى الى ان يقتل الابناء ويستحى بناتهم اى يبقيهن احياء (٢) .

وفى ضوء الايات التى وردت فى مسالة الاستحياء نتناول الحديث عنها فى ضوء النقاط التالية :-

(١) معنى الاستحياء .

(٢) ايهما اعظم القتل او الاستحياء .

---

(١) اولو العزم من الرسل /محمد عبد الله السمان ،ص ١٣٤) .

(٢) المصدر السابق ص ١٣٤ .

(١) معنى الاستحياء :-

قال الطبرى :الاستحياء من الاستفعال من الحياة نظير الاستبقاء م
البقاء والاستسقاء من السقى .

ويعنى هذا فى الاية :- استحياء النساء استبقاؤهن احياء
واستبعد من فسر الاستحياء بالاسترقاق وقال انه تاويل غير موجود ف
لغة عربية ولا عجميه وذلك لما سبق .

وقال صاحب روح المعانى :يستحيون نساءكم "اى يستبقون بناتك
ويتركوهن حيات .

(٢) وقيل يفتشون فى حيائهن ينظرون هل بهن حمل والحياء الفرج لان
يستحى من كشفه .(١)

وقال رحمه الله وهو يحلل الكلمات التى وردت فى الاية :-
النساء جمع المراة وفى البحر جمع تكسير لنسوة على وزن فعلة جمع فت
وزعمه ابن لاج :انه اسم جمع وعلى القولين لم يلفظ له بواحد من لفظ
وفى الاصل البالغات دون الصغائر .

ثم قال (١) فهى على الوجه الاول " مجاز باعتبار الاول للاشارة الى ا
استحياءهم كان لاجل ان يصرن نساء لخدمتهن .

(٢) وعلى الثانى :فيه تغليب البالغات على الصغائر .

(٣) وعلى الثالث : حقيقة .(٢) .

وقد ذهب غير واحد من المفسرين الى ان استحياء النساء استبقاءهن
احياء وذلك لكى يبقين للخدمة اذا كبرن .

(٢) ايهما اعظم القتل ام الاستحياء ؟

---

(١) روح المعانى للالوسى (١:٢٥٤).

(٢) المصدر السابق ،ص (١:٢٥٤.

قال صاحب روح المعانى :-(١) .

" وقدم الذبح لانه اصعب الامور واشقها عند الناس ، وان كان ذلك الاستحياء اعظم من القتل لدى الغيور .

وخلاصة القول فى هذين الامرين : الذبح او القتل والاستحياء هو ان فرعون وآله كان يزهقون ارواح ذكور بنى اسرائيل ويستبقون نفوس نساءهم وفى ذلك مضرة من عدة وجوه كما قال الرازى وذكرته لك سابقا .(٢) .

(٢) النعمة الثانية :- تفضيلهم على عالم زمانهم :-

لقد كان بنو اسرائيل افضل زمانهم كانوا موحدين لله عز وجل بينما كانت الشعوب التى تحوطهم غارقة فى الوثنية ، وقد حكت الايات تفضيلهم على العالمين ، ولا يفهم منها انهم مفضلون على العالم كله ومنها امة محمد كما يزعمون فى دعاويهم وقد اجاب عن هذه الشبهة الرازى (٣) فى تفسيره فقال رحمه الله " فان قيل ان تفضيلهم على العالمين يقتضى تفضيلهم على امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا باطل فكيف الجواب ؟ "

قلنا الجواب من وجوه اقربها الى الصواب ان المراد فضلتكم على عالمى زمانكم ثم بين رحمه الله كيف انه لا بد ان يكون تفضيلهم على عالمى زمانهم وذلك لان الشخص الذى سيوجد بعد ذلك وهو الان ليس بموجود لم يكن من جملة العالمين حال وجوده ،

---

(١) المصدر السابق :٢٥٤:١.

(٢) انظر ص .

(٣) تفسير الفخر الرازى (٢٥٥:١).

وامه محمد صلى الله عليه وسلم كانت موجوده فى ذلك الوقت فلا يلزم من كون بنى اسرائيل افضل العالمين فى ذلك الوقت ، انهم افضل من الامة المحمدية ، وهذا هو الجواب ايضا عن قوله تعالى " اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين (١) .

وعن قوله " ولقد اخترناهم على علم على العالمين (٢) وبهذا يتبين بطلان دعوى اليهود انه شعب الله المختار ، استنادا الى هذه الاية الكريمة وامثالها ، لانها دعوى لا تؤيدها النصوص ولا يهتدى لها العقل السليم .

(٣) نعمة فرق البحر بهم :-

لقد تكرر ذكر هذه النعم فى عدة مواضع من القرآن الكريم فقال تعالى " واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون (٣) وقال فى موضع آخر « فلما تراءا الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين . فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وازلفنا ثم الاخرين . وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين»(٤) .

وما حدث فى هذه النعمة هو ان الله عز وجل لما اوحى الى نبيه ان يخرج بنى اسرائيل ليلا من ارض مصر التى طال عذابهم الى ارض فلسطين ، ونفذ موسى عليه السلام ما امره الله به .

---

(١) المائدة : آية ٢٠ .

(٢)الدخان : آية ٣٢ .

(٣) البقرة : آية ٤٩ .

(٤) الشعراء الايات :(٦١ :٦٦ .

وعلم فرعون ان موسى وقومه قد خرجوا فتبعهم بجيش كبير ، وادركهم مع طلوع الشمس قرب ساحل البحر الاحمر ، وايقن بنو اسرائيل عندما رأوه انه مهلكهم لا محالة ولجأوا الى موسى عليه السلام يشكون اليه خوفهم وفزعهم ولكن رد عليهم بقوله " ان معى ربى سيهدين " واوحى الله اليه " ان اضرب بعصاك البحر "فضربه " فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وامر موسى بنى اسرائيل ان يعبروا بين الماء دون ان يمسهم اذى واقتفى فرعون وجنوده اثرهم طمعا فى ادراكهم وعندما عبر بنو اسرائيل البحر ولم يبق منهم احد بين المياه المنحسرة ، كان فرعون وجنده مازالوا بين طرق البحر فانطبق عليهم وعاد كما كان اولا فغرقوا جميعا ، وبنو اسرائيل ينظرون اليه فى دهشة وسرور(١)

فانجاهم الله عز وجل من عدوهم بل جعلهم يتأكدون بأم اعينهم هلاكه وذلك من تمام النعمة فى اهلاكه قال تعالى "وانتم تنظرون " اى اغرقنا آل فرعون وانتم تشاهدونهم باعينكم فكان ذلك ادعى لليقين بهلاك عدوهم وابقى للشماتة به (٢) .

(٤) النعمة الرابعةنعمة عفوه سبحانه وتعالى عنهم بعد عبادتهم للعجل

بعد ان نجاهم الله عز وجل ، واغرق عدوهم امام اعينهم ، طلبوا من نبيهم موسى ان يأتيهم بكتاب من عند الله ليعملوا باحكام الله فوعده سبحانه ان يعطيه التوراة بعد اربعين ليلة ينقطع فيها للمناجاة وبعد انقضاء تلك الفترة وذهاب موسى لتلقى التوراة من ربه ، اتخذ بنو اسرائيل عجلا جسدا له خوار فعبدوه من دون الله ، واعلم الله موسى ما كان من قومه بعد فراقه ، فرجع اليهم غاضبا حزينا ، واعلمهم بان توبتهم لن تكون مقبولة الا بقتل انفسهم منها ففعلوا ذلك ثم عفى الله تعالى عنهم لكى يشكروه ، ويلتزموا الصراط المستقيم (٣)

---

(١) بنو اسرائيل فى القرآن الكريم والسنة ، محمد سيد طنطاوى ،ص ٣٥٢

(٢) المرجع السابق ،ص ٣٥٢ .   (٣) المصدر السابق ،ص ٣٥٢ .

قال الله تعالى فى بيان هذه النعمة " واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ، ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون (١).

(٥) النعمة الخامسة: نعمة ايتاء موسى التوراة لهدايتهم :-

وهذه النعمة العظيمة التى كانت فيها صلاح امورهم وانتظام شئونهم وكانت فرقانا يبين الحق من الباطل فان الله عز وجل بعث التوراة بذلك ويخرجهم بهذه النعمة من الظلمات الى النور .

(٦) النعمة السادسة :نعمة ارشادهم الى ما به يتخلصون من ذنوبهم :-

ذكرنا نعمة الله عز وجل فى عفوه عنهم لعبادتهم العجل ومن النعم المتصلة بها ان ارشدهم الى طريق الخلاص من هذا الذى وقعوا فيه ، وذلكم بان يقتل من لم يعبد العجل منهم عابدى العجل وقيل ان يقتل كل من عبد العجل نفسه قتلا حقيقيا حتى يكفر ذنبه لعبادته لغير الله عز وجل (٢) "قال تعالى فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (٣) .

وقد ساق ابن كثير وغيره من المفسرين كثيرا من الاثار التى تحدثت عن كيفية حصول هذا القتل من ذلك ما رواه سعيد بن جبيرعن ابن عباس انه قال " قال الله تعالى لموسى ان توبة عبدة العجل ان يقتل كل واحد منهم من لقيه من والد وولد فيقتله بالسيف ولا يبالى من قتل فى ذلك الموطن فتاب اولئك الذين كانوا خرجوا على موسى وهارون فاطلع الله على ذنوبهم فاعترفوا بها وفعلوا ما امروا به فغفر الله للقاتل والمقتول (٤).

---

(١) البقرة الايات ٥٠ -٥١ .

(٢) المرجع السابق باختصار وتقديم وتاخير ،ص ٣٥٨ -٣٥٩ .

(٣) البقرة : آية ٥٤ . (٤) تفسير ابن كثير (١:٩٢) .

والمقصود قد انعم الله عليهم كيف يتخلصون مما وقعوا فيه من الذنب وقد فعلوا فتاب الله عليهم .

(٧) النعمة السابعة :نعمة بعثهم من بعد موتهم :-

لقد تجاوز بنو اسرائيل حدودهم ، وتعنتوا فى الطلب ، وقالوا لنبى الله موسى عليه السلام بجفاء وغلظه لن نومن لك حتى نرى الله عيانا وعلانية فيامرنا بالايمان وبما جئت به فاخذهم الله عز وجل بالصاعقة التى كانت عقوبة لهم ثم من الله عز وجل بلطفه فاحياهم من بعد ان اخذتهم الصاعقة .

"واذ قلتم يا موسى لن نومن لك حتى نرى الله جهره فاخذتهم الصاعقة وانتم تنظرون، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (١) .

(٨) نعمة تظليلهم بالغمام وانزال المن والسلوى عليهم :-(٢)

وهاتان نعمتان عظيمتان نعمة اظلالهم بالغمام وانزال المن والسلوى عليهم ، وكانت هاتان النعمتان مدة عيشتهم بين مصر والشام ، لتقيهم حر الشمس وحرارة الجو ، والطعام اللذيذ المشتهى بدون تعب منهم فى تحصيله فان الغمام وهو السحاب قد اظلهم ، والمن وهو على ارجح الاقوال مادة صمغية تسقط على الشجر تشبه حلاوته حلاوة العسل ، والسلوى طائر برى لذيذ اللحم سهل الصيد يسمى بالسمانى كانت تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء فيمسكونه قبضا بدون تعب وهذه نعم عظيمة تخفف عليهم عناء التيه الذى عاقبهم الله عز وجل به .

(١) البقرة : آية ٥٥ .

(٢) انظر الايات من سورة البقرة :٥٧ .

(٩) تاسعا :نعمة اغاثتهم بالماء بعد ان اشتد بهم العطش :-(٣) .

لقد اشتد بهم العطش فى الفترة التى كانوا فيه فى التيه كما ذكر ذلك ابن عباس فطلب موسى السقيا عند عدم الماء واشتداد العطش ، فضرب لهم موسى الحجر ، وصار منه اثنا عشر عينا من ماء لكل سبط عينا يشربون منها .

(١٠) عاشرا :- نعمة تمكينهم من دخول بيت المقدس ونكولهم عن ذلك :-

وهى نعمة عظيمة حتى يتخلصوا من عناء التيه وهذه النعمة وان لم تحصل فى زمن موسى عليه السلام الا انها حصلت بعد ذلك .

(١١)النعمة الحادية عشر :جعل فيهم الانبياء وملوكا :-

اما النعمة الاولى :- فهى جعل كثير من الانبياء منهم ، كموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ، ولم يبعث الله تعالى الانبياء فى امه من الامم كما بعث فى بنى اسرائيل ، فقد ارسل سبحانه عددا كبيرا من الانبياء اليهم فى فترات متعاقبة ليخرجهم من الظلمات الى النور .

(١) انظر قوله تعالى "واذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر" البقرة آية ٦٠ .

(١٢) النعمة الثانية عشر :- جعلهم ملوكا :-

(٢) اما النعمة الثانية :- فهى جعلهم ملوكا اى جعلهم احرارا يملكون امر انفسهم بعد ان كانوا مملوكين لفرعون وقومه ، او جعلهم يملكون المساكن ويستعملون الخدم بعد ان كانوا لا يملكون شيئا وهم من مصر ، وهذه نعمة الحرية من الفضائل العظمى التى اعطاهم الله عز وجل بدل الاستعباد الذى كانوا فيه من قبل (١) واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعل ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين (٢) .

الخلاصـــــــة :-

ان نعمة الله عز وجل على بنى اسرائيل كثيرة وكانت هذه من اجلها وقد ذكر الله عز وجل الابناء بها لانها عليهم وعلى الرغم من انها نعمة على ابائهم ، وذلك حثا لبنى اسرائيل الذى نزل فيهم القرآن الكريم للرجوع الى الحق ولبيان ثمرة الاستجابة الدعوة الى الله عز وجل والرجوع اليه .

(١) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة / محمد سيد طنطاوى ،ص (٤١٩/٤٢٠) باختصار ..

(٢) المائدة : آية ٢٠ .

النوع الثانى من النعم

" النعم الغير مباشرة

(٢)

ومى النقم التى حلت باعداتهم

ومى تعتبر تكملة للنعم التى اعطوها .

(١) النقمة الاولى :- هلاك فرعون وملئه وغرقهم فى البحر :-

قد ذكرنا فى نعمة فرق البحر بهم وكيف شاهدوا باعينهم هلاك اعداءهم وتلك نعمة عظيمة.

ففرق البحر ترتب عليه امران : اولهما : نجاتهم وتلك نعمة قد تحدثنا عنها ، وثانيها :اهلاك عدوهم ، وهذه نعمة عظيمة ايضا فى حقهم (١) .

(٢) النقمة الثانية :-

ما نال عدوهم من ايات العذاب والرجز التى ارسلها الله عز وجل على فرعون وقومه لكى يرجعوا الى رشدهم وليعرفوا ايات الله عز وجل التى كانت من اعظم الدلائل على قدرته تعالى ، ولكنهم تعاموا وتجاهلوا عنها وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها ، وقد اوضحت هذه الايات (٢) فى باب العقيدة فى الايات التى اعطاها الله عز وجل موسى فى ارساله الى فرعون وقومه . .....

النقمة الثالثة :- وهى وراثة ارضهم :-

وهذه نعمة فى حقهم وانتقام الله عز وجل من عدوهم " قال تعالى واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا (٣) "قال الجمل فى تفسيره قال ابو السعود " مشارق الارض ومغاربها اى جانبيها الشرقى والغربى فملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا فيها شرقا وغربا كيف شاءوا وقال صاحب الجلالين الشام .

---

(١) انظر تفصيل ذلك فى باب العقيدة فى مبحث استحضار فرعون وموته بالغرق وكيف ادركه الهلاك .

(٢) انظر فصل النبوات حول الايات التسع وكيف سلطت عليهم ص .

(٣) الاعراف الايات ١٣٧ .

واعترض الخازن فقال "وهذا التوفيق لا يعين هذا المعنى اى يعنى . وخصت بانها التى باركنا فيها " بل يمكن تفسير الارض بارض مصر وهى ايضا ذات بركه " فالنيل وغيره ذو بركة ثم قال ويؤيد على هذا ما فى آيات اخر كقوله تعالى " فى الشعراء كذلك واورثناها بنى اسرائيل (١) وقوله فى الدخان كذلك واورثناها قوما آخرين " (٢) وجمهور المفسرين على ان بنى اسرائيل بعد ذهابهم الى الشام رجعوا الى مصر بعد هلاك فرعون . وقيل انهم لم يعودوا الى مصر والقوم الاخرون غير بنى اسرائيل وهو قول ضعيف (٣) .

---

(١) الشعراء اية ٥٩ .

(٢) الدخان اية :٢٨ .

(٣) الفتوحات الالهية ، للجمل (٢).

المبحث الثاني

النقم التي حلت ببني إسرائيل نتيجة مخالفتهم لدعوة موسى عليه السلام

الامر الثانى

(٣) النقم التى حلت ببنى اسرائيل نتيجة مخالفتهم لدعوة موسى عليه السلام ,,,

(١) النقمة الاولى : قتل بعضهم بعضا :-

" وذلك عندما عبد بنو اسرائيل او فريق منهم بصورة ادق العجل الذى صنعه لهم السامرى عندما غاب موسى عنهم لتكليم ربه ورجع الى قومه ووجدهم يعبدون العجل فحرق العجل ونسفه فى اليم نسفا وطرد السامرى وجعله يهيم على وجهه فى الصحراء حتى وافته منيته وعاتب قومه اشد العتاب على جريمتهم وكفرهم بالله (١) .

" واذ قال موسى لقومه ، يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم (٢) .

(٢) النقمة الثانية :-

لقد عاقبهم الله عز وجل بالقسوة للقلوب فتحكمت هذه القسوة فيها وجعلتها كالحجارة او اشد قسوة ، وان من الحجارة التى لاعدوه وخرج منها الماء ليونه اكثر من قلوبهم وذلك بسبب نقض الميثاق .

قال تعالى حكاية عن هذه العقوبة " ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة او اشد قسوة وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون (٤) .

---

(١) الشخصية اليهودية ، صلاح عبد الفتاح الخالدى ،ص ٢٦٥ .

(٢) البقرة آية ٥٤ .

(٣) البقرة آية : ٧٤ .

(٤) المرجع السابق ،ص ٢٨٠ .

النقمة الثالثة :

وتتمثل فى تمردهم على النعم التى كانت تحوطهم ينزل عليهم العذاب حتى يعفو عنهم عز وجل .

ومن امثلة ذلك طلب رؤية الله عز وجل كما مر معنا فانتقم الله عز وجل منهم بأن اخذهم بالصاعقة ومنها التيه التى وقع عليهم وكانت مدته اربعين سنة ، حتى يهلك ذلك الجيل الذى لم يطلع ان يجاهد لدين الله عز وجل وكانوا قد البسوا الذلة نتيجة ما وقع بهم فى ارض مصر ولم تنفع معهم حيله .

قال تعالى " قال فانها محرمه عليهم اربعين سنه يتيهون فى الارض فلا تاس على القوم الفاسقين (١) .

لقد وضحت لنا الايات التى تحدثت بشان دخولهم الارض التى كتب الله عز وجل بالحرمان من دخولها وبالتيه فى قطعة من ارضه .ما يوضح مدى الجبن والذل .

يقول ابن خلدون . ويظهر من سياق الاية الكريمة ومفهومها : ان حكمة ذلك التيه مقصوده وهى فناء الجيل الذى خرجوا من قبضة الذل والقهر والقوة وتخلقوا به ، وافسدوا من عصبيتهم حتى نشا فى ذلك التيه جيل آخر عزيز لا يعرف الاحكام والقهر ولا يسام بالمذلة ، فنشات لهم عصبية اخرى ، اقتدوا بها على المطالبه والتغلب ، ويظهر لك من ذلك ان الاربعين سنه اقل مما ياتى فيها فناء جيل ونشاة جيل آخر (٢)

---

(١) المائدة : آية ٢٦ .

(٢) مقدمة ابن خلدون للعلامه عبد الرحمن بن خلدون ، ضبط المتن الاستاذ خليل شحاته ، مراجعة ، سهيل ذكار (١:١٧٧).

الباب الثاني

العقيـــــــــدة

في قصة موسى "عليه السلام"

سبق وان عرفنا العقيدة فى بداية البحث وقصدنا بها الاصول التى اتفقت عليها الانبياء فى تبليغهم لرسالتهم ، وهى فيما يتعلق بالاصول المعروفة من الايمان بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر ...الخ .

ولقد تناولت قصة موسى عليه السلام امورا كثيرة من امور الاعتقاد المختلفة ولا ازعم اننى قد اتيت عليها جميعا ، ولكنى حاولت جهدى بتناول الاصول فى الالهيات والنبوات والمعاد ، وفيما يوافق مخطط البحث ، فبدأت بالتوحيد الذى هو اهم مباحث العقيدة، وركزت عليه ففى جانب الالهيات اتحدث عن انواع التوحيد مستعرضا الايات التى جاءت فى قصة موسى عليه السلام فى هذه الانواع الثلاثة ، ومفصلا الحديث فى توحيد الاسماء والصفات وبالاخص عن صفتين وهما الكلام والرؤية باعتبار ان هذه القصة تناولتها ثم اتناول بالدراسة ما يتصل بالجانب الثانى من العقيدة جانب النبوات وكان فى غالبه قد تناول خوارق العادات سواء ما ظهر من خرق حقيقى على يدى موسى عليه السلام او الخضر عليه السلام او ما ظهر من خرق غير حقيقى كالذى ظهر على ايدى السحرة ويد السامرى وفى الاخير اتناول امور المعاد فى قصة موسى وبهذا يكون قد عرضنا لموضوعات العقيدة المختلفة فى قصة موسى عليه السلام .

وخلاصة القول انه قد تناولت قصة موسى عليه السلام امور العقيدة المختلفة فى الالهيات .والنبوات والمعاد.

فقد اشتمل كلام موسى عليه السلام مع فرعون وبنى اسرائيل على عقيدة الوحدانية ، وهى ان للعالمين ربا واحدا ، وعقيدة الرسالة المؤيدة منه تعالى بالعصمة فى التبليغ ، وقد ناقشه فرعون فى البحث فى وحدانية الربوبية لله تعالى فى سورة الشعراء ، فوصفه موسى بما يليق به تعالى .

٢- قصا سأله هو وهارون من ربهما في سياق سورة طه ، وجاء فيما حكاه الله عنهما فيها ذكر البعث والجزاء (١) وقد انصب الحديث في بعضها في جانب معين من هذه الجوانب الكبرى للعقيدة وذلك كما عرضته القصة ، فاقتضى ذلك ان نقف مع هذا الجانب كثيرا ، مثل جانب المعجزات والآيات التي جاء الحديث عنها طويلا في القصة في باب النبوات ، والمراد انني حاولت ان اتحدث عن ما يتعلق بالامور الاتية :-

الفصل الاول : الالهيات في قصة موسى عليه الصلاة السلام وقد جعلته في ثمان مباحث .

الفصل الثاني : النبوات وقد جعلته في عدة مباحث .

الفصل الثالث : اليوم الاخر في قصة موسى وفيه عدة مباحث .

---

(١) دعوة الرسل / محمد احمد العدوي ، ص (٢٨) بتصرف .

الفصل الاول

الالهيات فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام

المبحث الاول : وجود الله وانكار فرعون له .

المبحث الثانى : توحيد الربوبية فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام .

المبحث الثالث : توحيد الالوهية فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام .

المبحث الرابع : توحيد الاسماء والصفات .

المبحث الخامس : صفة الكلام فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام

المبحث السادس رؤية الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام .

المبحث السابع : القضاء والقدر فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام .

(١) اهمية التوحيد والدعوة اليه :-

ان انبياء الله عز وجل قد دلوا اقوامهم على كل خير وحذروهم من كل شر ولقد تركزت دعوتهم فى الدلالة على الخير والتحذير من الشر على ثلاث اسس هى التوحيد والنبوات والمعاد وهى العقيدة واهمها التوحيد بانواعه الثلاثة المشهورة التى تضمنته كل سورة كما قال عليه الصلاة والسلام انه لم يكن نبى قبلى الا كان حقا عل ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم .. الى ان قال : فمن احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأتيه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الاخر .. الحديث (١) .

والقرآن كله يدور حول التوحيد فهو :-

(١) اما خبر عن الله واسمائه وصفاته وهو التوحيد العلمى الخبرى

(٢) واما الدعوة الى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الارادى الطلبى .

(٣) واما امر ونهى والزام بطاعته ، فذلك من حقوق التوحيد ، ومكملاته .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الامارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الاول فالاول .

(٢) منهج الانبياء فى الدعوة الى الله ، فيه الحكمة والعقل ، د.ربيع بن هادى مدخلى ص (٢٤) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ، القاضى على بن على بن محمد ابى العز الدمشقى ص "(٨٨) واصل الكلام من كلام الامام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله عن د. ربيع هادى مدخلى فى المرجع السابق " منهج الانبياء فى الدعوة الى الله "ص ٢٣) .

(٤) واما خبر عن اكرامه لاهل التوحيد ، واماغعل بهم فى الدنيا وما يكرمهم به فى الاخرة فهو جزاء التوحيد .

(٥) واما خبر عن اهل الشرك ، وما فعل بهم فى الدنيا من النكال وما يحل بهم فى العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد (٣) .

فالتوحيد هو لب الاسلام واساسه ومنه تنبثق سائر نظمه واحكامه واوامره ومناهجه وكل ما فيه من عبادات واحكام يرسخه ويقويه ويثبته فى قلوب المومنين فالتوحيد اذا هو شعار الاسلام الاول فى ميدان الاعتقاد والعمل (١) .

ولقد تحدث القرآن الكريم بصفه "عامة " عن مجئ الرسل بهذا التوحيد ومطالبتهم بتوحيد الالوهية .

قال تعالى " ولقد بعثنا فى كل امه رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلاله فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٢) .

"وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون (٣) .

" وهذا يدل على منهجهم الذى ساروا عليه وهو التوحيد منطلقا لانه اعظم القضايا والمبادىء التى حملوها الى الانسانية جميعا .

مما يدل ان هذا هو الطريق الوحيد الذى يجب ان يسلك فى دعوة الناس الى الله ، وسنه من سننه التى رسمها لانبيائه واتباعهم الصادقين لا يجوز تبديلها ولا العدول عنها (٤) .

---

(١) خصائص الرسالة المحمدية ، احمد مرعى عبد الهادى العمرى ، رسالة ماجستير جامعة ام القرى مكةالمكرمة ١٣٩٨ هـ ،ص ١٧٨ .

(٢) النحل : آية ٣٦ .   (٣) الانبياء : آية ٢٥ .

(٤) منهج الانبياء فى الدعوة الى الله والحكمة والعقل ،د. ربيع بن هادى المدخلى ،ص (٢٦ ـ٢٧) .

يقول العلامة ولى الله الدهلوى :-

" اعلم ان اصل الدين واحد اتفق عليه الانبياء عليهم السلام وانما الاختلاف فى الشرائع والمناهج ، وتفصيل ذلك :- انه اجمع الانبياء عليهم السلام على توحيد الله تعالى عبادة واستعانة وتنزيهه عما لا يليق بجنابه وتحريم الالحاد فى اسمائه وان حق الله على عباده ان يعظموه تعظيما لا يشوبه تفريط وان يسلموا وجوههم وقلوبهم اليه وان يتقربوا بشعائر الله الى الله ، وانه قدر جميع الحوادث قبل ان يخلقها ."(١).

---

(١) حجة الله البالغة ، للامام العلامة المعروف بولى الله بن عبد الحليم المحدث الدهلوى (ج -:ص :٨٦ :٨٧) دار المعرفة ، للطباعة والنشر - بيروت - لبنان).

المبحث الاول

انكــــار فرعون لوجود الله

(١) منهج القرآن فى عرض هذا الموضوع .

(٢) ذكر الايات فى موضوع انكار فرعون لوجود الله .

(٣) هل كان فرعون ينكر الصانع فى الظاهر والباطن

(١) منهج القرآن الكريم فى عرض موضوع وجود الله واثباته :-

منهج القرآن الكريم فى الاستدلال على وجود الله نجده يوجه نظرنا الى اتجاهين (١) كلاهما يمكن الاستدلال به على وجود الصانع :-

احدهما :داخلى فى الكيان البشرى وهو ما يسمى بالفطرة .

ثانيهما : خارجى عنه وهو التامل فى الافاق .

الاول : وهو لجوء الانسان الى الفطرة السليمة التى هى مضطرة بطبعها الى الاقرار بوجود الرب الخالق ، وذلك لما تحتاج اليه النفوس من لجوئها الى قوة عليا تستنقذ بها عند حلول المصائب بها سواء كانت هذه النفوس مؤمنة او كافرة فان النفس البشرية مضطرة عند حلول المصائب الى الركون الى تلك القوة العليا التى تتوجه اليها بالدعاء والاستغاثة بكشف الضر . ولقد وجه القرآن انظارنا الى هذا الاعتراف الفطرى حيث قال تعالى فى صفة الاستفهام التقريرى " امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء "(٢) .

وهذه الفطرة لا يمكن تبديلها بل هى عند الحوادث والمصائب تظهر واضحة راجعة الى فاطرها وخالقها ، قال تعالى" فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله (٣)"الاية

يقول الراغب الاصفهانى فى الاعتقاد :-

فنبه ان معرفته سبحانه من الفطرة التى فطر الناس عليها وان المعاندين وان قصدوا تغيير هذه الفطرة لم يقدروا عليه ونبه بقوله " لا تبديل لخلق الله (٣)" .

---

(١) كتاب التوحيد مع اخلاص العمل والوجه لله عزوجل ، ابن تيميه ، ت.د. محمد السيد الجليند مؤسسة القرآن ، دار القبلة للثقافة الاسلامية . جدة ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ص(٤٢ - ٥٣) .باختصار واقتباس .

(٢) النمل : آية ٦٢ .

(٣) الروم اية : ٣٠ .

على انهم لا يمكنهم ازالة هذه المعرفة التى فطروا عليها (١).

(٢) اما الاتجاه الثانى فهو اننا نجد القرآن يوجه نظرنا الى التامل فى ذلك الكون الفسيح وما فيه من الايات القاهره فى دلالتها على وجود الله فالقرآن تتجه ادلته كلها الى الاستدلال باياته الكونية على وجوده ويذكر بها الانسان من حين الى آخر .

وبهذا كان هناك رابط هذين الاتجاهين الداخلى والخارجى ، وذلك لان الاستدلال بالايات الكونية مشروط بالمعرفة السابقة والاقرار السابق بربوبية الخالق لانه لو لم تعرف عينه لما عرف ان هذه الاية المعينه تستلزم هذا الصانع المعين ، وفى ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيميه " وهذا شان الحق الذى يطلب معرفته الدليل فلا بد ان يكون مشعورا به فى النفس حتى يطلب الدليل عليه او على بعض احواله واما ما لا تشعر به النفس اصلا فليس مطلوبا لها البته (٢) .

ويقول ايضا رحمه الله " وفى بعض الاستدلال بالايات الكونية على وجود الله نجد القرآن يضع امام الانسان اكثر هذه الايات دلاله واظهرها وضوحا فى الاستدلال وهو آية الخلق من العدم ، واول سورة نزلت من القرآن ذكرت الانسان بقضية الخلق مطلقا ومقيدا لتذكر الانسان فى جميع احواله ان هذا الخلق هو الدليل الذى يستدل به على خالقه ، وهذا ايضا دليل نظرى يعلمه كل انسان من نفسه ويذكره كلما تذكر بنى جنسه (٣) .

ولكون آية الخلق اقوى انواع الايات دلاله على الخالق كان القرآن فى كثير من آياته يضع امام العقل الانسانى هذه التساؤلات فى صورة الاستفهام التقريرى " " ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون (٤)

---

(١) الاعتقاد للراغب الاصفهانى ،ص (٦٩) .

(٢) درء تعارض العقل والنقل ، (٤:٨٦) .

(٣) الفلق : آية ١ .   (٤) مجموع الفتاوى :(١٦:١٦٢) .

(٥) الطور آية : ٣٥ .

او لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا (١) " هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا (٢) " فاية الخلق فطرية وظاهرة للعقول يمكن ان يستدل بها على الخالق ، وفى نفسها من الوضوح بحيث لا تحتاج الى دليل .

يقول ابن القيم : سمعت شيخ الاسلام تقى الدين بن تيميه قدس الله روحه يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شئ ؟ وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت .

وليس يصح فى الاذهان شئ *** اذا احتاج النهار الى دليل

ومعلوم ان وجود الرب اظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم يرى ذلك فى عقله وفطرته فليتهمها " (٣) .

اننا اذا نظرنا الى القرآن الكريم لم نجد دعوة رسول لاثبات وجود الله عز وجل ، انظر ما قالت عاد ردا على هود عليه السلام " قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده (٤) " وقال قوم صالح وقوم عاد " لو شاء ربنا لانزل ملائكة " (٥) حتى اليهود النصارى بغض النظر عن التحريف والتبديل لم ينكروا وجود الله فقال عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله (٦)(٧) ولم نجد ايضا من ينكر وجود الله الا فرعون اللعين حين قال " ما علمت لكم من اله غيرى (٨)

---

(١) مريم : آية ٦٦ . (٢) الانسان : آية ١

(٣) مدارج السالكين ، ابن القيم (١:٦٠) .

(٤) الاعراف : آية ٧٠ .

(٥) فصلت : آية ١٤ . (٦) التوبة : آية ٣٠ .

(٧) منهج الدعوة النبوية عن المرحلة المكية ، على جابر الحربى ، الزهراء للاعلام العربى ، ص (٢٣٣/ ٢٣٤) باختصار .

(٨) القصص : آية ٣٨ .

وحين قال انا ربكم الاعلى (١) وعليه فيكون فرعون هو الوحيد فى هذا المجال وهو شذوذ عن الفطرة التى فطر الناس عليها وكل مولود يولد على الفطرة .(٢)

(٢) الامر الثانى :ذكر الايات فى موضوع انكار فرعون للصانع وادعاؤه الربوبية والالوهيه

(١) قال تعالى " فمن ربكما يا موسى (٣) وقال تعالى "قال فرعون وما رب العالمين(٤) وهذه الاسئلة على وجه الانكار له تجاهل العارف(٥)

(٢) وقال فرعون يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى اطلع الى اله موسى وانى لاظنه من الكاذبين (٦) .

(٣) انا ربكم الاعلى (٧) .

(٤) وقال تعالى مشيرا الى ان لفرعون آلهه " اتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض ويذرك وآلهتك (٨) وقد ورد فى الهتك ، معنيان احدهما عبادتك والاخر " الاهك " وذلك بمعنى على قراءتين احدهما : الهتك جمع اله وهو المعبود والثانية " الهتك : مصدر اله اى عبادة معبودك (٩) .

---

(١) النازعات : آية ٢٤ . (٢) المرجع السابق ص ٢٣٣ /٢٣٤ .

(٣) طه : آية ٤٩:٥٣ . (٤) الشعراء : آية ٢٣ .

(٥) اضواء البيان محمد الامين الشنقيطى (٣: ٦٣٢) .

(٦) القصص : آية ٣٨ .

(٧) النازعات : آية ٢٤ .

(٨) الاعراف : آية ١٣٧ .

(٩) انظر تفسير ابن كثير (١:٢٣٩) .

(٣) هل كان فرعون ينكر الصانع فى الظاهر والباطن

(١) اختلاف فى ان فرعون كان مقـــرا
فى باطنــــه بمعرفة اللـــــه

(٢) توجيه ادعـــاء فرعون ان لـــه
الهه مع انه يـــدعى الالوهيـــة

(٣) هل كان سؤال موسى فى ســـؤاله
ومارب العالمين عن الماهيـة ؟

(٣) هل كان فرعون ينكر الصانع فى الظاهر والباطن :-

من خلال الايات السابقات فان فرعون كان مقرا بالصانع ولكنه مغالط ويعلم من نفسه ان ادعائه الربوبية وكذب مغالطة وانما فعل ذلك محافظة على منصبه وعلى مكانته فى قومه وهيبته فيما بينهم .

قال صاحب الطحاوية (١) " واشد من عرف تجاهله وتظاهره بانكار الصانع فرعون وكان مستيقنا به فى الباطن كما قال تعالى " لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر (٢) وقال تعالى عنه وعن قومه " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا (٣) .

ثم قال ولهذا لما قال وما رب العالمين ؟ على وجه الانكار له تجاهل العارف قال له موسى " رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين " الايات والناظر الى الاية الاولى ، يجد ان موسى عليه السلام يقسم ان فرعون يعلم ان هذه الايات انزلها رب السموات والارض الذى سال عنه فرعون ، فهو جاحد له وتجاهله فيما ورد من آيات تجاهل عارف

واما الاية الثانية فقد فسرها ابن كثير(٤) بما يفيد اقراره بالصانع ولكنه جاحد له فى الظاهر ، فقال عند قوله تعالى " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم الايه (٣)" فلما جاءتهم آياتنا مبصرة (٥) اى بينه " واضحة ظاهرة قالوا (هذا سحر مبين)(٥) وارادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين وجحدوا بها اى فى ظاهر امرهم واستيقنتها انفسهم انها حق من عند الله ولكن جحدوا وعاندوها وكابروها (ظلما وعلوا)(٣) اى ظلما من انفسهم سجيه ملعونه وعلوا اى استكبار على اتباع الحق ".

---

(١) شرح الطحاويه ص ١٧ . (٢) الاسراء : آية ١٠٢ .

(٣) النمل : آية ١٤ . (٤) تفسير ابن كثير (٣:٣٥٧) .

(٥) النمل : ١٣ .

قال ابن تيميه رحمه الله " فان فرعون انكر رب العالمين ، وان يكون لموسى اله يطلع اليه (١) ثم قال فى موضع آخر وفرعون كان منكرا للصانع فى الظاهر ، وكان فى الباطن مقرا به (٢) .

والمقصود انه مع قيام الدليل ووضوح السبيل تعامى فرعون موسى عن الحق وتجاهل ما استيقنته نفسه وانكر بلسانه ما شهدت به الفطرة ودل عليه العقل من وجود موجد الوجود ، فاقام موسى عليه السلام الحجه باستدلاله من الاثر على المؤثر والصنعه على الصانع ووجود العالم وعظم خلقه على وجود الخالق وعظيم قدرته وسعه علمه وكمال حكمته فغلبه بحجته .

فقال بعد ان علته الحجه استكبارا عن الحق وتماديا فى الغى لموسى "لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين "(٣) .

قال الطبرى رحمه الله عند قوله تعالى " قال فرعون وما رب العالمين"(٤) يقول واى شىء رب العالمين قال موسى هو رب السموات والارض وما لكين وما بينهما يقول ومالك بين السموات والارض من شىء ان كنتم موقنين ان ما تعاينونه كما تعاينونه ، فكذلك فايقنوا ان ربنا هو رب السموات والارض وما بينهما .. فلما اخبرهم عليه السلام بالامر الذى علموا انه الحق المبين اذ كان فرعوون ومن قبله من ملوك مصر لم يجاوز ملكهم عرش مصر ، وتبين لفرعون ومن حوله من قومه ان الذى يدعوهم موسى الى عبادته هو الملك الذى يملك الملوك قال فرعون استكبارا عن الحق وتماديا فى الغى لموسى (لئن اتخذت الها غيرى لاجعلنك من المسجونين (٥) .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيميه (٢: ١٩٢/١٩١) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢:١٩٢).

(٣) الشعراء : آية ٢٩ . (٤) الشعراء : اية ٢٣ .

(٥) تفسير الطبرى (١٩: ٧٠) .

وكأن الطبرى كما يقول عنه ابن كثير ان فرعون لم يكن يعرف الصانع ولهذا قال وانى لاظنه من الكاذبين اى فى قوله ثم رب غيرى لا انه كذبه فى ان الله تعالى ارسله لانه لم يكن يعترف بوجود الصانع فانه قال وما رب العالمين " فكأنه كان دهريا ويعتقد فى الملوك انها سليلة الاله واليك بعض الادلة الى ما سبق التى تبين ان فرعون كان عارفا بالله عز وجل وان انكاره كان عن كبر عن جحود (١) .

قال الرازى رحمه الله (٢) " اختلف الناس فى ان فرعون هل كان عارفا بالله تعالى فقيل انه كان عارفا الا انه كان يظهر الانكار تكبرا وتجبرا وزورا وبهتانا واحتجوا عليه بسته اوجه احدها : قوله (لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض) (٣) فمتى نصبت التاءفى علمت كان ذلك خطابا من موسى عليه السلام مع فرعون فدل ذلك على ان فرعون كان عالما بذلك وكذا قوله " وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا " (٤) .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣:٣٩٠) . (٢) تفسير الفخر الرازى (٦٣:١٢) .

(٣) الاسراء اية : ١٠٢ .

(٤) النمل اية : ١٤ . قلت ظاهر الاية تدل على المعجزات وانهم مستيقنون من كونها من عند الله عز وجل وليست الاية تدلل على وجود الله ، وانهم مستيقنون به فى الباطن فان سياق الاية وظاهرها بعيدا عن هذا وبهذا نعرف خطأ من يستدل بها على ان فرعون يعرف الله عز وجل فى باطنه بل هى على الايات التى ارسل بها موسى ولكونها فلا بد ان يعرفوا انها من عند الله عز وجل فحكى الله عز وجل على استيقانها فى باطنهم واما تجاهله عن عدم معرفة الله عز وجل فهو تجاهل عارف ، وبهذا تعرف خطا من يستدل بمعرفة فرعون الله عز وجل بهذه الاية وكذا آية الاسراء لقد علمت الاية فانها ايضا تدل على الايات واما معرفة فرعون الله عز وجل فدليلها " انى رسول من رب العالمين " .

وثانيها : انه كان عاقلا .والا لم يجز تكليفه وكل من كان عاقلا قد علم بالضرورة انه وجد بعد العدم وكل من كان كذلك افتقر الى مدبر وهذا العلمان الضروريان يستلزمان العلم بوجود المدبر .

وثالثهما : قول موسى عليه السلام هذا (ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى) (١) وكلمة الذى تقتضى وصف المعرفة بجمله معلوم فلا بد وان تكون هذه الجملة قد كانت معلوم له .

ورابعا : قوله فى سورة القصص فى صفة فرعون وقومه وظنوا انهم الينا لا يرجعون (٢) فذلك يدل على انهم كانوا عالمين بالمبدأ إلا انهم كانوا منكرين للمعاد .

وخامسها : ان ملك فرعون لم يتجاوز القبط ولم يبلغ الشام ولما هرب موسى عليه السلام الى مدين قال له شعيب (٣) " لا تخف نجوت من القوم الظالمين " (٤) فمع هذا كيف يعتقدانه اله العالم ؟

---

(١) طه اية ٥٠ . (٢) القصص اية : ٣٩ .

(٣) الاصح انه رجل صالح وشعيب غير قبل موسى عليه السلام وقد اورد الطبرى رأى الفريقين فى كونه عاصر موسى وعاصره اولا ، ثم قال رحمه الله " وهذا لما لا يدرك علمه الا بخبر ، ولا خبر تجب حجته فلا قول فى ذلك اولى بالصواب مما قاله جل شانه والله سبحانه وتعالى قال "وابونا شيخ كبير " ولكن ابن كثير بعد ان اورد اراء العلماء فيمن هو "قال رحمه الله "ثم انه من المقوى لكونه ليس بشعيب انه لو كان اياه لا وشك ان ينص على اسمه فى القرآن ها هنا ، وما جاء فى بعض الاحاديث من التصريح بذكره فى قصة موسى لم يصح اسناده .

انظر تفسير الطبرى (١٩:٦٢ /٦٣) وتفسير ابن كثير (٣:٢٨٥) .

(٤) القصص : اية ٢٥ .

وسادسها : انه لما " قال وما رب العالمين "(١) قال موسى عليه السلام " رب السموات والارض وما بينهما (٢) قال " ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون) (٣) يعنى انا اطلب منه الماهيه وهو يشرح الوصف فلم ينازع موسى فى الوجود بل طلب منه الماهيه فدل على اعترافه باصل الوجود .

ومن الناس من قال انه كان جاهلا بربه واتفقوا على ان العاقل لا يجوز ان يعتقد فى نفسه انه خالق هذه السموات والارض الشمس والقمر وانه موجودة قبله فيحصل العلم الضرورى بانه ليس موجدا لها ولا خالق لها . واختلفوا فى كيفية جهله بالله تعالى فيحتمل انه كان دهريا نافيا للموثر اصلا ويحتمل انه كان فلسفيا قائلا بالعلة الموجبه ، ويحتمل انه كان من عبده الكواكب ويحتمل انه كان من الحلوليين المجسمه واما ادعاوه الربوبية لنفسه فبمعنى انه يجب عليهم طاعته والانقياد له وعدم الاشتغال بطاعة غيره .

وهنا بعض المسائل المتعلقة بهذا الموضوع وهى :-

---

(١) اذا كان فرعون يعتقد فى نفسه انه ليس خالق السموات والارض ، وليس هناك من العقلاء فيه ذلك ؟ فكيف قال عن نفسه (انا ربك الاعلى)(٤)(ما علمت لكم من اله غيرى)(٥) وكيف ايضا ان له الهه " كما قال تعالى "ويذرك وآلهتك ".(٦) .

---

(١) الشعراء : اية ٢٣ .
(٢) الشعراء : اية ٢٤ .
(٣) الشعراء : اية ٢٥ .
(٤) النازعات : اية ٢٤ .
(٥) القصص : اية ٣٨ .
(٦) الاعراف : اية ١٢٧ .

(٢) وإذا كان فرعون من المعطلة لايقر بخالق ولا يعترف بمعبود فهل كان سؤاله عندما قال " وما رب العالمين " (١) عن الماهية وما جواب موسى عليه السلام له فى ذلك ؟

وللاجابة على السؤال الاول :--

الظاهر ان القبط والفراعنة لهم آلهة متعددة وكان اعلى هذه الالهة ما كان يعبدها فرعون وكان يعتقد ببنوته وخدمته للالهة وقد حلت فيه الالهية على نحو عقيدة الحلول ، فهو القائم على الدين ويعد آله مصر وطاعته طاعة للالهة (١) .

ويظهر الى جانب ذلك انه كان دهريا منكرا وجود الصانع ، ويعتقد ما يعتقده الدهريون من ان مدبر هذا العالم السفلى هو الكواكب لشعب مصر هو نفسه فقوله " انا ربكم الاعلى " اى مربيكم .

قال الشيخ احمد العدوى (٢) " والمعهود فى تاريخ قدماء المصريين انهم كانوا يعبدون الكواكب ومنها الشمس واسمها فى لغتهم رع وان مصر هى السلالة الوحيدة للمعبود رع منذ وجود الاله وان فرعون مصر الملك منفتاح (وهو فرعون موسى) سليلة ايضا وموجالس على سدة المعبود (شو) وان الاله (رع) التفت الى مصر فولى (منفتاح) ملك مصر ، ووثق له ان يكون مناصا عنها فتخضع له الولاة وإذا كان فرعون مصر يعتقد انه سليل الشمس وابنها ، والشمس معبود لقدماء المصريين فلا يبعد ان يتطلع الى عبادة الناس له ، ولا يبعد ان يقول (انا ربكم الاعلى) لانه سليل المعبود (رع) وحالت فيه .

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٩:٥٨/٥٩) .

(٢) دعوة الرسل ، الشيخ محمد احمد العدوى ص (١٨).

واما اجابة السؤال الثانى :-

فان ابن كثير رحمه الله (٩(يستبعد ان يكون فرعون قد سأل عن الماهية اذ انه اصلا منكرا للصانع فكيف يسأل عن الماهية ؟

وقد جوز بعض المفسرين (١) من سؤال فرعون ذلك ، ورأوا ان اجابة موسى عن الماهية هى الاجابة الوحيدة واليك بيان ذلك .

وقبل الاجابة ماهى الماهية ؟ وهل لله عز وجل ماهية ؟

تعريف الماهية فى الاصطلاح :-

مذهب أئمة السنة والجماعة من السلف والخلف قد عبر عنه ابن حزم وهو يعتبر فى تعين معنى الماهية ،.

يقول ابن حزم ماهية الله تعالى هى انيته نفسها (وانية الشىء اى وجوده فقط والسؤال عنه بجل) اذ نفى الماهية نفى للذات والحقيقة ، ويجاب السائل عن ماهية الله تعالى : بانه حق واحد اول خالق لا يشبه المخلوق شيئا من خلقه (٢) .

ويقوا ابن تيمية رحمه الله " واذا كان المخلوق المعين وجوده الذى فى الخارج هو نفس ذاته وحقيقته ، وماهيته التى فى الخارج ، ليس فى الخارج شيئان فالخالق تعالى اولى ان تكون حقيقته هو وجوده الثابت الذى لا يشركه فيه احد وهو نفس ماهيته التى هى حقيقته الثابتة فى نفس الامر "(٣) .

---

(١) انظر تفسير الرازى (١٢ : ٦٤) وتفسير القاسمى (٨ : ١٠)

(٢) الفصل لابن حزم (٢:١٧٤) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيميه (١ : ٢٩٣) .

ومن هنا يمكن القول فى التعريف بالماهية انها من حيث الاثبات ان لله عز وجل ماهية لا يعلمها الا هو وهذا الاثبات ليس اثبات كيفية " لا تدركه الابصار (١) .

هل كان سؤال فرعون عن الماهية ؟

ابن كثير رحمه الله فى تفسيره يذهب الى انه لم يكن عن الماهية او الماهية ووافقه صاحب الطحاوية " او تابع صاحب الطحاوية فى ذلك .

قال صاحب الطحاوية ..وقد زعم طائفة ان فرعون سأل موسى مستفهما عن الماهية ، وان المسؤل عنه لما لم تكن له ماهيه عجز موسى عن الجواب ، وهذا غلط ، وانما هذا استفهام انكار وجحد ، كما دلت سائر آيات القرآن على ان فرعون جاحدا لله ، نافيا له ، لم يكن مثبتا له طالبا للعلم بماهيته فلهذا بين لهم موسى انه معروف . (٢)

وقال ابن كثير رحمه الله " ومن زعم من اهل المنطق وغيرهم ان هذا سؤال عن الماهية فقد غلط فانه لم يكن مقرا بالصانع حتى يسال عن الماهية بل كان جاحدا له بالكلية فيما يظهر وان كانت الحجج والبراهين قد قامت عليه .(٣)

قال صاحب تفسير محاسن التاويل "وقد ذكر قول ابن كثير رحمه الله السابق ...والذى يفيد ان فرعون كان من المعطله لا يقر بخالق ، لا يعترف بمعبود ، قال رحمه الله بعد ذكر الايات الواردة فى سورة الشعراء قال " الا تسمعون الى هذا النبأ العجيب ،وهو توحيد المعبود

---

(١) الانعام : اية ١٠٣

(٢) شرح الطحاويه ص (٧١) .

(٣) ابن كثير (٣ :٢٣٢) .

لانه ترك المنازعة فى هذا المقام لعلمه بغاية ظهوره وشروع فى المقام الصعب لان العلم بماهية الله تعالى غير حاصل للبشر ...وقد عرضت كلام ابن كثير وانه لم يكن سؤالا عن الماهيه بل كان معطلا ومر بنا مع ذلك كلام ابن كثير انه كان يعرف الله عز وجل ولكنه معرفه جاحد يتجاهل كونه ربا .

وفى نظرى ان الرازى عبر عن انتقال فرعون من الكيفية الى الماهية وهو يدل على انه عارف لربه لكنه ليس على سبيل اصطلاح المناطقة وان كان يمكن ان يحتمله كما اشار الى ذلك القاسمى ، فكل واحد عبر عن تجاهله بوجهته وهو صاحبه وقد اشار الى بيان السؤال عن الماهيه وانه مغالطه لا يمكن الاجابه عليها الرازى (١) وغيره .

وانا اختصر لك كلام الرازى (٢) رحمه الله فى هذا المقام "واعلم ان السؤال بما طلب لتعريف حقيقة الشىء ، وتعريف حقيقة الشىء اما ان يكون بنفس تلك الحقيقة او الشىء من اجزائها او بأمر خارج عنها او بما يتركب من الداخل والخارج ،اما تعريفها بنفسه محال ،لان المعرف معلوم قبل المعرف فلو عرف الشىء بنفسه لزم ان يكون معلوما قبل ان يكون معلوما وهو محال واما تعريفها بالامور الداخلية فيها فهى فى حق واجب الوجود محال لان التعريف بالامور الداخلية لا يمكن الا اذا كان المعرف مركبا ،وواجب الوجود يستحيل ان يكون مركبا لان كل مركب فهو محتاج الى واحد من اجزاؤه وكل واحد من اجزاؤه فهو غيره وكل ما احتاج الى غيره فهو ممكن لذاته ، وكل مركب فهو ممكن فما ليس يمكن يستحيل ان يكون مركبا فواجب الوجود ليس بمركب ،واذا لم يكن مركبا استحال تعريفه باجزائه ولما بطلا هذان القسمان ثبت انه لا يمكن

---

(١) انظر بن حزم الفصل (٢:١٧٤) .

(٢) تفسير الكبير الرازى (٢٤:١٢٨).

تعريف ماهية واجب الوجود الا بلوازمه واشارة ، ثم ان اللوازم قد تكون خفيه ، وقد تكون جليه ، ولا يجوز تعريف الماهيه باللوازم الخفيه بل لا بد من تعريفها باللوازم الجليه ، واظهر اثار ذات واجب الوجود هو هذا العالم المحسوس وهو السموات والارض وما بينهما فقد ثبت انه لا جواب البته لقول فرعون وما رب العالمين الا ما قاله موسى عليه السلام وهو انه رب السموات والارض وما بينهما .

قال ابن حزم فى الفصل " انه لا جواب لسؤال فرعون الا ما اجاب به موسى ...لان الله تبارك وتعالى حمده عليه وصدقه فيه ، ويستحيل ان يصدقه ويحمده على جواب غير صحيح (١) .

فظهر ان موسى عليه السلام اجابه بالفاعليه والموثرية وهى لا تفيد الحقيقة المسئول عنها ، لانه لا يحيطون به علما ، وبهذا لما رأى موسى تحيره من الاجابة كرر الجواب بما هو اظهر "قال ربكم ورب اباءكم الاولين " (٢) فقال فرعون عند هذا " ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون " (٣) فهو لا يفهم السؤال فضلا عن ان يجيب عنه ، وسؤال فرعون قد عرفت انه سؤال عن الماهيه الاعتبارية وهى مالا وجود له الا فى عقل المعتبر ما دام معتبرا يسال عنه بما هو ، وعرفت اثبات الماهيه له لا كيفيتها لله عز وجل ، فكرر موسى فى المرة الثالثة ، بما هو اوضح من سابقه بانه رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ،(٤)

---

(١) الفصل والنحل ، لابن حزم (٢:١٧٤).

(٢) الشعراء : اية ٢٦ .

(٣) الشعراء : اية ٢٧ .

(٤) الشعراء : اية ٢٨.

والمعنى اى ان كنت من العقلاء ، عرفت لا جواب لهذا السؤال من احد من العالم بالنسبة لله تعالى الا هذا الجواب لان حقيقة البارى سبحانه وتعالى من حيث هى غير معقوله للعالم بل المعقول لهم لوازمه وآثاره سبحانه وهى حقائق ظاهره تدل معظمها على ان الفاعل لها فرد صمد قوى قاهر لا يعجزه شئ ولا يحيط به احد من خلقه تعالى وتقدس (١) .

---

(١) التفسير الكبير الرازى (٢٤ /١٢٩/ ١٣٠) ج ٢٤ وهو كلام هنا مختصر منه وهو لصاحب كتاب ابن الحزم وموقفه من الالهيات عرض ونقد .د. احمد الحمد ص (١٨٨ /١٧٧ / ١٧٦) بتقديم وتاخير : طبعة جامعة ام القرى مركز البحث العلمى .

المبحث الثانى

توحيد الربوبية
فى قصة موسى عليه السلام

(١) التعريف بتوحيد الربوبية .

(٢) منهج القرآن فى عرض توحيد الربوبية .

(٣) الايات الواردة فى موسى عليه السلام على هذا النوع من التوحيد ودراستها .

****

(أ) تعريف توحيد الربوبية :-

لا بد من معرفة توحيد الربوبية من معرفة مدلول الرب التى اشتقت منها لفظ الربوبية .

ان لفظ الرب يطلق على عدة معان ، منها السيد والمالك والمربى والمصلح والمعبود بحق سبحانه وتعالى ، اذ لفظ الرب يطلق عليه اطلاقا حقيقيا ويطلق على غيره اطلاقا مجازيا اضافيا لا غير .

ومن هذه المعانى الكثيرة للفظ الرب استق اسم الربوبية التى تعنى الخلق ، والرزق ، والملك ، والسيادة والتربية والاصلاح والتدبير ولكون الله تعالى هو الرب الحق للعالمين ، اختص بالربوبية دون سواه ووجب توحيده فيها ، وامتنع عنه الشريك فيها ، بحيث لا تصلح الربوبية لغيره من سائر خلقه ولا تصح .

ومن هنا اصبح توحيد الربوبية معناه نفى الشريك عنه تعالى ن فى صفات الربوبية الحقه ، والتى هى الخلق والرزق والملك والتدبير الذى من لوازمه الاماته والاحياء والعطاء والمنع والضر والنفع والاعزاز والاذلال ولا يخل بتوحيد الربوبية ، او يضره ان يقال ، فلان سيد قومه او فلان يملك كذا ، او فلان يربى او يصلح او يحكم ، اذ هذا الاطلاق لا يعنى اكثر من ان الله تعالى رب كل شىء ومليكه ، وهبهم من فضله ما اصبحوا منه يتمتعون بهذا القدر من الملك او السيادة او التربية والاصلاح ، وهى نسب اضافية لا غير ، اذا الواقع المشاهد لا يثبت للانسان ملكا حقيقيا ، ولا سيادة من كل وجه ، ولا تربية زائفه من الارشاد والتوجيه والاصلاح ولا حكم بغير انفاذ شرائع الله تعالى فى عبادة واصلاحهم بها (١) .

---

(١) عقيدة المؤمن ، لابى بكر الجزائرى ، ص (٨٩/٩٠) دار الشروق ، ط : ٤، ١٤٠٤ هـ .

ومعنى الرب : السيد المربى الذى يسوس مسوده ويربيه ويدبره ، وربوبيته الله تعالى للناس تظهر بتربيته تعالى اياهم بعد ايجادهم وهذه التربية قسمان :-

١- تربية خلقيه بما يكون به نموهم وكمال ابدانهم وقواهم النفسيه والعقلية والى هذا النوع من التربية تشير ايات كثيرة منها قوله تعالى :-(ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ن ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون (١) " وقوله تعالى (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء (٢) " فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ".

٢- وتربية شرعيه تعليمية : وهى ما يوحيه عز وجل الى من يصطفيهم من الناس رسلا ليكمل به فطرتهم بالعلم والعمل اذا اهتدوا به ،فليس لغير رب الناس ان يشرع لعباده ولا يحرم عليهم من عند نفسه بغير اذن منه تعالى (٣) .

وفى هذا النوع من تربية الله للانسان تتحدث نصوص كثيرة منها قوله تعالى " قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط المستقيم "(٤) (٥) .

---

(١) السجدة : آية ٦ -٩ . (٢) البقرة : آية ٢١ :٢٢ .

(٣) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم .د. صلاح عبد العليم ص (٩٠) وانظر تفسير ابن سعدى (١:٣٤) .

(٤) المائدة : آية ١٥-١٦) .

(٥) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ،د. صلاح عبد العليم ،ص.٩٠.

وخـلاصة القول فى التعريف بهذا التوحيد :-

هوالاقرار ان الله تعالى رب كل شىء ومالكه وخالقه ورازقه وانه المحى المميت ، النافع الضار ، الذى له الامر كله وبيده الخير كله ، القادر على ما يشاء ليس له فى ذلك شريك (١) .

يقول صاحب كتاب تفسير العزيز الحميد فى تعريفه بهذا التوحيد :-

وهو الاقرار بان الله تعالى رب كل شىء ومالكه وخالقه ورازقه وانه المحى المميت النافع الضار ، والمنفرد باجابة الدعاء عند الاضطرار ، الذى له الامر كله وبيده الخير كله ، القادر على كل ما يشاء ، ليس له شريك ، ويدخل فى ذلك الايمان بالقدر ، وهذا التوحيد لا يكفى العبد فى حصول الاسلام بل لا بد ان يأتى مع ذلك بلازمه من توحيد الالوهيه (٢) . وهذا ما يسمى بتوحيد المعرفة والاثبات .

منهج القرآن الكريم فى عرض موضوع الربوبية :-

يقرر القرآن ان توحيد الربوبية امر فطرى وانه اعترف به المشركون وجبلت على الاقرار به جميع الفطر ، وهذا الاقرار واعتراف الفطرى لا يخرجهم من كونهم مشركين قال تعالى " ولئن سألتهم عن خلق السموات والارض ليقولن الله (٣) " وبهذا يعلمنا القرآن انه ليس بمجرد الاقرار به يكون المرء موحدا ، فلا شك فى وجوب الايمان به الا انه ليس كل الواجب ؛ وليس هو مناط الايمان الكفر ولا مناط التوحيد والشرك (٤) .

---

(١)فى العقيدة الاسلامية ،د. خفاجى (١:٢٠٤) .

(٢) تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ .ص ١٧ .

(٣) لقمان :آية ٢٥ .

(٤) كتاب التوحيد ، لشيخ الاسلام ابن تيمية ص (٥٩) بتصرف .

ثم انه ليس التوحيد الذى بعث به الانبياء كما ظنه المتكلمون وانهوا عقولهم فى تقريره والاستدلال عليه ، وخلطوا بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهيه .

الامر الثانى :- توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الالوهية ، وتوحيد الالوهيـة متضمن لتوحيد الربوبية من غير عكس . ولهذا قال تعالى " لو كان فيهما آلهه الا الله لفسدتا (١) ولم يقل لو كان فيهما الجان ، لان الطرض المقرر هو آلهه كثيرة تعبد مع الله كما كان واقع المشركين .

ذكر الايات الواردة فىتوحيد الربوبية :-

---

(١) قال تعالى " قال فمن ربكما يا موسى . قال ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الاولى - قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى - الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى "(٢) .

(٢) وقال تعالى " قال فرعون وما رب العالمين .قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين ، قال لمن حوله الا تستمعون . قال ربكم رب ابائكم الاولين ، قال ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون ، قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون "(٣) .

---

(١) الانبياء : اية ٢٩،انظرما اورده فى درء تعارض العقل والنقل (٤ : ٣٢١) حيث رد على المتكلمين فى ظنهم ان هذا دليل لتمانع الذى يستدلون على اثبات التوحيدج .

(٢) طه : ايه (٤٩ - ٥٥) .

(٣) الشعراء : الايات ٢٣ - ٢٨ .

توضيح توحيد الربوبية فى هذه الايات :-

لقد اعطى الله عز وجل خلقه كل شيء يحتاجون اليه ويرتفقون به ، بل عظم هذا العطاء الى ان اعطى خلقه الشكل والصورة المطابقه للمنفعه فى سائر مخلوقاته وامتد عطاؤه الى انه لم يخل من اعطائه انتامه كل خلق .فاذا نظرنا الى الانسان نجد انه اعطاه ما به قوامه من المطعوم والمشروب والملبوس والمنكوح والى جانب ذلك هداهم الى كيفية الانتفاع بها .

فهو عز وجل خلق الاشياء التى تحوط هذا الانسان ، ثم اعطاهم العقل الذى به يتوصل الى كيفية الانتفاع بها . وهذا غير مختص بالانسان بل عام فى جميع الحيوانات .(١)

، فالخلق والهداية الى طاعية المخلوق ان يؤدى دوره المفطور عليه فهو الذى فطر المخلوقات عليها سواء ما تعلقت بالانسان او الحيوانات او النبات او الجمادات او سائر العوالم المختلفة التى خلقها الله عز وجل بحكمته وقدرته وهداها الى ما يكفل خلقتها واستمرارها (١).

قال الالوسى عند قوله تعالى ثم هدى " اى ارشد ودل سبحانه بذلك على وجوده فان من نظر فى هذه المحدثات وما تضمنته من دقائق الحكمة ، علم ان لها صانعا واجب الوجود عظيم العطاء والجود "(٢) .

---

(١) باقتباس من التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٢ -٦٥).

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١٦: ٢٣٢).

فموسى عليه السلام فى هذه الايات استدل على ربوبيته عز وجل بخالقيته عز وجل لكل شىء ، فالخلق (١) فى الاية فى احد معانيه مصدر بمعنى الايجاد ، وجىء بفعل الاعطاء للتنبيه على ان الخلق والتكوين نعمه ، فهو استدلال على الربوبية وتذكير بالنعمة معا ؛ وقول الله عز وجل "كل شىء " يدخل فيه فرعون فانه من هذه الاشياء . ومعنى الايه دعى موسى عليه السلام فرعون للتامل والنظر فهل هو اعطى الخلق الذى يراه ويشاهده ومن جملته نفسه ، فلا شك انه يعلم انه ما اعطى كل شىء خلقه . وهل اعطى هذا الخلق الصورة التى على اشكالها المخصصه لكل مخلوق ؟ وجعل لكل خلق شكله المختص به ؟ وهل هو اعطى كل شىء خلقه يحتاجونه من انواع الاحتياجات التى تقوم بها حياتهم (٢) انه دليل على ربوبيته يدعو فرعون الى ان ياتى باى مخلوق مما يراه وأن يعطيه الصورة او صفته او الايجاد او سائر حوائجه ، وكانه قيل له آت باى مخلوق قد خلقته ان كنت تزعم انك رب .

يقول الزمخشرى " ولله در هذا الجواب ما احضره وما اجمعه وما ابينه لمن القى السمع ونظر بعين الانصاف وكان طالبا للحق (٣)

---

(١) تفسير روح المعانى للالوسى (١٦ : ٢٠١ / ٢٠٢).

(٢) انظر ابن القيم ، فى شفاء العليل ص (٣١) وما بعدها فى تفسير هداية المخلوقات لما تصلح قيامها فى حياتنا ، دار الكتب العلمية - بيروت .

(٣) تفسير الكشاف للزمخشرى (٢ : ٤٥٣) .

الدليل الثانى على الربوبية :-

وهوما جاء فى سورة الشعراء وقد تقرر هذا الدليل من الكلام عن التكوين الى الخلق الى النظام الدقيق المشاهد والمتغير كل يوم بين الشروق والغروب وحدوث الليل والنهار وهو دليل الخليل عليه السلام الذى واجه به النمرود .

قال تعالى " قال فرعون وما رب العالمين . قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين . الايات من سورة الشعراء (١).

لقد اوضح موسى عليه السلام الصفات الداله على الله سبحانه وتعالى من مخلوقاته ، وبين فرعون افعاله عز وجل التى لا يشاركه فيها مخلوق ،

ومن هذه المخاليق التى هى مربوبه له ملك فرعون نفسه عز وجل فيبين انه رب السموات والارض وما بينهما ليقطع عليه ادعاوه انه رب متى واعلى " فان ادعاوه الربوبية جاء بعد محاورته لموسى (٢)

"وهنا نجد فى هذه الايات انتقال من الاستدلال على الربوبية من العموم الى الخصوص الى اخص ما يعظمونه وهى الشمس فالكل هى مربوبه لله عز وجل .

فاولا بدأ باوسع الادلة على وجود الله عز وجل ووحدانيته فى الربوبية اذ فى كل شىء مما فى السموات والارض وما بينهما آيه تدل على انه واحد ، فنزل بهم الى الاستدلال بانفسهم وباباءهم اذ اوجدهم الله بعد العدم ثم اعدم اباءهم بعد وجودهم ، لان احوال

---

(١) الشعراء : الايات ٢٣:٢٨).

(٢) تفسير ابى السعود (٤:٢٠٨) .

انفسهم وآبائهم اقرب اليهم وأيسر استدلالا على خالقهم ،فالاستدلال الاول يمتان بالعموم ، والاستدلال الثانى يمتاز بالقرب من الضرورة فان كثيرا من العقلاء توهموا السموات قديمة واجبه الوجود ، فاما اباؤهم فكثير من السامعين شهدوا انعدام كثير من آبائهم بالموت وكفى دليلا على انتفاء القدم الدال على انتفاء الالهيه .

وشمل عموم الاباء باضافته الى الضمير ووصفه بالاولين بعض من يزعمونهم فى مرتبه الالهه مثل الفراعنه القدماء الملقبين عندهم بابناء الشمس والشمس معدد من الالهه ويمثلها الصنم امون (رع) (١)

ولهذا انتقل بعد ذلك حتى فيمن يعتقدون انه الرب العائد مربوب لله عز وجل فهو قريب منهم ان لا خطوه فبين ان الشمس وانتظامها والشروق والغروب ليس من تلقاء نفسه بل مربوطة ولها رب يسيرها بهذا النظام .

فالله القادر على تحويل الشمس من مغربها الى مشرقها وادارة الامور كذلك فيما بين الخافقين هو الاولى والاحق بالاتباع والعبادة وهذا لازم توحيد الربوبية لو كانوا يعقلون فى افعال الله عز وجل التى هى ظاهرة ولكل احد (٢) .

(٣) توضيح الدليل الثالث :-

قال تعالى " الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى ، كلوا وارعوا انعامكم ان فى ذلك لايات لاولى النهى (٣) .

---

(١) باقتباس من تفسير التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١٩:١١٩).

(٢) العبرة من قصة موسى عليه السلام / محمد خير العدوى ص (٣٢٠) .

(٣) طــه :آيات (٥٣:٥٥) .

ذهب بعض المفسرين ان هذا ليس من كلام موسى لفرعون ، لانه جاء فيه ضمير المتكلم المعبر عن العظمه فلا يكون من كلام موسى عليه السلام قال تعالى فى آخر هذه الاية " فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى .. وعندى لا مانع انه من كلام موسى لفرعون عليه السلام وحكاه القرآن بالغيبه "الذى جعل لكم الارض ... الخ الايات

وذلك للاسباب التالية :- ان هذه المربوبات والافعال لله عز وجل من اعظم ما تدل المرء على خالقه ويشاهده وملاحظه به ومتوقفه حياته عليها وهى تدعوه الى ان يعرف قدرة الله فيه وفيمن حوله وانه مربوب لله عز وجل " وهذا ما يحسنه اسلوب الالتفاف ، لمعنى يوليه المتكلم اهتماما خاصا (١).

والمقصود ان نبين امور الربوبية فى هذه الايات ، فبين عليه السلام ان الله عز وجل هو الذى جعل الارض فراشا صالحه للمشى والضرب فيها لطلب الرزق بعد سلك فيها سبلا فلم يجعلها جميعها جبالا حتى لا تكون صالحه للمشى .

ولم يجعلها جميعها بحارا بل جعل فيها الماء واليابس وجعل فيها الجبل والسهل وهو عز وجل الذى انزل من السماء ماء فاخرج سائر الاجناس المختلفه التى تذعن بمشيئته ولا يمتنع شىء على ارادته وبهذا جىء بلفظ فاخرجنا للالتفاف من لفظ الغيبة الى لفظ المتكلم وذلك ايذانا بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة لامره وهذه النباتات المختلفة مختلفة فى الطول والقصر واللون والطعم والحلاوة والحموضة وكل ذلك مسهله الانتفاع منها اباحها الله عز وجل لان ياكل منها الانسان وياكل دوابه وكل ذلك منه لايات لقوم يعقلون ان هذه المربوبيات بهذه الكيفيات تدل على قدرة العزيز الحكيم وانه وحده هو المستحق للعبادة لا سواه .

---

(١) دعوة الرسل ، الشيخ محمد احمد العدوى ،ص (٣٤٤) ، باقتباس .

المبحث الثالث

توحيد الالوهية فى قصة موسى عليه السلام

(١) التعريف بهذا التوحيد.

(٢) منهج القرآن فى عرضه واثباته .باعتبار ان القصة قرآنية

(٣) ذكر الايات التى جاءت فى قصة موسى عليه السلام لهذا النوع من التوحيد ودراستها .

(٢) توحيد الالوهية ومنهج القرآن الكريم فى اثباته :-

وهو افراد الله تعالى بالعبادة المستلزم لعبادته بكل ما شرع ان يتعبد به من اعمال القلوب والجوارح ، وان لا يشرك معه غيره فى شىء فيها ، مع عدم الاعتراف بعبادة غيره تعالى وهو ايضا اى وتوحيد الالوهية - تعلق القلب بالرب تعالى خوفا ورجاء ، ورهبة وطمعا ، كما هو اسلام الوجه لله تعالى ووقف الحياة كلها عليه ، فلا شىء للعبد هو لغير الله تعالىبدليل قوله تعالى " قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك امرت وانا اول المسلمين (١.)

والتعريف بهذا التوحيد : افراد الله تعالى بالعبادة ، فلا معبود سواه ، ولا مسئول ولا مستعاذ غيره (٢) واذا كنا قد بينا مدلول كلمة الرب لبيان توحيد الربوبية فلا بد من الوقوف مع كلمة العبادة حتى يتضح المراد بهذا التوحيد ، ويتضح معنى الالوهيه فاولا نبدأ بمعنى كلمة الالوهية ثم معنى كلمةالعبودية لانه يطلق عليه توحيد الالوهية وتوحيد العبادة .

اما معنى الالوهيه :-

(١) الاله فى اللغة :- ماخوذ من اله ياله اذا تحير العبد فى عظمة الله واصل اله ولاه مثل وشاح فقلبت الواو همزة فصارت الاه مثل اشاح ، ومعنى ولاه ان اطلق يولهون اليه من حوائجهم كما يوله الطفل الى ثدى امه عند احساسه بالجوع .

---

(١) عقيدة المؤمن ابو بكر الجزائرى ،ص (١٠٢) .

(٢) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ،د. صلاح عبد العليم ،ص (٩٠)

(٢) الاله :((١) هو الذى يوله القلب لكمال الحب والتعظيم والاجلال والاكرام والخوف والرجاء ....ونحو ذلك "(٢) .

(٣) قال الشيخ الهراس .. ومعناه افراد الخالق " جل وعلا بالعبادة واخلاص الدين وحده فان الالوهية نسبة إلى الاله بمعنى المعبود : يقال اله يأله الهه والوهه والوهيه بمعنى عبد عبادة قال ابن عباس رضى الله عنهما الله ذو الالوهيه والعبودية على خلقه اجمعين .

والاله اسم للمعبود مطلقا بحق او بغير حق ، فهو يطلق على الله عز وجل كما يطلق على غيره من المعبودات الباطله وجمعه آلهه واما الله فمختص بالمعبود الحق لا يطلق على غيره ، فهو يشبه ان يكون علما عليه ، وان كان الصحيح انه مشتق (٣) .

(٤) ويراد بهذا التوحيد ايضا هو: توحيد الله عز وجل فى العبادة فلا معبود سواه ولا مسئول ومستعاذ غيره وهو ما نطق به قوله تعالى " اياك نعبد واياك نستعين " ولبيان هذا النوع من التوحيد نقف على معنى العبادة التى تتحقق فى معرفتها معرفة هذا النوع من التوحيد .

يقول صاحب المنار ما نصه :-(٤)

يقول العلماء ان العبادة : هى الطاعة مع غاية الخضوع ، وفى هذه العبارة اجمال وتساهل فانها لا تعطى المعنى الدقيق للعبادة ولا تمثله

---

(١) لسان العرب مادة اله .

(٢) العبودية ، لابن تيمية الناشر دار المدنى سنه ١٣٩٨ هـ / ١٤٠٦ هـ ،ص (١٠) .

(٣) دعوة التوحيد ،د. محمد خليل الهراس ،ص (٣٨) .

(٤) تفسير المنار ، الشيخ محمد رشيد رضا (١: ٤٧/ ٤٨) .

تمام التمثيل وتوضيحه توضيحا كاملا ، لاننا اذا تتبعنا نصوص القرآن واساليب اللغة واستعمال العرب لكلمة (عبد) وما يماثلها ويقاربها فى المعنى مثل : (خضع ,خنع ،وذل ،واطاع) . نجد انه لا شئ من الالفاظ يضاهى (عبد (ويحل محلها ويقع موقعها ولذلك قالوا : ان لفظ (العباد) مأخوذ من العبادة فتكثر اضافته الى الله تعالى ولفظ (العبيد) تكثر اضافته الى غير الله تعالى لانه مأخوذ من العبودية بمعنى الرق ، وفرق بين العبادة والعبودية بذلك المعنى .

ومن هنا قال بعض العلماء :- ان العبادة لا تكون فى اللغة الا لله تعالى ولكن استعمال القرآن يخالفه .

يغلو العاشق فى تعظيم معشوقة والخضوع له غلوا كبيرا حتى يفنى هواه فى هواه وتذوب ارادته ، ومع ذلك لا يسمى خضوعه هذا عبادة بالحقيقة ويبالغ كثير من الناس فى تعظيم الرؤساء والملوك والامراء فترى من خضوعهم لهم وتحريهم لمرضاتهم ما لا ترضاه من المتحنثين القانتين ، دع سائر العابدين ولم يكن العرب يسمون شيئا من هذا الخضوع عبادة ، وهذا يدل على عدم دقة المعنى الذى ذكر للعبادة اما المعنى الدقيق للعبادة فهو ما ترشد اليه الاساليب الصحية والاستعمال العربى الصريح وهو ان العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، ناشئ عن استشعار القلب عظمه للمعبود لا يعرف منشاها واعتقاده بسلطه له لا يدرك كنهها وماهيتها ، وقصارى ما يعرفه منها انها محيطة به ، ولكنها فوق ادراكه .

فمن ينتهى الى اقصى الذل لملك من الملوك لا يقال انه عبده ما دام سبب الذل والخضوع معروفا وهو الخوف من ظلمه المعهود او الرجاء لكرمه المحدود قلت بل يعد ذلك عبادة اذ ان العبادة درجات كما فسرها اكثر من حديث ، افلا اكون عبدا شكورا (١) ، والقرآن والسنة حاكمة

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التجهد ، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه .

على اللغة ، فهذه درجة والدرجة التى صورها عاليه جدا ، وقد تكون فى حق الانبياء .

فالعبادة يشمل معناه الطاعة الخضوع ، ولهذا رد النبى صلى الله عليه وسلم على عدى بن حاتم حينما قال له ما عبدناهم (١) " قال الم يحرموا ما احل الله ويحلوا ما حرم الله فاطعتموهم " فتلك عبادتهم ، وبين فى شأن الخضوع والسيطرة وانها عبادة فقال صلى الله عليه وسلم " تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم (٢) .

فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الاقوال والاعمال الباطنة والظاهره (٣) .

وهذه العبادة لا ينتفع بها العبد الا اذا توفر لها ، العلم بها ومعرفة كيفية ادائها وافراد الله تعالى بها بان يعرف الشرك فى العبادة التى يفسرها وقد سبق ان وضحنا مفهوم الشرك واقسامه (٤) .

واعلم ان هذا التوحيد هو توحيد الذى دعا اليه الانبياء وهو توحيد العبادة " وهو افراد الله بالعبادة والالوهيه ، والنفى والبراءة من كل معبود دونه والعبادة اضافة الى ما عرضنا لها فى مدلولها اللغوى فانها انواع :-(٥) .

---

(١) سنن الترمذى ، كتاب تفسير القرآن (٣٠٩٢).

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، باب الحراسة فى الغزو فى سبيل الله .

(٣) العبودية ، لابن تيمية ،ص (٤)

(٤) عقيدة المؤمن ، ابو بكر الجزائرى ،ص (١٠٦) .

(٥) فى العقيدة الاسلامية /د. محمود احمد خفاجى ،ص (٢٢٠)

(١) عبادات اعتقادية : وهذه اساسها ان تعتقد ان الله هو الرب الواحد الاحد الذى له الخلق والامر وبيده النفع والضر وانه الذى لا شريك له ، ولا يشفع عنده احد الا باذنه ، وانه لا معبود بحق ان يقصد ذلك من لوازم الالوهيه .

(٢) قلبية : وهى التى لا يجوز ان يقصد بها الا الله وحده وصرفها لغيره شرك كالخوف والرجاء ، والرغبة ، والخشية والحب ، والانابة والتوكل والخضوع .

(٣) لفظية : وهى النطق بكلمة التوحيد فمن اعتقد ما ذكر ولم ينطق بها لم يحقن دمه ولا ماله .

(٤) بدنية : كالقيام بالركوع والسجود فى الصلاة ومنها الصوم وافعال الحج والطواف .

(٥) مالية : فاخراج جزء من المال امتثالا كما امر الله به وصور العبادة كثيرة ، كالصلاة والزكاة والصوم وصدق الحديث واداء الامانة بر الوالدين ، وصلة الارحام والوفاء بالعهود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والجهاد للكفار والمنافقين ن والاحسان الى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الادميين والبهائم ، والدعاء والذكر والقراءة وامثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله ، وخشية الله والانابة اليه واخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه والرضا لقضائه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه والتوكل عليه .

يقول صاحب العزيز الحميد فى معنى توحيد الالوهية :-(١)

وهذا التوحيد هو اول الدين وآخره ،وباطنه وظاهره وهو اول دعوة الرسل وآخرها وهو معنى قول "لا اله الا الله " فان الاله هو المألوه المعبود بالمحبة والخشية والاجلال والتعظيم وجميع انواع العبادة ولاجل هذا التوحيد خلقت الخليقه وارسلت الرسل الكتب ، وبه افترق الناس الى مؤمنين وكفار ، وسعداء اهل الجنة واشقياء اهل النار .

منهج القرآن الكريم فى عرض توحيد الالوهيه:-

لما كان هذا النوع من التوحيد هو مناط الايمان بالله وحده واخلاص العبادة له كان لا بد للقرآن ان يعنى بتقريره والبرهنة عليه بالادله العقلية والبراهين الصحيحه .

لان الشرك الذى وقع فى جميع الامم كان فى هذا النوع ، ولهذا نجد القرآن اضح عنه كل الافصاح وابدا فيه واعاد وضرب الامثله المحسوسه والمشاهده التى يعيشها المخاطب ،ويتعامل معها بعقله لذا نجد فى كل سورة من سور القرآن الكريم الدلاله على هذا التوحيد اذا ان الخصومه بين الانبياء واممهم انما كانت فى هذا النوع من انواع التوحيد والشرك الذى حدث من جميع الامم كان فى هذا النوع .

ولقد عالج القرآن الكريم انحراف الناس عن توحيد الله بانواع من الاساليب الواضحه المتصله بحياة الناس ومشاعرهم وبين لهم كثيرا من اعمالهم التى يتوجهون بها لغير الله هى حق لله لا يجوز صرفها لغيره ، وسلك القرآن لتقرير هذا النوع من التوحيد سواء فى اثباته او ابطال ما يضاده من مسالك مختلفه .

(١) تيسير العزيز الحميد فى شرح المجيد كتاب التوحيد ، ص (٢٠).

يقول الشيخ الهراس موضحا بعض هذه المسالك :-

فيقول يسلك مثلا فى دعوتهم الى ترك الشرك متعدده منها :-

(١) بيان ان الخلق عنوان العبادة ، قال تعالى " افمن يخلق كمن لا يخلق (١) ".

(٢) بيان عجز الالهه المدعوه دون الله " ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له "(٢) .

(٣) بيان انهم عند الشده يلجأون الى الله وحده فيلزمهم ان يخلصوا له الدين دائما .

(٤) تذكيرهم بالنعم التى انعم الله بها عليهم ، والتى يدركونها بالحس انهم لم يحدثوا منها شيئا وانما الله هو الذى تفضل بها عليهم .

ويقول الشيخ الهراس فى ذكر اساليب القرآن فى تقرير هذا النوع من التوحيد فى القرآن " : منها سوق آيات الربوبية فى الخلق والتدبير والملك والحفظ والرعاية والاحسان والرحمة وجعل ذلك دليلا على الوحده فى الالوهيه ومنها التنديد بما يتخذه الناس آلهه من دون الله واظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفله عن من يدعوها ويهرع اليها ..ومنها التشنيع بحال العابدين لهذه الالهه الباطله ورميهم بالضلال والسفه حيث رضوا لانفسهم ان يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ... ومنها تصوير ما سيكون يوم القيامه بين العابدين والمعبودين وبين الاتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداه .(٣) .

ويفصل الدكتور عبد الغنى محمد سعدبركه فى تنويع اسلوب القرآن الكريم فى اثبات عجز هؤلاء الشركاء المزعومين .. وكيف جاء القرآن فى تقرير توحيد الالوهيه .

---

(١) النحل : آية ١٧ . (٢) الحج : آية ٧٣ .

(٣) دعوة التوحيد ، الهراس ،ص (٣٧ /٣٨) .

فيقول يخاطبهم مرة باللطف والاستدراج واشراكهم فى استنباط النتائج والوصول الى الحق .

(٢) ومرة باسلوب المواجهه الصريحه التى تقطع كل حجه ،وتنهى كل جدل .

(٣) ومرة باسلوب التقرير الذى يجبرهم على النطق بالحق الذى لا يدفع

(٤) ومرة بالسخريه منهم وتصويرهم فى صورة العاجز .

(٥) ومرة بمطالبتهم بالدليل على دعواهم حتى اذا عجزوا كان ذلك قاطعا فى بطلانها لانها لا تعتمد على دليل .

(٦) ومرة بحثهم على تدبر ما فى الكون من دلائل على وحدانيه الله وهو فى هذا المجال يعرض عليهم ادلة ناطقه من كتاب الكون الداله على التوحيد الله ووحدانيته فليس عليهم الا ان يعملوا عقولهم ويتدبروا ويستبدوا الحقيقه لبصائرهم جليه لا تحتاج الى دليل (١).

توحيد الالوهيه فى قصة موسى عليه السلام :-

لقد دعى موسى عليه السلام فرعون الى الاعتراف بالخالق عز وجل وانه هو ربه ورب الاولين ، كما من بنا واشار الى فرعون ان الله عز وجل واعطى صنعا كل شئ خلقه بما فيهم نفسه فانه لم يخلق نفسه ولم يوجدها وكانت اجابته عليه السلام واضحه (على تجاهل فرعون لربه)وبينه الدلاله على قدرة الله عز وجل وانه هو الذى ينبغى ان يصرف له العبادة ، وهنا تساءل فرعون لماذا عبد اهل القرون الاولى غير الله عز وجل " قال فما بال القرون الاولى (٢) " وكانه يقول ما بالها لم تقر بما تدعوا اليه من التوحيد والعبادة بل عبدت الاوثان ونحوها (٣)

---

(١) اسلوب الدعوة القرآنية بلاغه ، ومنهاجا .د. عبد الغنى محمد سعد بركه ص (٣٥٦ /٣٥٧) باختصار وتقديم وتاخير .

(٢) طـه : آية :(٥١

(٣) العبرة فى قصة موسى عليه السلام / محمد خيرى عدوى ،ص (٣١٣) .

وهو يقصد ان موسى ان قال انها عملت بالتوحيد فهى قد عبدت الاصنام وان قال غير ذلك ثار عليه الملأ وقالوا سب اباءنا فهو امر اراد فرعون ان يشغل موسى فى الوصول الى مطلوبه وهو ان فرعون مخلوق لله عز وجل وان عليه يعبده وحده ولا ينبغى ان يتكبر طاعته وهذه النعم لله عز وجل الذى هو ربى وربكم فلم تكفرون به وتستكبرون عن طاعته ولهذا رأى فرعون خطورة هذه الادلة فى اثبات الربوبية والالوهية لله رب العالمين فحاول صرفه عنها وهدده اخير بالسجن .ان عاش على معتقده الذى يسرد الادلة عليه ويخرج به عن عبادة فرعون .وهذا نموذج بين دعوة موسى الى الالوهية والعبادة .

(٢) عكوف بنى اسرائيل علىعبادة العجل بعد ذهاب موسى الى ربه عز وجل

وانكار موسى عليه السلام ما حدث منهم :-

قال تعالى " وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ، انما الهكم الله الذى لا اله الا هو وسع كل شئ علما (١) .ولننظر الى نموذج اخر من دعوة موسى الى هذا النوع من التوحيد لبنى اسرائيل .

قال صاحب كتاب معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم :-

" بعد ان وقع بنو اسرائيل فىالشرك ، بعبادتهم العجل عمد نبى الله موسى عليه السلام الى العجل فاحرقه ، وهو دليل حى على ضلال من يعبد الجماد الذى لا يملك لنفسه شيئا من ضر او نفع فها هو يحرق ويلقى رماده فى البحر دون ان يدفع عن نفسه فكيف يملك ضرا او نفعا لمن يعبده ، اليس من سفاهة العقول وحقارتها وتفاهتها ان تعكف على عبادة مثل هذا الجماد العاجز ؟ ثم التفت الى بنى اسرائيل يذكرهم بالمعبود الحق الذى لا يستحق العبادة والالوهيه غيره ولا تنبغى لسواه

(١) طه : آية ٩٧ ـ ٩٨)

" انما الحكم الله الذى لا اله الا هو " وفى العبارة حصر الالوهية فى الله سبحانه منطوقا (انما الحكم الله ومفهوما الذى لااله الا هو(١) قال البغوى رحمه الله " لم يكن ذلك شكا منهم فى وحدنية الله وانما كان غرضهم انها يعظمونه ويتقربون بتعظيمه الى الله وظنوا ان ذلك لا يقدح فى الدين وكان ذلك لشده جهلهم .(٢)

(٣) الدعوة الى عبادة الله عز وجل على لسان مؤمن آل فرعون :-

قال تعالى حكاية على لسان مؤمن آل فرعون مخاطبا فرعون وملئه " ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار - تدعوننى لاكفر بالله واشرك به ما ليس لى به علم وانا ادعوكم الى العزيز الغفار (٣) .وهذا نموذج ثالث جاء فى الدعوة الى هذا النوع من التوحيد على لسان مؤمن آل فرعون .

فى هذه الاية يدعوهم الى الاقلاع عن الشرك الذى هو سيكون سبب خسرانه فى النار فهو يقبل التوبة عن عبادة ان رجعوا وهوالغفار ولكنه ايضا العزيز الذى لا يغلب ولا يقهر والذى لا يفلت من قبضته احد ، وهو يخوفهم من عاقبة الشرك ان استمروا عليه وبطلان عبادتهم لغيره عز وجل ، فان وصف العزيز ما يبين بطلان الهية كل من ادعى الالوهية من المخلوقين كفرعون او عبد من دونه الحجارة التى لا تعقل ، فكلها غاية العجز والضعف والافتقار ، ومن كان شأنه ذلك كيف يصح عند عاقل ان يجعل منه الها يعبده .(٤) .

---

(١) معالم الدعوة القصص فى القرآن الكريم ،د.عبد الوهاب بن لطف الديلمى ص(١:٦٩) .

(٢) تفسيرالبغوى (٩:١٤٩) .

(٣) غافر : آيات (٤٠:٤٢) .

(٤) معالم الدعوة فى القصص القرآنى ، الديلمى (١:٧١) .

والايات كثيرة فى قصة موسى عليه السلام فى تقرير توحيد الالوهية كالذى ورد فى شأن امور العبادة من الصلاة والزكاة ؛ اما ما ورد اعتقاده بالقلب مع الاستعداد للعمل له كذكر الساعة والدعوة لعدم سماع من يصد عنها .

وما جاء فى امور اعتقادية قلبية كالخوف من الله عز وجل والخوف من المخلوق وقد ذم الله عز وجل خوفهم من دخولهم الارض التى كتب الله لهم وعدم توكلهم عليه عز وجل .

وما ذكرناه يشير الى هذا النوع من التوحيد وهو الذى دعا اليه كل رسول وكانت الخصومة بينهم وبين اقوامهم فيه ، وكانت مهمة الرسل جميعا هذا التوحيد وهو افراد الله عز وجل بالعبادة وانها قاصرة عليه ، وقد فصل الله عز وجل واجمل هذا التوحيد فى القرآن الكريم فى شأن دعوة الرسل لاقوامهم . وحسبى ما ذكرت من امثلة على هذا النوع من التوحيد فى هذه القصة والا فان المقام لا يسع لسرد كل قضية وردت فى قصة موسى عليه السلام .

المبحث الرابع

توحيد الاسماء والصفات

(١) التعريف بهذا النوع من التوحيد .

(٢) منهج القرآن فى عرضه .

(٣) ذكر الايات التى جاءت فى هذا النوع من التوحيد والتعرض لبعض الصفات بالدراسة .ومنها ما يلى

(١) الصفة الاولى :صفة العلو .

(٢) الصفةالثانية : صفة المعية .

(٣) الصفة الثالثة : صفة النفس .

(٤) الصفة الرابع : صفةالعين .

(٥) الصفة الخامسة: صفة المحبة .

(٦) الصفة السادسة : صفة القدرة .

* *

معنى توحيد الاسماء والصفات ومذهب السلف فيه :-

توحيد الاسماء والصفات :- هو الاقرار بان الله بكل شىء عليم ، وعلى كل شىء قدير ، وانه الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم له المشيئة النافذة والحكمة البالغة وانه بصير رحيم ، على العرش استوى ، وعلى الملك احتوى وانه الملك القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر ، سبحان الله عما يشركون الى غير ذلك من الاسماء الحسنى والصفات العلى .(١)

طريقة السلف فى الايمان به :- ويعبر عن ذلك شيخ الاسلام ابن تيميه رحمه الله فيقول مبينا طريق السلف فى اثبات هذا التوحيد "ان يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله وينفى ذلك عن التحريف (٢) والتمثيل (٣) والتكيف (٤).

---

(١) تيسير العزيز الحميد ، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ص (٣٤، ٣٥).

(٢) التحريف : نوعان تحريف اللفظ -وتحريف المعنى ، فتحريف اللفظ وهو العدول به عن جهته الى غيرها اما بزيادة،واما بنقصان واما تغير حركة اعرابية واما غير اعرابية ... واما تحريف المعنى : وهو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقة المعنى واعطاء اللفظ معنى آخر " مختصر الصواعق ، لابن القيم ، دار الندوة الجديدة - بيروت (٢:٣٣٣) .

(٣) التمثيل : اعتقاد ان صفات الخالق مثل صفات المخلوق . شرح العقيدة والواسطية . الهراس .ص (٢٢) .

(٤) التكيف : وهو حكاية الصفة كالادعاء بانه كيفيه يد الله او نزوله الى السماء الدنيا كذا وكذا او يسأل عنها بكيف المرجع السابق،ص (٢٢) .

والتعطيل (١) .

فان الله ليس كمثله شئ فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى افعاله ، فمن نفى صفاته كان معطلا ، ومن مثل صفاته بصفات مخلوقاته كان ممثلا ، والواجب اثبات صفاته ، ونفى مماثلتها لصفات المخلوقين اثباتا بلا تشبيه ، وتنزيها بلا تعطيل ، كما قال تعالى ﴿ليس كمثله شئ " فهذا رد على الممثله (وهو السميع البصير) رد على المعطله ، فالممثل يعبد صنما والمعطل يعبد عدما "(٢) .

منهج القرآن الكريم فى عرض موضوع الاسماء والصفات لله عزوجل ومسالك الناس فيها :- باعتبار ان القصة التى معنا قرآنية :-

منهج فى القرآن الكريم بالنسبة للذات والصفات لله عزوجل يعرضها لاثباتها من حيث الوجود لا من حيث الكيف والسبب فى ذلك انه اذا كانت ذاته لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه الصفات وما دامت كيفية ذاته مجهولة فكذلك كيفية صفاته مجهولة ، فمن هذا يمكن ان نقول ان القرآن قصد فى حديثه عن الذات والصفات اثبات وجوده لا اثبات كيفيتها " " ليس كمثله وهو السميع البصير " (٣) ثم ان القرآن بين لنا ما كان كمالا لغير الله عزوجل فالله احق به لان له المثل الاعلى فى كل كمال لا نقص فيه " .

---

(١) التعطيل المراد به نفى الصفات وانكار قيامها بذاتية تعالى ، وهو اقسام ، تعطيل كلى ، كتعطيل الجهمية ، وتعطيل جزئى كتعطيل الاشاعرة وهو تعطيل باثبات الاسماء والصفات على اعتبار انها مجاز لا حقيقة . وانظر الجواب الكافى لابن القيم ص (٩٠) معالم الهدى الى فهم الاسلام ،د. مروان ابراهيم القيس ،ص (٢٢) .

(٢) مجموع الفتاوى ، ابن تيميه (٦:٥١٥).

(٣) الشورى اية ١١ .

وكل ما تضمن كمالا لانقص فيه فالله احق به ، وكل ما كان نقصا من صفات المخلوقين او كان كمالا متضمنا لنقص بوجه من الوجوه فالله اولى بأن ينزه عنه .

والقرآن قد راعى فى الاثبات والنفى معنى الكمال والنقص ، ولم يراع المعانى الجسمية والتركيب والحركة والحيز والجهة ، التى تحدث عنها المتكلمون واعتبروها اصلا تأولوا من اجله الكتاب والسنة فهو موصوف بكل صفات الكمال الواردة فى القرآن وليس فى وصفه لشىء منها ما يوجب الجسمية ولا الحيز ولا الجهه ولا التركيب بل هذه المعانى وتلك الالفاظ مأخوذة من قياس عالم الغيب على عالم الشهادة وهذا خطأ كبير

والقرآن الكريم قد جمع فى حديثه عن الصفات بين الاثبات والتنزيه فى آية واحده حين قال " ليس كمثله شىء وهو السميع البصير "(١) .

فالله سميع بصير ولا يشبه احد من خلقه مع انهم يسمعون ويبصرون وكذا فى بقية الصفات لان التماثل فى الصفات فرع عن التماثل فى الذوات ، والذاتان هنا مختلفتان تماما فكذلك صفاتهما ، ثم ان الاثبات الذى فى القرآن للصفات ليس تشبيها ، فعندما يتحدث القرآن عن الصفات بالاثبات والله سمى بعض عبادة بما سمى به نفسه كالعلم والسمع والبصر فالله موجود والعبد موجود وليس اثبات هذه الصفات يقتضى مشابهته لشىء من خلقه فى اى منها ، لانه لا يلزم من اتفاقهما فى مسمى الصفة اتفاقهما فى حقيقة الصفة .

والاسماء والصفات قد تستعمل خاصة مضافة الى موصوفها وقد تستعمل مطلقة عن الاضافة والتخصيص فاذا استعملت الصفة مضافة كقولنا علم الله ، فانها حينئذ تكون خاصة به لا يشركه فيها غيره ..

---

(١) الشورى : آية : ١١)

اما اذا استعملت مطلقة عن الاضافة فينبغى ان يعرف ان المطلق بمعنى شئ لا وجود له في الاذهان ولا تحقق له فى الخارج ، وهذا موضوع الشبهة التى وقع فيها المتكلمون حيث اختلط عليهم ما فى الاذهان بما فى الاعيان .

وقد سلك الناس فى الصفات ثلاثة مذاهب :-

---

(١) مذهب اهل السنة والجماعة وهو ما ذكرته سابقا وهو اثباتها لله عز وجل من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل اثباتا كما يليق بجلاله وعظمته .

(٢) مذهب الجهمية (١) والمعتزلة والاشاعرة (٢) فنفتها الجهمية على طريقتهم فى نفى الاسماء ونفتها المعتزلة ، ونفت بعضها الاشاعرة ، وقالوا جميعا فيما اشتركوا فى نفيه ، مثل صفة الوجه قالوا : انها الذات والعين : العلم واليد : النعمة ، والاستواء : الاستيلاء ، والرضى ، ارادة الانعام ، والغضب ارادة الانتقام ...الخ .

---

(١) الجهمية : هم المنتسبون الى جهم بن صفوان ، والجهمية تطلق بمعنى عام وهم نفاه الصفات عامة وبالاطلاق خاص وهم اتباع جهم فى آرائه وهى نفى الصفات والجبر والقول بفناء الجنة والنار . الفرق بين الفرق ، للبغدادى ، موسسة الحلبى .ت. طه عبد الرؤوف سعد ص (١٢٨) .

(٢) الاشاعرة : هم اصحاب ابى الحسن بن اسماعيل الاشعرى يقتصرون على الصفات السبع الثبوتية اللازمة لذاته تعالى والتى لا يتصف بغيرها . الملل (١٠٩:١) .

(٣) مذهب المشبهه ،(١) الذين شبهوا صفاته بصفات خلقه وكلا المذهبين الاخرين خطأ ، وقد اتى اصحابها من قبل ظنها للمشابهه بين صفات الله وصفات خلقه .

(١) فاما (المؤولون) : فادى بهم ذلك الظن الى التأويل ، لئلا يقع التشابه بين الله وخلقه .

(٢) واما (المشبه) :- فقد ظنوا ان اتفاق الصفات والاسماء يستلزم اتفاقهما فى المسميات ، وهو ظن ضال .

والمؤولون :- قد اثبت كل منهم لله عزوجل صفه واسما يشترك فى بعضها المخلوقين مع الله عزوجل .

فالمعتزلة : اثبت لله اسماء منها : العالم والقادر ونحوها .

والاشاعره : اثبتوا مع الاسماء لله عزوجل سبع صفات منها العلم والحياة والقدرة ....الخ .

والجميع بما فيهم الجهمية يثبتون لله عزوجل (ذاتا) وهى جميعا توجد فى المخلوقين . فكيف يوهم بعض الوارد فى الخبر التشبيه ولا يوهم البعض الاخر ذلك ؟

ولو انهم قالوا : كما ان لله ذاتا تشبه الذوات فكذلك لله صفات لا تشبهه الصفات لانتهت المشكلة وسلموا من الشذوذ ومخالفة السلف الذين كانت طريقتهم اسلم واصح والتى مبنية على اسس ثلاثة وهى :-

(١) اثبات الصفات .

(٢) تنزيه الله عن مشابهه جميع المخلوقات اسمائه وصفاته وذاته (ليس كمثله شئ) مع اثبات ما تتضمنه هذه الصفات والاسماء من حقائق تتعلق به عزوجل تحقيقا لقوله وهو (السميع العليم)

---

(١) المشبهه : هم المجسمة الذين يجرون الفاظ التنزيل على ظاهرها مثل الاستواء الوجه واليدين " الملل (١:١٣٧).

(٣) اليأس من ادراك كيفية هذه الصفات والاسماء لقوله تعالى ...ولا يحيطون به علما(١) ، وقد نهانا النبى عن التفكير فى ذات الله لان ذلك يؤدى الى الهلكه ، والقول فى الصفات كالقول فى الذات لانهما من باب واحد ، فهما من الغيب الذى لا نستطيع ادراكه او الوقوف على حقيقة او كنه لان ذلك من الغيب المحظور ، علينا والكيف المجهول عنا ، كما قال الامام مالك رحمه الله الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعه .(٢).

توحيد الاسماء والصفات فى قصة موسى عليه السلام :-

واذا قد تبين لنا التعريف بهذا التوحيد ومذاهب الناس فيه وطريقه السلف ، فان الوقوف على الايات التى جاءت فى هذا النوع من التوحيد لا يمكن الوقوف عليها وحسبنا ان نشير على بعض الصفات التى دار حولها الخلاف ، وجاءت فى هذه القصة حيث ان بقية الاسماء والصفات واضح مذهب السلف وغيرهم فيها .

وقد تبين مذهب اهل السلف فى اسماء الله عزوجل وصفاته ويهمنا هنا ان نقف مع بعض الصفات التى وردت فى قصة موسى عليه السلام :-

---

(١) البقرة : اية : ٢٥٥ .

(٢) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل ، لابن خزيمة ت .د. عبد العزيز ابراهيم الشهوان ، دار الراشد ، الرياض ، بتصرف وتقديم ، ص (١٣، ١٤٠٠ ، ١٥) .

الصفة الاولى :- صفة العلو :-

(أ) ومن صفة العلو :- قال تعالى حكاية عن جهل فرعون وغروره فى ارداته لاطلاعه على اله موسى قال " لعلى اطلع الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى الاية (١) اعلم ان العلو يطلق على عدة معان : علو المكان كما تقول علا فلان الجبل وعلو القهر كما يقال : علا فلان فلانا اذا قهره ، وعلو القدر ومنه اعلى الله كعبه .

وفى ذلك يقول ابن القيم :-

رحمه الله فى اسم الله عزوجل العلى فى قوله تعالى . وهو العلى العظيم " (٢) من لوازم العلى العلو المطلق بكل اعتبار فله العلو المطلق من جميع الوجوه ، علو القدر وعلو القهر ، وعلو الذات ، من جحد شيئا منها فقد جحد لوازم اسمه العلى (٣) .

وقد دل السمع والعقل على تلك الصفة لله صفة العلو وفوقيه فوق خلقه واستواؤه على عرشه فهو سبحانه عالى على خلقه مستو على عرشه ، وهذا لا يستلزم ان يشابه احدا لان علوه واستواؤه ليس كعلو واستواء المخلوقين بل هو علو واستواء يليق بجلاله وعظمته .

وقد حكى شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله مذهب السلف والمخالفين له فى هذه المسالة فقال رحمه الله " فالسلف والائمة يقولون : ان الله فوق سماواته مستو على عرشه بائن من خلقه ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة ، واجماع سلف الامة ، وكما علم بالمباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح وكما فطر الله عليه ذلك خلقه من اقرارهم به وقصدهم اياه سبحانه وتعالى (٤) .

---

(١) غافر : ٣٦ : ٣٧ . (٢) البقرة : اية ٢٥٥

(٣) مدارج السالكين (١ : ٣١) . (٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢ : ٢٩٧) .

اما المخالفون للسلف فقال ابن القيم رحمه الله (١) ، انهم لا يتنازعون فى علو القدر وعلو القهر بل يثبتون ذلك له تعالى لكن اضطربت اقوالهم فى علوه بذاته فوق خلقه واستوائه على عرشه.

فهم كما يقول صاحب كتاب علو الله على خلقه :-

(١) فمنهم من اثبت من غير ان يتقيد بما توجبه النصوص .

(٢) ومنهم من نفى حقيقة علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه .

قال صاحب رسالة العلو :-

وجملة الاقوال المنحرفة فيه ستة مذاهب :-

(١) قول حلولية الجهمية :- الذين يقولون انه بذاته فى كل مكان كما يقول ذلك النجارية وغيرهم من الجهمية ، وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس النفاة فان الحلول اغلب على عباد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم والنفى والتعطيل اغلب على نظارهم ومتكلميهم ، كما قيل متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئا ومتصوفة الجهميه يعبدون كل شىء .

(٢) قول معطله الجهميه ونفاتهم : وهم الذين يقولون : لا هو داخل العالم ولا خارجه ولا مباين ولا مماس له ، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن احدهما ، كما يقول اكثر المعتزله .

(٣) قول من يقول : ان الله بذاته فوق العالم ، وهو بذاته فى كل مكان وهذا قول طوائف من اهل الكلام والتصوف .

(٤) قول من يقول : ان ربه فى مكان ،وان مكانه هو العرش وانه مماس للعرش ، وان العرش قد حواه ، وهو قول هشام بن الحكم

(٥) ومنهم من يقول : ان البارى قد ملا العرش وانه مماس له .

(٦) ومنهم من يقول : ان العرش لم يمتلىء به ، وانه يقعد نبيه

---

(١) ابن القيم ، مختصر الصواعق (١:٢٧٥) .

معه على العرش وهؤلاء يثبتون العلو والاستواء ولكن على نحو مشابه المخلوقين وهذا باطل .(١) .

القاء الضوء على الايات الواردة فى قصة موسى عليه السلام التى تدين صفه العلو لله عز وجل والرد على الرازى فى تفسيره الى ما ذهب اليه :-

بعد ان عرفت مذاهب الناس فى هذا الموضوع ومعنى العلو فأن قصة موسى عليه السلام تعرضت لهذا الموضوع ومع ان فرعون انكر الربوبية انكار عارض وادعى الالوهية لكن عرف ان الاله المقتدر فى السماء فرام الصعود فيها .

قال الرازى عارضا اولا وجوه من يقولون ويثبتون ان الله فى السموات ثم كسر عليها بالابطال على عادته فى تأويل الصفات سلامه فىزعمه من التشبيه ، وانا اسوق لك رده بعد ان اذكر ما ساقه من وجوه من يقول عنده ان الله فى السموات وهو بطبيعة الحال قول اهل الحق .

فاذكر اولا ما حكى عن مثبتيه من المثبته فى ان الله عزوجل فى السموات ، ثم رده وازيد المسأله وضوحا بسوق الادله النقليه والعقليه التى تثبت علو الله عزوجل وانه فى السماء .

قال رحمه الله :-

اولا :- ذكر وجوه المثبته باجمال حول الاية التى معنا فى قصة موسى عليه السلام .

- وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب . اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب "(٣)

---

(١) رسالة العلوو ،د. موسى بن سليمان الدرو يش / مكتبة العلوم والحكم ط (١٤٠٧/ هـ) ، ص) ٨٢.

(٢) غافر : آية ٣٦ - ٣٧ . (٣) الفخر الرازى (٢٧ /٦٥)باختصار .

الوجه الاول : انه سمع من موسى ان الله عزوجل فى السماء فحكى قوله .

الوجه الثانى : لم يتبين انه كان كاذبا فيما قال فكان تقرير الكلام .

فاطلع الى الاله الذى يزعم موسى انه موجود فى السماء ، وقوله انى لاظنه كاذبا يدل على ان دين موسى هو ان الاله فى السماء .

الوجه الثالث : ان فرعون مع نهاية كفره لما طلب الاله فقد طلبه فى السماء وذلك لما تقرر فى العقول بانه لو كان موجود اله لكان فى السماء وهو علم بديهى يقرر به ، حتى الزنديق والملحد .

ثم ابطل هذه الادله مبتدئا هجومه على المثبتين ووصفهم بانهم يكفيهم من الخزى انهم لفرعون اتباعا قال ان هؤلاء الجهال يكفيهم فى كمال الخزى والضلال ان جعلوا اقوال فرعون اللعين لهم حجة على صحة دينهم . واما موسى عليه السلام فانه لم يزد فى تعريف اله العالم على ذكر صفة الخالقية فقال فى سورة طه ربنا الذى اعطى كل شىء خلقه ثم هدى " (١) وقال فى سورة الشعراء " ربكم ورب اباءكم الاولين (٢) رب المشرق والمغرب وما بينهما (٣) فظهر ان تعريف ذات الله بكونه فى السماء دين فرعون وتعريفه بالخالقيه والموجوديه دين موسى فمن قال الاول كان على دين فرعون ، ومن قال بالثانى كان على دين موسى ثم ابطل ما اورده اهل الحق من ادله وعامتها تعتمد على التأويل والطعن بأهل الحق وكان ذلك فرارا من التشبيه ووقوعا فيما هو اعظم منه .

---

(١) طه : اية ٥ .

(٢) الشعراء : اية ٢٦ .

(٣) الشعراء : اية ٢٨

فقال " لا تسلم ان كل ما يقوله فرعون فى صفات " الله تعالى " فذلك قد سمعه من موسى عليه السلام بل لعله كان على دين المشبهه فكان يعتقد ان الاله لو كان موجودا لكان حالا فى السماء فهو انما ذكر هذا الاعتقاد من قبل نفسه لا لاجل انه سمع من موسى عليه السلام واما قوله (وانى لاظنه من الكاذبين) (١) فنقول لعله لما سمع عنه السلام قال (رب السموات والارض) ظن انه عنى به انه رب السموات كما يقال للواحد منا انه رب الدار بمعنى كونه ساكنا فيه فلما غلب على ظنه ذلك حكى عنه وهذا ليس بمستبعد فان فرعون بلغ فى الجهل والحماقه الى حيث لا يستبعد نسبة هذا الخيال اليه ، فان استبعد الخصم نسبه هذا الخيال اليه كان ذلك لائقا بهم . لانهم لما كانوا على دين فرعون وجب عليهم تعظيمه .

(٣) واما قوله " ان فطرة فرعون شهدت بأن الاله لو كان موجودا لكان فى السماء قلنا نحن لا ننكر ان فطرة اكثر الناس تخيل اليهم صحه ذلك لا سيما من بلغ فى الحماقة الى درجة فرعون فثبت ان هذا الكلام ساقط .

والحق ان الرازى كما يقول صاحب الميزان ... انه يورد شبه المخالفين فى المذهب والدين على غاية ما يكون من الحقيقة (وهذا ما قد فعله فى هذه المسأله) ثم يورد مذهب اهل السنة والحق على غاية الوهاء (٢) .

---

(١) القصص : اية ٣٨ .

(٢) لسان الميزان شهاب الدين احمد احود العسقلانى ، (٤ :٤٢٧) . موسسة الاعلمى بيروت ط٢ /١٩٧١ م

واليك الادله النقليه والعقليه فى هذه المسأله التى تزيل شبه الرازى وغيره (١) .

دلاله القرآن الكريم فى نصوصه المتنوعه مبينه ان الله فى السماء :-

(١) فقد صرح بالعلو المطلق فقال تعالى " سبح اسم ربك الاعلى (٢)

(٢) وصرح بالاستواء مقرونا باداة على مختصا بالعرش الذى هو اعلى المخلوقات مصاحبا فى الاكثر لاداة (ثم) الداله على الترتيب والمهله وهو بهذا السياق صريح فى معناه الذى لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يتحمل غيره البته . كما قال تعالى فى اكثر من موضع " الرحمن على العرش استوى " (٣) .

(٣) اخباره سبحانه وتعالى بعروج الاشياء وصعودها وارتفاعها اليه قال تعالى " بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما . (٤)

(٤) صرح بتنزيل الكتاب منه : قال تعالى " تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم (٥) .

(٥) التصريح بانه فى السماء ":- قال تعالى " أأمنتم من فى

---

(١) باختصار كتاب العلو /د. موسى بن سليمان الدرويش .ص (٨٢) .

(٢) الاعلى : آية ١ .

(٣) طه : آية ٥ .

(٤) النساء : آية ١٥٨ .

(٥) غافر اية (٢) .

السماء ان يخسف بكم الارض "(١)

(٦) التصريح بأن بعض المخلوقات بأنها عنده ، وان بعضها اقرب من بعض او السؤال عنه " باين " وهذا كله يدل على انه ليس فى كل مكان فوجبى ان يكون فىالعلو .
" وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون "(٢) وقال صلى الله عليه وسلم للجاريه " اين الله ؟ قالت فى السماء الحديث (٣).

(٧) اخباره سبحانه وتعالى عن فرعون : انه رام الصعود الى السماء يطلع الى اله موسى فيكذبه فيما اخبر به من انه سبحانه فوق السموات " قال تعالى حكاية عن دعواه " لعلى اطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا .(٤).

واما الادله العقلية :-

فقد اوضحها اهل العلم كما جاء فى رد الامام احمد بن حنبل على الجهمية بأن كل عاقل يدرك ان الله سبحانه وتعالى خلق العالم فلا يخلو .

(أ) اما انه سيكون فى نفسه وانفصل عنه وهذا محال تعالى من مماسة الاقذار وغيرها .

(ب) واما ان يكون خلقه خارجا عنه ثم دخل فيه ، وهذا محال ايضا تعالى ان يحل فى خلقه ، وهاتان لانزاع فيهما بين احد من المسلمين .

(ج) واما ان يكون خلقه خارجا عن نفسه الكريمة ولم يحل فيه ، فهذا هو الحق الذى لا يجوز غيره ولا يليق بالله الا هو " (٥)

---

(١) الملك : آية ١٦ . (٢) الانبياء : آية ١٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من اباحة .

(٤) القصص : آية ٣٨ (٥) انظر رسالة العلو د.موسى الدويش ص (٨٢).

قال صاحب الطحاوية " ان علوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع ثابت بالعقل من وجوه :-

(١) العلم البديهى القاطع بأن كل موجدين اما ان يكون احدهما ساريا فى الاخر قائما به كالصفات واما ان يكون قائما بنفسه بائنا عن غيره .

(٢) انه لما خلق العالم فاما ان يكون خلقه فى ذاته ، او خارجا عن ذاته فالاول باطل بأمرين هما :-

(أ) الاتفاق على بطلانه .

(ب) لانه يلزم ان يكون محلا للنجاس والقاذورات وتعالى الله عن ذلك علو كبيرا .

الثانى : يقتضى كون العالم واقعا خارج ذاته فيكون منفصلا فتعينت المباينة لان القول بانه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول

الثالث : ان كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضى نفى وجوده بالكلية لانه مفقود فيكون موجودا اما داخله واما خارجه فالاول باطل فتعين الثانى فلزمت المباينة "(١) .

(٢) الصفة الثانية :- صفة المعيه :-

جاء لفظ المعيه فى كتاب الله عاما كما جاء خاصا " وقوله اننى معكما اسمع وارى " (٢) من قبيل المعيه الخاصة ، وليس المراد بذاته مع كل شىء والا لكان التعميم ينافى التخصيص فانه علم ان قوله تعالى " اننى معكما اسمع وارى (٢) اراد به تخصيصهما دون عدوهما من فرعون وملئه .

ولفظ المعيه ليست فى لغة العرب ولا فى شىء من القرآن ان يراد بها اختلاط احدى الذاتين بالاخرى كقوله تعالى " وجاهدوا معكم) .

---

(١) شرح الطحاوية ، ص (٣٢٥) . (٢) طه : اية ٤٦.

فهذا يظهر خطأ من يعتقد انه معهم " اى ذاته مختلطه بذوات الخلق ولفظ المعيه وان اقتضى المجامعه والمصاحبه والمقارنة فهو اذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه فيكون حكم معيته فى كل موطن بحسبه فهو .

(١) مع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان .

(٢) ويخص بعضهم كما خص موسى واخاه بالاعانه والنصر والتأيد(١)

(٣) الصفة الثالثة :- صفة النفس :

---

(١) قال تعالى " واصطنعتك لنفسى " (٢)

قال الشيخ الهراس فى تعليقه على كتاب التوحيد مالفظه " فالنفس ثابته لله عزوجل بالايات والاحاديث المتفق عليها ، فاهل الحق يثبتون ذلك ويمسكون عما وراءه من الخوض فى حقيقتها او كيفيتها وينزهون عن مشابهة نفسه لنفس المخلوقين كما لا يقتضى اثباتها عندهم ان يكون مركب من نفس ويدين تعالى الله عن ذلك ...

والسلف منهم جعلها صفه ومنهم من جعلها بمعنى الذات ، قال الشيخ ابو العباس ابن تيميه فى المجموع " ويراد بنفس الشىء ذاته وعينه كما يقال رأيت زيد نفسه وعينه " وابن خزيمه فى كتاب التوحيد " يظهر من كلامه انها صفه للذات قال " باب فى ذكر البيان من خبر النبى صلى الله عليه وسلم فى اثبات النفس لله (٢).

والكل له دليله ، فابن تيمية يذكر فىالمجموع الادله على الاثنين ، فيذكر قول ابن حقيق فى اثبات ان لله نفسا على انها صفة للذات فيقول نقلا عنه " وقال سبحان الله رضا نفسه ، وقال فى محاجه آدم لموسى انت الذى اصطفاك الله لنفسه " فقد صرح بظاهر قوله رضا نفسه انه اثبت لنفسه نفسا (٣) .

---

(١) محاسن التأويل للقاسمى (١٦ /٥٦٧٣/ ٥٦٧٤) باختصار .

(٢) مجموع الفتاوى (٩:٢٩٢) . (٣) مجموع الفتاوى (٥:٢٣)

ويستدل الاول بانها ذاته لعدة آيات كقوله تعالى .... ويحذركم الله نفسه .

(٤) الصفة الرابعة : صفة العين .

قال تعالى (ولتصنع على عينى) (١) .

العين صفة من صفاته عزوجل لا تدرك كيفيتها فيجب اقرارها على ظاهرها بدون تاويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف .(٢)

قال ابن كثير (٣) رحمه الله " عند قوله تعالى " ولتصنع على عينى (١) تربى بعين الله ، وقال قتاده تغذى على عينى وقال معمر بن المثنى : ولتصنع على عينى

بحيث ارى ، وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم يعنى اجعله فى بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعه (٢)وتلك كلها من لوازم صفة العين لله تعالى .

(٥) الصفة الخامسة :صفة المحبة :-

قال تعالى (والقيت عليك محبه منى)(٤)

قال الرازى وهو يمثل رأى الاشاعرة والمتكلمين " واما محبه الله تعالى للعبد فهى عبارة عن ارادته تعالى ايصال الخيرات والمنافع فى الدين والدنيا اليه (٥) .

---

(١) طه : اية ٣٩ .

(٢) تفسير صديق خان ، فتح البيان فى مقاصد القرآن ،دار الفكر العربى (٤:٣٥٠)

(٣) تفسير ابن كثير (٣:١٤٧)

(٤) طه : اية ٣٩.

(٥) الفخر الرازى (٢/ ٤٣)

والصحيح انها ثابتة لله تعالى عزوجل على ما تليق به سبحانه وتعالى

وسيأتى الكلام مفصلا عن صفتى الرؤية الكلام ، واكتفيت عما اوردت من صفات فى قصة موسى اذا لا مجال يكفى لسردها والتعليق عليها واخيرا اذكر صفة القدرة .

(٦) الصفة السادسة : صفة القدرة :-

قدرة الله عزوجل :

فى هذه القصة تمثلت قدرة الله عزوجل فى مظاهر مختلفة منها ما تمثل فى جعل عصا موسى ثعبانا يسعى .

قال الرازى عند قوله تعالى "وما تلك بيمينك يا موسى " فكأنه قال له يا موسى هل تعرف حقيقة هذا الذى وأنه خشبة لا تضر ولا تنفع ثم انه قلبه ثعبانا عظيما ، فيكون بهذه الطريقة قد نبه العقول على كمال قدرته ونهاية عظمته من حيث انه اظهر هذه الايات العظيمة من اهون الاشياء عنده فهذه هى الفائدة من قوله (وما تلك بيمينك يا موسى)(١).

ومظاهر القدرة فى قصة موسى عليه السلام كثيرة ظهرت فى المعجزات وغيرها وظهرت فى قدرة الله عز وجل ان اخرج موسى دون ان يقتله فرعون به بل ويربيه لديه ولن ينفع حذر من قدر .

---

(١) تفسير الفخر الرازى (٢٥:٢١).

المبحث الخامس
صفة الكلام

- تمهيد :-

(١) المراد بالكلام لله عزوجل في مذهب السلف رضي الله عنهم .

(٢) تكليم الله لموسى عزوجل .

(٣) ذكر الايات الواردة في قصة موسى عن صفة الكلام والتعليق عليها .

(٤) ذكر الخلاف في مسأله الكلام والمناقشة للمذاهب فيها .

(٥) العبرة من كلام الله عزوجل لموسى عليه السلام .

****

هناك ثلاثة امور فى العقيدة الاسلامية كانت مجالا خصبا للفرق الاسلامية وكثرت فيها الاقوال وقد بسطت فى مقالات الفرق وسجلت مناقشاتهم فيها .

هذه الامور مسالة الكلام والرؤية وما يتصل بافعال العباد .

وانني اجدني مضطرا الى التعرض لهذه المسائل الثلاث حتى تتضح الرؤية الصحيحة لهذه المسائل الثلاث بشىء مما دار بين الفرق وليس فى هذا التعرض خروج من القصة بل هو من لوازم توضيح هذه الصفات التى وردت فى آيات القصة . اذ الذى عرض فيها بين الفرق مما لا ينبغى أن يترك الباحث ويعرض له وهو يتحدث عن هذه الامور . وبطبيعة الحال لن يكون الكلام طويلا مما جار بين الفرق فى هذه الامور .

وقد تقدم ان عرضنا منهج القرآن الكريم فى موضوع الصفات للبارى عزوجل وقبل ذلك تعرضنا كيف عرض القرآن الكريم عقائده المختلفة بوضوح متمشية مع الفطرة التى فطر الناس عليها .

واننا امام صفتين من الصفات التى اخذ الكلام فيها اكثر مما ينبغى وكثر فيهما الجدل الاخذ والعطاء حتى وصل الامر الى حد الفتنة والابتلاء للعلماء فى قرونها المفضلة .

والسبب فى ذلك الخروج عن طريق الشرع طريق القرآن الكريم والسنة النبوية وما كان عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة فى مسالة الصفات

وان المرء ليعجب ان يذهب المختلفون فى مسالة الرؤية مذاهب مختلفة بما يستدل به من الايه فى موضوع الرؤية خصوصا ، فكلا المختلفين يستدل بنفس الاية .

والامر الاعجب من ذلك فى مسالة الكلام ، ان تاخذ وقتا طويلا من الامة ويزداد فى تصورها من جيل الى جيل زيادة تذهب الى حد بعيد . مع اتفاقهم انه متكلم عزوجل ، ولم تكن هناك عبارة تدل على معنى الكلام

الموحى اليه بالكلام مباشرة او بواسطة فالنبى هو الذى يعرفه ولا يستطيع ان يفهمه لغيره لانه ليس له عبارة تدل عليه .

ولقد كان لنا فىالقرآن الكريم غنيه فى اثبات هذه الصفات ، فهى مثبته له عزوجل الكلام بما يليق بجلاله وعظمته ، والكلام والرؤيه مفهومتان لدينا لكن لا يمكن ان نحيط بهما علما الا الاثبات لهما على وجه يليق به عزوجل والله عزوجل لو كلم عبادة جميعا ورأوه لبطل الامتحان ولا من الناس جميعا ايمانا اضطراريا ..

والقرآن الكريم لم يذهب الى اكثر من هذا فانه عزوجل كلم موسى عليه السلام مباشرة بدون واسطه ، واخبره انه عزوجل لا يمكن ان يرى فى هذه الدنيا وبين ان المانع من ذلك من جانب العبد لا من جانب المولى عزوجل ولذلك اراه بعينه ومجموع ادراكه انه لما تجلى للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ولهذا لما علم ان المانع من جانبه اى موسى سبحه ونزوه مولاه وتاب اليه . والله عزوجل جعل الايمان به والتصديق بما اعده ووعده عباده قائم على الغيب .

فحين يطلب العباد ان يروا ربهم او يسمعوا كلامه فأن ايمانهم بالغيب قد تنامى فى الضعف فاعظم الشرف فى الاخره ان يرى العباد ربهم الذى طالما عبدوه وعملوا لتلك الساعة التى يرون ربهم عزوجل فيها .

واعظم الشرف للعبيد ان يسيروا مع ما يريد الله عزوجل فى دنياهم ولقد اوحى اليهم ماذا يراد منهم فى هذا الدنيا بل شرفهم وكلهم بعضهم مباشرة وبدون واسطه ولكن لم لم يكتف العباد بما جاء فى هذا الموحى اليهم وسلكوا طريق الهوى والهوا عقولهم بدلا من الاتباع رأينا كيف انهم زاغوا عن المراد بكلام الله عزوجل .

فبدلا من ان يعملوا بالوحى اليهم وهو كلامه اليهم مما جاء به الانبياء المرسلين اعملوا انفسهم وعقولهم فيما لم يوجبه عليهم وفيما كان منطلق زيغهم ، وهو بحثهم عن كلامه عزوجل وما ترتب على بحثهم من امور تتصل بصفه الكلام حتى لكثر مباحثهم فيها عد علمهم باسمه فسمى بعلم الكلام .

فبدلا من السير بالعقائد الاسلامية تحت سلطان القرآن الذى له اعظم الاثر على النفوس والقلوب ، الذى كان مرتبطا فى اكثره على ما فى هذا الكون من آيات وما يجرى عليه وعلى الانسان من سنن تجعله يرتبط بالله عزوجل وبدلا من التمشى مع ما يامره به من عباده لله عزوجل يقوم بها لكى يسعد فى الدنيا والاخرة .

فبدلا من هذا السير القرآنى فى العقائد رأينا المسلمين يذهبون بعقائدهم بما ادخلوا عليها من علوم الخالين مما كان له اعظم الاثر فى دخول تلك الظنون التى جعلت عقائد المسلمين مزيجا من الفلسفه وعلم الكلام ولا ادل على ماقول مما نراه فى مسالة الكلام وما دار حولها خلال تاريخ المسلمين العقائدى .

وأننا لو نظرنا فى الآيتين التى وردتا فى مسالة الروية والكلام فى قصة موسى عليه السلام ، لو وجدناهما قد حددتا المفهوم اللائق بهما ، ولكن لما كان للعباد اهواء وجدناها تذهب بعيدا الى الفهم الذى لا يرتضيه النفس حتى ان المنحرفين فى الروية من يذهب فى اثباتها الى درجة انه يرى ويسامر ويحاضر ومنطلقهم فى ذلك منطلق اليهود فى التجسيم والاخر ينفى الروية مطلقا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ، وكلا الانحرافين لم تتضمنه الاية ولم يشير اليه ولو من بعيد ولكن ابى اهل الزيغ الا يتخبطوا فى ظلمات عقولهم وخاصة المعتزلة "

يقول ابن القيم رحمه الله : " والمنحرفون فى باب روية الرب تبارك وتعالى نوعان ": احدهما : من يزعم انه يرى فى الدنيا ويحاضر ويسامر والثانى من يزعم انه لا يرى فى الاخرة البته ولا يكلم عباده ، وما اخبر به الله به ورسوله واجمع عليه الصحابه والائمة يكذب الفريقين (١) .

---

(١) حادى الارواح الى بلاد الافراح ، ابن القيم ،ت .د. السيد الجميلى ، دار الكتاب العربى ط ٣ / ١٤٠٧ هـ ،ص (٣٨٠) .

وقد رأينا منهج القرآن فى عرض موضوع الصفات وقواعد العلماء حول هذا الموضوع ، الذى كان له أعظم الاثر فى قيام المسلمين بدورهم الريادى المطلوب منهم ولنشرع فى تفصيل الحديث عن هاتين الصفتين كما وردت فى قصة موسى .

المراد بالكلام لله عز وجل فى مذهب السلف رضى الله عنهم :-

كلام الله عزوجل صفة قائمة بذاته يتكلم بها بمشيئه وقدرة فهو لم يزل ولا يزال متكلما اذا شاء كيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع وان نوع الكلام قديم وان لم يكن الصوت المعين قديما (١) .

تكليم الله عز وجل لموسى عليه السلام :-

لقد كلم الله عزوجل موسى عليه السلام مباشرة بلا وساطه مبلغ ، وسمع موسى كلامه دون ان يدركه سبحانه بالابصار ، فقال تعالى وكلم الله موسى تكليما (٢) " وخاطبه " وانا اخترتك فاستمع لما يوحى "(٣) فهذا يدل على استماع النبى لكلام الله تعالى ونفى الادراك بالبصر كما فى آية اخرى لقوله تعالى "من وراء حجاب "(٤) .

ومما يؤكد هذه العقيدة ذكر المصدر (٥) فى قوله تعالى " وكلم الله موسى تكليما " والتكليم هو المشافهه " والصوت الذى سمعه منه

---

(١) شرح الطحاوية ،ص (١٢٣) .   (٢) النساء : اية ١٦٤ .

(٣) طه : اية ١٣ .   (٤) الشورى : اية

(٥) قال الفراء : العرب تسمى ما توصل الانسان كلاما بأى طريق وصل ، ولكن لا تحققه بالمصدر ، فاذا حققته بالمصدر لم يكن الا حقيقه الكلام ، كالارادة لفلان يقول اراد ارادة يريدون حقيقه الارادة ، ويقال اراد ولا يقال اراده لانه مجاز غير حقيقه .

مدارج السالكين ابن القيم (١ : ٣٧) .

موسى عليه السلام هو حروف مؤلفه ، وليس من ذلك مخلوقا ، ولا يمثل صفات المخلوقات لانه تبارك وتعالى يتكلم بصوت نفسه وحروف نفسه وذلك غير مخلوق وصفات الله تعالى لا تماثل صفات العباد فان الله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وجنس الحروف التي تكلم الله بها القرآن وغيره ليست مخلوقه والكلام العربي الذي تكلم به ليس مخلوقا ،والحروف المنتظمه فيه جزء منه ولازمه له وقد تكلم الله بها فلا تكون مخلوقه ، والحروف المعينه محدثه لان لها مبدأ ونهاية ، وهي مسبوقه بغيرها ولما كان كذلك لم يكن الا محدثا (١)

يقول سيد قطب رحمه الله " واذا كان الله سبحانه قد كلم موسى تكليما فهو لون من الوحي لا يعرف احد كيف كان يتم لان القرآن ، وهو المصدر الوحيد الصحيح الذي لا يرقى اليه الشك الى صحته لا يفصل لنا في ذلك شيئا فلا نعلم الا انه كان كلاما ولكن ما طبيعته ؟ كيف تم ؟ بايه حاسه او قوة كان موسى يتلقاه بها ؟

كل ذلك غيب من الغيبيات يحدثنا القرآن عنه وليس وراء القرآن في هذا الباب الا اساطير لا تستند الى برهان (٢) .

---

(١) ابن حزم وموقفه من الالهيات عرض ونقد ، د. احمد الحمد ،ص (٢٥٨ ،٢٥٩) بتصرف .

(٢) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، ص (٢٧٩٥).

(١) ذكر الايات الواردة فى قضية الكلام فى قصة موسى عليه السلام والتعليق عليها :-

---

(١) الاية الاولى : " كلم الله موسى تكليما ". (١) --
(٢) الاية الثانية:" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك "فى الاية الاولى ، ذكر عزوجل وحيه الى نوح والنبيين من بعده ، ثم خص موسى من بينهم بالاخبار بانه كلمه ، وهذا يدل على ان التكلم الذى حصل له اخص من مطلق الوحى الذى ذكر فى اول الاية" انا اوحينا اليك « الاية .

ثم أكده بالمصدر الحقيقى الذى هو مصدر (كلم) وهو (التكلم) رفعا لما يتوهمه المعطله والجهميه زالمعتزله وغيرهم منه انه الهام او اشارة او تعريف للمعنى النفسى بشىء غير التكلم فأكده المصدر المفيد تحقيق النسبة ورفع المجاز ، وقد عرفت ما قاله الفراء فى شان ما يحققه المصدر .

واما الاية الثانية " ولما جاء لميقاتنا وكلمه ربه الاية وهذا التكليم غير التكليم الاول الذى ارسله به الى فرعون وفى هذا التكليم الثانى سأل النظر لا فى الاول ، وفيه اعطى الالواح وكان عن موعده من الله له ، والتكليم الاول لم يكن عن مواعده وفيه قال تعالى " يا موسى اى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى " (٣)اى بتكليمى لك باجماع السلف وقد اخبر سبحانه فى كتابه انه ناداه وناجاه ، فالنداء ، من بعد والنجاء من قرب ...وقال له ابوه آدم فى محاجته " انت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده " (٤) .

---

(١) النساء اية : ١٦٤ .
(٢) الاعراف : اية ١٤٣
(٣) الاعراف : اية (١٤٤).

ولو كان التكليم الذى خص من جنس ما خص لغيره من الانبياء لم يكن بهذا التخصيص فى هذه الاحاديث معنى ، ولا كان يسمى كليم الرحمن اذا تبين هذا فاعلم ان الكلام صفة كمال ، والله عزوجل موصوف وقد وصف نفسه بها ، لان من يتكلم اكمل من لا يتكلم كما ان من يعلم ويقدر اكمل ممن ليس كذلك ، ومن يتكلم بمشيئة وقدره اكمل من يكون الكلام لازما لذاته ، ليس له عليه قدرة ، ولا له فيه مشيئة والكمال انما يكون بالصفات القائمة بالموصوف ، لا بالامور المتباينة له ومن لم يزل موصوفا بصفات الكمال اكمل ممن حدثت له بعد ان لم يكن متصفا بها ولو كان حدوثها ممكنا ، فكيف اذا كان ممتنعا .

فتبين ان الرب لم يزل ولا يزال موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال ومن اجلها صفة الكلام (١) فالله متكلم حقيقة بكلام هو صفة من صفاته اللازمة لذاته .

ذكر الخلاف فى مسألة الكلام والمناقشة للمذاهب فيها باختصار :-

خاض المتكلمون فى بيان كلام الله على ما فهمه الفلاسفة فأوقعوا الناس فى متاهات اخذتهم عن سواء السبيل قسموا كلام الله تعالى الى قسمين نفسى قديم بذاته تعالى ليس بحروف ولا صوت ولا ترتيب ولا لغة .

وكلام لفظى هو المنزل على الانبياء عليهم السلام ومن الكتب الاربعة واغرق علماء الكلام فى خلافاتهم الكلامية المبتدعة ، ان يكون القرآن بهذا المعنى الثانى مخلوقا ام لا ؟ ورجحوا ان يكون مخلوقا ؟ وخرجوا بذلك من منهج السلف الصالح فيما لم يرد به كتاب ولا سنة وتناولوا صفات الله بالتحليل الفلسفى الذى يؤدى الى التشكيك فى عقيدة التوحيد (٢)

---

(١) انظر شرح الطحاوية ،ص (١٠٨) .

(٢) مباحث فى علوم القرآن ،د. مناع القطان / الطبعة التاسعة عشر / ١٤٠٦ هـ مؤسسة الرسالة ، ص (٤٩) .

فلنعرض اراءهم والرد عليهم والكلام سيكون مختصرا اذ ليس هذا موضوع بسطه لكبر هذه المسألة التى اخذت من الامه الجهد الكبير ، والزمن الكثير وابتلى بسببها الائمة من علماء الاسلام حتى ان بعض المتطلبه قتل كثيرا من اهل الحق لعدم قبولهم بخلق القرآن . فهى مسألة كثر فيها انواع الجدال وعظمة المحنه فيها .

اختلاف المتأولين فى معنى كلام الله عزوجل الى مذاهب :-

---

(١) فقالت الكرامية : ان كلام الله تعالى هو ذلك المنتظم من الحروف او الاصوات وان الكلام اللفظى المبتدأ بالفاتحة والمنتهى بالناس وهو حادث قائم بذاته تعالى .

(٢) وذهب الحنابلة : الى ان كلامه تعالى هو ذلك الكلام اللفظى كما قالت الكرامية لكنه قديم بذاته تعالى فالمتكلم عند هؤلاء اى الكرامية والحنابلة من قام به الكلام سواء كان حادثا او قديما .

يقول صاحب الطحاوية حاكيا هذين المذهبين وقد عد تسعة اقوال فى الاختلاف فى هذه المسألة .

وخامسها " انه حروف واصوات ، لكن تكلم الله بها بعد ان لم يكن متكلما وهذا قول الكرامية وغيرهم (١) .

وقال تاسعا وهو ما ذهب اليه الحنابلة وهو المأثور عن ائمة الحديث والسنة انه تعالى لم يزل متكلما اذا شاء متى شاء ، وكيف شاء وهو يتكلم بصوت يسمع ، وان نوع الكلام قديم ، وان لم يكن الصوت المعين قديما (٢) .

(٣) اما المعتزلة فقد ذهبوا الى ان كلامه تعالى هو المنتظم من الحروف والاصوات اى الكلام اللفظى وليس صفة قائمة بذاته تعالى بل هو حادث يخلق الله فى غيره كاللوح المحفوظ او جبريل او النبى صلى الله

(١-٢) شرح الطحاوية ،ص (١٢٢ -١٢٣) .

عليه وسلم وليس يعد لله تعالى كلام فالمتكلم عندهم من خلق الكلام فيه .

قال صاحب الطحاوية .. انه مخلوق خلقه الله منفصلا عنه ، وهذا قول المعتزلة (٣) .

(٤) وذهبت الكلابية الى ان كلام الله عزوجل قائم بذات البارى عزوجل وانه ليس بحروف ولا صوت ولا امر ولا نهى ولا شئ من اقسام الكلام ، وانه لم يوجد قط من البشر وان القرآن فى التحقيق ليس بكلام الله ، فان القرآن هو الاصوات والحروف وذلك عبارة عن كلام الله تعالى وربما غالطوا بأن القرآن اسم مشترك يقع على كلام القائم بذات البارى وعلى الذى فى صدور المؤمنين وعلى المصاحف وهذا يؤدى الى ان القرآن ثلاثة واحد بخلاف الاخر بل يؤدى الى ان يكون اشياء كثيرة (٢) .

(٥) تصور الاشاعرة لمسالة الكلام :-

تقول الاشاعرة : إن الكلام كلامان : كلام نفسى فذلك قديم وكلام لفظى وهو حادث (٣) وهو قول غامض لا يعرف مرادهم بالقول النفسى الذى ذكروه . ولهذا قال ابن تيميه " فالكلام القديم الذى اثبتموه اثبتم ما هو ؟ بل ولا تصورتموه . وأثبات الشئ فرع عن تصوره فمن لا يتصور ما يثبته كيف يجوز ان يثبته ؟ ولهذا كان ابو سعيد بن كلاب رأس هذه الطائفة وامامها فى هذه المسالة لا يذكر فى بيانها شيئا يعقل بل يقول : هو معنى يناقض السكوت والخرس (٤).

---

(١) شرح الطحاوية ،ص (١٢٢) .

(٢) الاعتقاد ، للراغب الاصفهانى ،ص (١٨٢).

(٣) شرح العقائد النفسية سعد الدين التفتازانى ، بغداد ، مكتبة المثنى ١٣٢٦ هـ :(٦٠- ٦٦).

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيميه ،(٦ :٢٩٥/ ٢٩٦

ادلة المعتزلة فيما ذهبوا اليه :-

(١) قالوا ان الكلام حروف مركبة ولا يكاد يوجد الحرف الثانى الا بعد عدم الحرف الاول ولا الثالث الا بعدم الثانى والموجود لا يتركب مع المعدوم . والذى يوجد فى كل وقت منه هو فعل البشر وخلق لهم من كل وجه - وليس شىء منه وجد لا فى هذا الوقت ولا فى وقت النبى عليه الصلاة والسلام (١) .

(٢) ان القرآن شىء والله خالق كل شىء (١) فالكلام مخلوق وليس صفة لله عزوجـــــل .

(٣) قالوا " جعل فى القرآن بمعنى خلق واستدلوا بقوله تعالى " انا جعلناه قرآنا عربيا (٢) .

(٤) قالوا ان الله عزوجل خلق الكلام فى الشجرة فسمعه موسى عليه السلام فى قوله تعالى " نودى من شاطىء الواد الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة (٣) .

(٥) وقال بعض المعتزلة على ان القرآن انه غير مخلوق ، ومرادهم غير مختلق مفترى مكذوب .

مناقشة المعتزلة والرد عليهم :-

(١) اما دليلهم الاول فهو من قياس الغائب على الشاهد وهذا لا يكون فى جانب صفات الله عزوجل ومنها الكلام ، ولا يقاس كلام البشر بكلامه تعالى " وكلام الله عزوجل ليس بسبب ان يكون فى وقت واحد مع قيامه بالله تعالى موجودا فى اللوح المحفوظ وفى نفس البشر وتلاوتهم وفى سمع من يسمعه عند قراءة القارىء وفى المعنى نفسه (٤) اما دليلهم الثانى كل شىء خلقناه بقدر والقرآن شىء فهو مخلوق (٥) فالرد

---

(١) الاعتقاد للراغب الاصفهانى ،ص (١٢٢) ، (١٨٢)

(٢) شرح الطحاوية ،ص (١٢٥)

(٣) المصدر السابق ،(١٢٨)

(٤) الراغب فى الاعتقاد ،ص (١٨٣) .

(٥) اصول الدين ،د. مصطفى حلمى ،ص (٢٣) . دار الدعوة .

عليهم فى ان شئ لها اطلاقان ، فان كان المراد بانه شئ اثباتا للوجود ونفيا للعدم ، فانه شئ وان كان المراد ان الشئ اسم له وانه كالاشياء فليس كذلك .

قال صاحب الطحاوية " المراد من قوله تعالى خالق كل شئ اى كل شئ مخلوق وكل موجود سوى الله ، فهو مخلوق ، فدخل فى هذا العموم افعال العباد حتما ولم يدخل فى العموم الخالق تعالى ، وصفاته ليست غيره ،لانه سبحانه وتعالى هو الموصوف بصفات الكمال وصفاته ملازمة لذاته المقدسة (١) ....

(٣) واما استدلالهم بان جعل بمعنى خلق فانه ليس كذلك ، فاذا عديت بمفعول كان كذلك ، واذا عديت بمفعولين لم يكن بمعنى خلق قال تعالى " وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا "(٢) .

(٤) واما استدلالهم بانه خلق فى الشجرة الكلام فلو كان صحيحا لكانت الشجرة هى القائلة " انى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى الاية "(٣) ولكانت افضل من الانسان حيث انها اختصت بالكلام دونه ولكان قول فرعون " انا ربكم الاعلى " (٤) صدقا اذ كل من الكلامين عندهم مخلوق قد قاله غير الله " (٥) .

---

(١) شرح الطحاوية ،ص ٢٧ .

(٢) شرح الطحاوية ،ص ١٢٨ .

(٣) طه : اية ١٤

(٤) النازعات : اية ٢٤

(٥) المصدر السابق ، ١٢٩)

(٥) واما دليلهم الاخير فى ان خلق بمعنى غير مختلف فهو حق وصدق ، ولا ريب ان هذا المعنى منتف باتفاق المسلمين .

العبرة من تكليم الله لموسى عليه السلام :-

(١) ان الكلام هو الصلة بين عباده فلو لم يكن الله عزوجل متكلما فكيف يعبده العباد ، والله عزوجل كلم عباده عن طريق الرسل من طرق التكليم المعروفة ولعله فى تكليمه مباشرة ما يقيم الحجة على عباده بأن احدهم سمعه مباشرة وان كان لا يمكن ان نعرف حقيقته وكيفيته .

(٢) ثم ان صفات الله عزوجل لها طريقان لتحقيقها ، ما جاء به الوحى او الحس الذى شاهدته البصيرة فى آثار الصنعة ، وصفة الكلام تحقق سماعها لموسى عليه السلام ، وهى متحقق لعبادة من مطابقة وحيه الذى هو كلامه بما يشاهدونه فى النفس وفى الافاق وفى الرسل والارسالات " سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ."(١) .

(١) فصلت : اية ٥٣ .

المبحث السادس

رؤية الله تعالى فى قصة موسى عليه السلام

(١) مفهوم الرؤية .

(٢) طلب موسى رؤية الله تعالى .

(٣) مدلول قوله تعالى (لن ترانى) والرد على رأى المعتزله .

(٤) تعليق الرؤية على استقرار الجبل ودلالته .

(٥) جانب العبرة فى مسألة الرؤية .

****

مفهـــوم الرؤيـــة :-

هناك كلمات تدور فى معنى الرؤية جاء القرآن معبرا عنها كاللقاء والنظر ، وهذه الالفاظ بحكم الوضع اللغوى تدل على الابصار بالعين وان كانت تفيد معنى آخر ،وهذا معين بسياق الكلام وقرائن الاحوال .

المعنى اللغـــوى :-

الرؤية فى اللغة تستعمل بمعنى المشاهدة بالبصر وبمعنى العلم او الظن ، فاذا تعدى (رأى)الى مفعول واحد كان بمعنى الاول .
تقول (رأيت الشىء) بمعنى ابصرته واذا تعدى الى مفعولين كقولك (رأيته عالما) يستعمل بمعنى العلم والظن)((١).

واما فى الاصطلاح :-

(-الرؤية : هى المشاهدة بالبصر حيث كان اى فى الدنيا والآخرة (٢) .
٢- الرؤية هى انطباع صورة للمرئى الحاسة (٣) .
٣- الرؤية ادراك المرء (٤) وهو اى الادراك يأتى فى معان متعددة (٥)

---

(١) انظر الصحاح للجوهرى ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين (٦:٢٣٤٧).
(٢) التعريفات ، للشريف الجرجانى ، دار الكتب العلمية ،بيروت . ١٤٠٣ هـ .ص (١٠٩).
(٣) المواقف للايجى ،ص (٣٠٨) . (٤) المفردات للراغب ص (٢٠٩) .
(٥) منها الادراك للمرئى : اضرب حسب قوى النفس :-
أ- الادراك بالحاسد وما يجرى نحو "لترون الجحيم ".التكاثر اية ٦
ب- ادراك بالوهم والتخيل نحو ارى زيدا منطلق " نحو قوله تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا ".الانفال اية ٥٠
ج- ادراك بالتفكير نحو (انى ارى ما لاترى).الانفال اية :٤٨ .
د- ادراك بالعقل نحو (ما كذب الفؤاد ما رأى) . النجم اية :(١١ انظر مفردات للراغب ص (٢٠٩)باختصار .

٤- الرؤية عبارة عن حالة من الانكشاف تحصل عند الابصار (١) .

(أ) طلب موسى رؤية الله تعالى ودلاله هذا الطلب :-

لقد طلب موسى من ربه ان يريه ذاته العليه بعد ان انعم الله عليه سبحانه واصطفاه على الناس برسالته وتكليمه فقال تعالى :- ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى انظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما آفاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين (٢) .

خلاصة معنى الاية الكريمة :-

لما تفضل الله عزوجل على موسى بكلامه تطلع الى شرف رؤيته عزوجل ، وفى طلبه هذا نتأكد انه كان عارفا انها ليس يستحيل وقوعه والا لما تجرأ على طلبه وهو من هو فى منزلتى الدين والعلم فاخبره عزوجل انه لا يمكن رؤيته فى الدنيا وذلك من جانب موسى عليه السلام فعندها استغفر ربه من هذا الطلب ونزه مولاه عزوجل عن الرؤية فى هذه الدنيا .

وفى ذلك يقول الشيخ العدوى " ان موسى عليه السلام لما نال فضيلة تكليم الله تعالى له بدون واسطه فسمع ما لم يكن قد سمع قبل ذلك من الغيب الذى لا شبيه له ولا نظير فى هذا العالم . طلب من الرب تبارك وتعالى ان يمنحه شرف رؤيته ، وهو يعلم حتما انه ليس كمثله شىء فى ذاته ولا فى صفاته التى منها كلامه عزوجل فلم يكن عقل موسى وهو فى الذروة العليا من العقول البشرية مانعا له من هذا الطلب ولم يكن دينه وعلمه بالله وهما فى الذروة العليا ايضا مانعين له منه .

(١) كتاب الاربعين فى اصول الدين للفخر الرازى ،ط ١ سنة ١٣٥٣ هـ ، حدر آباد ص (٢١٧) .

(٢) الاعراف آية : ١٤٣ .

ولكن الله تعالى قال له (لن ترانى) ولكى يخفف عليه الم الرد وهو كليمه الذى قال فى اول العهد بالوحى اليه (واصطنعتك لنفسى) اراه بعينيه ومجموع ادراكه من تجليه للجبل بما لا يحتمه سواه . ان المانع من جهته هو لا من جانب الجود الربانى فتره الله وسبحه وتاب اليه من هذا المطلب ، فبشره الله تعالى بانه اصطفاه على الناس برسالته وبكلامه اى دون رؤيته وامره بان يأخذ ما اعطاه ويكون من الشاكرين له (١)

الكلام فى رؤية الله عز وجـــــل :-

---

(١) هل طلب موسى رؤية ربه عزوجل لتبكيت قومه ؟

الواقع ان موسى عليه السلام طلب رؤية ربه عزوجل بعد ان تشرف بسماع كلامه عزوجل

فهل طلبه كان لتبكيت قومه حينما سالوه عن رؤية الله عزوجل فاخبرهم بطلبهم ان بطلبهم ان ذلك ممتنع فى الدنيا ؟

قال تعالى حكاية عنهم " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة " (٢)

وقال تعالى حكاية عن طلبهم (ارنا الله جهرة)(٣).

والواقع ان هذه الشبهه اوردها الزمخشرى فى تفسيره فى معرض استدلاله بمنع الرؤية مطلقا فى الدنيا والاخرة ، وانا اسوق لك شبهته وهى ان موسى انما طلب رؤية الله عزوجل لتبكيت قومه ونرد عليه من عدة وجوه علىما ذهب اليه .

---

(١) آيات الله فى الافاق ، احمد العدوى ،ص (المقدمة) طبعة بدون .

(٢) البقرة : آية ٥٥ .

(٣) النساء : آية ١٥٣ .

قال الزمخشري في تفسيره " (١) انه ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ منهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم بالخطأ ونبههم على الحق فلجوا في لجاجهم وتمادوا وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فارادوا ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله (لن تراني)ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال (رب ارني انظر اليك) .

وقد رد الرازي (٢) هذه الشبهه فقال رحمه الله :-

وأما التاويل بانه عليه السلام انما سال الرؤية لقومه لا لنفسه فهو ايضا فاسد ويدل عليه وجوه :-

الاول : انه لو كان كذلك لقال موسى ارهم ينظرون اليك ولقال الله تعالى لن يروني فلما لم يكن كذلك بطل هذا التاويل .

الثاني : انه لو كان هذا السؤال طلبا لمحال لمنعهم عنه كما انهم لما قالوا (اجعل لنا الها كما لهم آلهة) منعهم عنه بقوله (انكم قوم تجهلون).

الثالث :- انه كان يجب على موسى اقامة الدلائل على انه تعالى لا تجوز رؤيته وان يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال فاما ان لا يذكر شيئا من تلك الدلائل البته مع ذكرها فرضا مضيقا كان هذا نسبة لترك الواجب الى موسى عليه السلام وانه لا يجوز (٤).

---

(١)تفسير الزمخشري ،ص (٨٩:٢) .

(٢) تفسير الرازي (١٤ :٢٣٩) .

(٣) الاعراف آية : ١٣٨ .

(٤) هذا الاعتراض فيه نظر فان موسى عليه السلام لم يذكر عنه انه بين لقومه ان الله لا يجوز مع انهم طلبوا ذلك منه .

الرابع :- ان اولئك الاقوام الذين طلبوا الرؤية اما ان يكونوا قد امنوا بنبوة موسى عليه السلام او لم يؤمنوا بها فان كان الاول كفاهم فى الامتناع عن ذلك السؤال الباطل مجرد قول موسى عليه السلام فلا حاجة الى هذا السؤال الذى ذكره موسى عليه السلام وان كان الثانى : لم ينتفعوا بهذا الجواب لانهم يقولون له لا نسلم ان الله منع الرؤية بل هذا قول افتريته على الله تعالى فثبت ان على كلا التقديرين لا فائدة لهم فى قول موسى عليه السلام (ارنى انظر اليك).

قال صاحب كتاب الانتصاف على الكشاف (١) الحق ان موسى عليه السلام انما طلب لنفسه لعلمه بجواز ذلك والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يروموا ان يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وما هم حينئذ الا ممن اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها " (١) .

والخلاصة فى هذا الرد عليهم " ان السؤال كان مقصورا على كليم الله من كل وجه فلم يقل (انظروا) ولكن قال انظر الى الجبل وايضا لا يجوز لنبى ان يسأل ربه محالا اذ لو جاز لكان عبثا وهو غير لائق بالانبياء .

ثم انه لو كانت ممتنعة لوجب ان يجهلهم ويزيح شبهتهم كما فعل ذلك حين قالوا (اجعل لنا الها كما لهم آلهة)(٢) وكما قال لاخيه (لا تتبع سبيل المفسدين . (٣) .

وقد يقوون شبهتهم بقوله تعالى " اتهلكنا بما فعل السفهاء منا "(٣)

---

(١) حاشية الانتصاف فيما تضمنه الكشاف ن للامام ناصر الدين ابن المنير الاسكندرى بحاشية كتاب الكشاف للزمخشرى ،ص (٨٩).

(٢) الاعراف : آية ١٤٨ .

(٣) الاعراف : اية ١٤٢ .

(٣) الاعراف : آية ١٥٥ .

ويجعلون ان ذلك يدل على طلبهم ، والواقع ان ذلك تبرؤ من موسى من افاعيلهم وتسفيهه لهم وكان ذلك بعد طلبهم عبادة العجل عند اكثر المفسرين فليس هذا موضوع استشهاد يدل على ما ذهبوا اليه وفى ذلك يقول صاحب الانتصاف على الكشاف .

واما قوله تعالى (اتهلكنا بما فعل السفهاء منا) تبريا من افعالهم وتسفيها لهم وتضليلا برأيهم فلا راحة للقدرية فى الاستشهاد على انكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فان الذى كان الاهلاك بسببه هو عبادة العجل فى قول اكثر المفسرين ثم وان كان السبب طلبهم للرؤية فليس لانها غير جائزة على الله ولكن لان الله تعالى اخبر انها لا تقع فى دار الدنيا والخبر صدق وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوه وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيبا لما اخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما اخبر الله عنه انه لا يقع ولو كان سؤالهم الرؤية قبل اخبار الله تعالى بعدم وقوعها كان طلبهم فانما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الاية خاصة وتوقيفهم الايمان عليها حيث قالوا :لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة :(١) .

(٣) دلالة طلب موسى عليه السلام :-

ان دلالة النص القرآنى اقوى دليل على جواز النظر الى الله عزوجل فى الدنيا وامكان وقوعها لولا ان الجانب البشرى لا يمكنه كذلك ولولا ان فى رؤية البشر لله عزوجل سقوط التكليف للذى هو متعلق بوجودهم فى الحياة اذ لو رآه العباد لامنوا به عزوجل .

---

(١)البقرة : آية ٥٥ . المرجع السابق ص (٨٩) .

رؤية الله تعالى فى الدنيا :-

ولقد ذهب الى جواز وقوعها فىالدنيا البعض ومنع الاخرون من جوازها واستدلوا بأدلة عقليه لم تصل الى ما وصلت اليه النصوص النقليه فى ذلك ومن ذلك هذه الاية التى تعتبر عمدة فىالموضوع كما سنرى من وجوه الدلالات المختلفة منها على جواز الرؤية فى الدنيا ، واما فى الاخرة فهى ثابتة بالكتاب والسنة .

وانما قلنا ان الدليل السمعى فى هذه المسألة اقوى الادلة لان رؤية الله عزوجل مما تتعلق بذاته العليه التى لا يحيط بها وصف الواصفين ولا ادراك المدركين ، ومن ثم فأن المجال العقلى البشرى لاثبات جوازها لابدوان يكون محدودا بفهم النصوص الواردة فى المسألة .

ولهذا لم يسكن ابو الحسن الاشعرى لادلته العقليه فى جوازها فقال رحمه الله (١) واعلم ان هذه المسألة سمعيه ، واما جواز الرؤية فالمسلك العقلى ما ذكرناه : الله موجود وكل موجود يصح ان يرى ؛ وقد وردت عليه تلك الاشكالات ولم تسكن النفس فى جوابها كل السكون وتحركت الافكار العقلية الى النقص عنها كل الحركة ، فالاولى بنا ان نجعل الجواز ايضا مسالة سمعيه ، واقوى الادلة السمعية فيها قصة موسى ، وذلك مما يعتمد كل الاعتماد عليه .

---

(١) نهاية الاقدام ، الشهرستانى (٣٦٩) .

واذا نظرنا الى نصوص الكتاب والسنة فى هذه المسألة فسنجد منها ما يدل على رؤيته تعالى ومنها ما يدل على وقوعها للمؤمنين فى الاخرة (١) وام هذه الاية التى معنا فى قصة موسى لتدل على جواز اثبات وقوعها وامكانها فى ذاتها بقطع النظر عن الوقوع .

الـدلالة الاولى :-

ان موسى عليه السلام سأل الرؤية ، ولا يظن بموسى انه يسأل ما لايجوز اذ انه عالم بما يجوز وما يجب يستحيل فى حق الله عزوجل فلو كانت ممتنعة لما سألها . فدل على انها جائز وهذا المعنى ذكره الاشعرى فى الابانة (٢) .

---

(١) كما قال عليه الصلاة والسلام " انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته الحديث ، وقال " انكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته . وقال عليه الصلاة والسلام فيما جاء عن ابى سعيد الخدرى قال : قلنا يا رسول الله : هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ قال هل تضامون فى رؤية الشمس والقمر اذا كانت صحوا ؟ قلنا لا قال : فانكم لا تضامون فى رؤية ربكم يومئذ الا كما تضامون فى رؤيتها .. الحديث فهذه الاحاديث الصحيحة تدل على حصول الرؤية للمؤمنين فى الاخرة لربهم عزوجل انظر ـ صحيح البخارى باب قول الله تعالى وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة .

قال ابن القيم " دل القرآن والسنة المتواتره واجماع الصحابة وائمة الاسلام واهل الحديث " عصابة الاسلام ونزل الايمان وخاصة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان الله سبحانه يرى يوم القيامة بالابصار عيانا كما يرى القمر ليلة البدر صحوا وكما ترى الشمس فى الظهيرة .."انظر حادى الارواح . ابن القيم ، ص(٣٨٠) .

(٢) الابانه للاشعرى .ت.عبد القادر الارناؤوط . مكتبة دار البيان .ص ٣٥

الدلالة الثانيـــــة :-

ان الله لم ينكر على موسى عليه السلام سؤاله ، وهذا دليل الجواز لان نوحا عليه السلام لما سأله ربه نجاه ابنه انكر الله عليه سؤال حيث قال له (انى اعظك ان تكون من الجاهلين)(١) .

الـــدلالة الثالثـــة :-

وهى المتعلقة بقوله تعالى (لن ترانى) وسيأتى تفصيل دلالتها بعد هذا البحث فانظره .

الدلاله الرابعـــــة :-

علق رؤيته عزوجل على امر جائز الوقوع ممكن فى نفسه وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرؤية ممكنة غير ممتنعه وهذا المعنى ذكره الاشعرى فى الابانة ايضا " (٢).

---

(١) شرح الطحاويه ص (١١٠) .هود اية :٤٦ .

(٢) الابانه للاشعرى ،ص (٣٦) .

الدلالــــة الخامسة :- ما ذكره الرازى فى تفسيره حيث قال :-

وهذا التجلى هو الرؤيـة ، ويـدل عليـه وجهان (الاول) ان العلم بـالشىء يجلى ذلك الشىء ، وابصار الشيـىء يجلى ذلك الشىء الا ان الابصار فى كونـه مجليـا اكمل من العلم به وحمل اللفظ على المفهوم الاكمل اولى .

الثـانى :- ان المقصود من ذكره هذه الاية تقرير ان الانسان لا يطيق رؤيـة اللـه تعالى بدليل ان الجبل من عظمته لما رأى الله تعالى آندك تـفرقت اجزاؤه ، ولولا ان المـراد مـن التجلى ما ذكرناه لم يحصل هذا المـقصود ، فثبت ان قوله تعالى (فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا) هو ان الجبـل لمـا رأى اللـه تعالى اندكت اجزاؤه ، وحيث كان الامر كذلك ، ثبت انه تعالى جائز الرؤية (١) .

وقد قال صاحب الطحاويـة هذا المـعنى بقوله " فاذا جاز ان يتجلى سبحانه للجبل الذى هو جماد لاثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع ان يتجلى لرسوله واوليـائه فى دار كرامـتـه ، ولكـن اللـه تـعالـى اعلم موسى ان الجبل اذا لم يثبت لرؤيته فى هذا الدار فالبشر اضعف (٢) .

وقـد استـدل صاحب شرح الطحاويـه (٢) بـهذه الايـة الكـريـمة على اثبات رؤية اللـه تعالى من سبعة وجوه وهذا نصها " .

احدها :- انـه لا يظن بـكـليـم اللـه ورسولـه الكريم واعلم النـاس بـربـه فى وقته ان يسأل ما لا يجوز عليه بل هو عندهم من اعظم المحال

الثـانـى :- ان اللـه لم ينكر عليه سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه انكر عليه سؤاله وقال " انى اعظك ان تكون من الجاهلين "(٣) .

---

(١) تفسير الفخر للرازى (١٤ :٢٤٢) .

(٢) شرح الطحاويه ،ص ( ) .

(٣) هـــود : آية ٤٦ .

الثالث :- انه تعالى قال " لن ترانى " ولم يقل انى لا ارى او لا تجوز رؤيتى او لست بمرئ والفرق بين الجوابين ظاهر ، الا ترى ان من كان فى كمه حجر فظنه رجل طعاما فقال : اطعمينه فالجواب الصحيح انه لا يؤكل اما اذا كان طعاما صح ان يقال انك لن تأكل وهذا يدل على انه سبحانه مرئى ولكن موسى لا تتحمل قواه رؤيته فى هذه الدار لضعف قوى البشر عن رؤيته يوضحه .

الرابع : وهو قوله (ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى)فاعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلى فى هذه الدار فكيف بالبشر الذين خلقوا من ضعف .

الخامس :- ان الله سبحانه قادر على ان يجعل الجبل مستقرا وذلك ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالا لكان نظير ان يقول ان استقر الجبل فسوف اكل واشرب وانام والكل عندهم سواء .

المبحث الثانى :-

(٢) مدلول قوله تعالى (لن ترانى) والرد على رأى المعتزله .

اجمع المسلمون بان الله عزوجل لا يرى بالعين الحاسه اذ انه مما يخص الاجسام والله عزوجل ليس كمثله شئ وفى ذلك يقول الشهرستانى " لم يصر صائر من اهل القبله الى تجويز اتصال اشعه من البصر بذاته تعالى او انطباع شبح يتمثل فى الحاسه منه وانفصال شئ من الرائى والمرئى واتصاله بهما (٢) ولما كان المعتزله يرون ان معنى الرؤية تستلزمه الجسميه اذ ان معناها عندهم ما ذكرنا من مفهومها فى كلام

---

(١) الاعراف : آية ١٤٣ .

(٢) نهاية الاقدام عبد الكريم الشهرستانى حرره وصححه الفردجيوم ص (٣٥٦).

الشهرستانى فقد عدوها مستحيلة ووافقهم فى ذلك الجهميه (١) والخوارج (٢) وبعض المرجئه (٣)وجمهور المتاخرين من الشيعه (٤) الامامية كما يقول ذلك ابن تيميه فى منهاج السنه (٥).

---

(١) سبق التعريف به ص (٢٥٢).

(٢) كل من خرج على الامام الحق يسمى خارجيا ، وكبار فرقها التى ظهرت فى التاريخ الازارقه والنجادت ، الصفريه والعجارده والاباضيه والثعالبه ، يجمعهم القول بالتبرؤ من عثمان وعلى وبعضهم يكفرون اصحاب الكبائر ويرون الخروج على الامام الفرق بين الفرق ص (٩).

(٣) الارجاء هم الذين يؤخرون العمل عن النية والقصد ، وكانوا يقولون لا تضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة والمرجئة اصناف مرجئه الخوارج ، ومرجئه القدريه ومرجئه الجبريه ، المرجئه الخالصه ، الملل والنحل (١/ ١٨٦).

(٤) وهم القائلون كان على رضى الله عنه هو المنصوص عليه بالامامة وقد عينه الرسول (ص)وقد تخطت الامامية الى الوقيعه فى اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم بالطعن فى اصحابه العظماء كابى بكر وعمر واختلافهم فى تعين الامام كثيرة تفوق اختلافات الفرق ، الملل والنحل (١/ ٢١٨).

(٥) منهاج السنه شيخ الاسلام ابن تيميه (١:٢١٥ :٢١٦) . دار الفكر ط ٢ ، ١٩٨٠ م .

يقول رحمه الله " واما المثبتون لرؤيه الله تعالى منهم ، الصحابه والتابعون وائمه الاسلام الموروثون بالامامه فى الدين كمالك والثورى والاوزعى والليث بن سعد والشافعى واحمد واسحاق وابى حنيفه وابى يوسف وامثال هؤلاء وسائر اهل السنه والحديث والطوائف المنتسبين الى السنه والجماعه كالكلابيه (١) والكراميه (٢) والاشعريه والسالميه غيرهم فهؤلاء كلهم متفقون على اثبات الرؤية لله تعالى وان هذه الاية لما كان مما يستدل بها المعتزله على منعها الرؤية فى الدنيا والاخرة ، ويناقشها اهل السنه والمثبتون لها حول استدلالهم فاننى ساعرض اولا رأى المعتزله فى دلاله قوله تعالى " لن ترانى " ثم نناقشهم ونرد عليهم ونستكمل بقيه دلالتها عند من يستدلون بهذا الجزء من الايه على جواز وقوعها فى الدنيا وانها لا تفيد المنع واليك بيان ذلك .

استدلال المعتزله بهذه الايه (لن ترانى) على نفى الرؤيه مطلقا فى الدنيا والاخرة وعدم وقوعها وجمله وما ذهبوا اليه حول هذه الايه امران هما :-

الاول :- ان لن تفيد النفى والتاكيد والتأبيد وخلاصته الى ان مفاد (لن) الابديه .

الثانى : دعوى المجاز ، واليك ما قالوه :-

(١) يقول القاضى عبد الجبار " فاما شيوخنا فقد استدلوا بهذه الايه على انه تعالى لا يرى ، لانه تعالى قال " لن ترانى " وذلك يوجب نفى

---

(١) الكلابية : نسبه الى ابى محمد بن عبد الله بن كلاب من متكلمى السنه ومر معنا مفهوم الكلام عندهم .

(٢) الكراميه . اصحاب محمد بن كرام وتوافق الفرقه السلفيه فى اثبات الصفات ولكنهم يبالغون الى حد التشبيه والتجسيد كما يوافقون المعتزله فى وجوب معرفه الله بالعقل ان العقل يحسن ويقبح قبل الشرع ، الملل والنحل (١٩٩/ ٢٠٤) .

رؤيته تعالى فى المستقبل ابدا فاذا صح ذلك من موسى وجب قبله فى الانبياء والمؤمنين " (١) .

وقال : فان قالوا : اليس انه تعالى قال حاكيا عن اليهود " ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم " اى لا يتمنون الموت ثم قال حاكيا عنهم (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون (٢)فكيف يقول ان "لن" موضوعه للتاييد ثم ليس يجب ان لا يفهم استعمالها الا حقيقه بل يمتنع ان تستعمل مجازا ، وصار الحال فيها كالحال فى قولهم : اسد وخنزير وحمار ، فكما ان موضوعها وحقيقتها لحيوانات مخصوصه ثم تستعمل فى غيرها على سبيل المجاز التوسع ، واستعمالهم فى غيرها لا يقدح فى حقيقتها كذلك هينا (٣) .

الرد عليهم :-

ام من اللغه :- فقد قال كل من جمال الدين ابن هشام ، وجمال الدين ابن مالك وهما امامان فى النحو .

يقول ابن هشام (٤) .. ولا تفيد (لن) توكيد النفى خلافا للزمخشرى فى كشافه ولا تاييده خلافا له فى " أنموذجه " وكلاهما دعوى بلا دليل ، ولو كانت للتاييد لم تفيد منفيها باليوم فى " فلن اكلم اليوم انسيا " ولكان ذكر الابد فى " ولن يتمنوه ابدا " تكرارا والاصل عدمه

---

(١) متشابهة القرآن ، للقاضى عبد الجبار ،ت . عدنان محمد زرزور .دار التراث بالقاهرة ،ص(٢٩٦).

(٢) الزخرف : آية ٧٧ .

(٣) شرح الاصول الخمسه ، للقاضى عبد الجبار ، تعليق الامام احمد بن الحسين ، بن ابى هاشم . حققه وقدم له د. عبد الكريم عثمان . مكتبه وهبه شارع الجمهورية عابدين . ص (٢٦٤، ٢٦٥)

(٤) مغنى اللبيب ، ابن هاشم ،طبع دار احياء الكتب العربية (١:٣٣)

(٢) ويقول ابن مالك فى الكافيه :-(١)

ومن رأى النفى ب " لن " مؤبدا   فقوله اردد وخلافه اعضدا

(٣) وقال ابن هشام فى شرح القطر " بل لن اقوم محتمل لان تريد بذلك انك لا تقوم فى بعض ازمنة المستقبل وهو كقولك لا اقوم فى عدم افادة التاكيد .

فمن هذا يعرف ان جل النحاة على خلاف ما ذهب اليه الزمخشرى من ان " لن " تفيد التأبيد والتأكيد النفى الدائم ومن تتبع اقوال المتبحرين فى هذا الفن وجد جلهم يخالفون ما ذهب اليه ، واما إستشهاده بقوله تعالى " فلن تخلقوا ذبابا " فان هناك فرقا شاسعا بين الاثنين فالتابيد فيه خارج عن لن لانها كقوله تعالى " ولن يخلف الله وعده " فليس التأبيد لما دلت عليه لن بل لدليل خارج فهذه الايه اوردت مورد امور التعجيز لانه لما كان الخلق والايجاد مختصا بالمولى تقدست اسمائه وهنا سواه عاجز عن ذلك دلت الايه الكريمه بجملتها على عجز المخلوق عجزا مؤبدا عن ان يخلق ذبابه فوضح ان التابيد مستفاد من غير " لن " .

الثالث : اذا سلمنا ان لن تفيد النفى لكن نقول انه لتاكيد نفى ما وقع السؤال عنه ، والسؤال وقع عن تحصيل الرؤيه فى الحال ، فكان قوله لن ترانى نفيا لذلك المطلوب فاما ان يفيد النفى الدائم فلا (٢) وفى ذلك يقول الغزالى (٣) واما قوله سبحانه " لن ترانى " فهو وقع

---

(١) شرح الكافيه جمال الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك حققه وقدمه د. عبد المنعم احمد .

(٢) عظمة المنة فى رؤية المؤمنون ربهم فى الجنة .د/ عبد الرد . الجدل ، مكتبة الطالب الجامعى ، مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ ، ص (٣٠)

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد ، ابو حامد الغزالى . حققه . محمد مصطفى ابو العلا مكتبة الجندى المصرى ،ص (٦٨) .

لما الشمس وانما الشمس فى الدنيا فلو قال : ارنى انظر اليك فى الاخرة " فقال لن ترانى لكان دليلا على نفى الرؤيه ولكن فى حق موسى صلوات الله وسبحانه وسلامه عليه علىالخصوص لاعلى العموم ، وما كان ايضا دليلا على الاستحاله فكيف وهو جواب عن السؤال فى الحال ؟

(٢) واستنبط الزمخشرى من قوله تعالى " لن ترانى " منافاة الرؤية لحال البارى عزوجل حيث قال : فان قلت : ما معنى (لن) قلت تأكيد النفى الذى تعطيه غدا اكدت نفيها قلت لن افعل والمعنى ان فعله ينافى حالته كقوله تعالى (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) ...(١) .

ثانيا من القرآن الكريم مصدر اللغه والحاكم عليها :-

---

(١) قال تعالى (ولن يتمنوه ابدا)(٢) وهذا فى حقه اليهود يوم القيامه وفساد استشهادهم انهم يتمنون يوم القيامه بدليل قوله تعالى : ونادوا يامالك ليقض علينا ربك (٣) وكقوله تعالى (فقل لن تخرجوا معى ابدا) فهذا لا يحيل خروجهم عقلا (لن يؤمن من قومك الا من آمن فهذه كلها جائزات عقلا لولا ان الخبر منع وقوعها فالرؤية كذلك .

ثالثا انها لو كانت تفيد التابيد لما كان عين ذكر الابدبعدها اذ يكون ذكره بعدها تكرارا والاصل عدمه ولكن ذكر الابد بعدها واقع فى افصح الكلام قال عزوجل (ولن تفلحوا اذا ابدا) وقال تعالى (ولن يتمنو ابدا) .

---

(١) الكشاف ، الزمخشرى ،(٢:٩٠)

(٢) البقرة : آية ٩٥ .

(٣) الزخرف : آية ٧٧ .

(٤) التوبه : آيه ٨٣ .

(٥) هود آيه : ٣٨ .

(٦) الكهف آيه : ٢٠ .

اما القضية الثانى حول هذه الايه ما اورده من دعوى المجاز فى قوله تعالى " ولن يتمنوه ابدا "

فهى مردوده بان المجاز خلاف الاصل فى الحقيقة ،وهذه دعوى لا تقف عند حد ويمكن ان يمتطيها كل من كان الدليل خلاف رأيه فيرده بدعوى المجاز على ان اللفظ لا يحمل على المجاز الا اذا قامت القرينه الداله على ان المراد خلاف الحقيقه ولا قرينه هنا تسند الدعوى فتبقى الايه على حقيقتها (١) .

(٤) تعليق الرويه على استقرار الجبل ودلالته :-

قد سبق وان قلنا فى دلاله الايه انه عزوجل علق رويته على امر جائز الوقوع ممكن فى نفسه وهو استقرار الجبل والمعلق على الممكن ممكن فتكون الرويه ممكنه غير ممتنعه .

قال الزمخشرى " فان قلت كيف اتصل الاستدراك فى قوله " ولكن انظر الى الجبل) بما قبله ، قلت اتصل به على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذى يرجف بك وبمن طلبت الرويه لاجلهم .

وهذه مغالطه واضحه منه ، وهو يعنى تعليق الرويه على شرط محال وهو استقرار الجبل وهذا تاويل فاسد ورأى باطل ، لان المعلق عليه استقرار الجبل وذلك جائز وممكن .

واليك ما قال بعض العلماء على تعليق الرويه على الممكن وهو استقرار الجبل ن وفى هذا رد على الزمخشرى .

---

(١) دلاله القرآن ،الاثر على رويه الله تعالى بالبصر ،د. عبدع العزيز بن زايد الرومى مكتبه المعارف الرياض .ط. ١٤٠٥ ،ص (١١٧، ١١٨)

(١) قال ابو الحسن الاشعرى فى الابانه " ودليل آخر مما يدل على جواز رؤيه الله تعالى بالابصار .. فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك امر مقدور لله سبحانه دل على ذلك انه جائز ان يرى الله عزوجل .. (١) .

(٢) قال الفخر الرازى " انه تعالى علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز .. وانما قلنا انه تعالى علق رؤيته على امر جائز لانه تعالى علق رؤيه على استقرار الجبل بدليل قوله تعالى " فان استقر مكانه فسوف ترانى " واستقرار الجبل امر جائز الوجود فى نفسه فثبت انه تعالى علق رؤيته على امر جائز الوجود فى نفسه .. (٢).

(٥) العبرة فى مسأله الرؤية :-

(١) ان الرؤيه لو حصلت للعباد لا من الناس بربهم عزوجل ولبطل التكليف اذ فى رؤيته عزوجل السعادة كل السعادة .قال عثمان بن سعيد الدارمى " ولو قد تجلى لهم لمن فى الارض كلهم جميعا بغير رسل ولا كتب ولا دعاه ولم يعصوه طرفه عين " (٣)

(٢) ضعف الانسان فان الرؤيه جائزة الوقوع ولهذا لما تجلى الرب عزوجل الى موسى دك الجبل دكا وصعق موسى عليه السلام منه وغشى عليه فدل ان المانع من جانب الانسان لضعفه ، قال ابن تيميه " بأن الناس لا يرون الله فى الدنيا للضعف والعجز (٤)

---

(١) الابانه ، الاشعرى ص (٣٦).

(٢) تفسير الفخر الرازى (١٤ : ٢٤٠ /٢٤١).

(٣) الرد على الجهميه للامام عثمان بن سعيد الرومى ، المكتب الاسلامى بدمشق (ص) ٦٤ ط ٢ / ١٣٨٣ هـ .

(٤) بيان تلبيس الجهميه فى تاسيس بدعهم الكلاميه . ابو العباس شيخ الاسلام ابن تيميه . حققه محمد بن عبد الرحمن قاسم الطبعه الاولى ١٣٩١ هـ ،ص (٣٠٨) .

(٣) ان الاسلام الذى جاء به الانبياء يعتمد على دائرة الغيب واول شىء يتصل بالغيب ان خالقهم خارج عن حدود المحسوسات التى يمكن رؤيتها ، اذ ليس كمثله شىء وهو السميع البصير .

(٤) اخراج المادية التى غرق فيها قوم موسى عليه السلام ، والتجسيد لالههم بما ظنوا انه يمكن ان يرى ، وبهذا فقد كثر الخبط فى كتبهم المحرفه بما صوره عن الههم . ولعل فى هذا الذى وقع لموسى عليه السلام لبيان ان الله عزوجل منزه عما يتصوره المخلوق ، بالرغم مما حدث لموسى ولما رأه قومه فانهم وقعوا فيه على مدى تاريخهم .

(٥) الرؤية الاخره اعظم نعمة وكرامه للانسان والدنيا ليست متسعا لهذه النعمة العظيمه لكى تقع فيها ، ولهذا فان الله عزوجل يحتجب عن الكافرين يوم القيامه فلا يرونه لتزداد بهم الحسرة والندامه .

المبحث السابع

القضاء والقدر فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام

(أ) القضاء والقدر فى قصة موسى عليه السلام .

١- تصور الناس لموضوع القضاء والقدر .

٢- حديث احتجاج موسى على آدم بالقدر وحديث ملك الموت مع موسى عليه السلام وهل فيه رد للقضاء من قبل موسى .

٣- القدر سر من اسرار الله عزوجل .

(ب) افعال العباد :-

١- اتخاذ الاسباب فى قصة موسى عيه السلام والمنهج الصحيح فيها .

٢- اتخاذ موسى عليه السلام الاسباب فى طريقه الى مدين .

(ج) تعليل افعال الله عزوجل :-

١- التصور الصحيح فى هذه المسأله مع ذكر المخالفين له .

٢- ذكر بعض الشواهد من قصة موسى على هذه المسأله .

* *

تصور الناس لموضوع القدر :-

قال ابن تيميه فى تصور الناس لموضوع القدر " المخالفون فى هذا الاعتقاد ثلاث فرق هى المجوسية والمشركيه والابليسيه .

(١) فالمجوسية : هم الذين كذبوا بقدر الله وان آمنوا بأمره ونهيه فغلاتهم ، انكروا العلم والكتاب ، اى علم الله الازلى وكتابة المقادير ومقتصدوهم انكروا عموم مشيئته وخلقه وقدرته ،وهؤلاء هم المعتزله ومن وافقهم .

(٢) والمشركيه :- هم الذين اقروا بالقضاء والقدر ، وانكروا الامر والنهى ، فمن اقدم على تعطيل الامر والنهى بالقدر ، فهو من هؤلاء .

(٣) الابليسيه :- هم الذين اقروا بالامرين ، لكن جعلوا هذا متناقضا من الرب سبحانه وتعالى وطعنوا فى حكمته وعلمه كما يذكر ذلك عن ابليس (١) .

وفى هذا التمهيد نلقى الضوء على بعض المواضيع المتعلقة بالقدر فى قصة موسى عليه السلام :-

اولا : عدم احتجاج موسى بالقدر :-

جاء فى الحديث " تحاج آدم وموسى فقال له موسى : انت آدم الذى اغويت الناس فاخرجتهم من الجنة الى الارض ؟ فقال له آدم : انت موسى الذى اعطاه الله علم كل شىء ، واصطفاك على الناس برسالته ؟ قال نعم . قال : اتلومنى على امر قد كتب على ان افعل من قبل ان اخلق ؟ فحج آدم موسى "(٢) .

---

(١) الرسالة التدمرية ، ابن تيميه ،ص (٩١) مكتبه التراث الاسلامى ، القاهرة .

(٢) صحيح مسلم ،كتاب القدر ن باب احتجاج ادم وموسى عليهما السلام .

اعلم ان هذا الحديث ومثله حديث موسى عليه السلام مع ملك الموت من المتشابه الذى يمكن ان يتبعه من فى قلوبهم زيغ .

ومن احسن التوجيهات فى فهم الحديث :-

ان آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب وهو كان اعلم بربه وذنبه بل آحاد منه من المؤمنين لا يحتج بالقدر فانه باطل ، وموسى عليه السلام كان اعلم بأبيه وبذنبه من ان يلوم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه ، وانما وقع اللوم على المصيبة التى اخرجت اولاده من الجنة فلام آدم بالقدر على المصيبة لا على الخطيئة فان القدر يحتج به عند المصائب لا عند المعائب (١) .

وخير ما يقال فى فهمه :-

يقول ابن الجوزى (١) على هذا الحديث " هذا ما يجب الايمان به لثبوته عن خبر الصادق ، وان لم يطلع على كيفية الحال ، وليس هو باول ما يجب علينا الايمان به ، وان لم نقف على حقيقة معناه ، كعذاب القبر ونعيمه ، ومتى ضاقت الحيل فى كشف المشكلات لم يبق الا التسليم

ويقول ابن عبد البر " (٢) مثل هذا عندى يجب فيه التسليم ولا يوقف فيه على التحقيق لانا لم نؤت من جنس هذا العلم الا قليلا ".

واذا فهم هذه المقالات على هذا الحديث فاعلم ان لوم موسى عليه السلام لم يكن على القضاء والقدر ، ولكن على المصيبة .

وان احتجاج القدرية الذين يقولون ان الامر انفا ولا يعترفون بهذا الحديث فلهم شبهة فيها : منها :-

---

(١) شرح الطحاوية ،ص (٧١) .

(٢،٣) فتح البارى العسقلانى (١١ :٥٠٦، ٥٠٧).

(١) ان موسى عليه السلام لا يلومه على امر قد تاب منه صاحبه قتل هو نفسا لم يؤمر بقتلها ثم قال :" رب اغفر لى فغفر له (١) فكيف يلوم آدم على امر قد غفر له .

(٢) لو ساغ اللوم على الذنب بالقدر الذى فرغ من كتابته على العبد لكان كل من يعاتب على معصية ارتكبها يحتج بالقدر السابق فيفسد باب القصاص والحدود ، ولا قبح به كل احد على ما يرتكبه من الفواحش وهذا يدل فى زعمهم ان الحديث ليس له اصل .

والجواب من عدة وجوه :-

الوجه الاول :- الحديث صحيح من كثرة القائلين وقد عدد طرقهم (٢) ابن حجر عن ابى هريرة حتى وصلت الى التسعه منهم طاوس والاعرج وابو صالح السمان ،ومنه ابو سلم بن عبد الرحمن ومنهم حميد عبد الرحمن ومنه منصد بن سيرين ومنه الشعبى ومنهم همام بن منبه ، ومنهم عمر بن ابت عمار ، قال ابن عبد البر هذا الحديث ثابت بالاتفاق ، وعليه فلاحجه للمنكرين فى دفعه .

واما الايمان على ان آدم عليه السلام انما احتج بالقدر على امر لم يفعله ، لا على معصيه كشان العصاة الذين يتمسحون بالقدر ، لقد احتج بالقدر على اخراج ذريته من الجنة ، لان هذا هو محل لوم موسى عليه السلام

(اغويت الناس فاخرجتهم من الجنة) فكانه قال : انا لم اخرجكم ، وانما اخرجكم الذى رتب الاخراج على الاكل من الشجرة وهو الله عزوجل الذى سبق فى علمه ان تعيشوا على الارض فقال " انى جاعل فى الارض

---

(١) القصص : آية ١٦ .

(٢) فتح البارى ، العسقلانى (١١ :٥٠٦)

خليفة " فكيف تلومنى يا موسى على امر ليس لى فيه نسبة الا الاكل من الشجرة والاخراج المترتب عليها ليس من فعلى ،فاذن ليس الاعتراض من موسى على الذنب الذى تاب الله على آدم منه ، وكان احتجاج آدم بالقدر على شئ لم يفعله ، وهو الاخراج من الجنة الذى هو فعل الله تعالى .

(٢) على انه من ناحية اخرى نقول " ان احتجاج آدم عليه السلام بالقدر على شئ تسببت فيه معصية لا يؤدى الى مشروعية احتجاج العصاة بالقدر لان هذا كما يقول بعض العلماء مختص بآدم عليه السلام ،

لان المناظرة بينهما وقعت بعد ان تاب الله عليه قطعا كما قال تعالى " فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه " فحسن منه ان ينكر على موسى لومه لانه قد تيب عليه من ذلك ، واعلن الله تعالى توبته وقبولها ، اما غير آدم فلا يجوز لمن لامه على معصية كالقتل او زنى او سرق ،فيقول هذا سبق فى علم الله وقدره قبل ان يخلقنى فليس لك ان تلومنى عليه (١)

وهناك اجابات اخرى تنفى استشهاد القدرية بالاحتجاج بالقدر على العاصى انظر فتح البارى (٢) .

وينظم الى هذا الحديث حديث موسى عليه السلام وملك الموت .

ثانيا :- حديث ملك الموت مع موسى وموضوع القدر :-

فهم البعض من اعتراض موسى على قضاء الله وقدره . واليك بيان ذلك مختصرا " جاء فى الحديث " قول النبى صلى الله عليه وسلم " جاء

---

(١) صحيفة همام بن منبه ،ت . رفعت فوزى عبد المطلب ،ص (١٦٠)مكتبة الخانجى القاهرة ط (١٤٠٦هـ .

(٢) فتح البارى للعسقلانى (١١ /٥١٢).

ملك الموت الى موسى فقال له : اجب ربك .قال : فلطم موسى عين ملك الموت ، ففقأها . قال : فرجع الملك الى الله ـ عزوجل ـ فقال : انك ارسلتني الى عبد لك لا يريد الموت ، وقد فقأ عيني. قال فرد الله عينه ، قال ارجع الى عبدي ، فقل له : الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور ، فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بكل شعره سنه . قال : ثم مه قال :ثم تموت ؟ قال : فلان من قريب . قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية حجر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر (١) .

فهل في هذا الحديث ما يفيد ان موسى لم يرض لقضاء الله وقدرة عليه فكره الموت وفقأ عين ملك الموت لذلك ؟ وهل يفهم منه انه كان يؤخر قضاء الله بالموت المبرم . ولهذا قال له . الحياة تريد ؟

الجواب : فهم بعض الذين يتبعون المتشابه ان موسى كره قضاء الله وقدره عندما جاءه ملك الموت ولذا فقأ عينه. فلم يطيع ولم يستجيب واعترض .

قال البغوى (٢) فى شرح السنة فى معرض الاجابة على هذا السؤال ، هذا الحديث يجب على المرء المسلم الايمان به على ما جاء من غير ان يخبره بما جرى عليه عرف البشر . فيقع فى الارتياب ، لانه امر مصدره من قدرة الله سبحانه وتعالى وحكمته ، وهو مجادلة بين ملك كريم ونبى عليم ، كل واحد منهما مخصوص بصفة خرج بها عن حكم عوام البشر

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الانبياء ، باب وفاة موسى .

(٢) شرح السنة ، للبغوى ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى تت . شعيب الارناؤوط ،المكتب الاسلامى ط ١ ،١٣٩٠ هـ ، (٥ :٢٦٦ /٢٦٨).

ومجارى عاداتهم فى المعنى الذى خص به فلا يظن حالهما بحال غيرهما ، وقد اصطفى الله سبحانه وتعالى موسى برسالاته وبكلامه وايده بالايات الظاهرة والمعجزات الباهرة ، كاليد البيضاء والعصا ، وانفلاق البحر ، وغيرها مما نطق به القرآن ، ودلت عليه الاثار ، وكل ذلك اكرام من الله عزوجل ، اكرمه بها . فلما دنت وفاته وهو بشر يكره الموت طبعا ، ويجد المه حسا لطف له لم يفاجئه به بغتته ، ولم يأمر الملك الموكل به ان يأخذه قهرا ، لكن ارسله اليه منذرا بالموت وامره بالتعرض له على سبيل الامتحان فى صورة بشر ، فلما رآه موسى استنكر شأنه ، واستوعر مكانه ، فاحتجز منه دفعا عن نفسه بما كان من صكه اياه ، فاتى ذلك على عينه التى ركبت فى الصورة البشرية التى جاءه دون صورة الملكية التى هو مجبول عليها "

وقد كان فى طبع موسى حميه وحده على ما قص الله علينا من امره فى كتابه من وكزه القبطى والقائه الالواح ، واخذه برأس اخيه يجره اليه ... ان موسى لم يرد الموت واعترض على القضاء بالموت فقال له الحياة تريد ؟ والجواب من عدة وجوه :-(٢)

(١) اولا ان موسى فى المرة الاولى لم يعرف ملك الموت ولو عرفه لاذعن واطاع الامر ، وعندما علم فى المرة الثانية اذعن بالرغبة فى لقاءه مع تخييره فى فرص حياة طويلة .

(٢) وفى المرة الاولى ملك الموت لم يؤمر قدرا بالتنفيذ وانما امر بالتوطئة فالقضاء فى المرة الاولى . للابتلاء لا الاماتة .

---

(١) صحيفة همام بن منبه / ت . رفعت فوزى عبد المطلب ص (٢١٤ / ٢٢٦) باقتباس .

وهذا الحديث لا يفهم منه تعطيل القدر :-

ولا يفهم منه ان موسى لو اختار الحياة يعارض القدر او عطله ولكنه لم يختر الحياة واختار الموت وعليه فلم يعطل القدر -ولم يعترض على القدر وقدرة الله تعالى عليه .

وهذا يرد عليه مثل حديث (١) ما ترددت عن شىء انا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت واكره مساءته فارسال الملك ليعرف انه الموت هو تطييب نفسه وأقل ذلك رفقه من الله عزوجل ولطف فى تسهيل ما لا بد منه وهى علامه على المحبه من قبل الله عزوجل للعبد (٢) .

وعلم بهذا بطلان الاستدلال لهذا الحديث على الاحتجاج بالقدر ، وقد استدل العلماء بهذا الحديث وغيره من بطلان اتخاذ القدر عذرا فى ارتكاب الذنب وساق شيخ الاسلام رحمه الله طرفا منها . واليك بعض الوجوه :

(١) لو كان القدر حجه فى فعل المحرمات وترك الواجبات لزم ان لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه ويهلك الحرث والنسل وهذا غير مقبول عقلا .

(٢) لو كان القدر حجه لزم ان يكون ابليس وفرعون وقوم نوح وقوم هود وكل من اهلكه الله بذنوبهم معذورين ، وهذا من الكفر الذى اتفق عليه ارباب الملك .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الرقاق ، باب التواضع .

(٢) انظر شفاء العليل لابن القيم فى رد هذا الحديث من طوائف الضلال والرد عليهم ص ٢٤) وما بعدها ،دار الكتب العلمية .

(٣) لو جاز الاحتجاج بالقدر لزم عدم التفرقة بين المؤمن والكافر والمطيع والعاصى .

(٤) لو كان الاعتذار بالقدر مقبولا لبطلت الحكمة من العقوبات والحدود وتعطلت الاوامر والنواهى . فلم يعذب الله احدا لا فى الدنيا ولا فى الاخرة ،ولم يقطع يد سارق ولا قتل ولا اقيم على ذى حد حده ولاجوهد فى سبيل الله ولا آمر بمعروف ولا نهى عن المنكر .(١)

ثالثا القدر سر الله فى خلقه :-

قال تعالى " الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى " ثم قال تعالى فى آخر السورة ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى "

قضى الله عز وجل وقدر على فرعون بالهلاك لما يعلمه من هذا الطاغية فى الصد عن دعوته وقبولها وبان لنا من خلال قصته مع موسى ماذا كان يفعله بالمؤمنين وماذا كان شانه اتجاه دعوة موسى عليه السلام بل لم يعترف بربه حتى آياس من النجاة وادركه الغرق .

ولقد حذر هذا الفرعون كل الحذر من موسى ولن ينفع حذر من قدر ، واقتحم عليه موسى منزله ورباه لديه وانجاه الله عزوجل منه . وقدر عزوجل ان تكون نجاته من طريق الهلاك بل فى بيت الهلاك نفسه ، وقدر عزوجل عليه ان يدفع المصرى بكفه فيقتله ..الخ ما جاء عن قصة موسى من اقدار لا تفهم فى ادراك الانسان فانه عزوجل اراد بهم هذه الامور ، وهناك فرق بين ما اراد بنا وما اراد منا ، فما اراد بنا فهذا قدره والله عزوجل يسيره كيفما شاء لا يسال عما يفعل وهم يسالون ، ولا شك انه عزوجل تجرى اقداره وفق حكمه لما سنرى من تعليل افعاله عزوجل .

---

(١) رسالة القضاء والقدر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، دار احياء التراث العربى ، بيروت ، لبنان ، لابن تيمية ،(٩٠ - ٩٢) .

وخير ما يكشف لنا ان قدر الله عزوجل سر من اسراره قصة موسى عليه السلام مع الخضر وما ظهر فيها لنا وهى ان اقداره وان كانت تسير بخلاف مشاهدتنا التى لا نرى فيها مصلحة وتعترض عليها الا انها بانت فى الاخير انها تسير وفق حكمته .

ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وخرج على اصحابه يوما وهم يتكلمون فى القدر " فقال لهم " مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض بهذا هلك من كان قبلكم (١) .

قال صاحب الطحاوية " واصل القدر سر الله تعالى فى خلقه . لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبى مرسل ، والتعمق والنظر فى ذلك ذريعة الخذلان وسلم الحرمان ودرجة الطغيان ، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة ، فان الله تعالى طوى علم القدر عن انامه ونهاهم عن مرامه ، كما قال تعالى فى كتابه " لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " فمن سأل : لم فعل ؟ فقد رد الكتاب ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين (٢) .

قال على ابن ابى طالب " ان الله امر تخييرا ، ونهى تحذيرا ، وكلف تيسيرا ولم يعص مغلوبا ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ولم يخلق السموات والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار (٣) .

---

(١) مسند الامام احمد ، عن عمر بن شعيب .

(٢) الطحاوية ،ص (١٦٧) .

(٣) العقيدة الاسلامية ، للشيخ ابو زهرة ،ص (٥٥ -٥٦) نقلا عن العقيدة فى ضوء القرآن .د. صلاح عبد العليم ،ص (١٨٦) .

افعال العبـــــاد :-

اتخاذ الاسباب فى قصة موسى عليه السلام : والمنهج الصحيح فيها :-

العالم مربـوط بالاسباب والقوى ، والعلل الفاعليه والغائية وعلى هذا قـام الوجود بـتـقدير العزيز العليم ، والكل مربوط بقضائه وقدره ومشيئته ما شـاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، فاذا شاء سلب قوة الجسم منه ومنع تأثيرها .

واذا شاء جعل فى الجسم المـنـفعل قـوة تـدفعها وتـمنع موجبها من بـقائها وهذا لكمال قدرته ونفوذ بمشيئته .فالناس فى الاسباب والقوى والطبائع ثلاثة اقسام :-

(١)منهم : مـن بـالـغ فى نفيها وانكارها فاضحك العقلاء على عقله . وزعم انـه بـذلك يـنصر الشرع فجنى على العقل والشرع ، وسلط خصمه عليه .

(٢) ومـنـهم مـن ربـط العالم العلوى والسفلى بها بدون ارتباطها بـمشيئة فاعل مختار . وصورها لها بصرفها كيف اراد ، فيسلب قـوة هذا ويـقـيم لقوة هذا قوة تعارضه ويكف قوة هذا التاثير مـع بـقـائها . ويـتـصرف فيها كما يشاء ويختار ، وهذا طرفان جائران عن الصواب وهم المعتزله التابعون للفلاسفة .

(٣) ومـنهم من اثبتها خلقا وامرا ، قدرا وشرعا . وانزلها بالمحل الذى انـزلـها الله بـه من كونها تحت تدبيره ومشيئته وهى طوع المشيـئة والارادة ومـحل جريـان حكـمـها عليها فيقوى سبحانه بـعضها بـبـعض ويبطل ان شاء بعضها ويسلب بعضها قوته ومشيئته ويـعريها منها او يمنعه من قوتها على بقائها عليه ليعلم خلق انـه الفعال لمـا يـريد ، وانه لا مستقل بالفعل والتاثير غير مـشيـئته وأن التـعليق بـاى يـسبب دون الله كالتعليق ببيت العنكبوت مع وكونه سببا .

(١) فالالتفات اليها بالكلية شرك منافٍ للتوحيد .

(٢) وانكار ان تكون اسباباً بالكلية قدح فى الشرع والحكمة .

(٣) والاعراض عنها مع العلم بكونها اسبابا نقصان فى العقل .

(٤) وتنزيلها منازلها ومدافعة بعضها ببعض ، وتسليط بعضها على بعض وشهود الجمع فى تفرقها مع القيام بها هو محض العبودية والمعرفة واثبات التوحيد والشرع والقدرة والحكمة)(١) .

(١) اتخاذ ام موسى الاسباب :-

لقد اتخذت امه كافة ما يعنيها فى انقاذ ولدها من الخطر الفرعونى مع علمها بأن الله عزوجل سيحفظه وتتبعت ما اوحى اليها ، ولكن الامر الذى كان فى مقدورها البشرى وفى عهدتها كانت تقوم ما تستطيع فيه من عمله ، ولقد رأينا فى نشأة موسى عليه السلام ، امورا كثيرة من هذا النوع منها اتخاذ التابوت كما امرها الله عزوجل وارسالها اخته تقص الاخبار عنه .

(٢) اتخاذ الاسباب فى طريق موسى عليه السلام الى مدين :-

" قد يظن البعض انه لم يتخذ الاسباب فى طريقه لضيق الظروف ولما تعلق بشخصيته من حدة وسرعة استجابته للمواقف والحق انه اتخذ الاسباب المناسبة من دعاءه فى اول الطريق وقبل الرحلة وانقاذه وعند وصوله الى مدين ، وقد ذكرنا لك سابقا ضعف ما يسوقه المفسرون فى سيره من غير زاد ووصوله الى مدين وقد اخضرت امعاءه ، وعندى والعلم لله عزوجل ان الرجل الناصح لا يمنع ان يكون اعطى نفسه قولا وعملا وزوده بما يحتاج من زاد ، والسياق انما اورد ما هو مفيد فى حادث

(١) تحفة المقتدين سبيل النجاة ، عبد الرحمن عبد العزيز محمد بن سمعان مطابع الفرزدق التجارية ، الرياض ،ص ٤٦٠ .

القرار ونصح الرجل له .(١) .

ومن الاسباب التى اتخذها موسى عليه السلام تأجيره نفسه ولم يكن عالة على الاخرين ، يقول عمر " لا يقعد احدكم على طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة (٢)

(٤) اسباب تحصيل العلم :-

ومن الاسباب الواضحه سعيه فى تحصيل العلم فى قصته مع الخضر حتى ولو أخذ ذلك وقتا طويلا وبهذه المواقع من قصة موسى(٣) وغيرها فان الاخذ بالاسباب .

مما اوحى الله به عزوجل عبادة وسيله لتحصيل دنياهم ودينهم ، والتعطيل عنه بحجة الجبر او القعود عنه تكاسلا ليس من عقيدة الانبياء ومصادمه لعقيدة القدر الدافعة للاخذ بالاسباب والتوكل على الله عزوجل ولا أدل من عدم اتخاذهم الاسباب عدم طاعتهم لموسى فى تركهم لبيت المقدس الذى كتب الله عزوجل قدرا انه نصيبهم ، ولكن لابد له من قيام فلما لم يقوموا مع من قام موسى بالواجب المطلوب منهم مع الضمان وقبضه الله ولم يدخلوها الله عزوجل ثم اخذوا اسباب الطاعة والجهاد فتح الله لهم كما وعدهم الله عزوجل على لسان موسى عليه السلام .

---

(١) الخروج نفسه اتخاذا للاسباب ، ولهذا سمع كلام الناصح ولم يستسلم لما لم يكن به بل اتخذه بقوة ففررت منكم لما خفتكم .

(٢) نقلا عن تفسير المنار ٤: ٢١٣.

(٣) انظر قصته مع الخضر كما ستاتى .

(ج) تعليل افعال الله عزوجل :-

أ- القول الصحيح فى هذه المسألة وذكر المخالفين فيها :-

يقول ابن القيم رحمه الله :" ان الله سبحانه وتعالى حكيم لا يفعل شيئا عبثا ولغير معنى ومصلحة وحكمه هى الغاية المقصودة بالفعل ، بل افعاله سبحانه صادره عن حكمه بالغة لاجلها فعل ، وقد دل كلامه تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم على هذا فى مواضع لاتكاد تحصى ولا سبيل الى استيعاد افرادها فنذكر انواعها .

والحق الذى لا يجوز غيره : هو انه يفعل بمشيئته وقدرته وارادته ويفعل ما يفعل بأسباب وحكم وغايات محمودة ، وقد اودع العالم من القوى والغرائز ما به قام الخلق والامر ، وهذا قول جمهور اهل الاسلام واكثر طوائف النظار وهو قول الفقهاء قاطبه "(١)

وهنا مسائل حول حكمة الله عزوجل فى افعاله :-

هل افعاله عزوجل بحكمة ؟ بما فيها الخير والشر .

(١) جميع اراء المذاهب على ان الله عزوجل حكيم فى خلقه وامره ، منزه عن العبث والنقص فى افعاله .(٢)

(٢) الاشاعرة مع كونهم لا ينكرون ان لله تعالى وجود الحكمة فى افعاله لكن عندهم لا يجوز تعليل افعاله لشئ من الاغراض والعلل الغائية . فانه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون " (٣).

---

(١) شفاء العليل لابن القيم فى مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل .دار الكتب العلمية . ص :٣١٩، ٣٤٦ .

(٢) انظر نهاية الاقدام للشهرستانى (٣٩٧) وما بعدها .

(٣) الانبياء : آية ٢٣ .

ويقولون في توضيح هذه المسألة اكثر " ليس الباعث على الفعل ما كان صلاحا يرى فيه وخيرا يتوقعه بل لا باعث له . وفرق بين لزوم الخير والصلاح لاوضاع الافعال . ومن حمل الخير والصلاح على وضع الافعال . كما يفرق فرقا ضروريا بين الكمال الذى يلزم وجود الشىء ، وبين الكمال الذى يستدعى وجود الشىء ، فان الاول فضيله هى كالصفة اللازمة ، والثانى : فضيلة كالعلة الباعثة (١) .

(٣) المعتزلة يقولون ان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمة وغرض لكنهم كما نعرف لا يعترفون بانه خالق الشر .

(٤) اما اهل الحق فيثبتون الحكمة فى افعاله عزوجل وانه خالق الخير والشر وقد يعلم بعض عبادة الحكم فى افعال بما يطلعهم عليها وقد لا يعلمون ذلك .

واما استدلالهم فاليك بيانها بصورة موجزة والرد عليهم (٢) :-

ادلة الاشاعرة :- قالوا ان الله تعالى خلق العالم بما فيه من الجواهر والاعراض واصناف الخلق والانواع لا لعله حاملة له على الفعل ، سواء قدرت تلك العله نافعه له او غير نافعه ، اذ ليس يقبل النفع والضر ، او قدرت نافعة للخلق اذ ليس يبعثه على الفعل باعث ، فلا غرض له فى افعاله ولا حامل له .بل علة كل شىء صنعه و لاعلة لصنعه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

---

(١) وهذا رد الاشاعرة على فكرة الصلاح والاصلح عند المعتزله فى افعال الله عزوجل .

(٢) نهاية الاقدام للشهرستانى ،ص ٣٣٧ وما بعدها وشرح المواقف من ٢٣٦ وما بعدها .

والمعنى فى قولهم هذا ، لو كان افعاله معلله لكان للعبد ان يسأل فيقول لم فعل ؟

والجواب :- ان هذا اللزوم غير مسلم مادام التعليل من جهته تعالى وما دام العبد موقنا بحكمه الخلق فى فعله ولو سلم فان المنفى فى الاية هو السؤال على وجه الاعتراض بدليل الاثبات المقابل .

واستدلوا ايضا :-

(٢) بانه لو كان فعله تعالى لغرض لكان ناقصا لذاته ستكون مستكملا بتحصيل ذلك الغرض .

والجواب :- هذه الملازمه ممنوعه لاننا نقول : انه سبحانه كامل لذاته ولا مانع من ان يحصل له بسبب كل فعل فعل كمال يتحدد له استحقاق المدح لاجله والخلو من الكمال الفعلى ليس نقصا .

(٣) اذا علقت افعاله بالاغراض ، فلا بد من الانتهاء الى ما هو الغرض الى المقصود لذاته ، واذا تسلسلت الى مالانهاية .

(٤) قال ابن تيميه ان هذا التسلسل فى الحوادث المستقبلة وهو جائز عند الجمهور (٣) ، وبناء على رأى الاشاعرة هذا فانهم يقولون انه لا يوجد فى القرآن لام التعليل.

---

(١) العرض : مافقد بغيره ، فالجسم جوهر واللون عرض .

(٢) الجوهر : ما قام بنفسه ، فهو متقوم بذاته ومتعين بما هيته ، انظر المعجم الفلسفى ، مجمع اللغة العربية ن عالم الكتب (١١٨، ٦٤) .

(٣) منهاج السنة ، ابن تيميه ، ص (١ :٣٥)

واستكمالا مذهب المعتزلة فى هذه المسالة نقول ما يلى : استدل المعتزلة بالعقل عليها فقالوا :-

(١) قد شهد بأن الحكمة فى خلق العلم اظهار آيات لتستدل بها على وحدانيته تعالى .

(٢) ومن القرآن يستدلون بقوله تعالى " وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت " . (١)

مذهب اهل الحق واستدلالهم والحكمة من افعاله عزوجل بما فيها افعال الخير والشر :-

---

(١) من القرآن الكريم :-

١- وما خلقنا السماءوالارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا

٢- وما ارسلناك الا رحمة للعالمين (٢) .

٣- وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين (٣) .

فهذه آيات تبين حكمته فى الخلق والابداع والامر والنهى . وحكم الله عزوجل لا تحصى ولا يحاط بها وان جميع ما يحصل فى الوجود من الاضرار والشرور لا بد فيها من حكمة . وهى شر من وجه وخير من وجه . وان لم يعلم جهة الخير فيها كثير من الناس . اذ ليست عبثا ولا سدى ويوضحان هذه المسالة بن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهم الله يقولان .

يقول ابن القيم: نحن لا ننكر ان الشر يكون فى مفعولاته المنفصلة فانه خالق الخير والشر ولكن هما امران ينبغى ان يكونا منك على بال احدهما :ان ما هو شر او متضمن للشر . فانه لا يكون الا مفعولا منفصلا ولا يكون وصفا له تعالى ولا فعلا من افعاله .

---

(١) ص : آية ٢٧ . (٢) الانبياء : آية ١٠٧ .

(٣) الانبياء : آية ١٦ .

والثاني : ان كونه شرا امر نسبي اضافي فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه وشر من جهة نسبته الى ما هو شر في حقه فله وجهان هو من احدهما خيرا وهذا الوجه الذي نسب الى الخالق سبحانه وتعالى من احدهما خير ، وهذا الوجه الذي نسب فيه الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكوينا ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها واطلع من شاء وخلق على ما شاء منها .

ويقول ابن تيميه : لا يجيء كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم اضافة الشر وحده الى الله بل لا يذكر الشر الا على احد وجوه ثلاثة .

(١) اما ان يدخل في عموم المخلوقات فانه اذا دخل في العموم افاد عموم القدرة والمشيئة والخلق ، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم كقوله تعالى " الله خالق كل شيء " وغير ذلك . ومن ذلك اسماء الله المقترنة كالمعطي والمانع .. فلا يفرد الاسم المانع عن قرينه .

(٢) واما ان يضاف الى السبب الفاعل كقوله تعالى "من شر ما خلق"

(٣) واما ان يحذف فاعله " وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا "

٢- بعض الشواهد في قصة موسى عليه السلام في تعليل افعال العباد ومعنا في قصة موسى مع الخضر ما يوافق هذا الكلام :-

---

(١)(فاردت ان اعيبها)،(٢)(فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) .(٣) الوقوف عند قوله تعالى " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ".

---

(١) منهاج السنة ، ابن تيميه ،(ص ٣٥ / ج ١) .

(٢) رسالة الارادة والامر ، ابن تيمية ، ضمن مجموعة الرسائل الكبرى ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ،ص (٣٣٦ / ٣٣٧) .

هل اللام هنا لام العاقبة او لام التعليل :-

يقول ابن تيمية رحمه الله : " الاشعرى ومن وافقه فى هذه المسالة من الفقهاء من اصحاب مالك واحمد وغيرهم من اهل الفقه او الكلام يقولون " ليس فى القرآن لام التعليل فى افعال الله بل ليس فيه الالام العاقبة (١) .

وفى هذا يقول الشهرستانى " واما الايات فى مثل قوله تعالى " ولتجزى كل نفس بما كسبت " فهى لام اكمال وصيرورة الامر وصيرورة العاقبة لالام التعليل كما قال تعالى " فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا (٢)

والحق ان جعلها لام العاقبة فى هذه الاية تكلف واضح (٣) واليك الدليل على ذلك كما يذكره الشيخ الشنقيطى فى اضواء البيان .

قال رحمه الله " ان اللام فى قوله : ليكون لهم عدوا وحزنا لام التعليل المعروفة بلام كى ، وذلك على سبيل الحقيقة لا المجاز ويدل على ذلك قوله تعالى " وما تشاءون الا ان يشاء الله " .

وايضاح ذلك قوله تعالى " وما تشاؤن الا ان يشاء الله " صريح فى ان الله تعالى يصرف مشيئة العبد وقدرته بمشيئته جل وعلا ، الى ما سبق به علمه ، وقد صرف مشيئة فرعون وقومه بمشيئته جل وعلا الى التقاطهم موسى . ليجعله لهم عدوا وحزنا فكانه يقول : فقدرنا عليهم التقاطه بمشيئتنا ليكون لهم عدوا وحزنا ، وهذا معنى واضح ، لا لبس فيه ولا اشكال كما ترى كما قال :-

---

(١) منهاج السنة ، ابن تيمية ،(١: ٣٥) .

(٢) نهاية الاقدام للشهرستانى ،ص (٤٠٤) .

(٣) العقيدة فى ضوء القرآن ، صلاح عبد العليم ،ص (١٩١) .

" وقال ابن كثير رحمه الله ان فى تفسير هذه الاية " ولكن اذا نظر الى معنى السياق ، فانه تبقى اللام للتعليل ، لان معناه : ان الله تعالى قيضهم لالتقاطه ، ليجعله عدوا لهم وحزنا ، فيكون ابلغ فى ابطال حذرهم منه ، انتهى محل الغرض من كلامه .

وهذا المعنى هو التحقيق فى الاية ان شاء الله تعالى ويدل عليه قوله تعالى " وما تشاءون الا ان يشاء الله " كما بينا وجه آنفا .

وبهذا التحقيق تعلم ان ما يقوله كثير من المفسرين ، وينشدون له الشواهد من ان اللام فى قوله ليكون : لام العاقبة والصيرورة ، خلاف الصواب "(١).

من افعال الله عزوجل التى وردت فى قصة موسى والعبرة منها :-

جاءت آيات كثيرة ترينا قدرة الله عزوجل وفعله فى كونه وفى اعدائه فى هذه القصة وهى مشتى على بنى اسرائيل سواء هذه الافعال التى ليست فى مقدور البشر ان يفعلوها مما كانت تظهر بدون واسطة او مما ظهرت على يدى موسى عليه السلام ، وهى فى مجموعتها ترينا افعاله عزوجل وقدرته وكل هذا حتى يتيقن بنو اسرائيل برسالتهم ويتيقن ايمانهم بها وبرسولهم .

ولعل فى هذه الافعال الربانية الكثيرة ما يجعل تلك النفوس تقتلع ما ورثته من مادية فى الاعتقاد فتوالت عليهم الايات والنذر المادية حتى يتيقنوا ويؤمنوا بها حتى طلبوا سماع كلام الله عزوجل فاسمعهم (٢) ولم يكتفوا بذلك حتى طلبوا رؤية الله عزوجل تعنتا فاخذهم الله عزوجل بالصاعقة ومن الله عز وجل عليهم بعد ذلك بالعفو وبالكتاب الفارق والضياء فلم يزالوا فى عصيانه حتى رفع فوق رؤوسهم الجبل لياخذهم على تمردهم وطغيانهم .

---

(١) اضواء البيان للشنقيطى (٦:٤٥٢) (٢) انظر تفسير ابن كثير(١:١٥١)

اليك بعض الايات والقاء الضوء على الافعال الربانية التى ترشد الانسان الى خالقه عزوجل والتى وردت فى هذه القصة :-

---

(١) " واذ نجيناكم من آل فرعون (١)

(٢) " واذ فرقنا بكم البحر "(٢)

(٣) " وانزلنا عليكم المن والسلوى (٣)

(٤) " وظللنا عليكم الغمام "(٤)

(٥) " ورفعنا فوقكم الطور "(٥)

(٦) فأخذناه وجنوده فنبذناهم وهو مليم (٦)

الى غير ذلك من الايات .

(١) فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون :-

زعم البعض ان انفصال البحر لموسى عليه السلام وقومه كان آية طبيعية او حادثة طبيعية منشؤها المد والجزر والحقيقة التى يجب الايمان بها انها مظهر ربانى حدث كمعجزة لموسى وقومه بنجاته من فرعون وغرق فرعون ومن معه اجمعين . وهذا الحدث لا يقدر عليه الا الله عزوجل وليس فى مقدور البشر ان يجعلوا طريقا يبسا بهذه السرعة ثم يزال هذا الطريق حتى لا يسير الاعداء فيه حتى يتكاملوا فينطبق عليهم ليهلكهم وليخرج جسدا واحدا وهو فرعون دونهم وتلك آية اخرى كما قال

---

(١) البقرة : آية ٤٩ .

(٢) البقرة : آية ٥٠ .

(٣) البقرة :آية ٥٧ .

(٤) البقرة :آية ٥٧ .

(٥) البقرة :آية ٦٣ .

(٦) الذاريات :آية ٤٠ .

عزوجل " فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية "(١) وآيه اخرى هو ان جسده لا يزال مصداق قول الله مشهدا يرى منذ ذلك الزمن والى ان يشاء الله يتخذ الناس العبرة حفظ جسده بقدرة ربانية لم يحل اليه ما يغير معالمه .

وربما كان قذف فرعون خارجا البحر ليتأكد قومه فيما كانوا يعتقدون فى امواتهم وخاصة الفراعنة من سيطرتهم على الحياة الدنيوية بعد موتهم ، فها هو جثة هامدة لاحراك بها فكيف لها اتصال بالعالم الدنيوى ن وها هى مستغنيه عن الطعام والاكل والحلى وسائر ما كان يدخل معه ليستمتع به الفرعون ، والظاهر عندى ان هذا مما كان يضحك به على الشعوب ليتحكموا فى شانهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، ويتحكموا فيهم روحيا بما يحملونه من اعتقادات فى دعواتهم .

(٢) انفجار الحجر باثنتى عشرة عينا ليشرب بنو اسرائيل :-

لقد اصاب بنى اسرائيل العطش فى صحراء مجدبة فدعى موسى ربه ان يسقيهم فاجرى الله عزوجل اثنتا عشرة عينا وذلك بضربه للحجر بعصاه بأمر ربه فانبجس اولا ثم انفجر ثانيا وهذا فعل ربانى ظهر فيه كمال قدرته عزوجل والايات كثيرة فى هذا المجال تبين قدرته عزوجل وافعاله التى لا طاقة للعباد ان يقدموا بشئ فيها فضلا عن ان يفعلوا واحدة منها .

قصة موسى بين افعال العباد وافعال الرب عزوجل :-

قد سبق ان بينا ان الله عزوجل خالق الخير والشر ، وان الشر لا ينسب الله عزوجل كما ذكرنا ذلك عن ابن تيمية رحمه الله ، وكيف تجئ الايات الكريمة فى نسبة الشر الى الفاعل الحقيقى وهو الله عزوجل

---

(١) يونس : آية ٩٢ .

هنا آيات توضح افعال عبادة وافعاله عزوجل وقد ذكرت فى قصة الخضر كيف جاء التعبير صريحا فى انه نسب العيب للسفينه الى الخضر ، فأردت ان اعيبها " ونسب ما كان خيرا الى الله عزوجل مباشرة ، فأراد ربك ان يبلغا اشدهما الاية .

وهنا آية اخرى فى قضية السامرى مع بنى اسرائيل :-

---

(١) قال تعالى " قال فانا قد فتنا قومك من بعدك واضلهم السامرى (١) وقال بعد ذلك " قال هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا ، الا تتبعنى افعصيت امرى "

(٢) وقال تعالى " ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى واطيعوا امرى .

جاء التعبير القرآنى فى امر الافتتان منسوبا الى الرب عزوجل بقوله تعالى " فانا قد فتنا قومك ط وهذا صريح فى اضافته الى المولى عزوجل وجاء على لسان هارون " انما فتنتم به " وهنا لم يصرح السياق .

ولكن فى نسبة الضلال جاء منسوبا الى السامرى والى بنى اسرائيل فقال تعالى " واضلهم السامرى " وقال تعالى " ما منعك اذ رأيتهم ضلوا " والسبب فى ذلك هو ما يتصل بافعال العباد وافعال الرب عزوجل والارتباط بينهما على طريقة القرآن ، فانه فتنهم واختبرهم بالسامرى وبما صنع ، والله عزوجل يريد من عبادة الطاعة وان اختبرهم وامتحنهم وطلب منهم طاعته لكى يرى من يصبر على الامتحان فينجح ومن لايصبر ، ومن يكون قدر الله عزوجل على يديه فى اضلال الناس او فى اخذهم الى الهدى وذلك كله تحت حكمته علمه .

---

(١) طه : آية ٨٥ . (٢) طه : آية ٩٢ / ٩٣ .

(٣) طه : آية ٩٠

وقد وجدنا فى قصة موسى نسبة الافعال الى العباد والقيام بها تتحقق وانها مقدرة من قبل الله عزوجل واعطوا فيها الاختيار والحرية لان يفعلوا او لا تفعلوا ووجدنا افعاله عزوجل التى خارجة عن نطاق الانسان وقوته وهى فى ذات الوقت تبين قدرته العظيمة ، فان القصة الى جانب ذلك نسبت الفعل الى الجمادات بما اقدرها عزوجل وقد قامت حقيقة بالفعل وظهرت اثار ذلك فامر عزوجل البحر بالقاء موسى الى الساحل وحاول المفسرون ان يشرحوا كيف يفهم البحر عن الله عزوجل وادخلوا انفسهم فيما ليس لهم ادوات فى فهمه وانا اضرب لك مثلا آخر فى شأن فعل الجمادى وبما ورد فى قصة الخضر ، وارادة الجدار على الانقضاض .

قال تعالى " فوجدوا فيها جدار يريدان ان ينقض فاقامه (١) هذه الاية الكريمة من اكبر الادلة التى يستدل بها القائلون بأن المجاز فى القرآن زاعمين ان ارادة الجدار الانقضاض لا يمكن ان تكون حقيقية وانما هى مجاز .

وقد دلت آيات من كتاب الله على انه لا مانع من كونه ارادة الجدار حقيقة لان الله تعالى يعلم للجمادات ارادات وافعالا واقوالا لا يدركها الخلق كما صرح تعالى بان يعلم من ذلك مالا يعلمه خلقه فى قوله جل وعلا " وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، فصرح بأننا لا نفقه تسبيحهم وتسبيحهم واقع عن ارادة لهم يعلمها هو جل وعلا نحن لا نعلمها .

وبذلك تعلم انه لا مانع من ابقاء ارادة الجدار على حقيقتها لا مكان ان يكون الله علم من ارادة الانقضاض وان يعلم خلقه تلك الارادة (٢)

---

(١) الكهف : آية ٧٧ .

(٢) اضواء البيان ، محمد الامين الشنقيطى (٤:١٧٩).

ومعنا ايضا فى هذا المجال فى قصة موسى عليه السلام امر الله للبحر بالقاء موسى الى جانب مشرعة آل فرعون " فليلقه اليم بالساحل " حاول بعض المفسرين ان يشرح كيف تلقى امر الله عزوجل اليم ، فقال ابن الجوزى " .

قال ابن الانبارى " ظاهر الامر ، ومعناه معنى الخبر تاويله : يلقيه اليم ويجوز ان يكون البحر مامورا بآلة ركبها الله تعالى فيه ، فسمع وعقل كما فعل ذلك بالحجارة والاشجار (١).

---

(١) زاد المسير فى علم التفسير ابن الجوزى ،دار الفكر ،(١٩٨:٥).

الفصـــل الثـــانى

المعجزات التى ظهرت على يدى موسى عليه السلام وقصته مع الخضر .وقتله للقبطى

المبحث الاول : المعجزات (الدلائل والبراهين والايات)

المبحث الثانى : قصته مع الخضر عليه السلام

المبحث الثالث: قصته مع القبطى

تمهيد الفصل

(١) التعريف بالنبى والولى والفرق بينهما .

(٢) التعريف بالكرامة والفرق بينهما وبين المعجزة .

(٣) التعريف بالسحر والفرق بين المعجزة والسحر .

****

معنى النبوة فى اللغة والاصطلاح :-

النبى يقال على وجهين :- (١)

احدهما : فعيل النبأ اى الخبر ، وتسميه بذلك لانباءه بالامور المغيبة ماضيا وآتيا ، وعلى ذلك قوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم فترك الهمزة من نبى تخفيفا كالبريه والذرية والخابية .

والثانى : ان يكون من النبوة اى الرفعة ، وهى التى عرمت من قال تعالى فيه " ولو شئنا لرفعناه بها " وهذا ابلغ من الاول وما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول " يا نبىء فيقول لست بنبىء الله ولكن نبى الله فقد قال بعض الادباء اراد ان يعرفه الى نعته ، ولغة قريش الهمزة ، وليس ذلك بشىء انما الصحيح انه عليه السلام يطرس فى الرجل انه خاطبه بذلك اعتقادا انه بعض المخبرين لانه عليه السلام ممن عظمه الله ورفعه ، فقال انا نبى الله اى محمد رفعه الله ، كما قال تعالى " ورفعنا لك ذكرك "

وعرفه عن هذا الموضع الى مالا يوهم ، كما قال تعالى " لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا كما كانت اليهود يخاطبونه بهذا اللفظ ويقصد به الرعونه وقول النحويين من ان اصله الهمزة لاجماع العرب على قولهم مسيلمه نبىء سوء " فليس ذلك بشىء فان اجماعهم على ذلك هو لاعتقادهم فيه انه كان يعبر بسوء لكونه كاذبا وان لم يكن له رفعه بوجه .

واما حد النبوة :

فقد قيل :- هى سفارة العبد بين الله وبين خليقته من ذوى العقول وقيل : هى ازاحة علل العقول فيما يقصر عنه عقولهم من مصالح المعاش والمعاد .

---

(١) الاعتقاد ، للراغب ص (١٢٧ - ١٢٨)

ومن المحققين من جمع بين المعنيين ، فقال هى سفارة بين الله وبين ذوى الالباب لازاحة عللهم فيما يحتاجونه من مصالح الدارين ، وهذا حد كامل جامع بين المبدأ من المقصود بالنبوة وهو السفارة المخصوصة وبين منتهاها وهو ازاحة عللهم (١) .

واما الولى :-

فى اللغة :- فعيل بمعنى فاعل او بمعنى مفعول :

فعلى الاول يكون معناه القائم بطاعة الله تعالى من وليه اذا قام به ومنه قوله تعالى " الله ولى الذين آمنوا " اى متولى امرهم ".

وعلى الثانى: يكون بمعنى مفعول وهو المطيع الذى تولاه الله بالرعاية والعناية ،فالاول يتولى الله تعالى بالعبادة والطاعة والثانى : يتولاه الله تعالى بالرعاية ،هذا هو المعنى اللغوى للولى (٢) .

تعريف الولى :-

الولى :- قال ابن حجر : المراد بولى الله ، العالم بالله تعالى المواظب على طاعته المخلص فى عبادته .(٣) .

وقال ابن تيمية :- وولى الله من والاه بالموافقة له فى محبوباته ومرضياته وتقرب اليه بما امر به من طاعته .(٤) فالمؤمنون اولياء الله والله تعالى وليهم .(٥) .

(١) المرجع السابق ،ص (١٢٨)

(٢) لباب الاسلام / محمد عبد السميع الحفناوى ،ص (٦٧) .

(٣) فتح البارى ، ابن حجر العسقلانى (١٣: ٢٩٣) .

(٤) مجموعة الرسائل ، لابن تيمية ،(١: ٥٠) .

(٥) الطحاوية ،ص (٤٠٣) .

الفرق بين النبى والولى :-

(١) اولا من جهة الخارق :-

النبى تجرى على يديه المعجزات الكبرى (وهو دليل على صدقه) والصغرى من التوابع والنوافل يمكن تسمى الصغرى .

(٢) الولى تحدث على يديه الكرامات التى تشبه او تماثل المعجزات الصغرى ولكن يمكن هنا ان نميز بان النبى تكون له الايات الصغرى دليل على نبوته وبالنسبة للولى تثبيتا لمتابعة النبى وصدق النبى وذلك لانه يتبعه فى شريعته ، ولا تدل على عصمته .

(٣) عصمة النبى دون الولى ، فان النبى معصوم بالوحى دون الولى التابع فى شريعته .

(٤) الاصطفاء بالنسبة للنبى دون الولى :- فالنبى مختار من قبل الله عز وجل والولى يجاهد فى اتباع امر الرسول .

٥ ولهذا فان النبى تحوطه العصمة لا يخطأ بخلاف الولى فانه يخطىء ولهذا وجبت طاعة النبى دون الولى وهذه الطاعة مطلقة .

واما بالنسبة للولى فطاعته مرتبطه بالدليل الشرعى الواضح وفى ذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ...وكرامات الصالحين (١) تدل على صحة

---

(١) انظر لسان العرب ، مادة كرم .

وعلى هذا فالفرق بين المعجزة والكرامة : تتمثل فى الامور التالية

١- ان الكرامة تحدث بحسب حاجة الولى بخلاف المعجزة تكون لحاجة الخلق وهدايتهم .

٢- ان الكرامة لا تبلغ الى حد المعجزة فى الكبر .

٣- ان الكرام تعطى للولى لمتابعته وتثبيتا له ولتقوى ايمانه بخلاف المعجزة فالتحدى ولبيان صدق الرسول .

٤- ان الكرامة تكون له معارض بخلاف المعجزة الاربعين فى احول الدين الرازى ص (٢٨٧) .

الدين الذى جاء به الرسول ولا تدل على ان الولى معصوم ولا على انه يجب طاعته فى كل ما يقوله(١)

معنى الكرامة فى اللغة :-: قال لسان العرب : كرم : الكريم : من صفات الله سبحانه وهو الكثير الخير الجواد المعطى الذى ينفد عطاؤه . وهو الكريم المطلق والتكريم والاكرام بمعنى ، الاسم منه الكرامة .

وقد كرم الرجل وغيره بالضم كرما وكرامة .

(٦)التعرف بالكرامة فىالاصطلاح : هبه الهيه يكرم الله بها عن وجل من يشاء من أولياءه المتقين ولا تبلغ كراماتهم مثل معجزات المرسلين وفى اللغة : ما تطلق على كل انعام حسى او معنوى وهى ضد الاهانة .

ثانيا التعرف بالسحر والفرق بين المعجزة والسحر :-

الساحر : قال الازهرى صرف الشىء عن حقيقة الى غيره فكان الساحر لما راى الباطل فى صورة الحق وخيل الشىء على غير حقيقة قد سحر الشىء عن وجهه اى صرفه ...(٢).

وقال فى اللسان :-(٣)

والساحر :العالم ،والسحر : الفساد .

وفى الاصطلاح : السحر عزائم ورقى وعقد فى الابدان والقلوب فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزجته وياخذ احد الزوجين عن صاحبه "(٤) والساحر هو من يقوم بعمل هذا .

---

(١) النبوات . ابن تيمية ،ص (٨)

(٢) سبق التعريف بالسحر والساحر ،ص (١٥٣).

(٣) الكافى ، عبد الله بن قدامه المقدس ، المكتب الاسلامى (٣:١٦٤).

(٤) انظر مذكرة التوحيد ، الشيخ عبد الرازق عفيفى ، توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد ، الطبعة الاولى ، المكتب الاسلامى ،ص (٤٦)

الفرق بين المعجزة والسحر :-

(١) المعجزة ليست من عمل النبى وكسبه بل هى من الله عز وجل على خلاف سنته فى الكائنات .

(٢) اما السحر من عمل الساحروله اسبابه ووسائله وليس خارقا للعادة ولنظام الكون .

(٣) المعجزة تظهر على يد مدعى النبوة لتكون على صدق نبوته دليلا واخراجهم الى ما ينفعهم من الظلمات الى النور .

(٤) السحر خلق ذميم او خرافه او صناعه القصد منها التحيل وافساد احوال الناس .

(٥) المعجزة لا تنال بالكسب والتعليم والسحر ينال بالكسب والتعليم يقول ابن تيميه " وايات الانبياء لا يقدر احد ان يتوصل اليها بسبب والسحر والكهانة يمكن التوصل اليه بسبب(١)

(٦) المعجزة تبقى مدة طويلة بخلاف السحر

(٧) ان المعجزة تزداد وضوحا وجلاء مع الاشتهار وان السحر فى الاشتهار ينكشف زيفه ويزداد وباله .

---

(١) النبوات ، ابن تيمية ،ص (٤٢٢).

المبحـــــث الاول

معجزات موسى عليه السلام التى وردت فى

قصة موسى فى القرآن الكريم

(أ) ذكر الايات التى جاءت فيها معجزات موسى عليه السلام .

(ب) الحديث عن هذه المعجزات .

(١) معجزة العصى (احوالها ، ومادتها ، وخصائصها قبل الاعجاز

(٢) المعجـــــزة .

(٣) بقية المعجزات .

(أ) خلاف المفسرين فى تحديدها .

(ب) تفصيل هذه المعجزات .

(١) معجزة الطوفان .

(٢) معجزة الجراد .

(٣) معجزة القمل .

(٤) معجزة الضفادع .

(٥) معجزة الـــدم.

(ج) المواجهة الصريحة بين عصا موسى وسحر السحرة وموقفه منها :-

١ ـ وصف مظهر السحرة وما جاءوا به .

٢- ماذا جرى من عصى موسى اتجاه ممل قام به السحرة

٣- الاثر المادى للعصى فى الماديات التى

*****-***************

ذكر الايات التسعة التى وقعت على فرعون وقومه فى جمله عامة :-

بين الله عز وجل انه ارسل تسع آيات واضحات الى فرعون وملئه على يدى موسى عليه السلام قال تعالى " ولقد اتينا موسى تسع آيات بينات .الاية "الاسراء (١٠١)(١) .

وقال فى سورة النمل ":- " فى تسع آيات الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين (٢) وقد ذكرت فى سورة الاعراف سبع آيات منها كما قال تعالى " ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون " فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ، الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون ، وقالوا مهما تاتينا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات ..الاية (٣) .

وقد وردت ايات العصا ، واليد فى اكثر من موضوع :-

قال تعالى :-

((وما تلك بيمينك يا موسى قال هى عصاى اتوكؤا عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مارب أخرى قال القها يا موسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى "(٤).

---

(١) الاسراء : آية ١٠١ .

(٢) النمل : آية .

(٣) الاعراف : الايات ١٣٠ ـ ١٣٥ .

(٤) طـه : الايات ١٧ -٢١ .

(٢) وقال تعالى فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين "

(٣) وقال تعالى وان القى عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى لا تخف انى لا يخاف لدى المرسلين "(١) .

(٤) وقال تعالى " وان الق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب يا موسى اقبل ولا تخف انك من الامنين "(٢) .

اما الايات التى وردت فى شأن آية ومعجزة اليد :-

---

(١) قال تعالى "ادخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين "(٣)

(٢) وقال سبحانه " اسلك يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء وا ضمم اليك جناحك من ارهب فذانك برهانا من ربك الى فرعون وملئه انهم كانوا قوما فاسقين (٤) .

(٣) وقال عزوجل " واضمم يدك الى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية اخرى (٥) .

(٤) وقال تعالى"ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين ."

(٢)الحديث عن هذه الايات والبراهين التى ارسل بها موسى عليه السلام لدعوة عليه السلام لدعوة فرعون وقومه الى الله عز وجل :-

---

(١) النمل : آية ١٠

(٢) القصص : آية ٣١ .

(٣)النمل : آية ١٢

(٤) القصص : آية ٣٢

(١) طـــه : آية ٢٢ .

احـــوال العصا وتحولاتها :-

اذا نظرنا الى الايات التى جاءت فى شان معجزة العصا نجدها حسب حجولها قد استعملت فى احوال مختلفة .

الامر الذى يوضح لنا ما لهذه العصا من دور فى حياة موسى عليه السلام سواء قبل الرسالة وبعدها كما كان لها دور كبير فى حياة بنى اسرائيل وحياة فرعون ، فمع موسى نجدها قبل الرسالة ، يهش بها على غنمه وله فيها مآرب اخرى وبعد الرسالة اصبحت معجزة رسالته ، اما مع فرعون حين اراه اياها كدليل مصدق له ثم حين ابطلت كيد الساحرين فآمنوا وجانب فرعون الصواب بما افترى واما مع بنى اسرائيل فقد ساهمت فى اجابة طغيانهم ودلت على صدق نبوة موسى عليه السلام وذلك حين ضرب البحر فانفلق كل فرق كالطود العظيم وحين ضرب بها البحر فانبجس منه الماء ليشرب بنو اسرائيل .

وتمثل هذه الاستعمال ، مابين الله عزوجل لنبيه موسى ما تؤده العصا وما دورها فى رسالته واليك بيان ذلك بالتفصيل فى ضوء ما ورد فى الايات التى تحدثت عن العصا وتحولاتها وادوارها المختلفة " ويمكن ان نجعلها فى الامور التالية :-

نلخص هذه الاستعمالات والتحولات مرتبة حسب حصولها فيما يلى :-

(١) " فى ساعة المناداة تحولت الى حية تسعى فتهتز كانها جان .

(٢) " فى ساعة المحاورة مع فرعون تحولت الى ثعبان مبين .

---

(٢) الاعراف : آية ١٠٨ ، الشعراء آية : ٣٣ .

(٣) فى ساعة المواجهة مع السحرة تلقفت ما يأفكون وابطلت ما صنعوا من سحر كما ستعرف فى مبحث (المواجهة بين معجزة موسى وسحر السحرة) وسيأتى قريبا .

(٤) فى ساعة الخروج ضرب بها البحر فانفلق لينجو بنو اسرائيل ويغرق فرعون وملئه وقومه .

(٥) فى سيناء ضرب بها البحر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم (١) .

اما الامور التى تتعلق بالعصا عند ساعة المناداة بعد ان اوحى الله اليه الرسالة فيمكن ان نحصها فيما يلى :-

(١) " مادة المعجزة " العصا " وخصائصها قبل حصول الاعجاز وظهورها كآية يحملها فرعون وقومه وبنى اسرائيل .

(٢) ما حصل فى شأنها من خرق للعادة وظهور خصائص هذا الاعجاز

(٣) حقيقة المعجزة بعد ظهور الاعجاز .

(٤) موقف موسى من المعجزة .

(٥) سلب خصائص الاعجاز واعادة المعجزة الى مادتها الاولى "(٢) .

واليك بيان هذه النقاط فى الامر الاول من استعمالها فيه :-

مادة العصـــــا :-

قال ابن كثير رحمه الله وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى ابهمت .... ثم قال وكذاقول بعضهم انها كانت لازمة عليه الصلاة والسلام وقول الاخر انها هى الدابة التى تخرج قبل يوم القيامة ... والحق كما يقول ان كل ذلك من الاخبار الاسرائيلية ".(٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ،(٣:١٤٥) .

(٢) زاد التفاسير ابن الجوزى ،(٥:١٩٤) .

(٣) روح المعانى للالوسى(١:٢٧٠) .

وجملة اقوالهم كما يقول ابن الجوزى وفى جنسها قولان :-

احدهما : انها كانت من آس الجنة قاله ابن عباس .

والثانى : كانت من العوسج .

ففى القول الاول يقول الالوسى :- والمشهور انها من آس الجنة طولها عشرة اذرع طول موسى عليه السلام لها شعبتان تتقدان فى الظلمة ،تتوارثها صاغر عن كابر الى شعيب ومنه الى موسى عليهما السلام ،وقيل رفعها له ملك فى طريق مدين .

وقال صاحب الخازن وغيره :- حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها لموسى ،.

وقد رد الرازى على كونها بالطول الذى ذكر فقال : والذى يدل عليه القرآن ان مقدارها كان مقدار يصح ان يتوكأ عليها وان تنقلب حية عظيمة ولا تكون كذلك الا لها قدر من الطول والغلظ وما زاد على ذلك فلا دلالة عليه "(١) .

ورد صاحب التحرير والتنوير على كونها من الجنة : فقال : لو كان هذا صحيحا لعدة موسى فى اوصافها حين قال عصاى الخ ، فانه اكبر اوصافها (٢) وخير ما يقال فى هذا انها من الاخبار التى لا يصح منها شىء .

وقال الرازى فى تفسيره :-

واعلم ان السكوت امثال هذه المباحث واجب لانه ليس فيها نص متواتر قاطع ولا يتعلق بها فالاولى تركها .(٣)

وفى موضع آخر :- قال لا مطمع فى ترجيح بعض هذه الوجوه على بعض لانه ليس فى القرآن ما يدل عليها والاخبار متعارضة ومستند منها ما أخبر الحسن .

---

(١) التفسير الكبير للرازى ،(٢٢:١٠٢) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور (١٨:٥١).

(٣) التفسير الكبير للرازى (٢٤ : ٢٧)

فقال : انها كانت من الشجر اعترضها اعتراضا اى اخذها من عرض الشجر يقال اعترض اذا لم يتخير . واول شىء يقال بأن هذه من الاسرائيليات التى لم يصح منها شىء .

واما القول الثانى فى جنسها وعادتها :- كقول الحسن فالظاهر انه الاقرب الى الحق لما ذكرنا فى شأن من ذهب الى غير دلالته اذ لو كان لها خاصية لذكرها موسى عليه السلام " ولو كانت لادم لذكر انها لادم اذ ان ذلك اهم من ذكر من التوكأ والهش "(١)

فالظاهر ان مادة المعجزة وهى عصا موسى ما كانت الا من عصا الشجر وبذلك يتبين ان ما يرد فى كتب التفسير فى شأنها مادتها لا مطمع لمعرفة الحق فيه اذ لم يرد بذلك نص على ظاهرة والله اعلم بالصواب

(٢) خصائصها قبل كونها معجزة :-

قال تعالى " وما تلك بيمينك يا موسى " قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى (٢) .

قد سبق ان بينا ان العصاة عصا طبيعية اخذت من الشجر ، ولهذا حد ما يعرفه من خصائصها واستعمالاتها فنفصل بعض استعمالها التى هى يمكن ان تعتبر خصائص لهذه العصا قبل ان تتحول الى معجزة واجمل لك الخصائص بقوله ولى فيها مآرب اخرى " وقد تكلف بعضهم لذكر شىء من تلك المآرب التى ابهمت ، فقيل كانت تضىء له بالليل وتحرس له الغنم اذا نام ، ويغرسها فتصير شجرة تظله ذلك من الامور الخارقة للعادة ، والظاهر انها لم تكن كذلك ، ولو كانت كذلك لم يستنكر موسى عليه الصلاة والسلام صيرورتها ثعبانا فما كان يفر منها هاربا ولكن ذلك من الاخبار الاسرائيلية "(٣)

---

(١) خرق العادات فى القرآن الكريم ، عبد الرحمن ابراهيم الحميض عكاظ للنشر ط ١ /١٤٠٢ هـ (١٠١) .

(٢) طه اية : ١٧ – ١٨ . (٣) تفسير ابن كثير (١٤٥:٣) .

قال صاحب البحر المحيط :في(المآرب) ذكر المفسرون انها كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه المحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من القوس والكنانه والحلاب واذا كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه والمآرب الحاجات "(١)

وقد عقد القرطبى ما يقارب صفحتين فى فوائد العصى واستعمالها المختلفة (٢) والمقصود هنا ذكر ما خص موسى عصاه من خصائص .

قال صاحب تفسير البحر المحيط فى معنى قوله تعالى " قال هى عصاى اتوكأ عليها واهش بها على غنمى ولى فيها مآرب اخرى "

قال هش على الغنم يهش بضم الهاء خبط اوراق الشجر لتسقطوهش الى الرجل يهش بالكسر،قال تعلب اذا نش واظهر الفرح به الاصل فى هذه المادة الرخاوة يقال رجل هش (٣) .

قال الالوسى فى معنى اهش : اى اخبط بها ورق الشجر واجذبه ليسقط على غنمى فتأكله (٤)

ومعنى التوكؤ على الشىء التحامل عليه فى المشى والوقوف ومنه الاتكاء توكأت واتكأت بمعنى واحد (٥)

يقول الالوسى فى معنى اتوكأ :- اى اتحامل عليها فى المشى والوقوف على رأس القطيع (٦)

---

(١) البحر المحيط (٦:٢٢٦) . (٢) تفسير القرطبى "(١١:١٨٧- ١٨٩) .

(٣) البحر المحيط ، لابن حيان (٦:٢٢٨) . من حاشية النهر الماد من البحر لابى حيان نفسه .

(٤) روح المعنى للالوسى (١٦:١٣٥) .

(٥) البحر المحيط ، ابن حيان (٦:٢٢٨)

(٦) روح المعانى للالوسى :١٣٥:١٦) .

فبين استعمالاتها لنفسه والتوكأ والتحامل عليها وهذه من خصائصها وبين استعمالها لغنمه بالهش لها .

قال الالوسى فى حكمه تقديم التوكأ على الهش : لعل ذلك لانه عليه السلام كان قريب العهد بالتوكأ فكان اسبق الى ذهنه ويليه الهش على غنمه ولعل جواب صاحب البحر المحيط هذا افيد فقد قال : "وقدم فى الجواب مصلحة نفسه فى قوله اتوكأ عليها ثم ثنى بمصلحة رعيته فى قوله واهش بها على غنمى (١) .

واما المآرب فقد تقدم الكلام عنها ، قال صاحب كتاب الخوارق فى القرآن والذى يظهر ان التوكأ والهش عبارة عن نموذج لتلك المآرب فهى اذا من جنسها كان يدفع بها دابة او يعلق بها متاع لا سيما وان منافع العصا كثيرة فكان لا بد من اجمالها وهذا من حسن المقال فتكون الاية من باب ذكر العام بعد الخاص (٢) والمعجزة الثانية ظهور البياض فى يده عليه السلام بعد ادخالها فى جيبه واخراجها منه تشع بياضا ناصعا وهى معجزة له ، وتسكن روعه عند ادخالها عن انقلاب العصا فلذلك يذهب الخوف ثم يخرجها بيضاء للناظرين .

بقية معجزات موسى عليه السلام :-

قد ذكرنا من قبل ان المعجزات فى قصة موسى قدجاء ذكرها مفصله لايتين او لمعجزتين فى عدة مواضع واجمل بعضها كالتى وردت فى سورة الاعراف .

هذا وقد اختلف فى قوله تعالى " ولقد آتينا موسى تسع آيات " بين المفسرين .فى عدد المعجزات التى اوتيها وما هى ؟

---

(١) البحر المحيط ،ابن حيان :٦:٢٢٨).

(٢) خوارق العادات فى القرآن الكريم ، عبد الرحمن ابراهيم الحميضى ،ص (١٠٢) .

فالفـــــريق الاول :-

حاول البعض منهم ان يجعلها فى الايات التى وردت فى قصة موسى فزاد بعضهم ونقص الاخر .

واما الفريق الاخـــر :-

فذهب الى انها ابعد من ذلك فجعلها فى الاحكام والشرائع ،

قال صاحب البحر المحيط ذاكر هذه المسألة :-

وتسع آيات قال ابن عباس وجماعته من الصحابة هى اليد البيضاء والعصاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وهذه سبع باتفاق واما الثنتان فعن ابن عباس لسانه كان به عقده فحلها الله والبحر الذى فلق له وعنه ايضا البحر والجبل الذى نتق عليهم وعنه ايضا السنون ونقص من الثمرات وقاله مجاهد والشعبى وعكرمه وقتادة .

وقال الحسن السنون ونقص الثمرات آية واحدة وعن الحسن ووهب : البحر والموت ارسل عليهم وعن ابن جبير الحجر والبحر ، وعن محمد بن كعب البحر والسنون .

وقيل تسع آيات هى من الكتاب وذلك ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبى فقال الاخر لا تقل انه نبى فانه لو سمع كلامك صارت له اربعة اعين فاتياه وسألوه عن تسع آيات بينات فقال : لا تشركوا بالله شيئا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى سلطان ليقتله ولا تسحروا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اى اليهود ان لاتعتدوا فى السبت ... قال ابو عيسى هذا حديث صحيح (١) .

فانت ترى ان هناك خمس آيات متفق عليها ، واما الايتان من السبع عدا الاثنتين الواضحتين وهما العصا واليد فالكلام فيها كما رأيت .

---

(١) البحر المحيط وانظر تفصيل هذه المسألة فى كتاب الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم "د. محمد بن سيدى الحبيب ،ص (٤٩ -٣٥٤) ،ص (٦: ١٨٥) .

واما القول الاخر : فقد استند الى حديث اليهوديين ، وهذا الحديث قد عدا عشرا ، وقد اجاب على ذلك الالوسى فى هذه الزيادة فقال ناقلا عن الزمخشرى .

"قال فى الكشاف انه من الاسلوب الحكيم لانه لما ذكر التسع العامة فى كل شريحة ذكر خاصا بهم ليدل على احاطة علمه صلى الله عليه وسلم بالكل وهو حسن ، وقال قبل ذلك ان الاعتداء فى السبت ليس من الايات لان المراد بها احكام عامة فهو تذليل للكلام ومتمم له وزيادة على ما سألوه .

وقد تناول صاحب روح المعانى هذه المسأله :-

فقال :ظاهر السياق والنظائر يقتضيان كون المعنى تسع أدله واضحات الدالة على نبوة موسى عليه السلام وصحة ما جاء به من عند الله ولا ينافيه انه قد اتى من ذلك ما هو اكثر لان تخصيص العدد بالذكر لا يدل على نفى الزائد كما حقق فى الاصول والى هذا ذهب غير واحد الا انه اختلف فى تعيين هذه التسع " وقد رأيت الاختلاف كما حكاه صاحب البحر المحيط .

واحسن جواب رأيته والعلم لله عزوجل ما ذكره الالوسى بقوله :-

اخرج عبد الرزاق ، وسعيد بن منصور ، وابن المنذر ن وابن ابى حاتم من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما انها العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والسنين والنقص من الثمرات .

وروى ذلك عن مجاهد والشعبى وقتادة ، وعكرمة ، وتعقب هذا بان السنين والنقص من الثمرات آية واحدة كما روى عن الحسن ورد بانه ليس كذلك اذ ظاهر قوله تعالى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات المغايرة الاول الحرب بواديهم والثانى على النقصان فى مزارعهم واورد الالوسى ايضا فيما رواه عن عمر بن العزيز عليه الرحمة سأل محمد بن كعب عن هذه الايات مقدما وعد ذكر فيه الطمس .

ولما كان المقصود ذكر بقية المعجزات التى ارسل بها موسى سواء الى فرعون وقومه او الى بنى اسرائيل ،فان مسالة التسع آيات ما يمكن ان يقال فيها ما ذكره الرازى رحمه الله اذ يقول .(١)

اما هذه التسعة فقد اتفقوا على سبعة وهى العصا واليد والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وبقى الاثنان ولكل واحد من المفسرين قول آخر فيهما ولما لم تكن الا بتلك الاقوال مستنده الى حجة ظنه فضلا عن حجة يقينه بها " تركت تلك الروايات ".

اما بقية الايات التى يمكن الحديث عنها فهى التى ثبت فى القرآن خاصة وفى السنة ايضا : واكتفى بالايات الكبرى منها ، كما قال تعالى " وما نريهم من آية الا هى اكبر من اختها ".(٢) .

الاول : آيات الرجز وهى المذكورة فى قوله تعالى " فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات بينات الاية . ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بماعهد عندك(٣)

الثانى : معجزة الطور . وهى المذكورة فى قوله تعالى " واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظله وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون (٤) فرفع فوق رؤوسهم كانه ظله سحاب تحلوهم وفى ذلك تهديد لهم لخروجهم عن طاعة الله عز وجل وتمردهم على اوامره .

---

(١) تفسير الرازى (٢١:٦٥)

(٢) الزخرف : آية ٤٣ .

(٣) الاعراف : الايات ١٣٣ /١٣٤ .

(٤) الاعراف : آية ١٧١ .

الحديث عن معجزاته التى سماها الله عز وجل:-

الرجز:- ان الرجز قد ضم الايات التى اخذ الله بها فرعون وملئه ، وكانت معجزات فى صدق موسى عليه السلام ، وقد فسر الرجز بالعذاب كما قال تعالى "فلما كشفنا عنهم العذاب الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون "(١) .

وهى من قبيل الاستدراج لفرعون وملئه وعذاب لهم لعلهم يرجعون بهذه الشدة الى ربهم عزوجل .

واورد الطبرى رحمه الله (٢) فى كيفية نزول هذه الايات عليهم فقال :-

---

ذكر المعانى التى حدثت فى قوم فرعون بحدوث هذه الايات بالسبب الذى من اجله احدثها الله عليهم وساق بسنده قال عن سعيد بن جبير قال لما اتى موسى فرعون قال له : ارسل معى بنى اسرائيل فابى عليه : فارسل الله عليهم الطوفان وهو المطر فصب عليهم منه شيئا ، فخافوا أن يكون عذابا . فقالوا لموسى ادع لنا ربك ، لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فدعا ربه فلم يؤمنوا ، ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل ، فانبت لهم فى تلك السنة شيئا لم ينبت قبل ذلك من الزرع والثمر والكلا فقالوا : هذا ما كنا نتمنى فارسل الله عليهم الجراد ، فسلطه على الكلا فلما رأوا اثره فى الكلا عرفوا انه لا يبقى الزرع ، فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك فيكشف الجراد فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى اسرائيل ، فدعا ربه فكشف لهم الجراد ،فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل ، فداسوا واحرزوا فى البيوت فقالوا : قد

---

(١) الاعراف : آية ١٣٤ .

(٢) تفسير الطبرى (٩:٣٤) .

آخرنا فأرسل الله عليهم القمل ، وهو السوس الذى يخرج منه ، فكان الرجل يخرج عشرة اجربة الرحى ، فلا يرد منها ثلاثة اقفزه فقالوا : يا موسى ادع لنا ربك يكشف عن القمل ، فنؤمن لك ، ونرسل معك بنى اسرائيل ، فبينما هو جالس عند فرعون اذ سمع نقيق ضفدع فقال فرعون فما امسو حتى كان الرجل يجلس الى ذقنه فى الضفادع ، ويهم ان يتكلم فتثبت الضفادع الى فيه فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف هذه الضفادع ، فنؤمن لك ونرسل معك بنى اسرائيل ، فكشف عنهم فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بنى اسرائيل ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان ما استقوا من الانهار والابار او ما كان فى اوعيتهم وجدوه دما عبيطا فشكوا الى فرعون ما فقالوا انا قد ابتلينا بالدم وليس لنا شراب فقال : انه قد سحركم فقالوا من سحرنا ونحن لا نجد فى اوعيتنا شيئا من الماء الا وجدناه دما عبيطا فكشف عنهم فلم يؤمنوا و لم يرسلوا معه بنى اسرائيل .

ولنفحص هذه المعجزات كل واحده بمفردها :-

معجـــــــزة الطوفــــــان :-

الطوفان معناه فى اللغة ما طاف بالشىء وغشيه وغلب فى طوفان الماء سواء كان من السماء او الارض وكذا كل ما ينزل من السماء بكثرة تغشى الارض (١)

وقال الراغب : (٢) الطوفان كل حادثة تحيط بالانسان وصار متعارفا فى الماء المتناهى فى الكثرة .. لاجل ان الحادثة التى نالت قوم نوح كانت ماء قال تعالى " فأخذهم الطوفان ".

---

(١) لسان العرب ، ص (٢٢٧) .

(٢) المفردات للراغب ،ص (٣١٢) .

واختلف المفسرون فى معناه فقال بعضهم هو الماء وقال آخرون بل هو الموت وقال آخرون بل ذلك كان امرا من الله طاف بهم .(١)

وقال الآلوسى(٢) فى معنى الطوفان جمعا بهذه الاقوال

الطوفان ما طاف بهم وغشى اماكنهم وحرثهم من مطر او سيل فهو اسم جنس من الطوفان وهو اسم شئ حادث يحيط بالجهات ويعمهم كالماء الكثير والقتل الذريع والموت الجارف ، وقد اشتهر فى طوفان الماء وجاء تفسيره هنا بذلك فى عدة روايات عن ابن عباس وجاء عن عطاء ومجاهد تفسيره بالموت .

قال ابن كثير رحمه الله :-

اختلفوا فى معناه فعن ابن عباس فى روايات كثيرة : الامطار المغرقة المتلفة للزروع والثمار وبه قال الضحاك بن مزاحم وعن ابن عباس رواية اخرى هو كثرة الموت وكذا قال عطاء , وقال مجاهد الطوفان الماء والطاعون على كل حال وقال ابن جرير:بسنده عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الطوفان الموت " وكذا رواه ابن مردويه من حديث يحيى بن يمان به وهو حديث غريب وقال ابن عباس فى رواية اخرى هو امر من الله طاف بهم ثم قرأ " فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون "(٣)

---

(١) خوارق العادات ، الحميضى ،ص(١١٨)

(٢) روح المعانى ، للالوسى (٩:٣٣) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢:٢٤٠)

وقال صاحب المنار :(١) وحديث عائشة المرفوع ضعيف لا يثبت بمثله قول مخالف لما ورد من اللغة .

وقال الرازى :- (٢) على من قال ان الطوفان هو الموت : وهذا القول مشكل لانهم لو أميتوا لم يكن لارسال انواع العذاب عليهم فائدة " وقد عرفنا ان فرعون هلك فى اليم بالغرق كما جاء فى القرآن " فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم " والمقصود من الطوفان - هو كثرة الامطار المغرقة المختلفة للزروع والثمار حتى لم يستطيعوا معها حرث الارض او فلاحتها لركود الماء فى ارضهم .

معجــــزة الجــــراد :-

والجراد : آفة مهلكة اذا طلعت اسرابه على الزرع آتت عليه فلم تبق منه شيئا ولا ورقا (٣) .

قال تعالى " فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل " (٤) وهذا الجراد قد جرد الارض وما عليها من نبات بتلك الحشرة المعروفة المشهورة بين الناس التى تضر بالنبات اعظم الضرر .

معجــــزة القمــــل :-

لقد اختلف المفسرون فى المراد بالقمل ويظهر من مجموع اقوالهم انها حشرة تضر بالنبات والاجساد ويتعدى ضررها الى الطعوم .

---

(١) تفسير المنار (٩:٨٩)

(٢) تفسير الرازى (١٤:٢٢٧)

(٣) التفسير القرآنى للقرآن . عبد الكريم الخطيب ، دار الفكر (٩:٤٦٥) .

(٤) الاعراف : اية ١٣٣

قال الالوسى رحمه الله " (١)والقمل بضم القاف وتشديد الميم قيل هو الدبى وهو صغار من الجراد ولا يسمى جرادا الا بعد نبات اجنحته وهذا كما جاء فى لسان العرب فى التعريف بالقمل .

قال الازهرى القمل شىء يقطع فى الزرع ليس بجراد فيأكل السنبلة وهى غضة قبل ان تخرج فيطول الزرع ولا سنبل له (٢)

وقال البخارى رحمه الله فى تفسيره والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد به القمل المعروف الذى يقع فى بدن الانسان وثوبه وعلى كل حال فقد ابتلاهم الله عزوجل بهذه المحنه لكى يرجعوا الى رشدهم .

معجـــــزة الضفـــــادع :-

قال الالوسى الضفدع الدابة المائية المعروفة وهو بشع المنظر وقد كثرت آية الضفادع بحيث امتلأت بيوتهم واطعمتهم وامتعتهم وآنيتهم فلا يكشفون عن شىء الا ويجدونها تحتها ، ولا يكادون يسترحوا من كثرتها ومن انزعاجهم حتى انها كما يذكر المفسرون لتتسابق الى افواههم عند الكلام والى فرشهم عند المنام فلا ينقلب احدهم على فراشه الا وقد ركبته وامتلى فراشه منها .

معجـــــزة الــــــدم :-

سلط الله عليهم الدم فلا ينقلبون لشرب مائهم الا وقد وجدوه دما وربما خرج الدم كالرعاف فسلط الله عليهم الدم بأن تحول مائهم الى دم او سلط عليهم الرعاف .

والمقصود من هذه المعجزات ما تجاوز حدها عن غير المألوف منها فتكون نقمة بالمظاهر المختلفة التى ظهرت عليها واختص بها الفراعنه دون بنى اسرائيل ولطف الله عز وجل ببنى اسرائيل ، فهى معجزات سلطت عليهم واصبحت كالعذاب لا تستقيم حياتهم معها .

---

(١) تفسير الالوسى (٩:٣٤) . (٢) لسان العرب (١١:٥٦٩) .

(٢) المواجهة الصريحة بين عصا موسى وسحر السحرة وموقفهم منها
(أ) وصف مظهر السحرة وما جاءوا به .
(ب) ماذا جرى من عصى موسى اتجاه ما قام به السحرة .
(ج) الاثر المادي للعصى فى الماديات التى احروا فيها باطلهم .
(د) الاثر الذى احدثه فى السحرة انفسهم

المواجهه الحريحه بين عصا موسى عليه السلام وما صنعه السحرة :-(١)

حين القى السحرة ما صنعوا بعدد سماعهم موعظة موسى عليه السلام التى هزت موقفهم والذى يظهر انهم انقسموا على انفسهم وانهم قرروا فيما بدا لى اما التاكد من قضية موسى عليه السلام لانهم والعلم عند الله عزوجل لم يلتقوا بموسى من قبل فارادوا ان يعرفوا بعد ان سمعوا ماذا يقوم به من عمل ،ولذا طلبوا الاستمرار فى ما هم قادمون عليه او انهم ارادوا المضى فى باطلهم رغبة فى حصول الاجر الذى وعدهم به فرعون او لخوفهم من فقدان .

ما صنعوا خداعه فانهم قد قيل انهم وضعوا زئبقا فى ما صنعوه وخيفة من تاخره الوقت الذى يبدأ مفعوله وذلك بتعرضه للحرارة قد يبطل مفعوله او يظهر قبل اوانه وعلى كل حال فان للسحرة قبل القاء موسى عصاه موقف متزن بدأ يتجه اتجاها آخر فيه التفكير والتعقل ولذلك قالوا على ما جاءنا (٢)وخصوه بانفسهم لانهم فهموا ما جاء به موسى .

---

(١) انظر الى الايات التالية :-

١- قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم . واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هى تلقف ما يافكون"الاعراف: ١١٦ / ١١٧ .

٢ قالوا يا موسى اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى . قال بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى فاوجس فى نفسه خيفة موسى . قلنا لا تخف انك انت الاعلى . والق ما فى يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى . فالقى السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى " طه الايات :٦٥ / ٧٠ .

(٢) قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا الاية : طه : اية ٧٢ .

او لان فى بيانه ثم ما تعرض لصنعتهم التى كانوا مختصين بها وبهذا قالوا ينفع العلم العالم .

وان الايات الكريمات فى مختلف الصور عن هذه المواجهة بين العصا وبين ما صنعوا لتضع لنا تصورا دقيقا ما الذى حدث بين الخارق الحقيقى والخارق الوهمى الذى يصطفه الانسان . وتضع ايدينا على ما لابس النفوس من تغيرات ومواقف .

المواجهة بين عصا موسى وسحر السحرة وموقفهم :-

---

(١) وصف السحرة وما جاء به :-

(ا) وصف مظهر السحرة :-

لقد دبر السحرة لارهاب الناس وارهاب موسى عليه السلام وهارون بالاتفاق على ان يأتوا حين يتقدمون لالقاء سحرهم مصطفين لان ذلك اهيب اليهم .

ولم يزل الذين يرومون اقناع العموم بانفسهم يتخيرون لذلك بهاء الهيئة وحسن السمت وجلال المظهر ، فكان من ذلك جلوس الملوك على جلود الاسود ، وربما لبس الابطال جلود النمور فى الحرب .

وثبت ان كهنة القبط فى مصر كانوا يلبسون جلود النمور .. ففى صفهم واحد ابهر منظرا (١)

(ب) وصف ما جاءوا به :-

واما وصف ما جاءوا به فاليك بيان ذلك فى ضوء الايات التى وصفت حقيقة ما جاءوا به .

بين الله عزوجل ان السحرة القوا اولا وانهم سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم .

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور (١٦:٢٥٦) .

قال ابن كثير " اى خيلوا الى الابصار ان ما فعلوه له حقيقة فى الخارج ولم يكن الا مجرد صنعة وخيال ، وذلك بما القوا من التخيلات والشعوذة (١)

وقال ابن عباس فيما اورده ابن كثير " انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا ، قال فاقبلت يخيل اليه من حبالهم انها تسعى (٢) .

قال الجصاص (٣) مستنبطا كيفيةما صنعوا فى ذلك عند قوله تعالى " سحروا اعين الناس يعنى موهوا عليهم حتى ظنوا ان حبالهم وعصيهم تسعى وقال " يخيل اليه من سحرهم انها تسعى " فاخبر ان ما ظنوه سعيا منها لم يكن سعيا وانما كان تخيلا ، وقد قيل انها كانت عصيا مجوفة قد ملئت زئبقا وكذلك الحبال كانت معمولة من ادم حشوه زئبقا ، وقد حفروا قبل ذلك تحت المواضع اسرابا وجعلوا ازواجا ملئوها نارا فلما طرحت عليه وحمى الزئبق حركها لان من شان الزئبق اذا اصابته النار ان يطير ، فاخبر الله ان ذلك كان مموها على غير حقيقة والعرب تقول لضرب من الحلى مسحور اى مموه على من رآه مسحور به . ا.هـ ، قال صاحب المنار معلقا على هذا الكلام للجصاص فعلى هذا يكون سحرهم لاعين الناس عبارة عن هذه الحيلة الصناعية اذا صح خبره ويحتمل ان يكون بحيلة اخرى كاطلاق ابخرة اثرت فى الاعين فجعلتها تبصر ذلك او يجعل العصى والحبال على صورة الحيات وتحريكها بمحركات خفيفة سريعة لا تدركها ابصار الناظرين (٣) انها هى تخيلات مرئية ".

قال صاحب المنار (٤)" فلما القوا ما القوا من حبالهم وعصيهم كما فى سورتى الشعراء وطه سحروا اعين الناس الحاضرين ومنهم موسى عليه السلام وفى سورة طه فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى " (٥) .

---

(١) تفسير ابن كثير ،ص (٢٣٧:٢) (٢) المرجع السابق ،(٢٣٧:٢)

(٣) احكام القرآن ، الجصاص (٤٣:١)

(٤) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (٦٨:٩) . (٥) طه :اية ٦٦ .

فموسى قد سحر وكونه خيالا قد يكون فى هذا الموضع لكن قد يكون غير خيال كما عرفت فى حديثنا عن السحر وما هيته فى موضعه كما اشرت من قبل .

واما الاسترهاب الذى اوقعوه فى قلوب الناس فانه من اثار خوف الناظرين بامور اخرى تثير خوف الناظرين ، لتزداد تمكن التخيلات من قلوبهم وتلك الامور اقوال وافعال كقولهم انه سيقع شىء مخيف كان يقولوا للناس خذوا حذركم وحاذروا ، ولا تقتربوا ، وسيقع شىء عظيم وسيحضر كبير السحرة ، ونحو ذلك من التمويهات والخزعبلات والصياح والتصعب وذلك " لانه من اعظم ما يفعله السحرة اذ كان مجموعاتتفرق بين سحرة المملكة من الخصائص المستورة بالتوهيم الخفية اسباب عن العامة (١) .

وهذا السحر الذى اتوا به عظيم فى مظهره لكنه لا يصل الى ما وصف من قبل المفسرين فيما ينقل عن طريق الاسرائيليات حول الاعداد العظيمة للسحرة التى اشرنا الى عدم معقوليتها من قبل .

وقد بين الله عزوجل حقيقة ما جاءوا به بقوله تعالى" وبطل ما كانوا يعملون ." فوصف ما يعلمونه انه باطل ، وهو ثابت له وانما من قبل ان يلقى موسى عصاه ، ومن بعد ، ولكن عند القاء العصا ظهر كونه باطلا .

ولهذا وصف ما صنعوا بانه افك " والافك الصرف عن الشىء ويسمى الزور افكا والكذب المصنوع افكا لانه فيه صرفا عن الحق واخفاء للواقع فلا يسمى افكا الا الكذب المصطنع المموه .

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٨:٤٨) .

وانما جعل السحر افكا لان ما يظهر منه مخالف للواقع فشبه بالخبر الكاذب (١)

واذا قد تبين لك ما جاء به السحرة مما اهالوا به الناس وادخلوا فى انفسهم الرعب والخوف ، مما اتوا به من بطل وفساد والله لا يصلح عمل المفسدين .

فماذا جرى لموسى اتجاه ما قام به السحرة ؟

خاف موسى عليه السلام من وقوع العذاب عليهم بما افتروه من كذب يصدوا به الناس عن طريق الهدى فكان لازما ان يظهر الموازين فى نصابها فالقى عصاه فاذا هى باذن الله عز وجل تبطل ماصنعوا .

فدعوا الى الله عزوجل بهذه الطريقة السحرة اولا وعامة من يحضر فى هذه المباراة التى اعدوا لها فتبين ان موسى على حق وان فرعون وما يحارب له على باطل

---

(١) المرجع السابق ،ص (٨:٤٩)

والمؤلف يروى فى سائر اقواله التى تتبعتها ان السحر خيال لا حقيقة له وغمز الاحاديث الثابتة فى سحر الرسول صلى الله عليه وسلم على هواه ، فسبحان الذى يهدى الى الصواب ومؤلف الكتاب اشعرى متعصب ومع ذلك لقد امتلى كتابه فوائد عن حضارة مصر ويكشف باطلاع على ذلك التاريخ امورا تتصل بفهم الايات فجزاه الله عنا كل خير . انظر الى قيمة كتابه العقائدية فى رسالة " المفسرين بين التأويل والاثبات فى آيات الصفات. محمد بن عبدالرحمن المغراوى دار طيبة ط/١ /١٤٠٥ هـ (١:٣٥٧) وما بعدها وبين انه اشعرى متطرف لا تزيد ما يذهب اليه الاشعريون فى الصفات الا تقصرا .

وفى بيان ما حدث من عصا موسى امام الجمع الحشيد مما احدثته فيما سحروا به اعين الناس من خلال القرآن الكريم ما يبين لنا نجاح هذه الطريقة فى نفوس السحرة خصوصا ، وما يبين الدعوة الربانية من خلال المعجزات النبوية واليك بيان ذلك . وقد اشرت الى هذه الطريقة من قبل وهنا افصلها .

الاثر المادى للعصى فى الماديات التى اجروا فيها باطلهم :-

وساكتفى باثرها فى الاشياء التى صنعوا ، وفى المبحث الثانى فى موقف السحرة من دعوة موسى عليه السلام سابين اثرها فيهم فى نفوس السحرة : قال تعالى فاذا هى تلقف ما يافكون " (١) . الفاء للتعقيب الدال على سرعة مفاجأة شروعها فى التلقف بمجرد القائها . والتلقف . مبالغة اللقف وهو الابتلاع والازدراد .

وقرأ الجمهور تلقف . بفتح اللام وتشديد القاف وحذف احدى التاءين والاصل تتلقف اى تبالغ وتتكلف اللقف ما استطاعت ... والتعبير بصيغة المضارع فى قوله "تلقف" و"يافكون " للدلالة على التجديد والتكرير مع استحضار الصورة العجيبة ، اى فاذا هى يتجدد تلقفها لما يتجدد ويتكرر من افكهم .

والمقصود على الوقوف على معنى اللقف فى اللغة لنرى الصورة والتى حدثت من هذه العصا بامر الله عزوجل فيما قامت به (٢)

قال الراغب (٣) تلقف الشئ وتلقفه بالتشديد فهو تناوله بحذق وسرعة ولقف الشئ القفه . سواء فى ذلك تناوله بالفم ، او باليد قال " فاذا هى تلقف ما يافكون (١) فكلمة تلقف قد اوضحت لنا كيف كانت هذه العصا متلفقة بسرعة تتردد بحذق وسرعة كل ما صنعوا الواحد تلو الاخر كما سيتضح لنا من الوقوف على "ما" فى الاية الكريمة "ما يافكون " .

---

(١) الاعراف : آية ١١٧ . (٢) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٩:٤٩) .

(٣) الراغب الاصفهانى ،ص (٤٥٣) .

قال صاحب المنار :-(١)

"ما" فى الاية : اما موصوله واما مصدرية :-

وعلى الاول : يتخرج ما نقل عن ابن عباس وقتادة والحسن والسدى من كون عصا موسى عليه السلام التقمت حبال السحرة وعصيهم واسترطتها اى ابتلعتها فهو مما يحتمله اللفظ .

ثم قال : وينافيه كونها مصدرية اذا المعنى عليه انها تناولت عملهم هذا فأتت عليه بما اظهرت من بطلانه وحقيقة الامر فى نفسه سرعة ،

(١) فان كان افكهم عبارة عن تأثير احدثوه فى الاعين فلقفها اياه عبارة عن ازالته وابطاله ورؤية الحبال والعصى على حقيقتها .

(٢) وان كان تحريكها بمحركات خفيفة سريعة فكذلك .

(٣) وان كان قد حصل بجعلها مجوفه محشوة بالزئبق وتحريكه اياها بفعل الحرارة سواء كانت نارا اعدت لها او الشمس حين اصابتها فلقفها لذلك يجوز ان يكون بفعل من الحية اخرج به الزئبق من الحبال والعصى فانكشف به الحيلة ثم قال رحمه الله :-

قال الشيخ محى الدين بن العربى ما معناه او محصله على ما نتذكر ان ابطالها لسحر السحرة انه ترتب على القائها ان رأى الناس تلك الحبال والعصى على اصلها ولو ابتلعتها لبقى الامر ملتبسا على الناس اذ قصارى ان كلا من السحرة وموسى قد اظهرا امرا غريبا ولكن احد الفريقين كان اقوى من الاخر فاخفاه على وجه غير معلوم ولا مفهوم وهذا لا ينافى كونها من جنس واحد (٢) ولكن زوال غشاوة السحر وتخيله حتى رأى الناس ان الحبال والعصى التى القاها السحرة ليست الا حبالا

---

(١) المنار ، محمد رشيد رضا ، ص(٩:٦٨) .

(٢) سبق وان بينا ان المعجزة والسحر ليس من جنس واحد ص(٤٣٦)

وعصيا لا تسعى ولا تتحرك ، وان عصا موسى لم تزل حية تسعى هو الذى مان الحق من الباطل ، وعرفت الاية الالهية ، والحيلة الصناعية ، وكل ما فى الامر ان عصا موسى ازالت هذا التخيل بسرعة وهو معنى اللقف ولكن لا نعلم بم كان لها هذا التاثير لانها ايه الهية حقيقية لا امر صناعى حتى لا تعرف صنعته وحقيقته ، انتهى كلامه رحمه الله .

وخلاصة الامر انها وبسرعه وحذق ازالت ذلك الباطل الذى تمثل فيما صنعوه حتى تبين للعيان انهم على لا شىء .

وقد مر بك قريبا الوقوف عند قوله تعالى " وبطل مما كانوا يعملون " بأنه وصف البطلان لما صنعوا ثابت من قبل ان يلقوا ما القوه ولهذا تكشف وقت البطلان لما القى موسى عصاه ، وهذا الوصف يمكن فهمه مما يتعلق بكلمه بطل فى اللغة .

قال ابن عاشور فى التحرير والتنوير (١)

وبطل حقيقته اضمحل . والمراد : اضمحلال المقصود منه وانتفاء اثر فرعون لشىء . يقال : بطل ، اى : لم يأت بفائدة ويقال : بطل عمله اى : ذهب ضياعا وخسر اجر . ومنه قوله تعالى " ويبطل الباطل " اى يزيل مفعوله وما قصدوه منه .

فالباطل هو الذى لا فائدة منه ، او لا خير فيه ، ومنه سمى ضد الحق باطلا لانه لا شىء لا يحصل منه الاثر المرجو ، وهو القبول لدى العقول المستقيمة ، وشاع هذا الاطلاق حتى صار الباطل كالاسم الجامد مدلوله هو ضد الحق .

ويطلق الباطل اسم فاعل من بطل ، فيساوى المصدر فى اللفظ ويتعين المراد منهما بالقرينة ، فحوز فعل بطل يكون مشتقا من المصدر وهو البطلان وقد يكون مشتقا من الاسم وهو الباطل فمعنى (بطل) حينئذ وصف انه باطل ، مثل فيد اسد ، ويصح تفسيره هنا بالمعنيين .

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩:٥٠) .

فعلى الاول يكون المعنى : وانتفت حينئذ آثار ما كانوا يعملون .

وعلى الثاني يكون المعنى : واتضح ما يعملون بانه باطل وعلى هذا الوجه يتعين ان يكون المراد من الفعل معنى الظهور لا الحدوث ، لان كون ما يعملونه باطلا وصف ثابت له من قبل ان يلقى موسى عصاه ولكن عند القاء العصا ظهر كونه باطلا ويبعد هذا ان استعمال صيغة الفعل فى معنى ظهور حدثه لا فى معنى وجوده وحدوثه ، خلاف الاصل فلا يصار اليه بلاداع .

واما من فسر بطل بمعنى : انعدم وفسر ما كانوا يعملون بحبال السحرة وعصيهم ففى تفسيره نبو عن الاستعمال ،وعدم المقام ... ثم قال :- وما كانوا يعملون اى : بطلت تخيلات الناس ان عصى السحرة وحبالهم تسعى كالحيات ، ولم يعبر عنه ، سحر اشارة الى انه كان سحرا عجيبا تكلفوا له واتوا بمنتهى ما يعرفونه - انتهى كلامه رحمه الله .

موقف السحرة من دعوة موسى عليه السلام بمعجزة العصا :-

قال تعالى " فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون " وقال تعالى " فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين "" والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ".(١) .

الوقوع : هو حقيقة سقوط الشىء من اعلى الى الارض ، ومنه الطائر اذا نزل الى الارض ، واستعير الوقوع لظهور امر رفيع القدر لان ظهوره كان بتأييد الهى فشبه بشىء نزل من علو ..(٢)

---

(١) طه : اية ٧٠ .

(٢) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (٩:٥٠)

واما الانقلاب :- مطاوع قلب والقلب تغيير الحال وتبدله ، والاكثر ان يكون تغيير من الحال المعتادة الى حال غريبة ويطلق الانقلاب شائعا على الرجوع الى المكان الذى يخرج منه لان الراجع قد عكس حال خروجه (١)

والالقاء : مستعمل فى سرعة الهوى الى الارض ، اى : لم يتمالكوا ان سجدوا بدون تريث ولا تردد (٢) .

لقد صورت هذه الايات موقف السحرة مما وقع بما صنعوه ولذلك تغيرت حالهم وتبدلت الى شئ لم يتمالكوا اتجاهه الا ان سجدوا بدون تريث ولا تردد لله رب العالمين رب موسى وهارون .

والسبب فى ذلك ظهور الدليل على صدق موسى فى نفوسهم " فانهم كانوا اعلم الناس بالسحر فلا يخفى عليهم ما هو خارج من الاعمال السحرية ولذلك لما رأوا تلقف عصا موسى لحبالهم وعصيهم جزموا بأن ذلك خارج عن طوق الساحر فعلموا انه تأييد من الله لموسى وايقنوا ان ما دعاهم اليه موسى حق فلذلك سجدوا وكان هذا خاصا بهم دون بقية الحاضرين (٣) " فكان هذا الموقف الاول " السجود والاعلان بايمانهم بالله رب العالمين ، وهذا السجود وضعوه انه لله رب العالمين رب موسى وهارون لانهم كانوا يسجدون للفرعون فعبروا بما لا يظن انه لفرعون .

فموقفهم تمثل فى التسليم بالحقيقة التى وقعت وانها ليست من قبل صناعتهم ولا من قبيل السحر الذين هم اعرف الناس به .

---

(١) المرجع السابق (٩:٥١) .

(٢) المرجع السابق (٩:٥٢) .

(٣) المرجع السابق ،ص (٩:٥٢) .

الموقف الثاني :-

ويمكن ان نجعله بين سحرة موسى وفرعون نفسه ، فان الموقف الاول كان اتجاه الحق الذى سيطر عليهم واسجدهم لله عز وجل وجعلهم يعلنون السجود ظاهرا ملموسا امام فرعون وملئه ومن حضرهم ويعلنون انه رب العالمين باسلامهم له عزوجل ، وهنا دار الحوار بين فرعون والسحرة .

لقد فوجئ فرعون بالايمان المفاجئ للسحرة الذى لم يدرك دبيبة فى القلوب ولم يتابع خطاه فى النفوس ، ولم يفطن الى مداخله فى شعاب الضمائر ...ثم هزته المفاجأة الخطيرة التى تزلزل العرش من تحته : مفاجأة استسلام السحرة وهم كهنة المعابد – لرب العالمين رب موسى وهارون ، بعد ان كانوا مجموعين لابطال دعوة موسى وهارون الى رب العالمين .(١) .

"قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها اهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم اجمعين .(٢)

---

(١) فى ظلال القرآن ، سيد قطب ،(٣:١٣٥٠) .

(٢) الاعراف : اية ١٢٣ –١٢٤ .

يقول " سيد قطب " كانما كان عليهم ان يستاذنوه فى ان تنتفض قلوبهم وهو انفسهم لا سلطان لهم عليها او يستاذنوه فى ان ترتعش وجدانهم - وهم انفسهم لا يملكون مداخلها ، او كانما كان عليهم ان يدفعوا اليقين وهو ينبت من الاعماق او ان يطمسوا الايمان وهو من الاغوار او يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين (١) .

ولقد فزعوا للدعوة من موسى وهارون الى رب العالمين . فاولى ان يفزعوا الان وقد القى السحرة ساجدين قالوا : آمنا برب العالمين رب موسى وهارون والسحرة من كهنة الديانة الوثنية التى تؤله فرعون وتمكنه من رقاب الناس باسم الدين (٢) وهكذا اطلق فرعون ذلك التوعد الوحشى الفظيع الذى احملته الايات ثم فصله لادخال الرعب فى قلوب المتوعدين فى قصد الاجمال وتوعدهم بنوعين من العذاب ، فريق يعذب ما لقطع من خلاف وفريق يعذب بالصلب والقتل اذ ليس المعنى ان يصلبهم بعد ان يقطعهم ، اذ لا فائدة فى تحضيرة القطع بكونه من خلاف حينئذ ، وهذا اذا كان الصلب بمعنى القتل .

واما اذا كان الصلب بمعنى القتل فيكون اراد صلبهم بعد القطع ليجعلهم نكالا يندعر بهم الناس كيلا يقدم احد على عصيان امره من بعد (٣) .

لقد بين السحرة ان عذاب فرعون الذى تهددهم به بعد ايمانهم لاغضاضة عليهم منه ، لانه لم يكن عن جناية بل كان على الايمان بآيات الله لما ظهرت لهم . اى فانك لا تعرف لنا سببا العقوبة غير ذلك (٤)

---

(١) المرجع السابق (٣:١٣٥٠) .

(٢) ظلال القرآن ، سيد قطب (٣: ١٣٥١) .

(٣) تفسير ابن عاشور باختصار (٩:٥٥) .

(٤) المرجع السابق باختصار (٩:٥٥/٥٦) .

قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا (١) .

ولهذا دعوا الله عزوجل ان يجعل لهم طاقة تحمل ما توعدهم به فرعون ودعوة لانفسهم بالوفاة على الاسلام ايذانا بانهم غير راغبين فى الحياة ولا مباليين بوعيد فرعون ، وان همتهم لا ترجوا الا النجاة فى الاخرة والفوز بما عند الله ، وقد اتخزى بذلك فرعون وذهب وعيده باطلان ولعله لم يحقق ما توعدهم به لان الله اكرمهم فنجاهم من خزى الدنيا كما نجاهم من عذاب الاخرة .

والقرآن لم يتعرض هنا ، ولا فى سورة الشعراء ، ولا فى سورة طه للاخبار عن وقوع ما توعدهم به فرعون لان غرض القصص القرآنية هو الاعتبار بمحل العبرة وهو تأييد الله وهداية السحرة وتصلبهم فى ايمانهم بعد توضيحهم للوعيد بنفوس مطمئنة ، وليس من غرض القرآن معرفة كلا الحوادث كما قال تعالى فى سورة النازعات " ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى "(٢) فاختلاف المفسرين فى البحث عن تحقيق وعيد فرعون زيادة فى تفسير الاية ، والظاهر ان فرعون افحم لما رأى قلة مبالاتهم بوعيدة فلم يرد جوابا .
وذكرهم الاسلام فى دعائهم يدل على ان الله الهمهم حقيقتة التى كان عليها النبيون والصديقون من عهد ابراهيم عليه السلام (٣) .

---

(١) الاعراف الايات : ١٢٥، ١٢٦) .
(٢) النازعات : اية ٢٦ .
(٣) تفسير التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٩:٥٦ /٥٧) .

يقول سيد قطب عن موقفهم من فرعون :-

ان النفس البشرية حين تستعلن فيها حقيقة الايمان تستعلى على قوة الارض وتستهين بباس الطغاة ، وتنتصر فى العقيدة على الحياة وتحتقر الفناء الزائل الى جوار الخلود المقيم ، انها لا تقف لتسال : ماذا ستأخذ وماذا ستدع ماذا ستقبض وماذا ستدفع ؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب وماذا ستلقى فى الطريق من صعاب واشواك وتضحيات لان الافق المضئ امامها هناك لا ينظر الى شئ فى الطريق ثم يقول ...

ويقف الطغيان عاجزا امام الايمان وامام الوعى وامام الاطمئنان ، يقف عاجزا امام القلوب التى خيل اليه انه يملك الولاية على الرقاب ، ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف فى الاجسام فاذا هى مستعصية عليه . لانها من امر الله لا يملك امرها الا الله .

وماذا يملك الطغيان اذا رغبت القلوب فى جوار الله ؟ وماذا يملك الجبروت اذا اعتصمت القلوب بالله ، وماذا يملك السلطان اذا رغبت القلوب عما يملك السلطان .

انه موقف من المواقف الحاسمة فى تاريخ البشرية هذا الذى كان من فرعون وملئه والمؤمنين من السحرة السابقين .(١)

---

(١) فى ظلال القرآن : سيد قطب (١ :١٣٥١) .

المبحث الثانى

موسى عليه السلام وقصته مع الخضر

١- التعريف بالخضر

٢ - العلم اللدنى

٣- مواقف العلم والدعوة والايمان من قصة موسى مع الخضر .

(١) التعريف بالخضر

(١) الاختلاف فى اسمه ونسبه .

(٢) هل الخضر حى أو ميت .

(٣) وهل هو ولى أ م نبى .

من هو العبد الصالح :-

قال الله تعالى " فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما " (١)

قال الشيخ الشنقيطى (٢) صاحب أضواء البيان هذا العبد المذكور فى هذه الآية الكريمة هو الخضر عليه السلام باجماع العلماء ودلالة النصوص الصحيحة على ذلك من كلام النبى صلى الله عليه وسلم " قلت ومن ذلك حديث البخارى فى صحيحه الذى ورد فيه مسمى هذا العبد بقوله صلى الله عليه وسلم " بلى عبدنا خضر " (٣) ومن هذا يعلم أن العبد هو الخضر عليه السلام .

الاختلاف فى اسمه ونسبه :

والخضر قد أختلف فى اسمه ونسبه وهل هو ولى أم نبى أو رسول وهل هو حى الى يوم القيامة أم كان من المعمرين ؟

ونظرا أن المسائل حول شخصيته قد كثر فيها الكلام ، وهى لاتهمنا بقدر مايوضح لنا ماورد بينهما من أمور فى هذه القصة مما تتصل بالعقيدة ، وفى طليعتها مايقال أنه ولى وأن الولى أفضل من النبى لتعلم موسى من الولى وأن الولى يعلم الباطن وأن أفعال الولى وان كانت منكرة فى الظاهر فان لها مايبررها لاطلاعه على علم الباطن مما يحكيه الصوفية (٤) الذين اتخذوا قصة الخضر سلما لزندقتهم وتحللهم من الشرائع وسنرى أن فى الوقوف على الايات الكريمات

---

(١) الكهف آيه :   (٢) أضواء البيان الشنقيطى (١٥٧ : ٤)

(٣) صحيح البخارى كتاب بدء الخلق باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام ص (١٨٧) ج٤ المجلد الثانى .

(٤) أضواء البيان للشنقيطى (٤/١٧٨:١٧٧) ، (١٧٧:٤ /١٧٨).

وراجع فى ذلك تفسير ابن كثير (٩٩:٣) وتاريخه (البداية والنهاية) دار الكتب العلمية (١ :٣٠٣) .

مايوضح لنا حقيقة الأمر فيما يتصل بهذه القضايا وفيما يتصل بالعلم النافع .

فلقد عد الشيخ الشنقيطى فى تفسيره ماقيل فى اسمه ونسبه نحوا من عشرة أقوال وأورد ماذكره ابن حجر (١) فى هذا وزاد عليه وعد كل ماورد فى شأن تسميته ونسبه ، فانظر الى هذين المصدرين فانهما يجمعان بين القديم والحديث ولنا أن الحديث جاءغنيا بان تسميته خضرا ففى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه " أنما سمى الخضر لأنه جلس على فروة فاهتزت خضراء(٢) " وقيل الخضر لقبه لأنه كان من بركته أنه اذا جلس على الأرض اخضر ماحوله من أثر بركته فالخضر لقب له ، أى الموصوف بالخضرة (٣) وان كان هناك اختلاف حول اسمه ولقبه ونسبه فان هناك اختلاف أشد حول كونه حيا أو ميتا .

ومختصر هذه المسألة وقد بسطها الشيخ الشنقيطى فى تفسيره (٤) : أنهم يقولون أن الخضر مازال حيا ويذكرون فى ذلك حكايات ولايصح شئ من ذلك وأشهرها أحاديث التعزية وهى غير صحيحة وأسانيدها واهية (٥) .

والذين يذهبون الى كونه قد مات كما مات غيره من الأنبياء على نبينا وعلى سائرهم أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) الزهر النضر فى نبأ الخضر ابن حجر ضمن الرسائل لمنيرية ادارة المطابع المنيرية ص (٢ : ١٩٦) .

(٢) وجزم الخطابى أنها الأرض البيضاء التى ليس فيها نبات ، صحيفة ابن همام بن منبه ص (٥٥٨) دراسة د. رفعت فوزى عبداللطيف .

(٣) صحيفة همام بن منبه دراسة د.رفعت فوزى عبداللطيف ص (٥٥٨)

(٤) أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطى ((١٧٢،١٧١:٤) .

(٥) قال ابن كثير رحمه الله حديث التعزية اسناده ضعيف (٣:٩٩) .

فان هؤلاء قد احتجوا على وفاة الخضر بقوله تعالى " وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد " (١) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر " اللهم ان تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الارض " (٢) وبانه لم ينقل أنه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاحضر عنده ولاقاتل معه ولو كان حيا لكان من أتباع النبى صلى اللهعليه وسلم لانه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الثقلين الجن والانس وقد قال الرسول " لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى"(٣) وأخبر عليه الصلاة والسلام قبل موته بقليل أنه " لايبقى ممن هو على وجه الارض الى مائة سنه من ليلته عين تطرف" (٤) الى غير ذلك من الدلائل (٥).

وقد أوضح هذه المسألة الشيخ الشنقيطى (٦)،من ابن كثير(٧) فى تفسيره وتاريخه(٨) وزاد عليه بما فيه الكفاية بحيث لايتوقف آخذ فيه بعد التفهم فانظره فقد أوضح هذه المسألة وضوحا تاما .

---

(١) آية :

(٢) صحيح مسلم كتاب الجهاد باب الامداد بالملائكة فى غزوة بدر (١٨) حديث (٥٨) ص (١٣٨٤) . (٣) سند الامام أحمد (٤:٣٣٨).

(٤) صحيح مسلم باب قوله صلى الله عليه وسلم " لاتأتى مائة سنة وعلى وجه الارض نفس منفوسة اليوم "

(٥) قال شيخ الاسلام رحمه الله والصواب الذىعليه المحققون أنه ميت ، الفتاوى ابن تيمية (٤:٣٣٧) وقال تلميذه ابن القيم ولم يصح فى حياته حديث واحد المنار المنيف لابن القيم ت.عبدالفتاح غدة ط٢ / ١٤٠٢ هـ ص (٦٧) .

(٦) أضواء البيان (٤:٦٨، ١٧٦/١) .

(٧) تفسير ابن كثير رحمه الله (٣ : ٩٩).

(٨) تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية) (١ : ٣٥٣) .

وما أحسن ماقال صاحب تفسير التنوير والتحرير ملتمسا سببهذا الخلط حول شخصية هل هو حى أو ميت فقال : -

" اتفق الناس على أنه كان من المعمرين ، ثم اختلفوا فى أنه لم يزل حيا اختلافا لم يبن على ادلة مقبولة بل متعارضة ولكنه مستند الى أقوال بعض الصوفية وهى لاينبغى اعتمادها لكثرة مايقع فى كلامهم من الرموز والخلط من الجانبين الروحية والمادية ، والمشاهدات الحسية والكشفية وقد جعلوه رمزا لعلوم ثم يقول :

وفى دائرة المعارف ذكرت تخرصات تلحق قصة الخضر بقصص بعضها فارسية وبعضها رومانية وماراتده فى ذلك الا مجرد التشابه فى بعض أحوال القصص وذلك التشابه لاتخلوا منه الاساطير والقصص فلا ينبغى اطلاق الأوهام وراء أمثالها (١) ثم يقول " والمحقق أن قصة الخضر وموسى يهودية الأصل ولكنها غير مسطورة فى كتب اليهود المعبر عنها بالتوراة أو العهد القديم ولعل عدم ذكرها فى تلك الكتب هو الذى أقدم نوفا البكالى على أن قال " إن موسى المذكور فى هذه الآيات هو غير موسى نبى اسرائيل كما ذكر فى صحيح البخارى وأن ابن عباس كذب نوفا ...وقد زعم بعض علماء الاسلام أن الخضر لقى النبى صلى الله عليه وسلم وعدد من صحابته وذلك توهم وتتبع لخيال القصاصين (٢) " والذى جاء عن هذا العبد الصالح فى القرآن الكريم كاف فى التعريف به وقد وصفه وسماه الرسول صلى الله عليه وسلم بالخضر :

وفى بيان ماجاء فى هذه الآيات يوضح لنا ماذا كان نبيا أو رسولا ؟ وبالعلم اللدنى الذى أوتيه من قبل الله عز وجل وهل هو غير الوحى ؟ .

وخير مايهمنا فى مسالة الخضر وموسى دروس العقيدة والدعوة فيها فهى التى تعود علينا بالفائدة أما كونه وليا أم نبيا فلاشك أن

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور (١٥:٣٦٣) .

(٢) المرجع السابق (١٥:٣٦٤) .

الولى والنبى قد أوضحت النصوص من الكتاب والسنة الفرق بينهما ولانعتقد بما يذكره الذين يتبجحون أهواءهم أن يكون الولى أفضل من النبى لما فى هذه القصة من اختصاص الخضر بعلم لايعرفه موسى كما سيتضح لنا باذن الله اذ ان ذلك كله من قبل الوحى ولنشرح هذه المسائل بايضاح أكثر بعد أن تعرضنا لها :فنقول :

أولا: لقد اتخذ الصوفية قصة الخضر عمادا على أصول ضلالتهم وبنوا عليها قواعد عامة وهم بذلك يريدون أن يصنعوا مستندا لهم يحميهم من نقد العلماء بقصة الخضر مع موسى عليه السلام وذلك بدعواهم أن النبى يتعلم من الولى أى أن الولى أعلم من النبى ، بل ذهبوا الى أبعد من ذلك وهو أن المريد يستسلم لشيخه ولو رأى منه أمورا منكرة ، الظاهر كما حدث من تلك الأمور التى حدثت من الخضر لأن الولى على علم لايعلمه حتى الأنبياء ، ولهم خبط فى هذا العلم الذى يعرفه الولى مستندين الى العلم اللدنى .

(١) هل الخضر ولى أم نبى ؟ واذا ثبت أنه نبى فلا حجة لهم فيما ذهبوا اليه .

(٢) ثم هل موسى عليه السلام اذ فرض بولاية الخضر وأن موسى كان مريدا يتعلم منه فهل كان لاينكر عليه ؟

(٣) ماهو العلم اللدنى وما مظاهره ؟

قد سبق أن أومأنا الى الاختلاف فى اسمه وتعرضنا لبعض الأدلة التى تكشف أن الخضر غير حى وبذلك لاحجة للمتصوفة الذين يجعلون من اجتماعهم به أمورا تخرج عن حدود الشريعة اذ أن هذا واضح الضلال غير قابل للمناقشة (١) .

---

(١) قال ابن حجر " وكان بعض أكابر العلماء يقول " أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبيا لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبى الى أن الولى أفضل من النبى كما قال قائلهم

مقام النبوة فى برزخ فوق الرسول ودون الولى

انظرالزهر لابن حجر ص (١٩٨) .

ولقد قال ابن قتيبة فى كتابه المعارف فى التاريخ أن اسمه يليان ملكان ، وأن ابن كثير رحمه الله يرى هذا الرأى ويقول أنه هو المشهور "(١).

وقصة الأسماء فى القرآن ليس المهم فيها أن تعرف بقدر ماتعرف الدروس والحكم التى دارت حولها وهذا هو المهم ، وبهذا لم يعرف القرآن من الأسماء الا اثنين هما مريم عمران ، وعيسى ابن مريم لأن ماحدث لم يحدث لغيرهما ، يقول الأستاذ الشعراوى فى التعريف بالخضر" انما هو عبد علمه الله من لدنه علما ، والله سبحانه وتعالى حين يضرب الأمثال فى القرآن الكريم يريد أن يعطينا الحكمة والموعظة ... ولايريدنا أن ندخل فى مجادلة حول من هو هذا الشخص أو من هى هذه المرأة ... وذلك لأن الأسماء هنا لاقيمة لها وانما القيمة الحقيقية فى الموعظة والحكمة ولذلك لم يعرف الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم الا اسمين هما مريم ابنة عمران وعيسى ابن مريم لأن ماحدث لهما لم يحدث لغيرهما ولهذا كان التعريف هنا واجبا ..

أما فرعون مصر وذو القرنين وفرعون موسى وكل ذلك تركه الله تعالى دون تعريف حتى لاندخل فى جدل حول هؤلاء الأسماء ونترك الحكمة ففرعون هو كل رجل يريد أن يتبد فى الأرض وذو القرنين هو كل من أعطاه الله الأسبا ب للأشياء الى آخر ذلك " (٢) .

ويقول سيد قطب رحمه الله فى الظلال " ونحن أمام مفاجآت متوالية لانعلم لها سرا وموقفنا منها كموقف موسى ؟ بل نحن لانعرف من هو

---

(١) المعارف لأبى محمد عبدالله قتيبة ص (٢٥) دار الكتب العلمية بيروت - وأنظر تفسير ابن كثير رحمه الله (٢:٩٩) وتاريخه (١:٣٠٣) للنووى (١:١٧٦) .

(٢) تفسير القرآن العظيم الشعراوى ص (١٢٣٥) الفيحيية .

الذى يتحرف تلك التصرفات العجيبة فلم يعنينا القرآن باسمه تكملة للجو الغامض الذى يحيط بنا وماقيمة اسمه؟ انما يراد به أن يمثل الحكمة الالهية العليا التى لاترتب النتائج القريبة على المقدمات المنظورة بل تهدف الى أغراض بعيدة لاتراها العين المحدودة ، فعدم ذكر اسمه يتفق مع الشخصية المعنوية التى يمثلها ..."(١) .

(٢)الاختلاف فى الخضر هل هو نبى أو ولى ومناقشة الادلة :-

(١) ذهب البعض الى أن الخضر ولى وليس نبى وأدلتهم فى ذلك شتاتى ، والى هذا يذهب الصوفية وذلك كما ذكرنا ليدخلوا طلابهم من باب الولاية ويجعلون له القدم المعلا فى التصرف فى هذا الكون حتى يتحللوا من الشرائع مستندين بقصة الخضر عليه السلام وغو أهوائهم .

قول أهل السنة ممن يقول بولايته :-

قال أبو القاسم القشيرى فى رسالته القشيرية "لم يكن الخضر نبيا وانما كان وليا "(٢) .

أدلتهم :

ودليل من يقولون بولايته دون نبوته يتمثل فى أنه كان عبدا صالحا عالما ملهما لأن الله ذكره بالعلم والعبودية الخاصة ، والاوصاف الجميلة ولم يذكر منها أنه نبى أو رسول (٣) وقالوا أيضا وأما قوله فى آخر القصة " ومافعلته من أمرى " فانه لايدل على أنه نبى وانما يدل على الالهام والتحدث وذلك يكون لغير الانبياء .

---

(١) تفسير الظلال سيد قطب ص (٥:٣٩٩).

(٢) الرسالة القشيرية فى علم التصوف ص (١٦١) دار الكتب العلمية بيروت .

(٣) والى هذا يميل الشيخ ابن سعدى فى تفسيره (٥:٥٧) ورد فى الحاشية محقق الكتاب فى نفس الصفحة بالهامش يقول ابن سعدى (وكان عبدا صالحا لانبيا على الصحيح) .

قال القرطبى رحمه الله عند هذه الآية " كرامات الأنبياء ثابته على ما دلت عليه الأخبار والآيات المتواترة ، ولاينكره إلا المبتدع الجاحد أو الفاسق الحاقد فالآيات ما أخبر الله تعالى فى حق مريم من ظهور الفواكه الشتوية فى الصيف والصيفية فى الشتاء ، وما ظهر على يدها حيث هزت النخلة وكانت يابسة (١) فأثمرت وهى ليست نبية ويدل أيضا ماظهر على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار (٢) .

وأما المتصوفة فلهم أدلة منها :-

أولا: وهم بطبيعة الحال يقولون بعدم نبوته مستدلين بقول سيدنا موسى عليه السلام له حيث قال له فى خرق السفينة " لقد جئت شيئا امرا " و " شيئا نكرا " لأنه يعلم أن هذا مستحيل على النبوة لايتأتى ولايتحدر منها لثبوت العصمة فهذا أكبر دليل على أنه ليس نبى " (٣) .

ثانيا: ومما يذهب اليه البحث فيمن يرون انه ولى فيقولون :-

" لاحجر على الله فى ملكه ولا فى حكمه أن يزيد على غير النبى فى العلم على درجة النبى فانه لاتحجر عليه فى هذا يهب مايشاء لمن يشاء كيف شاء وله الاختيار التام والمشيئة النافذة لاتأخذه القيود ولا الضوابط ولايحيط بعلمه محيط، قال سبحانه وتعالى " ويخلق مالا تعلمون " وهذا فيه .(٤)

---

(١) هذا أمر زائد عن النص ولايدل عليه .

(٢) تفسير القرطبى (١١: ٢٨) .

(٣) صحيفة همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه ،ت،د.رفعت فوزى عبدالمطلب ص (٥٥٩) .

(٤) صحيفة همام بن منبه ، د. رفعت فوزى عبدالمطلب . ص (٥٦٠) .

مناقشة من يقولون بولايته دون نبوته :-

ولكن اذا كان هؤلاء يقولون أنه ولى فهذا يعنى أن النبى أقل مرتبة من الولى فهل يتأتى زيادة غير الانبياء فى العلم أولا ؟.

فأما أهل السنة الذين اختلفوا فى كونه وليا أو نبيا فلا يذهبون الى ذلك ولكن أكثر مايذهبون اليه لكونه لم يأتى بوصف النبوة ووصف بالعبودية وبعضهم اختلف فيه ، فقالوا أنه نبى أو ولى أو أنه من الملائكة ومن جوز أيضا بولايته قالوا يجوز أن يكون قد اوحى الله الى نبى فى ذلك العصر أن يأمر الخضر بذلك وهذه الاقوال حكاها النووى فى شرحه على صحيح مسلم (١) وأما الصوفية فانهم يقطعون بأنه ولى وليس من النبيين وفيما يترتب على ذلك من كون الولى أعلم من النبى ؟ ويقول بعضهم " ان زيادة غير الانبياء فى العلم جائزة فى نفس الامر لا احالة فيه لايزرى ذلك بمرتبة النبى الا أن هناك فرقا أما فى العلم بالله وصفاته وأسمائه وتجلياته وماتشتمل عليه من المنح والمواهب والفيوض فلا مطمع لغير النبى أن يزيد عن النبى فى هذا الميدان فان النبوة أكبر علما وأوسع دائرة وأعظم ادراكا فيما ذكرنا ، اذ لو كان غير النبى فى هذا الميدان يلحق درجة النبى أو يزيد عليها لساده فى الفضل أو كان أفضل منه وأما فيما دون تلك المرتبة من العلم بمراتب الكون ومايقع فيه جملة وتفصيلا وتقلبات أطواره وانكشاف مايقع فيه فى المستقبل قبل وقته وهو كشف الغيوب الكونية فان غير النبى قد يزيد على النبى فى هذا الميدان وهى قضية الخضر بعينها وحقيقة ذلك ان بصائر النبيين والمرسلين أبدا تنظر الى جانب الحق شديدة العكوف والدؤوب عليه فقلوبهم أبدا تنظر الى الله لا التفات بها الى الكون وغير الانبياء لاطاقة لهم على الدوام على هذا الحال

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووى مطبعة الشعب (٥ : ٢٣٠/ ٢٣١) .

انما هم فيه أحوال تارة وتارة فلأجل ذلك يكثر كشفهم للكون وأموره فاذا عرفت وجه اختصاص الخضر بكشف الغيوب دون موسى عليه السلام لأنها غيوب كونية فلا ينتفى زيادة الخضر فيها على موسى لأن موسى شغله عنها ماذكر والخضر لايقدر على ذلك ، على استغراق موسى فى حضرة القدس (١) .

مناقشة أهل السنة الذين يذهبون الى كونه وليا :-

مناقشة أهل السنة فمن يذهبون بكونه وليا لعدم ورود الوصف بكونه نبيا وأن الرحمة فى الآية التى وردت فى قصة الخضر لم يصرح بكونها رحمة النبوة أو رحمة الولاية والجواب على ذلك ، أن الرحمة تعنى النبوة فى كثير من الآيات كما سيأتى فى أدلة من يذهبون الى كونه نبيا فلا معنى لحصر الرحمة هنا فى غيرها وأما أنه وصف بغير النبوة فان فى الآيات والحديث مايشير الى النبوة كقوله تعالى وما فعلته عن أمرى " وقد وصفه الله عز وجل بالعبودية وجاءت بصفة النكرة للدلالة أن الحال الغريبة العظيمة التى جاءت على يديه تجىء على أحوال كثيرين من عباده عز وجل (٢) .

أما ماذكرته الصوفية من الأقوال التى سقتها لك فانها تتعارض مع ماكان عليه الأنبياء من أحوال ، فقولهم أن الولى يعرف الكونيات والنبى مشغول عن ذلك لانشغاله بالحضرة المقدسة فهذا لادليل لهم عليه فان الأنبياء كانوا الى جانب أنهم لهم القدم المعلى فى العبودية والاتصال بالله عز وجل كانوا بشرا تشغلهم الأشياء التى تقع لكل واحد من بنى الانسان ، بل مادة تعرفهم الى الله عز وجل ودعوة غيرهم الى ذلك هو النظر فى الكون .

أما مايستدلون به من انكار موسى على الخضر وهذا يدل على عدم

---

(١) صحيفة همام بن نبه ت رفعت فوزى عبدالمطلب ص (٥٦٠) .

(٢) تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور (١٥ : ٣٦٩) .

العصمة للخضر فان الحديث يبين أن مامع الخضر علم لايعلمه موسى ومامع موسى علمه لايعلمه الخضر .(١)

الأدلة على كون الخضر نبيا وليس وليا :-

الرحمة والعلم اللدنى الذى ذكر الله عز وجل فى قصة موسى مع الخضر لم يبين عن وجل كونها رحمة وعلم النبوة أو رحمة الولاية عليها .

ولكن يفهم من الايات القرآنية أن هذه الرحمة المذكورة والعلم اللدنى أنهما رحمة النبوة وعلم الوحى .

أولا :- لقد جاء تفسير الرحمة فى قوله تعالى " وآتيناه رحمة من عندنا " (٢) بأنها النبوة عن كثير من أئمة التفسير .

ثانيا :- تكرر اطلاق الرحمة فى القرآن على النبوة والرسالة كما فى قوله تعالى فى معرض رده على كفار قريش " أهم يقسمون رحمة ربك " (٣) أى النبوة والرسالة ، وقال تعالى " وماكنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك " (٤) وقال تعالى " أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك " (٥) .

ثالثا :-قوله تعالى " وما فعلته من أمرى " (٦) أى وانما فعلته عن أمر الله جل جلاله وعلا ، وأمر الله انما يتحقق عن طريق الوحى .

رابعا :- لو كان غير نبى لم يخاطب موسى عليه السلام هذه المخاطبة هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا وذلك لينال من عنده العلم الذى اختصه الله به دونه فلو كان الخضر غير

---

(١) انظر حديث البخارى كتاب بدأ الخلق باب حديث الخضر مع موسى

(٢) الكهف آية ٦٥ . (٣) الزخرف آيه ٣٢ .

(٤) القصص آية ٨٦ . (٥) الدخان آيه ٥ .

(٦) الكهف آيه ٨٢ .

نبى لم يكن معصوما ولم يكن لموسى كبير رغبة فى التعلم منه ولاعظيم طلبه حتى ولو أمضى حقبا فى اللقاء به فدل على انه نبى وانما خص من العلوم اللدنية والاسرار النبوية بما لم يطلع الله عليه موسى عليه السلام " (١) .

خامسا :-اقدام الخضر على قتل الغلام وذلك لايكون الا عن طريق الوحى فدل ذلك على نبوته وعصمته ، فان الولى لايجوز له الاقدام على قتل النفوس بمجرد مايلقى فى خلده لان خاطره ليس بواجب العصمة (٢) .

وبعد أن سردنا شبه المتصوفة فى كون الخضر حيا وكونه وليا وأنه الولاية أعظم من النبوة فاعلم أنهم لهم استشهاد آخر من هذه القصة فى ان شان المريد مع الولى ومفادها أن الولى ولو حصلت منه أمورا منكرة فلا ينبغى أن يعترض عليه لان موسى أنكر على الخضر ماحدث منه وقص بعد ذلك جواب أعماله واليك الايجاب على هذه الشبهة (٣) من شبه الصوفية .

(١) ان موسى عليه السلام لم يكن مطيعا للخضر طاعة عمياء كما هو مطلوب من المريد مع شيخه بل كان يعارضه ويناقشه فيما جاء يتعلمه منه فعارضه فى غرق السفينة وفى قتل الغلام ......الخ

(٢) ليس فى القصة مايمكن أن ياخذه المتصوفة على مشايخهم بانهم لو فعلوا أفعالا منكرة فلا ينبغى للمريد أن يعرض لما بين من المناقشة ولكن الوضع الطبيعى من الانبياء بموجب رسالتهم لما

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير (١: ٣٠٥) .

(٢) المرجع السابق (١: ٣٠٥/ ٣٠٦) .

(٣) موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية د. أحمد البنانى جامعة أم القرى بمكة .ط ١٤٠٦ .

يتواضع متجها ولهذا لم عرف أنه صادر من الله سبحانه وتعالى لامن عبد مثله ارتفع الانكار واستسلم وأطاع ، وقال تعالى " ومافعلته عن أمرى " (١) .

(١) الكهف آية ٨٢ .

العلــــم اللــــدنى

(١) المراد بالعلم اللدنى

(٢) مظاهر العلم اللدنى فى القصة

وأعلم أن الصوفية يرون أن العلم اللدنى هو مايحصل بطريق المكاشفات وأنه ماكان حاصلا من الرياضات والمجهدات حتى تكتمل العلوم والمعرف وكل ذلك من غير واسطة معلم ولاسعى وطلب فى التفكير والتأمل ويحصل للنفوس الصافية والجواهر البعيدة عن الجوانب البدنية والنوازع الجسمانية أما غير الصافية فتحتاج الى احتيال فى تعلمها وتعليمها .

يقول الرازى فى تفسيره(١) " والصوفية سمو العلوم الحاصلة بطريقة المكاشفات للعلوم اللدنية .... ثم يقول " اذا أدركنا أمر من الأمور وتصورنا حقيقة من الحقائق فاما أن نحكم عليه بحكم وهو التصديق أو لانحكم وهو التصور ، وكل واحد من هذين القسمين فاما أن يكون نظريا حاصلا من غير كسب وطلب وأما أن يكون كسبيا .

أما العلوم النظرية فهى تحصل فى النفس والعقل من غير كسب أو طلب مثل تصورنا الألم واللذة والوجود والعدم ومثل تصديقنا بأن النفى والاثبات لايجتمعان ولايرتفعان وأن الواحد نصف الاثنين .

وأما العلوم الكسبية فهى التى لاتكون حاصلة فى جوهر النفس ابتداء بل لابد من طريق يتوصل به الى اكتساب تلك العلوم وهذا الطريق قسمين :-

احداهما :- أن يتكلف الانسان تركيب العلوم البديهية النظرية حتى يتوصل بتركيبها الى استعلام المجهولات وهذا الطريق هو المسمى بالنظر والفكر والتقدير والاستدلال وهذا النوع من تحصيل العلوم هو الطريق الذى لايتم الا بالجهد والطلب .

والنوع الثانى :- يسعى الانسان بواسطة الرياضيات والمجاهدات منه فى أن تصير امرى الحجة والخيالية ضعيفة فاذا ضعفت قويت القوة

---

(١) تفسير الفخر الرازى (٢١ : ١٥/١٥٢) .

العقلية وأشرقت الأنوار الالهية فى جوهر العقل ، وحصلت المعارف وكملت العلوم من غير واسطة سعى وطلب فى الفكر والتأمل ، وهذا هو المسمى بالعلوم اللدنية ثم قال اذا عرفت هذا فنقول ، جواهر النفس الناطقة مختلفة بالماهية فقد تكون النفس نفس مشرقة الجبة علوية قلبية " والتعلق بالجوانب البدنية والنوازع الجسمانية ، فلا جرم كانت يسيرة تلك الأنوار على سبيل الكمال والتمام وهذا هو المراد بالعلم اللدنى وهو المراد من قوله تعالى " وآتيناه من لدنا علما " .

وهذا منطق البراهمة (١) فى أن سعادة الأرواح بتعذيب الأبدان ، وحرمانها من لذاتها ولذلك جدوا فى البعد عن اللذات الجسمانية ،

ولهذا أن من قالوا بولايته وحياته واتصاله بالأولياء حتى يحسنوا وحيا آخر للناس يتخبطون فى ظلماته ومن ذلك أن الخضر ولى منهم وأن الالهام الذى يأتى له شأن الوحى . وهذا باطل لما عرف فى الأصول أن الالهام من الأولياء لايجوز الاستدلال به على شيء لعدم العصمة (٢) وكما عرفت سابقا فى الفرق بين الولى والنبى ، فكيف اذا كان الولى غير صادق ومخالف لطريقة النبوية ، فهذا لاشك سوف يظهر عليه الدجل وأعمال الشياطين الذى حكاه ويحكيه المتصوفة فى كل زمان ومكان " وليعظم فى ولايته عظائم تحل بعضها الى الكفر .

قال صاحب التحرير والتنوير :

" ومن هذا يبطل أحد ماأسسوه أن العلم الذى أوتيه ليس وحيا ولكنه الهام ، وحياته باقية لتلقى العلوم الباطنية ولهذا يظهر

---

(١) المنار محمد رشيد ص (١: ٢٣) .

(٢) أضواء البيان للشنقيطى (٤: ٧٥٩) .

أهل المراتب العليا من الأنبياء فيفيدهم من علمه ماهم أهل التلقية ، وبنوا على ذلك أن الالهام ضرب من ضروب الوحى ، وسموه الوحى الالهامى وأنه يجيىء على لسان ملك الالهام وأنظر فى هذا ماأورده محيى الدين ابن العربى فى الفتوحات المكية فى الباب الخامس والثمانين وبين الفرق بينه وبين وحى الأنبياء بفروق وعلامات ذكرها منثورة فى الأبواب الثالث والسبعين والثامن والستين بعد المائتين والرابع والستين بعد ثلاثمائة وجزم بأن هذا الوحى الالهامى لايكون مخالفا للشريعة (١) .

وخلاصة القول فى العلم اللدنى ماأورده ابن القيم حيث يقول " فالعلم اللدنى ماقام الدليل الصحيح عليه أنه جاء من عند الله على لسان رسله ، وماعداه فلدنى من لدن نفس الانسان منه بدأ واليه يعود وقد انبثق سد العلم اللدنى ورخص سعره حتى ادعت كل طائفة أن علمهم لدنى وصار من تكلم فى حقائق الايمان والسلوك وباب الأسماء والصفات بما يسنح له ويلقيه شيطانه فى قلبه ، ويزعم أن علمه لدنى فملاحدة الاتحادية وزنادقة المنتسبين الى السلوك يقولون أن علمهم لدنى (٢) .

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور (١٦ج١٦) باختصار .

(٢) أنظر مدارج السالكين ابن القيم (٢:٤٧٥)، (٣:٤١٦-٤٣٣) وأنظر قوله " وقد وضع فى العلم اللدنى فهو عند المتكلمين ،وزنادقة المتصوفين وجهلة المتفلسفين ، وكل يزعم أن علمه لدنى ، وصدقوا وكذبوا فان (اللدنى) منسوب الى (لدن) بمعنى (عند) فكأنهم قالوا العلم اللدنى ،ولكن الشأن فيمن هذا العلم عنده ومن لدنه ، وقد ذم الله بأبلغ الذم من ينسب اليه ماليس من عند الله كما قال تعالى " ويقولون هو من عند الله وماهو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون " .

مظاهر العلم اللدنى فى قصة الخضر :-

ويمكن هنا أن نوضح الى ماتعرضنا له من قضايا حول الخضر بالقاء الضوء على الايات الكريمات فى ايجاز .

بعد أن ذكر الله عز وجل ابليس وخطئه فى عدم اتباعه أمر الله عز وجل عقب قصة موسى عليه السلام وتواضعه وسعيه فى مصاب ربه وأهمها الزيادة فى العلم ، والاعتراف بفضل أهله يتبين اختلاف الخلقين من المخلوقين ابليس وموسى عليه السلام .

فبدأت القصة بعزم موسى عليه السلام الطواف لطلب نفع صالح وذلك بطلب لقاء من هو على علم لايعلمه موسى كما ورد فى الحديث ، وفصل القصة بتماميا (فوجدوا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) (١) ومعنى كون هذا العبد أعلم من موسى أنه يعلم علوما من معاملة الناس لم يعلمها الله لموسى ووصف بالعبودية تشريفا له وعدل الى الاضافة الى التنكير لبيان ماهو حاله الا من أحوال عباد كثيرين لله تعالى ومامنهم الا له مقام معلوم (٢) .

وايتاء الرحمة : يجوز أن يكون معناه أنه جعل مرحوما ، وذلك بأن وفق الله به فى أحواله ويجوز أن يكون معلنا سبب رحمته بان تصرف تصرفا يجلب الرحمة العامة ، والعلم من لدن الله هو الاعلام بطريقة الوحى (٣) .

ثم دار الحوار بينهما بعد الالتقاء وطلب موسى عليه السلام (لما أعلمه الله عز وجل أن لديه علما لايعلمه) أن يعلمه من العلم النافع وهو لايتعلق بالتشريع للأمة الاسرائيلية ، فان موسى مستغن فى علم التشريع عن الازدياد الا من وحى الله اليه مباشرة ـ وهذه

---

(١) الكهف آيه ٦٥ .

(٢) تفسير التنوير والتحرير لابن عاشور (١٥ : ٣٧٩، ٣٧١) .

(٣) المصدر السابق (١٥ : ٣٦٩) .

الزيادة التى طلبها موسى خير لأن العلوم النافعة خير حيث قال تعالى " وقل رب زدنى علما " وهذا العلم الذى أوتيه الخضر هو علم سياسة خاصة غير عامة تتعلق بمعنى يجلب مصلحة أو دفع مفسدة بحسب ما تجيئه الحوادث والأكوان لابحسب مايناسب المصلحة العامة ، ونظير ذلك معرفة النبى صلى الله عليه وسلم من عدم اهتداء بعض المشركين والمنافقين وهو مع ذلك يدعوهم دوما الى الايمان .

وبعد أن حذر الخضر موسى وبين له أنه لو تجشم أن يصبر لم يستطع ، واستعان موسى بالله عز وجل وأكد له صبره وطاعته ، والزم موسى عليه السلام ذلك أيضا لحكمة متبوعة لأن الله أخبر بأنه آتاه علما "(١) وتجوز الخضر بكونه لايصبر على ماسيحدث ليس عن علم بالغيب أن موسى لن يقدر ولكن على علم بالحوادث أنه لايطيقها .

<u>مظاهر العلم اللدنى التى حصلت من الخضر وماذا حصل من موسى عليه السلام تجاهها :-(٢)</u>

قال تعالى " فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا امرا " (٣) .

<u>وبيان ذلك :-</u>

(١) استأجر موسى عليه السلام مع الخضر سفينة وعندما ركباها عمد الخضر الى ثقبها وشق فيها فلما أنكر موسى عليه السلام ماهو سبب وزريعة للغرق فقال له الخضر ألم أحدثك من قبل بعدم الاستطاعة ؟

فعندما اعتذر موسى بالنسيان وكان قد نسى التزامه بما غشى ذهنه من مشاهدةماينكره ولهذا قال لقد جئت شيئا امرا والامر الامر الفظيع العظيم ، وساله موسى الاغضاء والصفح واعتذر بالنسيان .

(٢) ثم قال الله تعالى عن المظهر الثانى :-

قال تعالى "فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا

---

(١) ، (٢) المصدر السابق باختصار (١٥:٣٧١) . (٣) الكهف آيه ٧٢ .

زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا " (١) وبعد الاعتذار بالنسيان انطلقا حتى قابلا غلاما لم يبلغ الحلم ولم يقترف ذنبا فكان زاكيا طاهرا فقتله الخضر فهنا استنكر موسى مافعله الخضر لأن هذا تنكره العقول وتستقبحه ، وهذا فساد حاصل بالفعل الآخر الذى سبق ذريعة للفساد وبهذا قال " لقد جئت شيئا نكرا " (٢) فأعاد الخضر على موسى فقال " ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا " (٣) وقرر هنا بأشد مما سبق وأقوى وهنا لم يعتذر موسى بشيء سوى أنه أعلمه أن أعذر اليه فى بلوغ قطع أن سأله بعد ذلك من شيء وذلك حتى تطمئن نفس صاحبه فجعل له أن لايصاحبه بعد ذلك ان سأله عن شيء بعد ذلك وموسى هنا لم يعتذر بالنسيان لأنه لم ينس ولكنه رجح تغيير المنكر العظيم على واجب الوفاء والالتزام أو أنه لم يعتذر به للحاجة الى تكراره مرة ثانية .

وفى الحديث " كانت الأولى من موسى نسيانا والثانية شرطا " (٤) .

(٣) المظهر الثالث :-

"فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا " (٥) .لام موسى عليه السلام الخضر اذ لم يأخذ أجرا على اقامة الحائط على صاحبه من أهل القرية وكان الأولى حرمانهم من اقامته لحرمانهم لحق الضيافة والجدار كان مائلا آيلا للسقوط فأشار اليه الخضر بيده فسواه وتلك خارقة وكرامة من الله

---

(١) الكهف آيه ٧٤ . (٢) الكهف آيه ٧٤ .

(٣) الكهف آيه ٧٥ .

(٤) صحيح البخارى كتاب الشروط باب الشروط على الناس بالقول ص (١٧٦/١٧٧) ٣ المجلد الأول .

(٥) الكهف آيه ٧٧ .

عن وجل له ، وهذا اللوم ليس من موسى لمجرد اقامة الجدار لأن هذا من فعل الخير ولكن كان سؤالا عن سبب ترك المشارطة على اقامة الجدار عند الحاجة الى الأجر . –

فعند ذلك افترقا وأخبره الخضر عن هذه الأعمال والتى لم يستطع الصبر عليه حتى يبين أسباب فعله ذلك فأولا ماتعلق بخرق السفينة :–

(١) أخبره أن السفينة كانت لضعفاء مال يسترزقون الله عز وجل بسفينتهم وكان ملك تلك البلاد يأخذ كل سفينة طيبة ويحملها ويسخر أهلها لمصالحه الشخصية فعاب تلك السفينة حتى يعرض عنها ، ولو كان التسخير للناس أو لأمة لما كان فى ذلك مضرة ولكنه كان يسخرها لشهواته ومنافعه الخاصة كما كان الفراعنة يسخرون الناس لأنفسهم ، فلما عابها أعرض عنها الملك ولم يسخرها لنفسه ففى ذلك كان يراعى المصلحة الخاصة لكونه عالما بحال الملك فتصرف الخضر قائممقام تصرف المالك فى حقه ، فتصرفه فى الظاهر افساد وفى الواقع اصلاح لأنه ارتكب أخف الضررين وهذا أمر لم يطلع عليه الا الخضر لذلك انكره موسى عليه السلام .

وثانيا :–ماتعلق بقتل الغلام :–

(٢) وأما قتل الغلام فقد أعلم الله عز وجل الخضر بما يكون من شأن هذا الغلام من الطغيان والكفر ومايقتضى ذلك من الآثار على والديه فاراد الله عز وجل بحفظ ايمانهما وسلام العالم من هذا الطاغى لطفا أراده الله عز وجل خارقا للعادة جاريا على مقتضى سبق علمه وفى هذا مصلحة للدين بحفظ أتباعه من الكفر فهو مصلحة خاصة فيه حفظ للدين ومصلحة " عامة " لأنه حق الله تعالى فهو كحكم قتل المرتد .

وثالثا : ماتعلق باقامة جدار اليتيمين :–

لأبيهما على صلاحهما اذ علم الله أن اباهما كان يهمه أمر

عنهما بعده فلو سقط الجدار قبل بلوغهما لتناولته الأيدى بالحفر والاصلاح وعثروا على ماتحته من كنز وفيها أنهما سيكبرا ويحلها وضع الجدار وهذا من الغيب الذى لايعلمه الا رسول .

(٤) ثم صرح الخضر أن تلك التصرفات رحمة من ربك لازالة انكار موسى وأن هذه التصرفات رحمة " ومصلحة" وكان من علم الوحى الذى أعلمه الله عز وجل " ومافعلته عن أمرى "(١) .

وما أحسن ماقال بعض المفسرين (٢) فيما جرى بين الخضر وموسى عليه السلام وعلى أن ماحدث من موسى حجة عليه لا له .

قال القرطبى " ذلك أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أين كان تدبيرك هذا وأنت فى التابوب مطروحا فى اليم ؟ اشارة الى ماورد فى قوله تعالى " اذ أوحينا الى أمك مايوحى أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فليلقه اليم بالساحل" وقوله تعالى فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى " ولما أنكر القضاء على الغلام نودى :- ياموسى أين انكارك هذا من ركزك المصرى وقضاءك عليه ؟ اشارة الى ماورد فى قوله " فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه " .

ولما أنكر اقامة ميل الجدار دون اقتضاء وأجر نودى : ياموسى اين هذا من رفعك حجر البئر لما وردت ماء مدين وسقيك للبنتين دون أجر ؟ اشارة الى قوله تعالى " ولما ورد ماء مدين ..... الايات .

وكل هذه الأمور حدثت مشابهة لها مع الخضر لكنها من قبل الخضر وموسى على مشهد يراها فسبحان الذى يعلم عباده مايشاء .

وبعد هذا فلا حجة للمتصوفة فيما ذهبوا ويذهبون اليه من أمور

---

(١) الكهف آيه ٨٢ .

(٢) التيسير فى أحاديث التفسير للشيخ محمد المكى الناصرى دار الغرب الاسلامى الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ بيروت .

استتروا به تحت قصة الخضر منها أن للشريعة ظاهرا وباطنا ويخالفون بذلك الشريعة الاسلامية لان لهم اتصالا بالخضر وبالعلوم اللدنية التى يبررون بها مخالفتهم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (١) رحمه الله " لاحجة للمتصوفة بقصة الخضر لوجهين الاول : ان موسى لم يكن مبعوثا الى الخضر ولاكان على الخضر اتباع موسى فان موسى كان مبعوثا الى بنى اسرائيل ولهذا قال الخضر لموسى :- انك على علم من علم الله علمك اياه لاأعلمه أنا وأنا على علم من علم الله علمنيه لاتعلمه (٢).

وقال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى جميع الثقلين فليس لاحد الخروج عن متابعته ظاهرا أو باطنا ولا عن متابعة ماجاء فى الكتاب والسنة فى دقيقة ولاجليه لافى العلوم ولا فى الاعمال وليس لاحد أن يقول له كما قال الخضر لموسى ".

الثانى :- أن قصة الخضر عليه السلام ليس فيها مخالفه للشريعة بل الامور التى فعلها تباح فى الشريعة اذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ولو كان فيها مخالفة للشريعة لم يوافقه بحال

ويضرب رحمة الله مثلا لذلك بشخصين " دخلا بيتا لشخص ثالث . وكان احد الشخصين يعلم طيب نفس صاحب البيت بالتصرف فية اما باذن لفظى له او بغير ذلك والاخر لا يعلم ذلك ، فالاول ان تصرف فى البيت فقد اتى مباحا فى الشريعة والاخر لا يتصرف فية لهذا السبب ، اى حتى لا يأتى محظورا فى الشريعة فخرق السفينة وقتل الغلام وغيرة كان من هذا الباب (٤).

---

(١) الفتاوى ، (١١ : ٤٢٥).

(٢) صحيح البخارى ، كتاب بدا الخلق ، باب حديث الخضر .

(٣) مجموع الفتاوى ، ابن تيمية (١١ : ٤٢٣).

(٤) المرجع السابق : (١١ : ٤٢٦).

مواقف العلم والدعوة والايمان
من قصة موسى مع الخضر

(١) دروس العلم والتعليم وهى اساسية للداعية .

(٢) دروس الدعوة .

(٣) دروس العقيدة .

المواقف الايمانية ومواطن العبرة من قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر :-

أمور تتصل بالعلم والتعلم : ولاشك أنها تهم الداعية اذ طريق العلم هو الركن الأساسى للداعية واليك الأمور المتصلة بالعلم والعلماء وطريقة التعلم :

(١) أن الله رفع العلماء بعضهم فوق بعض درجات فلا ينبغى لذى عالم أن يعتقد أن عنده منتهى العلم ، أو جميع أنواع العلم ، وأنه سبحانه وتعالى يفيض على شخص بما لايفيض على الآخر (١).

(٢) لاينبغى لذى عالم أن يقنع بما عنده من العلم دون أن يطلب المزيد (وقل ربى زدنى علما) (٢) .

(٣) التزام الأدب مع العالم وان كان عالما مثله فلا يعترض على الطريقة التى يختارها معلمه لتعليمه .

(٤) على العالم أن يرقى نظره الى حكمة الأشياء وأسرارها ومقاصدها وأهدافها دون الوقوف على الظواهر ، والا أداه ذلك الى الوقوع فى الخطأ .

(٥) كثرة سؤال المتعلم يؤدى الى المضايقة والاملال ولهذا ينبغى أن يتأنى ولايستعجل من هو أعلم منه ، ولهذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم " يرحم الله موسى لوددنا أنه صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما " (٣) .

(٦) حق المعلم على المتعلم الاقتداء به والاتباع قال تعالى " هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا " (٤) .

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٢٦:١١). (٢) طه آيه

(٣) (٥:١) من التيسير فى أحاديث التفسير محمد المكى الناصرى (٤٦٠٩:٢) باقتباس .

(٤) الكهف آيه ٦٦ .

(٧) أهم صفات طالب العلم الصبر والطاعة قال تعالى حكاية عن موسى " ستجدنى صابرا ولا أعصى لك أمرا " (١) وقال تعالى حكاية عن لوم الخضر لموسى فى عدم صبره واستعجاله " سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا " (٢) لأنه قال " فلاتسألنى عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا " .

(٨) أهمية العلم يوضحه بقوله تعالى حكاية عن موسى " لاأبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا " (٣) وفيه تصميم أنه لايشتغل بشيء آخر حتى يبلغ مجمع البحرين .

(٩) همة طالب العلم القوى لاراحة له حتى يصل مبتغاه .

(١٠)التدرج عند المخالفة من طالب العلم :-

(١) ألم أقل لك (٢) ألم أقل أنك (٣) هذا فراق بينى وبينك

(١١)دور الشيطان فى الصد عن العلم وعن لقاء العلماء قال تعالى حكايةعن فتى موسى عليه السلام " وماأنسانيه الا الشيطان أن أذكره (٤) .

فما حصل له من نسيان أن يخبر موسى بتلك الحادثة نسيان ليس من شانه أن يقع فى زمن قريب فانه (بعض يوم) من شدة الاهتمام بالأمر المنسى أعجوبة شانها أن لاتنسى بتعين أن الشيطان ألجاه باشياء عن أن يتذكر ذلك الحادث العجيب وعلم يوشع أن الشيطان يسوءه التقاء هذين العبدين الصالحين ، وماله من أثر فى بث العلوم الصالحة فهو يصرف عنها ولو بتأخير وقوعها طمعا فى حدوث العوائق .

---

(١) الكهف آية ٦٩ .

(٢) الكهف آية ٧٨ .

(٣) الكهف آية ٦٠ .

(٤) الكهف آية ٦٣ .

(١٢) خطاب المتعلم ألطف بخلاف أهل الجفاء والكبر الذين لايظهرون للمعلم افتقارهم الى علمه فجد من أنفع شيء لطالب العلم " هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا " (١) (١٣) اضافة العلم لله عز وجل سواء من الطالب أو من المتعلم (مما علمت رشدا) .(٢) أى مما علمك الله .

(١٤) العلم النافع الذى فيه رشد للانسان وتحذير عن طريق الشر (مما علمت رشدا) (٣) .

(١٥) السبب الكبير لحصول الصبر احاطة الانسان علما وخبره بالأمر المراد صبره عليه " وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا " (٤).

(١٦) أن المعلم اذا رأى المصلحة فى ايعازه للمتعلم أن يترك الابتداء فى السؤال عن بعض الأشياء ، حتى يكون المعلم هو الذى يوقف عليها فان المصلحة تتبع ، كما اذا كان فهمه قاصرا ، أو نهاه عن التدقيق فى سؤال الأشياء التى غيرها أهم منها ، أو لايدركها ذهنه ، أو يسأل سؤالا لايتعلق بموضوع البحث .(٥) .

ثانيا :- أمور تتصل بالدعوة والداعية :-

(١) الابتداء بالأهم فان زيادة العلم وعلم الانسان أهم من ترك ذلك والاشتغال بالتعليم ، من دون تزود من العلم ، والجمع بين الأمرين أكمل فاذا تعلم الانسان علما طبقه وعلمه غيره ولم يكتف بحد التعليم واذا كان مشغولا فى مجال الدعوة فليس فى هذا مايجعله لايطلب علما والأحسن الجمع بينهما .

---

(١) من (٦:١٠) من تفسير التحرير والتنوير ابن عاشور(١٥:٣٦٠/٣٧٨) باختصار واقتباس .

(٢) الكهف آيه (٣) الكهف آيه

(٤) الكهف آيه

(٥) من (١١:١٦) تفسير ابن سعدى ص (٦٣:٧٢) بتصرف .

(٢) أن المعونة تنزل على العبد على حسب قيامه بالمأمور به ، وأن الموافق لأمر الله يعان مالايعان به غيره لقوله " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " (١) والاشارة الى السفر المجاوز لمجمع البحرين فان الاول :لم يشتك التعب مع طوله لأنه هو السفر فى الحقيقة ،وأما الآخر فالظاهر أنه بعض يوم لأنهم فقدوا الحوت حين آووا الى الصخرة .

(٣) الصبر فى مجال الدعوة كالصبر فى مجال العلم :-
فان من ليس له قوة كالصبر على صحبة العالم والعلم وحسن الثبات على ذلك أنه ليس بأهل لتلقى العلم والقيام بالدعوة

(٤) العفو فى معاملات الناس وعدم تكليفهم بما لايطيقون:-
ينبغى للداعية أن يأخذ من أخلاق الناس ومعاملاتهم بالعفو منها ، وماسمحت به أنفسهم ، ولاينبغى أن يكلفهم مالا يطيقون أو يشق عليهم ويرهقهم فان هذا مدعاة الى النفور منه والسآمة ، بل يأخذ المتيسر لتيسير له الأمور.

(٥) على الداعية أن يكون عارفا أن الأمور تجرى أحكامها على ظاهرها وتعلق بها الأحكام الدنيوية فى الأموال والدماء وغيرها وهو مع هذا عليه أن يعرف أسرار الأشياء ومقاصدها كما هو واضح فى القصة ، فلا يكون غبيا ولا الظن يغلبه فيأخذ الناس على ظواهر تقوية لأحوالهم واذا عرف أحوالهم الداخلية فلكى تتثبت الأمور لديه وخاصة فى معالجتهم وهذا لايعنى أنه يعرف الغيب ولكنه عليه أن تكون له فراسة يعرف ماذا يعانون فى داخلهم .

(٦) على الداعية الا يكتفى فى دعوته بالقول بل تكون عملية وعليه أن يدفع الشر الكبير بارتكاب الشر الصغير ويراعى أكبر المصلحتين بتفويت أدناهما .

---

(١) الكهف آية ٦٢ .

(٧) على الداعية أن لايوافق الناس فيما يظهر لديه أنه منكر ، وليعرف أن عدم الموافقة تسبب قطع المرافقة فيجعله لله عزوجل .

<u>أمور الاعتقاد فى قصة موسى مع الخضر :-</u>

(١) تعليق الأمور المستقبلية التى من أفعال العباد بالمشيئة وأن لايقول الانسان لشئ انى فاعل ذلك فى المستقبل الا أن يشاء الله " ستجدنى ان شاء الله صابرا ولاأعصى لك أمرا " (١)

(٢) استعمال الأدب مع الله تعالى فى الألفاظ فان الخضر أضاف عيب السفينة الى نفسه بقوله " فأردت أن أعيبها " (٢) وأما الخير فأضافه الى الله تعالى بقوله " فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك " (٣)

(٣) ثبوت حدوث الكرامات والخوارق للصالحين والأنبياء فمنها تسرب الحوت الى البحر وهو كرامة وعلامة وتسوية الجدار من قبل الخضر

(٤) وأوضحت تفرد الله عز وجل بالملك والحكمة والارادة والعلم وأن ما من ملك مقرب ولا نبى مرسل الا وعلمه محدود وملكه محدود وارادته محدودة فلا يجوز ولايمكن لأحد أن يتعدى حدود ماأعطاه الله من علم أو ملك أو ارادة ، وأن لله عز وجل أن يهب من يشاء مايشاء من ذلك متى شاء (٤) .

(٥) لطف الله عز وجل بالوالدين من ولدهما الكافر وبالايتام منه عز وجل وارادة يريد الله عز وجل لما كان الاباء يريدون صلاحا وليس فيها اللزوم على الله عز وجل فى أن لايفعل الا الاصلح

---

(١) الكهف آيه ٦٩ . (٢) الكهف آيه ٧٩ .

(٣) الكهف آيه٨٢ .

(٤) موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية د. أحمد بن حمد البنانى ص (٢١٩) .

وليس لطفه واجب عليه فانه عز وجل لطفه وارارته عامة وهى خاصة بمن يسعى فى مرضاته وقد تحصل فهى ليست واجبة الوقوع عليه عز وجل فالله لا يفعل بأمر يحتم عليه وهذا يخالف مايذهب اليه المعتزلة من وجوب فعله عز وجل للاصلح ومن ارادته تعالى انه موافقة لارادة العباد وأن العبد هو الذى يتصرف ولادخل لارادة الله عز وجل ، وهذا مخالف لما عليه أهل السنة والحق .

المبحث الثالث : قتل موسى عليه السلام للقبطى

(١) كيفية حدوث القتل للقبطى ، وهو الانبياء المعصومين قبل البعثة؟

(٢) هل الانبياء معصومون قبل البعثة .

(٣) هل كان موسى قبل البعثة فى ضلال الشرك

مسألة : قتل موسى للقبطى :-

سبق وأن عرفنا أن ظاهر الآيات القرآنية ، أن ماكان من كبائر الذنوب التى حدثت من الأنبياء قبل النبوة كقتل موسى للقبطى ، أما بعد النبوة فلم يرد مايدل صراحة أنهم قد وقعت منهم كبيرة بل كل ماورد فى القرآن كان من باب الخطأ فى التأويل وهنا حول قتل موسى للقبطى مسألتان :

الأولى : تأويل كيفية حدوث القتل للقبطى .

الثانية : هل كان موسى فى ضلال القوم الفرعونى عندما قال له فرعون وكنت من الضالين ؟ وبمعنى آخر هل الأنبياء والرسل يمكن أن يقتدوا فيما وقع أقوامهم فى جانب الشرك والضلال فى العقيدة أو أن الأمر لايتعدى ماهو واضح عن القرآن الكريم أنه ماقد حدث من الأنبياء قبل النبوة فى شأن كبائر الذنوب كالقتل مثلا .فهو من قبيل الخطأ .

المسألة الأولى: هل الأنبياء معصومون من الكبائر قبل البعثة ؟ وكيف حدث القتل للقبطى من قبل موسى عليه السلام ؟

قال تعالى " ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى هو من عدوه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين .... الخ الآيات :(١) .

قد ذكرت من قبل تقدم موسى عليه السلام لحل النزاع بين القبطى والاسرائيلى الذى من شيعته (٢) ، وموسى عليه السلام كان ذا شخصية

---

(١) القصص : اية ١٤ ـ ١٧ .

(٢) الفتوحات الالهية سليمان الجمل (٣ : ٣٤١) .

انفعالية لاتقبل الظلم وكان ذلك القبطى كالصائل الذى لااثم فى دفعه بل هو واجب واغاثة موسى عليه السلام كانت اغاثة المظلوم وهو فى دين الملل كلها دين فرض فى جميعها فدفعه موسى ورد الظلم من الاسرائيلى بوكزة لاتقتل غالبا فوافقت تلك الدفعة أجله فمات القبطى ، وهذا من أولى الاقوال عندى فى مسألة قتل موسى للقبطى حيث أنه أخطأ فلم يعتمد الى قتله ولم تكن الدفعة والجلدية تقتل أمثالها غالبا وانما عده من عمل الشيطان وسماه ظلما واستغفر منه على سبيل استعظام محقرات فرطت منه .

الأمر الثانى أنه من قبيل نصر المظلوم ودفع الصائل عن النفس وعن الغير ولهذا لما طلب منه الله عز وجل المغفرة أن لايعود الى مثلها فغفر له وبهذا يتبين من ملابسات القتل أنه خطأ وان كان من قبيل احقاق الحق وقد غير موقفه مما يجرى فى المجتمع من ظلم ؛ وأراد الله عز وجل أن يكون مدافعته للباطل بهذه الوكزة التى لاتقتل فى الغالب وحدث منه القتل وكانت سببا فى المفاصلة بين المجتمع الجاهلى وموسى عليه السلام وكانت سببا لهجرته كما أشرت من قبل (١) .

المسأله الثانية : هل الانبياء غير معصومين من الشرك والكفر قبل النبوة ؟ وهل يفهم من قصة موسى عليه لسلام مثل ماورد حكاية على لسان فرعون كقوله تعالى " وأنت من الكافرين وكقوله على لسان موسى عله السلام " فعلتها وأنا من الضالين " أن موسى عليه السلام كان فى ضلال قبل البعثة ؟ أو كفر ؟ .

من المسلم به أن الانبياء معصومون من الكفر والشرك قبل النبوة لامن الخطأ والوقوع فى بعض الكبائر كالذى وقعت من موسى عليه

---

(١) أنظر فى باب الدعوة موقفه مما يجرى فى المجتمع الجاهلى

السلام فى شأن القتل والسبب فى ذلك عدة أمور :-

(١) " أن العقول السليمة تأبى أن تنقاد لمدعى التوحيد وقد عرف من قبل أنه كان مشركا " .

(٢) " لم نجد من الأقوام فيما رموا به من الأنبياء رميهم بأنهم كانوا من المشركين فرموهم بالسحر والجنون " (١) .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية " وقد اتفق المسلمون على أنهم معصومون فيما يبلغون عن الله فلا يجوز أن يقرهم على الخطأ فى شيء مما يبلغونه ، وبهذا يحصل المقصود منه وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيا لايخطيء أو لايذنب فليس فى النبوة مايستلزم هذا " (٢) .

بعض النصوص التى يفهم منها البعض أنهم قد وقعوا فيما وقع فيه أقوامهم من الشرك والضلالة ؟ .

كقوله تعالى حكاية على لسان موسى عليه السلام عندما وبخه فرعون فى كونه قتل القبطى " قال فعلتها اذا وأنا من الضالين" (٣) وأن الضلال هنا ضلال الكفر وكقوله تعالى حكاية على لسان شعيب " قد افترينا على الله كذبا أن عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها " (٤) وهذا يفهم البعض من العود أن أنهم كانوا قبل الرسالة على ماعليه القوم من الكفر والضلال .

وكقوله تعالى " وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا " (٥) وقد رد على أن العود فى هذه وغيرها أو

---

(١) عصمة الأنبياء والرد على الشبه الموجهة اليهم د.محمد أبو النور الحديدى . مطبعة دار الأمانة ١٣٩٩ هـ (٧٦) .

(٢) منهاج السنة ابن تيمية (٢:(٣١) ت. محمد رشاد سالم ، مكتبة دار العروبة ١٣٨٤ هـ .

(٣) الشعراء : آية ٢٠ . (٤) الاعراف : اية ٨٩ .

(٥) ابراهيم : اية ١٣

السابقة لها مدفوع بما ذهب اليه من عدة وجوه (١) .

الأول :- " أن الكفار ظنوا أن الأنبياء على ملتهم اذ قد نشأوا فيهم ولم يظهروا المخالفة لهم قبل البعثة والحقيقة لم يكن الأمر كذلك وقولهم ذلك على ظن الكفار أن الأنبياء على ملتهم ولم يكن الأمر كذلك .

الثانى : أنه يقصد لتعودن الى ماكنتم عليه قبل ادعاء الرسالة من السكوت عن تعييب ديننا وعدم التعرض له بالطعن والقدح (٢).

الثالث : أن الكفار من الأمم خاطبوا بهذا كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب اتباع الرسول عليه (٣) .

الرابع : ماذكره الشيخ د.الحديدى بقوله " أن العود فى جانب الرسل عليهم الصلاة والسلام ليس بمعنى الرجوع الى الكفر المقتضى اتصافهم به أولا بل بمعنى الصيرورة وهى وجود شيء بعد ان لم يكن أى ليكونن أحد الأمرين اخراجكم أو صيرورتكم فى ملتنا .

واستدل لذلك من اللغة ومن الشرع :-الاستدلال اللغوى :

قال الشاعر :

تلك المكارم لاقعبان من لبن   شيب بماء فعادا بعد أبوالا

أى ماأنت عليه من رضا الفعال ، وكريم الخصال هو المناقب الجميلة لا قدحان من لبن خليط بماء وصار بعد شربه بولا ، وماكان لبن القعبين قبل شربه بولا ، ثم قال " وقال الزمخشرى : العود بمعنى الصيرورة كثيرة فى كلام العرب وأما من الشرع فقد استند بقول النبى صلى الله عليه وسلم (٤) الذى أخرجه مسلم فى صحيحه أنه قال

---

(١) أورد هذه الوجوه صاحب كتاب العصمة الانبياء ، محمد أبو النور الحديدى ص (٦٦ ، ٦٧) .

(٢) تفسير الكبير للرازى (١٩:١٠٠) . (٣) تفسير النسفى (٢:٢٥٧).

(٤) عصمة الانبياء د. محمد الحديدى ص (٦٧٨ : ٦٨) .

" يقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط كما تخرج الحبة من حميل السيل " الحديث .

فمعنى عادوا صاروا والحمم الفحم ، الواحدة حمة أى صاروا فحما سوادا اذ لم يكن الجهنميون قبل ذلك حمما .

قال النووى وليس بلازم فى "عاد" أن يرجع الى حالة كان عليها قبل ذلك بل معناه صار انتهى كلامه .

المسألة الثانية : هل كان موسى قبل البعثة فى ضلال الشرك .

اعلم انه لم يكن موسى على ضلال قبل البعثة ، ولايصح أن يفهم من قوله تعالى حكاية على لسان موسى " قال فعلتها اذا وأنا من الضالين " على أن كان فى ضلالهم .

وقد وجه معنى هذا الضلال العلماء من المفسرين فقالوا (١) " ان الضلال هنا بمعنى الخطأ وعدم التعمد لقتله وانما أراد دفعه فوكزه غيابات عن وكزه ومشتدلايحدث منه ، لانه خطأ محقق منه فان المعنى الصحيح الذى ينبغى أن يحمل عليه أننى فعلت الوكز وأنا ذاهل عن كونه مؤديا الى القتل لانه لا يؤدى الى القتل غالبا وأما قوله تعالى حكاية فى فرعون بأنه وصف موسى بأنه كافرا " وأنت من الكافرين " فان كان فرعون معطلا لايعترف باله غيره فانه يعنى أنك من الجاحدين لنعمتى اذ الكفر كفر نعمة وكفر اعتقاد وفرعون كما

---

(١) وبذلك تعرف كما قال الجوينى " لايجب عصمة الانبياء عن صغا الذنوب وآى القرآن فى أقاصيص النبيين فسموته بالتنصيص على هنات كانت منهم ، استوعبوا أعمارهم فى الاستغفار منها " . نظريات شيخ الاسلام ابن تيمية فى السياسة والاجتماع "هنرى لاووست" تقديم وتعليق مصطفى حلمى ، دار الانصار - القاهرة (٥١/٥٢) .

عرضنا لا يعترف على أنه الاههم الا من سبيل تكذيبهم وأنه المشرف على الآلهة وسلبلها لا على أنه هو الخالق فهو المربى لهم وان كان فرعون يعترف بالله عز وجل فى قرارة نفسه ويعلم كذب نفسه وصدق أنبياءه ، فهو بمعنى كيف تكون رسولا وأنت من الكافرين اذ كانوا يرون أن القتل كفرا وفيه اعتراف فرعون على نفسه بأنه من الكافرين .

قال ابن سعدى :(١)

قال رحمه الله قال رحمه الله عند قوله تعالى " وأنت من الكافرين " أى أنت اذ ذاك طريقك طريقنا وسبيلك سبيلنا فى الكفر فاقر على نفسه بالكفر من حيث لايدرى .

قال فى الحاشية وهذا القول يوهم أن موسى كان على ملة فرعون قبل الرسالة وهذا غير صحيح لأن الأنبياء معصومون من الكفر وساطة "

قلت والله أعلم أن كلام الشيخ حكاية على لسان فرعون وقوله لايلزم منه أن موسى على دينه بل هو على تصور فرعون كما قد عرفت فى معنى وما كان لنا أن نعود فيها " .

وحل المفسرين بأن الكفر هنا كفر النعمة وابن سعدى يرى أن الكفر هنا الكفر الأكبر ، والحق أنه كفر النعمة كما ذهب اليه كثير من المفسرين ، ولأن فرعون لم يكن يعرف الكفر بالله وكان يعتقد أنه هو الرب وعندى أيضا لامانع مما ذهب اليه ابن سعدى باعتبار فرعون كان يتجاهل الربوبية لله عز وجل فمعنى فرعون كافرا عند الله لقتله القبطى ولهذا استبعد أنه كيف يرسل من هو كافرا أصلا ؟ والله أعلم .

---

(١) تفسير ابن سعدى (٥:١٠٥) .

الفصـــل الثالث

المعـــاد واليوم الآخر

فى قصة موسى عليه السلام

المبحث الاول : التعريف بالبعث والجزاء واقسام الجزاء ومراتبه

المبـحث الثـانى : دعوة مـوسى عليـه السلام الى الايـمـان بالبعث والجزاء .

****

تمهيد للفصل الأخير من الباب الثاني :-

لقد كان الشعب المصرى يعترف باليوم الآخر وبالحياة بعد الموت ولكن وفق تصور بشرى وكان الفراعنة يبنون الأهرام لهذه الأغراض وقد وضعوا حليهم وحللهم مع موتاهم ظنا منهم بحياتهم الثانية وحاجتها لهذه الأشياء بل ذهبوا أكثر من ذلك فاعتقدوا سيطرة الأموات على الأحياء ولهم فى ذلك كتب كثيرة يعملون بها .

ولقد جاءت قصة موسى عليه السلام حاوية أمور المعاد فى كثير منها فجاء على لسان السحرة ومؤمن آل فرعون ذكر الآخرة والجنة والنار ويوم القيامة ويوم التناد الأمر الذى يوضح لنا دعوة موسى عليه السلام الركن الذى يعتبر من لوازم الركن الأول (١) وهو الايمان بالله عز وجل وحكمته الذي يتحقق فيه ماوعد أولياءه وماأعد لأعدائه به

ولقد ندد القرآن بكفرهم فى هذه القضية حيث أنهم كانوا على طريقة تخالف ماجاء به رسل الله عز وجل فى أمر المعاد قال تعالى حكاية على لسان يوسف " وهم بالآخرة هم كافرون "(٢) والمقصود وان كان من نشأ فيهم وهم الكنعانيون الا انه ينعى على من يحذون طريقتهم وكأنه يقصد المصريين أيضا فى هذا المجال ولعله لما كان عندهم من العقائد الباطلة من أمور كبيرة تتصل بحياتهم عدل عن أن يشرح كفرهم فيها الى قضية التوحيد وأنها هى الأهم واذا صحت فان تلك القضية تابعة لها وملازمة لها .

---

(١) تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا (١١:٢١٢) .

(٢) يوسف آية ٣٧ .

المبحث الأول

تعريف البحث في اللغة والاصطلاح
ومفهوم الجزاء وأقسامه ومراتبه

تعريف البعث والجزاء فى اللغة :-

(١) تعريف البعث فى اللغة :-

قال فى لسان العرب " البعث فى كلام العرب على وجهين : أحدهما الارسال كقوله تعالى " ثم بعثنا من بعدهم موسى " (١) معناه أرسلنا .

والبعث : آثاره بارك أو قاعد تقول : بعث البعير فانبعث أى أثرته فثار ، والبعث أيضا الاحياء من الله للموتى ومنه قوله تعالى " ثم بعثناكم من بعد موتكم " (٢) أى أحييناكم ، وبعث الموتى أى نشرهم ليوم البعث .ويبعثهم بعثا : نشرهم (٣) .

ولهذا كان " النشور مرادف للبعث فى المعنى ، نشر المبعث نشرا ، اذا عاش بعد الموت وأنشره الله أحياء " (٤) .

وفى اللسان أيضا بعثه من قومه بعثا فانبعث : أيقظه واصابه (٥) .

والذى نلاحظه فى التعريف اللغوى للبعث والنشور أن هناك فاعلا تسبب فى اثارة وتحريك ونشر المبعوث من مكان آخر ... فهما فى اللغة يتفقان فى المعنى الشرعى للكلمتين فان معنى البعث فى لسان الشرع : احياء الله تعالى الابدان بعد موتها للجزاء (٦) والنشور : احياء الله الخلق بعد موتهم "(٧) .

---

(١) الاعراف وية ١٠٣ .

(٢) البقرة آية ٥٦ .

(٣) لسان العرب لابن منظور مادة بعث .

(٤) القيامة الكبرى د.عمر سليمان الاشقر مكتبة الفلاح ص (٥١)

(٥) لسان العرب مادة بعث .

(٦) ابن قيم الجوزية وجهوده فى الدفاع عن عقيدة السلف د. عبدالله محمد جار النبى ط.الاولى ١٤٠٦ هـ ص (٥٧٩) .

(٧) المرجع السابق ص (٥٨٠) .

ففى تعريفهما لابد من فاعل ببعث الأجساد باعادة الروح فيها وذلك هو الله عز وجل الذى خلقهم أول مرة وهو قادر على اعادتهم مرة ثانية .

وهناك كلمات جاءت تدل على معنى البعث ، كالمعاد ، والنشأة الآخرة والخلق الجديد.م" أأنا لفى خلق جديد " (١) .

فالمعاد : فى اللغة هو من باب عاد : عودا وعودة ومعادا وعودا وعيادا واليه وعليه وعيادا له وفيه : رجع "(٢) .

وفى الشرع : الرجوع الى الوجود بعد الفناء أو رجوع أجزاء البدن الى الاجتماع بعد التفرق والى الحياة بعد الموت ،والأرواح الى الأبدان بعد المفارقة (٣) والنشأة الآخيرة نظرا لما فيها من الاعادة ، لأن كل ماأعيد فهو نشأة وهو لايعنى أنهم يخلقون خلقا آخر غير الخلق الذى كانوا فى الدنيا فان الاعادة للعباد أنفسهم ولذا يقول د . على عبدالمنعم عبدالحميد فى تعريف البعث :

" هو احياء الله للموتى واخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية التى من شأنها البقاء من أول العمر الى آخره " (٤) .

(٢) <u>مفهوم الجزاء :-</u>

قال الراغب الأصفهانى :- الجزاء الغناء والكفاية قال تعالى " لاتجزى نفس عن نفس شيئا" والجزاء مافيه الكفاية من خير فخير وان شرا فشر يقال جزيته كذا وبكذا (٥) .

---

(١) الرعد آيه ٥ . (٢) المرجع السابق ، ص (٥٨٠) .

(٣) شرح المقاصد للعلامة سعد الدين التفتازانى مطبعة دار الطباعة القاهرة ١٣٧٧ هـ (٢:٣٠٧) .

(٤) العقيدة الاسلامية د.على عبدالمنعم عبدالحميد ص (٩٦) دار القلم ط٢ ١٤٠٣ هـ .

(٥) المفردات للراغب مادة بعث .

وقال الزمخشري عند قوله تعالى " لاتجزى نفس عن نفس شيئا " لاتقضي عنها شيئا من الحقوق ، ثم قال ومن قرأ لاتجزىء من أجزأ عنه فلا تكون قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء (١) .

وأما لسان الشرع فهو :- الحساب والمجازاة على مافعله الانسان فى دنياه قال تعالى " مالك يوم الدين " والدين الجزاء يقال كما تدين تدان أى كما تجازى تجازى .

أقسام الجزاء ومراتبه :-

قال الشيخ محمد رشيد رضا " الجزاء قسمان جزاء المؤمنين المتقين الصالحين وجزاء الكافرين الظالمين المجرمين " .

وهو فى القرآن الكريم قسمان :

(١) قسم لدعوة المشركين الى الايمان به للرجوع الى بارئهم ومعرفة أنه الحق .

(٢) وقسم لتذكير المؤمنين به للترغيب والترهيب والموعظة (٢) .

وأعلم أن الجزاء المقصود فى هذا البحث هو الواقع فى اليوم الاخر ، سواء اليوم الاخر من عمر الشخص أو اليوم الاخر من حياة الدنيا فان الجزاء الربانى يحصل للمرء بدخوله فى دائرة المعاد التى تبدأ من نزول الموت وسكراته حتى دخوله الجنة أو النار .

وأما أصناف الجزاءات وأنواعها فان الكلام فيها له مصنفاته سواء الت تعلقت بالجزاءات المتصلة بالجنة أو النار أو غيرها وجاء منها مما يتصل بالجنة من خلال عرض الكتاب والسنة وصف قصورها وكيفية دخول أهلها وماجاء عن أشجارها وبساتينها وظلالها وظلها وطلها وثمارها وتعداد أنواعها وأنهارها وعيونها وأصنافها

---

(١) تفسير الكشاف (١:٦٧) .

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا (١٠:٢١٤) .

ومجرها التى تجرى عليه وماجاء فى ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ... الخ (١)

وقد سبق وأن بينا أنواع الجزاءات المختلفة التى حلت بفرعون وقومه وبنى اسرائيل أيضا نتيجة مخالفتهم لدعوة موسى عليه السلام وكانت تلك الجزاءات دنيوية للتذكير بالله عز وجل وللرجوع اليهم ، وتنوعت عليهم ، ولما كانت غير نافعة فى هدايتهم الى الايمان : كما قال تعالى فى أكثر من آيه هذا المعنى " ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب به الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها .." (٢) .

قال ابن كثير عند قوله تعالى " ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر للناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون " (٣) قال كلاما مفاده ما أنزل الله عز وجل عذابا لياطل فيه المعارضين للدعوة وذلك بعد نزول التوراة وانما فرض الجهاد على المعارضين للدعوة " (٤) .

وباعتبار ان القصة التى معنا قرآنية فكان لا بد من ايضاح منهج القرآن فى موضوع المعاد بطريقته الخاصة التى ترهب النفوس وتجعلها كأنها تحس به وتعايشه حتى ترجع عن غيها ان كانت مؤمنة به او تؤمن بمولاها قبل حسابها على ما اقترفت من ذنوب وخطايا .

---

(١) القضاء والقدر فى الاسلام ، دسوقى المكتب الاسلامى ط٢/١٤٠٦ هـ (٤٠٧:١) باقتباس .

(٢) الاسراء آيه ٥٩ .

(٣) القصص آيه ٤٣ .

(٤) تفسير ابن كثير (٣٩٠:٣) .

منهج القرآن الكريم فى عرض موضوع البعث والجزاء :-

ان طريقة القرآن الكريم فى إثبات العقيدة عموما تقوم على دعائم ثلاث هى :-

(١) عرض المعتقدات الباطلة .

(٢) ثم ابطالها بالحجة .

(٣) ثم اثبات العقيدة الحقة بالبرهان سواء أكان ذلك فى عقائد الالوهية أو النبوات أو المعاد

وأننا فى مجال عقيدة البعث خصوصا واليوم الاخر عموما أن القرآن الكريم يحوى مقالات المشركين حول مفهوم العقيدة للبعث ، ثم يرد عليهم فى عدة مسالك فنجده يرد عليهم فى جو السلطان الالهى ، ونجده يرد عليهم فى جو حكمة البعث لاقامة العدل ونخبره يرد عليهم فى جو المشاهدة لاحياء الارض وامكانيات العقل فى قبوله وادراكه لعقيدة البعث " الى جانب هذا المنهج فى هذه القضية نجد أن القرآن يعرض فى أساليب تحقق هذا المنهج وطبيعة هذه العقيدة وحال من توجه اليهم الدعوة فيتجه الى العقل فيجادله ليكشف له عن زيف ماهو عليه من عقيدة فاسدة فى هذا المجال ، وأنها لاتقوم على أساس لايقوها منطق سليم ويسوق الادلة القاطعة على صحة البعث وشهادة المنطق لها واطمئنان لها وهو فى جدله هذا يسوقه فى أسلوب تجتمع له جوانب الاقناع العقلى التاثر

الوجدانى فمرة نجده يثبت هذه العقيدة بالتلطف والاستدراج واشراكهم فى استنباط النتائج والوصول الى الحق ، ومرة باسلوب المواجهة الصريحة التى تقطع كل حجة وتنهى كل جدل ومرة باسلوب التقرير الذى يجبرهم على النطق بالحق الذى لاينفعهم ، ومرة بالسخرية

منهم ، ومرة بالمطالبة بالدليل ، ومرة بحثهم على تدبره فى الكون من دلائل قدرته تعالى - وهذا التوجه القرآنى الى العقل بهذه الأساليب المختلفة نجده أيضا يتجه فى هذه القضية الى الوجدان باعتباره وعاء الشعور الانسانى ومجمع غرائزه ونزعاته وحوافز ارادته فنراه يثير غريزة الخوف والترهيب مما سيترتب عليه بعثه وعلى أعماله فيعرض عليه صورة البعث فى أساليب تجعله يرى مصارع الاقوام وسمع أناتهم مما يثير القلوب ويزلزل النفوس لتنقاد وتلين (١) .

وفى مشاهد الجزاء نجد ذلك واضحا خاصة فى مشاهدة القيامة وفى هذا يقول صاحب الظاهرة القرآنية " ان مشاهد القيامة فى القرآن ذات حقائق غلابة والشخصيات التى تحتويها تتكلم وتتحرك ، فالملك والشيطان والابرار والاشرار كل هؤلاء يتسمون بواقعية لاتغفل أدق التفاصيل النفسية ، ولاتهمل أية كلمة من شأنها أن تذكر بأهوال تلك الساعة الرهيبة ، والزمن نفسه يمتد ، والحكم يصدر " فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة مما تعدون " ثم يعلن القرآن مشهد الختام فى ذلك الفصل الرهيب " فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب " هذا هو المقام الخالد للسعداء وللأشقياء وليس فى الوجود كله مشهد يماثل هذا المشهد فى الحركة ، أو أو يفوقه فى الالوان التى تتوالى فى مختلف صور القرآن (٢) .

---

(١) أسلوب الدعوة القرآنية د.عبدالغنى محمد سعد بركة ص (٣٥٦/٣٥٨) بتصرف .

(٢) الظاهرة القرآنية مالك بن بنى الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ط١٤٠٣،٣هـ ص (٢٤٥) .

وأننا اذا رأينا طريقة المتكلمين فى عرض أمور الآخرة وهم يفسرون القرآن نجدهم قد بعدوا بعدا كبيرا فى اثارة الرهبة فى النفوس للحذر من ذلك اليوم والاستعداد له ، والامثلة على ذلك كثيرة وأنظر ماقاله الرازى وهو يتناول أمور الاخرة حول أى آيه من تفسيره ، يقول الرازى حول الآيات فى سورة الحج فى موضوع البعث " أنه سبحانه لما قرر هذين الدليلين رتب عليهما ماهو مطلوب والنتيجة وذكر أمورا خمسه : أحدها قوله ذلك بأن الله هو الحق والحق الموجود الثابت فكانه سبحانه بين أن هذه الوجوه دالة على وجود الصانع وحاصلها راجع الى حصول هذه الاعراض المتنافية وتواردها على الاجسام يدل على وجود الصانع ...

وأعلم أن تحرير هذه الدلالة على الوجه النظرى أن يقال الاعادة فى نفسها ممكنة والصادق أخبرعن وقوعها فلابد من القطع بوقوعها أما بيان الامكان فالدليل على أن هذه الاجسام بعد تمزقها قابلة لتلك الصفات التى كانت قائمة بها حال كونها حية عاملة والبارى سبحانه عالم بكل المعلومات قادر على كل المقدورات الممكنة ، وذلك يقتضى القطع فى امكان الاعادة لما قلنا أن تلك الاجسام بعد تمزقها قابلة لتلك الصفات لانها لو لم تكن قابلة لها فى وقت لما كانت قابلة لها فى شتى الاوقات(١) ولنرجع الى مثال فى هذه القصة يتضح موضوع المعاد من خلاله فى القرآن .

وتريننا سورة يوسف تقرير الامر الذى نحن بصدده وهو البعث والجزاء وكيف كان معتقد المصريين فيه ، وذلك بما يوضحه المفسرون عند قوله تعالى " انى تركت ملة قوم لايؤمنون بالله واليوم الاخر وهم بالآخرة هم كافرون " (٢) .

قال صاحب التحرير والتنوير :- وأراد بالقوم الذين لايؤمنون بالله مايشمل الكنعانيين الذين نشأ فيهم والقبط الذين شب فيهم كما يدل

---

(١) تفسير الفخر الرازى (٢٣ :١٠-١١) .   (٢) يوسف آيه ٣٧ .

على ذلك قوله " ماتعبدون من دون الله الا أسماء سميتموها " (١) أي أراد الكنعانيين خاصة وهم الذين نشأ فيهم تعريضا بالقبط الذين ماثلوهم في الاشراك وأراد بهذا الا يواجههم بالتشنيع استنزالا لطائر نفورهم من موعظته " (٢) .

ثم قال رحمه الله " وزيادة ضمير الفصل " في قوله "هم كافرون " أراد تخصيص قوم منهم بذلك وهم الكنعانيون لأنهم كانوا ينكرون البعث مثل العرب وأراد بذلك اخراج القبط وان كانوا مشركين فقد كانوا يثبتون بعث الأرواح والجزاء " (٣).

قال صاحب المنار رحمه الله عند قوله تعالى " وهم بالآخرة هم كافرون " (٤) أى وهم الان يكفرون بالمعنى الصحيح للآخرة فان المصريين وان كانوا يؤمنون بالاخرة والحساب والجزاء الذى دعى اليه الأنبياء الا أنه نشأ فيهم تصوير هذا الايمان بصورة مبتدعة ومنها أن فراعنتهم يعودون الى الحياة الأخرى بأجسادهم المحنطة ويعود لهم السلطان والحكم وبهذا كانوا يدفنون أو يضعون معهم جواهرهم وغيرها ، ويبنون الأهرام لحفظ جثثهم ومامعها ، ولعله بهذا أكد الحكم بالكفر بها باعادة الضمير "هم " ليبين أن ايمانهم بالاخرة على غير الوجه الذى جاءت الرسل فهو غير صحيح (٥)

---

(١) يوسف آية ٤٠ .

(٢) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ص (١٢: ٢٧٢) .

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور قلت هم مشركون مثلهم وليس فيه اخراج ـ لهم بل الأولى ماذكره أولا .

(٤) يوسف آية .

(٥) تفسير المنار محمد رشيد رضا (١٢: ٣٠٦) .

وقال فى موضع آخر عند قوله تعالى " وهم بالآخرة هم كافرون " (١) يعنى كفرهم بأن الجزاء يكون فى عالم آخر بعد فناء هذه الأجساد وبعثهم فى نشأة فى هذه الدنيا كما يزعمون وعقائدهم فى هذه المسألة مدونة فى التاريخ المأخوذ من آثار الفراعنة وأشهرها أنهم كانوا يحنطون أجسادهم لأجل أن تعود اليها الحياة التى فارقته وكان ملوكهم يحفظون فى أهراماتهم من قبورهم حليهم وحللهم ومتاعبهم لأجل أن يتمتعوا بها فى النشأة الأخرى حيث يعودون ملوكا كما كانوا (٢) فهذه أباطيل طرأت على العقائد الأصلية المنزلة ، وتقاليدهم هذه منقوشة فى مواضع الأهرام وتوابيت الموتى وصحائف القبور "(٣) .

---

(١) يوسف آية ٣٧ .

(٢) قلت ولايستبعد أن يكون ذلك ضحكا على عقول الناس بهذا المعتقد حتى تمت السيطرة على الناس روحيا ولهذا أخرج جسده ونبذه خارجا ليعرف المصريون استغناءه عما كان يعتقد فيه .

أنظر التحرير والتنوير لابن عاشور (١١:٢٧٩) .

(٣) تفسير المنار محمد رشيد رضا (٢:٣١١) .

المبحث الثانى

دعوة موسى عليه السلام الى الايمان بالبعث الجزاء

****

والبعث والجزاء فى قصة موسى عليه السلام

دعوة موسى الى الايمان بالبعث والجزاء :-

ان الايمان بالبعث والجزاء من اركان الدين الاسلامى الذى لازم دعوة كل رسول فى مجيئه الى قومه،وذلك لان الايمان به يقتضى بما قبله وما بعده من مراحل اليوم الاخر ، ولعل هذا يفسرلنا تركيز القرآن الكريم على البعث .

ثم ان الايمان باليوم الاخر من لوازم الايمان بالله عزوجل اذ فيه تحقق صفاته عزوجل فالكفر به كفر بالله كما ان فى الايمان به دافع كبير للارتباط بالاعمال الصالحه .

وفى ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا ؛ فالايمان باليوم الاخر ، وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الاعمال هو الركن الثانى للدين الذى بعث الله به الرسل عليهم السلام ، وبه يكمل الايمان بالله تعالى ويكون باعثا على العمل الصالح وترك الفوحش والمنكرات والبغى والعدوان .(١) .

ويقول ايضا رحمه الله " فالايمان بالبعث والجزاء ...من لوازم الركن الاول وهو الايمان بالله المتصف بجميع صفات الكمال ، المنزه عن العبث فى افعاله واحكامه .. فكفر الانسان بهذا الركن يستلزم كفره بحكمه ربه ، وعدله فى خلقه ، وكفره بحكمة ربه ، وعدله فى خلق ، وكفره بنعمته بخلق فى احسن تقويم (٢)

يقول الراغب الاصفهانى عن مقصد اليوم الاخر " ان حكمة الله التامة لا تقضى ان يقتصر الانسان على هذه الحياة الدنيا الخسيسة المضمحلة من عظم عنايته تعالى به وخلق ما فى الارض لاجله كما قال تعالى (هوالذى خلق لكم ما فى الارض جميعا "(٣) .

---

(١) الوحى المحمدى ،الشيخ محمد رشيد رضا ص(١٧٥)ط ٩،المكتب الاسلامى

(٢) المرجع السابق ،ص (١٧٨ - ١٧٩) . (٣) البقرة : آية ٢٩ .

وان خص بالعقل والنطق والسياسة والتدبير وما فيه من عجائب التركيب ثم بينه عن طريق آخر . وقد نبه على ذلك بقوله " افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون " ولذلك يؤدى الى ان يكون فى خلق الانسان غرض يقصد به الكمال ينتهى اليه ن غير ما جعل له فى الدنيا من الاكل والشرب والفساد (١)

---

(١) الاعتقاد ، للراغب الاصفهانى ،ص (٢٠٩)

البعث والجزاء فى قصة موسى عليه السلام :-

فى ضوء الايات التى وردت فى اليوم الاخر فى قصة موسى عليه السلام بما يذكره المفسرون، وعلى غرار التقسيمات المعهودة لليوم الاخر فى سائر مراحله التى يستقبله الانسان ن فاننى ساضع الايات الواردة فى هذه القصة على مراحل اليو م الاخر مستعينا بالله عزوجل فى ذلك فى ضوء ما اورده المفسرون حول الايات الى جانب المباحث العقيدية التى تناولتها الايات .

وقد تناولت الايات فى القصة مراحل اليوم الاخر :-

فاولا : ساعة المرء الذى ينتهى فيه من هذا العالم (دائرة الاحتضار).

ثانيا : ساعةالعالم الذى ينتهى فيها هذا الكون القيامة الصغرى

ثالثا : عالم البرزخ او القيامة الصغرى وما فيها من النعيم او الجحيم .

رابعا : البعث والنشور والقيامة .

خامسا : القيامة .

سادسا : الجنة والنار وما فيها من احوال .

ذكر الايات الواردة فى هذه المراحل :-

(١) المرحلة الاولى : دائرة الاحتضار :-

" حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل (١) .

(١) يونس آية : ٩٠ .

(٢) المرحلة الثانية : دائرة نهاية هذا العالم :-

" ان الساعة آتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى (١) .

(٣)المرحلة الثالثة : دائرة البرزخ والحياة فى القبور :-

" النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب (٢) .

(٤) المرحلة الرابعة : البعث :-

١- " ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون "(٣)

٢- "وإذا قتلتم نفس فادارأتم فيها "

" والله مخرج ما كنتم تكتمون " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون (٤)

٣- " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى (٥)

٤- " وظنوا انهم الينا لا يرجعون (٦)

المرحلة الخامسة : الحشر والحساب والقضاء :-

الحساب والقضاء :-

١- ان ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٧

---

(١) طه الايات : ١٥ / ١٦ .

(٢) غافر : آية ٤٦ .

(٣) البقرة : آية ٥٦ .

(٤) البقرة الايات :(٧٢:٧٣)

(٥) طه : آية ٥٥

(٦) القصص : آية ٣٩ .

(٧) السجدة : آية ٢٥

٢- " يقدم قومه يوم القيامة "(١)

٣- " وبئس الورد المورود (٢)

٤- " ويوم القيامة لاينصرون (٣)

٥- " ويوم القيامة هم من المقبوحين (٤)

٦- " لا يؤمن بيوم الحساب .(٥)

٧- " يوم التناد تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم (٦)

(٦) المرحـــــلة السادســـة : الجنة والنار :-

الجنـــة والنـــار :-

١- "واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الاخرة (٧) .

٢- " فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم .(٨).

٣- " إنا قد اوحي إلينا ان العذاب على من كذب وتولى (٩)

٤- " انه من يأتى ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى:-(١٠)

٥- " ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى (١١)

---

(١) هــود : آية ٩٨ .

(٢) هــود : آية ٩٨ .

(٣) القصص : آية ٤١ .

(٤) القصص : آية ٤٢ .

(٥) غافر : آية ٢٧ .

(٦) غافر : آية ٣٢ – ٣٣ .

(٧) الاعراف : آية ١٥٦ .

(٨) يونس : آية ٨٨ .

(٩) طــه : آية ٤٨ .

(١٠) طــه : آية ٧٤ .

(١١) طــه : آية ٧٥ .

٦- " يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع ، وان الاخرة هي دار القرار (١) .

٧- من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب (٢)

٨- " ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة تدعوننى الى النار (٣)

وبعد عرض هذه الايات فى مراحل اليوم الاخر ، فان هناك آيات عامة تحدثت عن الجزاء وتحدثت عن الرجوع الى الله عزوجل وعن القاءه اجمالا وحسبنا هنا الاشارة قدر الامكان الى هذه الايات مع التعليق عليها بما يبين لنا ان موسى عليه السلام قد عرض على قومه موضوع المعاد وموضوع القيامة والجنة والنار الذى كان اصلا من اصول العقيدة فى كل امة يرسل فيها اى نبى او رسول فيوضحه لهم ويدعوهم اليه ويخوفهم به ويحذرهم منه ويرغب بما وعدهم الله عز وجل فيه .

فنتحدث اولا عن المرحلة الاولى من المعاد وهى ما تتصل بالانسان وهى ما تسمى بالساعة الصغرى وهى دائرة الموت وقد اوضحت الايات فى قصة موسى ما جاء بصدد موت فرعون وادراكه الغرق وعرضت لنا ايمانه فى تلك اللحظات ، وهو مبحث فى العقيدة فى موضوع المعاد نتناوله فى ضوء ما ذكره المفسرون .

١- المسألة الاولى :- احتضار فرعون ولما لم تقبل توبته واسلامه :-

---

ولنشرح اولا فى معنى الاحتضار فى اللغة والاصطلاح ثم بعد ذلك نناقش توبته عندما ادركه الموت وايمانه وهو فى سكرات الموت .

---

(١) غافر : آية ٣٩ .

(٢) غافر : آية :٤٠ .

(٣) غافر ك آية :٤١ .

قال الراغب :-

الاحتضار اول حالة من احوال الاخرة التى ينتهى اليه الانسان وعنده يغلق باب التوبه كما قال تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اننى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار (١) .
والسبب فى ذلك :- وانما لا يقبل التوبة تكون لعمل فى دار الدنيا والانسان فى تلك الحال يزاول اواخر روحه ويكون فى حكم الحيوان الساقط لزوال عقله الانسانى وفهمه فتكون توبته فلتا وقوله لغوا ، ولا يكون للمحتضر رجوع الى الدنيا كما لا يكون للشيخ رجوع الى الشباب ، ولا الشباب الى الصبى (٢) .
وقيل المحتضر : قبل الذى حضره الموت قبل ان يتوفاه الله ، لقوله تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الى ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما .(٣) .
فعلى هذا يسمى من حضره الموت طفلا كان او رجلا عاقلا او مجنونا انسانا او حيوانا .
(٢) وقيل من حضرة الملائكة الرحمة اوالعذاب وقت استيفائه ويكون ذلك للعقلاء والى هذا اشار تعالى بقوله " حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون . وقوله تعالى (٤) وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك ربى ان يحضرون (٥)

---

(١) الاعتقاد ، للراغب الاصفهانى ،ص (٢٢٤) .
(٢) المرجع السابق ص (٢٢٧، ٢٢٨) .
(٣) النساء : آية ١٨ . -
(٤) المؤمنون : آية ٩٩ .   (٥) المؤمنون : آية ٩٧ .

اى يحضرون وقت الموت وغيره من الاقوال فقد جعل فرعون محتضرا حيث قال " حتى اذا اردكه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ، آلن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ((١)

(٣) وقيل : لا يقال المحتضر الا للمومن الذى جعل له حضرة على طريق التشريف محضرته ملائكه الرحمه .

ذكر الاية التى ورد فيها غرق فرعون ونزول الموت به :-

قال تعالى " وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين ، آلن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون (٢) .

وفيه هذه الايتين نبحث الامور التالية :-

---

(١) هل دخل فرعون على ضوء الايتين فى دائرة الموت وهو يعلن الايمان ؟

(٢) هل تقبل توبه الكافر وهو فى تلك الحال ؟

(٣) لم لم تقبل توبه فرعون ؟

قال ابن كثير رحمه الله " فلما استوسقوا فيه وتكاملوا (اى فى البحر) تابعين الطريق الذى سلكه موسى وبنو اسرائيل فى البحر وهم اولهم بالخروج منه امر الله القدير البحر ان يرتطم عليهم فارتطم عليهم فلم ينج منهم احد وجعلت الامواج ترفعهم وتخفضهم وتراكمت الامواج فوق فرعون وغشيته سكرات الموت فقال وهو كذلم (آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل)(٤)

---

(١) المرجع السابق ص (٢٢٥) .   (٢) يوسف : الايتان (٩٠ - ٩١) .

(٣) يونس : آية ٩٠ .   (٤) تفسير ابن كثير رحمه الله (٢ : ٤٣٠)

قال صاحب التحرير والتنوير فى الاية الاولى عند قوله تعالى "حتى " وحتى ابتدائيه لوقوع (اذا) الفجائية بعدها . وهى غاية للاتباع ، اى استمر اتباعهم اياهم الى وقت ادراك الغرق اياه .

والله غمره بالماء على فرعون وجنوده ، فغرقوا وهلك فرعون غريقا فمنتهى الغاية هو الزمان المستفاد من (اذا) والجملة المضافة هى اليها وفى ذلك ايجاز حزف والتقدير : حتى ادركه الغرق فاذا ادركه الغرق قال آمنت لان الكلام مسوق لكون الغاية ادراك الغرق اياه فعند ذلك انتهى الاتباع وليست الغاية هى قوله)آمنت) وان كان الامران متقاربين ثم قال :- والادراك اللحاق وانتهاء السير وهو يؤذن بان الغرق تدريجيا بحول البحر ومصارعته الموج ، وهو يأمل النجاة منه ، وانه لم يظهر الايمان حتى يأس من النجاة وايقن بالموت وذلك لتصلبه فى الكفر (١)

ومما تقدم يعلم فرعون لم يعلن ايمانه الا فى حالة سكرات الموت ولم يحدث مع غمره الا الايمان بالله لانه قهرته ادلة الايمان قال صاحب المنار فى الاية الاولى عند قوله تعالى " آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل (٢)اى قال قبل ان يغرق وهو يدل على ان البحر لم يطبق عليه دفعه واحده .(٣)

هل تقبل توبه الكافر وهو فى دائرة الموت ؟

كالذى وقع لفرعون عند غرقه ، والذى حدث لعم النبى صلى الله عليه وسلم عند وفاته ، قال صاحب التحرير والتنوير (٤) عند قوله تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار " للعلماء فى تاويله قولان احدهما الاخذ بظاهرة وهو ان لا يحول بين الكافر وبين قبول توبته من الكفر

---

(١) التحرير والتنوير ، لابن عاشور (١١:٢٧٥) . (٢) يونس : آية ٩٠ .

(٣)تفسير المنار ،محمد رشيد رضا (١١:٤٧٥)

(٤) التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٤:٢٨١ /٢٨٢)

بالايمان الا حصول الموت ، وتاولوا معنى "وليست التوبة (١) له بأن المراد بها ندمه يوم القيامة اذا مات كافرا ويؤخذ منه انه اذا آمن قبل ان يموت قبل ايمانه ،وهو الظاهر فقد ثبت فى الصحيح (٢) ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم ، وعنده ابو جهل ن وعبد الله بن ابى اميه فقال : اى عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله ، فقال ابو جهل وعبد الله : اترغب عن ملة عبد المطلب فكان آخر ما قال ابو طالب انه على مله عبد المطلب فقال النبى : لاستغفرن لك ما لم انه عنك فنزلت " ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم (٣) ويؤذن به عطف " ولا الذين يموتون وهم كفار " بالمغايرة بين قوله " حتى اذا حضر الموت (٤) " الاية وقوله " ولا الذين يموتون وهم كفار " وعليه فوجه مخالفة توبته المؤمن العاصى ان الايمان عمل قلبى ، ونطق لسانى ، وقد حصل من الكافر التائب وهو حى ، فدخل فى جماعة المسلمين وتقوى به جانبهم وفشت بايمانه سمعة الاسلام بين اهل الكفر "(٥).

وثانيهما : ان الكافر والعاصى من المؤمنين سواء فى عدم قبول التوبة منهما مما عليه ، اذا حضرهما الموت ، وتاولوا قوله " يموتون وهم كفار " بان معناه يشرفون على الموت على اسلوب قوله " وليخشى الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا (٦) اى لو اشرفوا على ان

---

(١) النساء : آية ١٨ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ،باب اذا قال المشرك عند الموت لا اله الا الله .

(٣) التوبة : آية ١١٣ . (٣) النساء : آية ٨ .

(٤) النساء : آية ١٨ .

(٤) التحرير والتنوير ،ابن عاشور (٤:٢٨) .(٥) النساء : آية ٩ .

يشركوا ذرية ، والداعى الى التأويل نظم الكلام لان (لا) عاطفة على معمول لخبر التوبة المنفية ، فيحين المعنى وليست التوبة للذين يموتون وهم كفار فيموتون ولا تقبل توبه بعد الموت فتعين تأويل (يموتون) بمعنى يشرفون كقوله " والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم (١) واحتجوا بقوله تعالى فى حق فرعون " حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين الن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (٢) " المفيد إن الله لم يقبل ايمانه ساعتئذ وقد يجاب عن هذا الاستدلال بان ذلك شأن الله فى الذين نزل بهم العذاب انه لا ينفعهم الايمان بعد نزول العذاب الا قوم يونس قال تعالى " فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين .... فالغرق عذاب عذب الله به فرعون وجنده (٣) اهـ كلامه .

قلت :. للجامع لهذا ان العبد ما لم يغرغر كما جاء فى الحديث

فانه توبته مقبوله ، والعبد يشمل الكافر والمؤمن العاصى ، الا اذا كان موته عذابا فقد مضت سنه الله فى ذلك الا تقبل توبته وان كان قبل الغرغرة كالذى حصل لفرعون .

كما قال تعالى " اثم اذا ما وقع آمنتم به ؟ الان وقد كنتم به تستعجلون فهذا عندى اقوى الاسباب فى عدم قبول رجوع فرعون وللاسباب الاخرى التى سأذكرها فى الفقرة التالية :-

---

(١) البقرة : آية ٢٤٠ .

(٢) يونس : آية ٩٠ .

(٣) التحرير والتنوير ،لابن عاشور (٤:٢٨٢)

لما لم تقبل توبه فرعون ورجوعه الى الله عز وجل ؟

(١) قد ذكرنا انه لنزول العذاب عليه وكان لم يحل حد الغرغرة التى لم يقبل معه توبه وهى حال تردد الروح فى الحلق كما وضح لك فقد تناولت الايات غرقه وانه كان يرجو النجاة فلما لم يحصل ويأس منها كان قد دخل الغرغرة وهنا بعض الاسباب التى لم تقبل توبه فرعون من اجلها الى جانب ما ذكرت وهو من خلال ما يمكن ان يؤخذ من الايات الكريمات ،ولانه نطق به فى حالة الاضطرار لا فى حالة الاختيار ،ولانه نطق بها فى غير وقت التكليف "

قال صاحب المنار " ومن البديهى ان التوبة من الكفر والمعصية انما تنفع بالرجوع والطاعة . على ان اليأس من الشئ بالفعل لا يعقل ان يكون صادقا فى ادعائه اياه او طلبه بالقول ؛ ولعل فرعون اراد بقوله حينئذ انه من جماعة المسلمين انه موطن نفسه على ان يكون منهم ان نجاه الله تعالى وانه كان يرجوا بهذا ينجيه الله تعالى كما نجاه وقومه من كل نازله من عذاب الله حلت به وبقومه اذ كان يقول لموسى " ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن ولنرسلن معك بنى اسرائيل " ولكن تلك النوازل انما كانت لاجل ارسال بنى اسرائيل مع موسى فهى غايتها لم تكن عقابا على الاضرار على كفر الجحود والفساد الذى هو شر انواع الكفر وادلها على خبث طويه صاحبه ، كهذا العقاب بعده بنجاة بنى اسرائيل منه رغم انفه (١)

وهذه النجاة المرجوه التى لعله آمن من شانها واوردها صاحب التحرير والتنوير وقال ﷺ ويدل على ذلك قول الله عقب كلامه " فاليوم ننجيك ببدنك "(٢) -

---

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد رضا (١١: ٤٧٦) .

(٢) التحرير والتنوير ،لابن عاشور (١١:٢٧٧)

وقال رحمه الله عند قوله تعالى " آلن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك " : والاستفهام فى (الآن) انكارى والان : حرف لفعل محذوف دل عليه قوله "آمنت) تقديره : الان تؤمن اى هذا الوقت ، ويقدر الفعل مؤخرا لان الظرف دل عليه ولان محط الانكار هو الظرف ، والانكار مؤذن بأن الوقت الذى علق به الانكار ليس وقتا ينفع الايمان ، لان الاستفهام الانكارى فى قوة النفى فيكون المعنى : لا ايمان الان .

والمنفى هو ايمان ينجى مما حصل منه فى الدنيا والاخرة ، وانما لم ينفعه ايمانه لانه جاء به فى وقت حصول الموت وهو وقت لا يقبل فيه ايمان الكافر ولا توبة العاصى ، كما تقدم عند قوله تعالى " وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار "(١) .

شم قال " وجملة " وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين " فى موضع الحال من معمول "تؤمن " المحذوف وهى مؤكدة لما فى الاستفهام من معنى الانكار فان ايمانه فى ذلك الحين منكر ،ويزيده انكارا ان صاحبه كان عاصيا له ومفسدا للدين الذى ارسله الله عليه ، ومفسدا فى الارض بالجور والظلم والتمويه وبالسحر ...(٢)

ثم قال رحمه الله " ولم يعدم فرعون فائدة من ايمانه ،فان الله بحكمته قدر له الخروج من غمرات الماء ، فلم يبق فى الماء اكله للحيتان ولكن لفظته الامواج وتلك حالة اقل خزيا من حالات سائر الملك فيها وظن نفع ماله بما حصل لنفسه من الايمان فى آخر احواله (٣) ولكن تكون

---

(١) المرجع السابق (١١:٢٧٧) .

(٢) المرجع السابق .(١١ :٢٧٨) .

(٣) المرجع السابق (١١:٢٧٩)

آية للناس من بعده ومن ذلك ليظهر لبنى اسرائيل انه ملك وللفراعنة انه ليس اله حيث غرق واذ يرون فرعون الاله عندهم طريحا على شاطئ البحر غريقا فتلك ميته لا يستطيعون معها الدجل بانه رفع السماء او نحو ذلك من الاكاذيب لانهم كانوا يزعمون ان فرعون لا يطلب ، وان الفراعنى حين يموتون .. ينتقلون الى دار الخلود ولذلك كانوا يموهون على الناس فيبنون له البيوت فى الاهرام ويودعون بها لباسه وطعامه ورياشه وانفس الاشياء معه ، فموته بالغرق وهو يتبع اعداءه ميته لا تؤل بشىء من ذلك (١) .

(٢) المرحلة الثانية : نهاية هذا العالم :-

قال تعالى " ان الساعة اتيه اكاد اخفيها "(٢)

قبل ان نبدأ فى التعليق على هذه الاية لا بد ان نوضح ما يتعلق ببعض الاطلاقات القرآنية حول نهاية العالم ، فقد جاء ذكر اليوم الاخر فى القرآن ، وجاء ذكر الساعة والقيامة ، ونقف مع هذه المعانى وقفة قبل بيان هذه الاية ، فنقول وبالله التوفيق .

اعلم ان معنى اليوم الاخر يحتمل امران :-

الاول : فناء هذه العوالم كلها ، وانتهاء هذه الحياة بكاملها

الثانى :اقبال الحياة الاخرة وابتداؤها ،فدل لفظ اليوم الاخر على آخر يوم من ايام هذه الحياة وعلىاليوم الاول والاخير من الحياة الثانية . اذ هو يوم واحد لا ثانى له فيها البته ، فالايمان باليوم الاخر مقتضى للتصديق باخبار الله تعالى بفناء هذه الحياة الدنيا وبما يسبقه من امارات وما يتم فيه من اهوال واختلاف احوال ، كما هو مقتضى كذلك التصديق لله تعالى فى اخباره عن الحياة الاخرة ، وما فيها من نعيم وعذاب ، وما يجرى من امور عظام كبعث الخلائق وحشرهم وحسابهم ، وما يجرى فى هذه الحياة الدنيا "

---

(١) المرجع السابق (١١ :٢٧٩) .

(٢) طـه :آية ١٥

ويرتبط مفهوم الساعة بمعنى اليوم الاخر ، فالساعة جزء من اجزاء الزمان يعبر عن القيامة ، تشبيها بذلك لسرعة حسابه " كما قال تعالى " وهو اسرع الحاسبين "(١)

" لم يلبثوا الا ساعة من نهار (٢) والساعة ثلاثة :-

الساعة الكبرى : وهى بعث الناس كلهم للمحاسبة " كما قال تعالى " ويوم تقوم الساعة " يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة (٣) والساعة الوسطى " وهو موت اهل القرن الواحد وذلك نحو ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه رأى عبد الله بن انيس فقال : ان يطل عمر هذا الغلام لم يمت حتى تقوم الساعة ".

والساعة الصغرى هى موت كل انسان فى نفسه وهو المشار اليه بقوله " قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة "(٤)

والساعة الكبرى هى ما اشار اليها النبى صلى الله عليه وسلم بان الساعة لا تقوم حتى يظهر الفحش والبخل ..... الخ (٥)

واذ قد علمت اطلاقات معنى الساعة واليوم الاخر فان اليوم الاخر للانسان هو دخوله فى ساعاته الاخيره من حياته وهى التى تسمى الساعة الصغرى وان الساعة الكبرى او اليوم الاخر لهذه الحياة هى القيامة وهو انتهاء هذا العالم اذا تبينت هذا فان الاية تناولت المباحث العقائدية التالية :-

---

(١) الانعام : آية ٦٦ (٢) الاحقاف : آية ٣٥ .

(٣) الروم : آية ٥٥.

(٤) الاعتقاد للراغب الاصفهانى ص (٢٤٦) قال ابن حجر فى الفتح وما ذكره (الراغب) لم اقف عليه فتح البارى ، ابن حجر العسقلانى ((١١:٣٦٤) مطبعة دار المعرفة .

(٥) الانعام : آية (٣ .

(٦) لفظ البخارى " لا تقوم الساعة حتى يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ..الخ كتاب العلم ،باب رفع العلم وظهور الجهل

(١) اهمية الايمان باليوم الاخر (تجزى كل نفس بما تسعى)(١)
(٢) اخفاها عن العالمين ومعنى ذلك :-

قلنا ان هناك ثلاث دعائم وقواعد واصول تركزت عليها دعوات الانبياء عليهم الصلاة والسلام وكانت اول منطلقاتهم فى دعوة الناس اليه ، وهى التوحيد ، والنبوات والمعاد وقد تناولنا موضوع التوحيد والنبوات فى هذه القصة ن ونختم هذا الباب بقضية المعاد فى قصة موسى عليه السلام

" فالايمان باليوم الاخر ، وما يكون فيه من البعث والحساب والجزاء على الاعمال هو الركن الثانى للدين الذى بعث الله به الرسل عليهم السلام ،وبه يكمل الايمان بالله تعالى ويكون باعثا على العمل الصالح ن وترك الفواحش والمنكرات والبغى والعدوان (٢) " والايمان بالبعث والجزاء ... من لوازم الركن الاول ،وهو الايمان بالله بجميع صفات الكمال ، المنزه عن العبث فى افعاله واحكامه .. فكفر الانسان بهذا الركن يستلزم كفره بحكمة ربه ، وعدله فى خلقه وكفره بنعمته بخلقه فى احسن تقويم (٣) وكان جل مشركى العرب ينكرونه اشد الانكار ، واما اهل الكتاب وغيرهم من الملل ..فقد كانوا يؤمنون بالحياة بعد الموت ... ولكن ايمانهم قد شابه الفساد ببنائه على بدع ذهبت بجل فائدته فى اصلاح الناس... (٤) .

---

(١) طه : آية ١٥ .
(٢) الوحى المحمدى ، محمد رشيد رضا ، ط ٩ ، المكتب الاسلامى سنة ١٣٩٩ هـ .ص (٢٧٢) .
(٣) نفس المرجع ،ص (١٧٨) .
(٤) نفس المرجع ،ص (١٧٥)

واما اليهود فكل ديانتهم خاصة بشعب اسرائيل ، وادعاء محاباة الله تعالى له على سائر الشعوب فى الدنيا والاخرة ، ويسمونه اله اسرائيل ، كأنه ربهم وحدهم لا رب العالمين ، وديانتهم اقرب الى المادية منها الى الروحية (٢) .
وستعرف فى نهاية هذا الفصل عقيدة اليوم الاخر كما جاء به موسى عليه السلام من خلال القرآن الكريم ، وخلاصة اهمية هذه الركن فى العقيدة الاسلامية التى بعث بها الانبياء اجمعين ما يلى :-
(أ) اهمية الايمان باليوم الاخر : (لتجزى كل نفس بما تسعى) .

١- انها دعوة كل رسول الله من اول الرسل الى اخرهم .
٢- اهتمام الكتب الربانية به ، وخاصة القرآن الكريم فكثيرا ما يربط الايمان به الايمان بالله عزوجل .
٣- من مظاهر الاهتمام به ، اكثار القرآن من ذكره حتى انك لا تكاد تمر على صحيفة من صحائف القرآن الكريم الافيها حديث عن اليوم الاخر (٣) .
٤- كثرة ما سماه الله عزوجل من الاسماء ، بل كل مرحلة من مراحل الاخرة تجد لها الاسماء والاوصاف المختلفة التى تدل على عظمته ورهبته ، وقد عدها الغزالى والقرطبى فبلغت ثمانين اسما كما يقول ابن حجر العسقلانى (٤) .

---

(٢) المرجع السابق ص (١٧٦)
(٣) منهج الدعوة النبوية فى المرحلة المكية ، على الحربى ص (٢٢٢)
(٤) فتح البارى ((١١:٣٩٦) وانظر التذكرة فى احوال الموتى وامور الاخرة ، للقرطبى المكتبة السلفية المدينة المنورة .

والسر فى كثرة اسمائه كما يقول القرطبى " وكل ما عظم شانه تعددت صفاته وكثرت اسماؤه ، وهذا جميع كلام العرب ، الا ترى ان السيف لما عظم عندهم موضعه وتأكد نفعه لديهم وموقعه ، جمعوا له خمسمائة اسم ، وله نظائر ، فالقيامة لما عظم امرها وكثرت اهوالها ، سماها الله تعالى فى كتابه باسماء عديدة ، ووصفها بأوصاف كثيرة .(١) .

والسر فى هذا الاهتمام والحكمه تتمثل فيما يلى :-

١- ان من لا يؤمن باليوم الاخر يعيش فى هذه الدنيا كالحيوان لا يدرى ما الحكمة التى من اجلها خلق ؟

فتتنوع اتجاهات حياتهم نتيجة عدم ايمانهم باليوم الاخر فى الشقوة التى يحسون بها ، فمنهم يبدأ بالنواح الحزين على حياته التى تتلاشى وتتناقص فى كل محطة تمضى ، وقد يسلمهم هذا الى العزلة والالم حتى يوافيهم الموت ، وان كانوا كتابا او شعراء ، فانهم يسجلون مشاعرهم الحزينة التى يندبون بها حياتهم فى مقالات او كتب او اشعار تجسم شقوتهم وحيرتهم والمهم لتكون سلوى لمن كان على مثل ما كانوا عليه ، ولكنها فى الحقيقة داء يضاف الى الداء ، فيزيد مرضا ولا يجلب له الشفاء .

وبعضهم يسارعون الى اقتناص الملذات والشهوات كانما هم فى صراع من الزمن يخشون ان تمضى ايامهم ولما يشبعوا من مباهج الحياة .(٢)

فالايمان باليوم الاخر ، يقوم اعمال المرء ويهذب اخلاقه ، ويجعل لحياته معنى ان هذه الدنيا بمثابة الحرث والزرع ، فينضبط سلوكه لانه يستعد ليوم لقاء الله عزوجل الذى اقامه حياته الدنيوية على النمط الذى يحقق له فى الاخرة خيرا وفضلا .

---

(١) التذكرة للقرطبى ،ص (٢١٤) .
(٢) اليوم الاخر :د. عمر سليمان الاشقر . المقدمة.

الامـــــر الثانـــــى :-

المجازاة للمكلفين منهم على ما كسبوه فى هذه الدنيا فلو انهم يموتون بانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك منافيا للحكمة ، مجانبا للعدل والرحمة ومن هنا قضى بالبعث والجزاء لكى يتحقق العدل والجزاء فجاء الاهتمام به حتى لا يظلم الانسان اخاه وحتى يعرف دوره المطلوب منه فى هذه الحياة الدنيا .

ويدخل الى جانب ذلك (فى اهمية الاعتناء باليوم الاخر فى الوحى الربانى المنزل على انبياءه) اثارة على المؤمنين فى الدنيا ، فان المؤمن باليوم الاخر يقف فى جانب الدعوة الربانية مهما كانت الصعوبات التى تواجههم الدنيا .

فقد رأينا سحرة فرعون يقفوا اول النهار مع فرعون وكفره وآخر النهار مع موسى وحزب الرحمن وينهى لهم بالسعادة وينقلبوا الى ربهم خاضعين على ما اكرههم فرعون من سحر وطلبون عفو ربهم ويتحدون وقد عرفوا ماذا سينقلبوا اليه من شؤم فرعون وعذابه " انا الى ربنا منقلبون "

ولقد تحدث القرآن كثيرا عن اهمية اليوم الاخر وبين انه من اعظم الاسباب التى يقوم عليها صلاح حياة الناس فى دينهم ودنياهم .

وانه ينبغى للدعاه الاهتمام بشانه من حيث الدعوة اليه ، وغرسه فى القلوب حتى يكون ضمير المسلم يقظا (وقد مر معنا انه احد طرق ووسائل دعوة الرسل اقوالهم بترغيبهم وترهيبهم من هذا اليوم العظيم) وجعل مرهفا ومراقبة لربه دقيقة ، وشعوره الدائم بان الله عزوجل لا يخفى عليه من امره شئ وانه يحصى عليه كل صغيره وكبيرة .

كما يتمثل اهميته فى لفت انظار والعبر للاعتبار .. وان هذه الدنيا لا تدوم لحلول اليوم الاخر بافناءها ولهذا لا يخلد فيها احد .

واليك بعض النصوص التى تتناول هذه الاهمية وكل نص يكشف لنا جانبا معين من اهميته :" فليقاتل فى سبيل الله الذى يشرون الحياة الدنيا بالاخرة "

" أمن هو قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه " فاهمية اليوم الاخر تتجلى فى هذه الايات فى كونه من اهم البواعث على القيامة بالطاعة بل والتضحية بالنفس فى سبيل الاخرة " وهناك آيات اخرى كثيرة فى كتاب الله تدل على ان من اعظم اسباب الاصرار على الكفر ، وارتكاب المعاصى والاثام عدم الايمان باليوم الاخر انظر الى الايتين التاليتين :

(١) " الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون "(١)

(٢) ارءيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين (٢)

المبحث الثانى :عن اختصاص علم الله عزوجل بالساعة وحده تعالى :-

---

قال تعالى " اكاد اخفيها "(٣) .

جعل الله عزوجل الغيب علامة الايمان واختص سبحانه انبياء ببعض الغيب ، لكن هناك غيب لا يعلمه الا هو عزوجل ومنها علم الساعة ، بل انه سبحانه وتعالى كاد ان يخفيها لكن لكى يستعد المؤمنين جعل لها علامات ولولا ذلك لما ذكرها .

ولهذا لا تاتى الناس الا بغته ، وتقوم الساعه وقد رفع الرجل لقمته الى فمه فما يأكلها وتقوم الساعة وقد لاط حوضه ليسقى ابلدها: يسقى وتقوم وقد نشر الرجلان الثوب للبيع فلا يبيعان ولا يشتريان وتقوم الساعة وقد جلب الرجل قحفته فلا يشربها ، فهذه من الامور التى اخفاها عزوجل .

---

(١) النحل : آية ٢٢ .

(٢) الماعون : ١ -٣ .

(٣) طـه : آية ١٥ .

قال تعالى " ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى ارض تموت (١).

ثالثا : المرحلة الثالثة (عالم البرزخ او القيامة الصغرى وما فيها من النعيم والجحيم :-

اتفق اهل السنة والجماعة على ان عذاب القبر واقع على النفس والبدن جميعا ، فالقبر اما روضة من رياض الجنة واما حفرة من حفر النار فوجب الاعتقاد بثبوت عذاب القبر ونعيمه ولكن لا يمكن للعقول الوقوف على كيفيته :

وقد دلت الايات الكريمات على وقوعه ولذلك ساعرض عن مناقشة الذين ينكرونه ، وسناقش من يقولون بوقوعه على الروح او على البدن فى ضوء الاية التى مضنا فى قصة موسى عليه السلام وهو قوله تعالى " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا "(٢)

(١) فنفته الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو (٣) وبشر المريسى (٤) ومن وافقهما .

---

(١) الروم : آية ٣٤ .

(٢) غافر : آية ٤٦ .

(٣) ضرار ابن عمر : كان تلميذا لواصل فى اول امره وخالفه فى خلق الاعمال وانكار عذاب القبر تنسب اليه الضرارية . الفصل الاول (٢/ ٣٢٧/ ٣٢٩) .

(٤) بشر المريسى : متكلم وداعية للقول بخلق القرآن ، وكان مرجئا تنسب اليه طائفة المريسية المرجئة . شذرات الذهب ، فى اخبار من ذهب ، ابو الفلاح عبد الحى بن العماد ،ط٣، ١٣٩٩/ هـ دار المسيرة - بيروت (٢:٤٤) .

(٢) وخالفهم فى ذلك اكثر المعتزلى وجميع اهل السنة وغيرهم .

(٣) وذهب الجبائى (١) الى انه يقع على الكفار دون المؤمنين والاحاديث ترد عليهم .

قال تعالى " النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب "

فى هذه الاية دلالة واضحة فى وقوع عذاب القبر فهى حجة على من انكره والاية وضحت غاية الوضوح عذاب الدارين فانها ذكرت عرض النار عليهم فى الدنيا وذلك بالغدو والعشى اللذان لا يحصلان الا فى الدنيا ثم ان الاية بينت ان ذلك ليس المقصود به يوم القيامة فعقبت بما سيحصلونه فى الاخرة فقال تعالى " ويوم القيامة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب"(٢)

فالاية اوضحت عرضهم فى الدنيا على النار ، الذى بينت عذاب القبر وقد روى الطبرى (٣) من طريق الثورى عن ابى قيس عن هذيل بن شرحبيل قال "ارواح آل فرعون فى طيور سود تغدو وتروح كل يوم مرتين على النار ، فذلك عرضها .

---

(١) الجبائى : شيخ المعتزلة ، كان فقيها ورعا زاهدا ، تلقى الاعتزال عن ابى يعقوب الشحام وكان من نظره معروفا بقول الجدل ، توفى سنة ٣٠٣هـ ، ولم يتفق لاحد من اذعان سائر المعتزله له والاقرار برياسته بعد النظام مثل ما اتفق لاحدثالجبائى الفرق .ص (١١٠) الحاشية .

(٢) الرازى : (٢٧ :٧٤) .

(٣) الطبرى : (٢٤ :٢) .

قال الطبرى " الجمهور على ان هذا العرض يكون فى البرزخ " قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد بن كعب كلهم قال : هذه الاية تدل على عذاب القبر الاتراه يقول عن عذاب الاخرة ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب (١).

ولما كانت هذه الاية خصت آل فرعون بالعذاب وهم من الكافرين فليس فى هذا كما يذهب بعض المعتزله من وقوعه على الكافرين دون المومنين فان الاحاديث ترد عليهم .

مثلا قوله صلى الله عليه وسلم مخاطبا المومنين " استعيذوا من عذاب القبر فى حديث البراء (٢) ثم ذكر فى الحديث جواب المومن وجواب الكافر .

هل يقع العذاب على الروح والبدن معا او على احدهما ؟

حديث ارواح آل فرعون فى طيور سود ...(٣) الخ وكل هذا يثبت على ان الارواح باقية بعد فراق الاجساد ، وثبت وقوع العذاب عليها والارواح تعاد الى الابدان بعد مفارقتها اعادة غير الاعادة المالوفة فى الدنيا (٤) بل تستثنى مع احكام الدار التى تعيشها فى هذه الفترة وهى دار البرزخ ، وهى فى هذه الفترة احكام البرزخ على الارواح كما جعل احكام الدنيا على الابدان ، ويوم القيامة سيكون عليهما (٥) واذا فهم هذا عرف ان العذاب واقع عليها .

---

(١) القرطبى :(١٥ :٣١٨) .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ،باب ما جاء فى عذاب القبر .

(٣) انظر الطبرى (٢٤ :٤١) .

(٤) شرح الطحاوية :ص (٣٩٠)

(٥) المرجع السابق ص (٣٩١)

(٤) المرحلة الرابعة : البعث :-

سبق التعريف بالبعث فى اللغة والاصطلاح ، ولقد جاءت آيات فى موضوع قصة موسى عليه السلام اثنتان منهما تتعلقت بحادثتين حدثتا لبنى اسرائيل .

الاولى : انه عزوجل احياهم بعد ما طلبوا رؤيته بعد ان اخذتهم الصاعقة ثم بعثهم من بعد موتهم .

الثانية : فى قصة القتيل الذى احياه الله عزوجل وتكلم واخبر من قتله .

واليك الايات ثم التعليق عليها :-

(١) قال تعالى " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون . "(١)

وهذه الاية فى حادثة البقرة التى وردت بشأنها سورة البقرة وقصت تدل على تعنتهم ومحاولتهم التنصل مما يأمرون به لكشف شأن القتيل الذين تحاكموا فى شأنه الى موسى عليه السلام وجل المفسرين (٢) يقولون انه كان فى بنى اسرائيل رجل غنى وله ابن عم فقير لا وارث له سواه ، فلما طال عليه موته قتله ليرثه ، وحمله الى قرية اخرى فألقاه فيها ثم اصبح يطلب ثأره وجاء بناس الى نبيهم موسى عليه السلام يدعى عليهم القتل فسألهم موسى عليه السلام فجحدوا فسألوه ان يدعو الله ليبين لهم بدعائه القاتل الحقيقى فدعا موسى ربه فأوحى الله تعالى ان يطلب اليهم ان يذبحوا بقرة فقال لهم موسى : ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة الخ الايات .(٣)

---

(١) البقرة : آية ٧٣

(٢) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ،د. محمد سيد طنطاوى ص (٥٠٠ / ٥٠١)

(٣) البقرة الايات :(٦٧ - ٧٣)

ثم اعقب الله عز جل آية البقرة باية اخرى ذكر فيه عزوجل قدرته على احياء الموتى وانه يحى الموتى مثل احياءه الذى حدث فى شان قصة هذا القتيل قال ابو السعود (١) " كذلك يحى الله الموتى فتعلمون ان القادر على احياء نفس واحدة قادر على احياء نفوس كثيرة فتؤمنون ".

فقال تعالى " واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون " فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون " قال صاحب كتاب بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة "(٢) والمعنى : اذكروا يا بنى اسرائيل اذ قتلتم نفسا ، فاختلفتم فى قاتلها ورفع كل واحد منكم التهمة عن نفسه الله فخرج لا محالة ما كنتم من امر القاتل والمقتول ن فقد بين سبحانه الحق فى ذلك فقال على لسان رسوله موسى عليه السلام : اضربوا القتيل باى جزء من اجزاء البقرة فضربتموه ببعضها فعادت اليه الحياة ، باذن الله وخبر عن قاتله ، ومثل هذا الاحياء لذلك القتيل بعد موته ، يحى الله تعالى الموتى للحساب والجزاء يوم القيامة ، ويبين لكم الدلائل على ان الله قدير على كل شئ رجاء ان تعقلوا الامور على وجهها السليم " وفى هذه الاية دليل على البعث وانه عزوجل قادر على احياء الموتى وبعثهم مرة اخرى للحساب والجزاء .

(٢) الاية الثانية :- " واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون ، ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون (٣) .

---

(١) الجلالين (١:٦٧) بهامش الفتوحات الالهية للجمل .

(٢) بنو اسرائيل فى الكتاب والسنة ،د. محمد سيد طنطاوى ٥٠٧

(٣) البقرة : آية ٥٥ .

لقد تجاوز بنو اسرائيل مع موسى عليه السلام وتعنتوا فى الطلب وقالوا بجفاء وغلظة لن نؤمن بك ولن نقر بما جئتنا به حتى نرى الله عيانا وعلانية فيأمرنا بالايمان بك وبما جئت به فأخذتهم الصاعقة بسبب جهلهم وتطاولهم والمراد ببعثهم احياؤهم من بعد موتهم وهى معجزة لموسى عليه السلام استجابة لدعائه ففى هذه الاية دلالة على البعث فان الله عزوجل بعثهم من بعد موتهم .

قال الجمل (١) انهم لما ماتوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول يارب انهم خرجوا معى وهم احياء لو شئت اهلكتهم من قبل واياى فلم يزل يناشد ربه حتى احياهم تعالى رجلا رجلا بعد ما مكثوا ميتين يوما وليلة وذلك لاظهار آثار القدرة وليستوفوا بقية اجالهم وارزاقهم ولو ماتوا باجالهم لم يحيوا الى يوم القيامة فانعم الله عليهم بالبعث بعد الموت .

المرحلة الخامسة يوم القيامة (الحشر والحساب والقضاء) :-

أورد المفسرون عند قوله تعالى " وخر موسى صعقا " كلاما يتعلق بالصعق فى مواطن القيامة كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون ، فأكون اول من يفيق ؛ فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادرى اكان فيمن صعق فافاق قبلى ، او كان ممن استثنى الله (٢) وفى رواية اخرى فلا ادرى احوسب بصعقته يوم الطور ام بعث قبلى "

ومفهوم كلام العلماء من هذه الاحاديث (٣) فى هذا المعنى التى وردت

---

(١) تفسير حاشية الجمل (١:٥٦)

(٢) صحيح البخارى . بكتاب الخصومات ،باب ما يذكر فى الاشخاص والخصومة .

(٣) عقيدة التوحيد فى فتح البارى ، احمد الكاتب (٥٦٤) باقتباس .

فى شأن صعق موسى وافاقته ، بأنها النفخة الاولى يعقبها الصعق من جميع الخلق احياءهم وامواتهم وهو الفزع ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما فيه وللاحياء موتا ثم ينفخ الثانية للبعث فيصعقون اجمعين ، فمن كان مقبورا انشقت عنه الارض فخرج من قبره ومن ليس مقبورا لا يحتاج الى ذلك ...

قال القاضى عياض يحتمل ان يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء والارض وقد عبر الحديث بالافاقة دون البعث لان افاق من الغش وبعث من الموت كما جاء التعبير عن صعقة الطور بالافاق لانها لم تكن موتا بلا شك ، واذا تقرر هذا كله ظهر صحة الحمل على انها غشية تحصل للناس فى الموقف (١) .

والحاصل انه ورد التذكير على لسان مؤمن فرعون ليوم القيامة وفيها من اهوال وخوفهم بمصيرهم فى ذلك اليوم الذى يولون مدبرين فيه الى النار ليلقوا جزاءهم .

جاء على لسان مؤمن آل فرعون ،التذكير بيوم القيامة وما فيه من المناداة للناس بعضهم على بعض ووقوفهم للحساب وانخفاضهم عنه ،قال تعالى "انى اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين .

قال الفخرالرازى (٢) اجمع المفسرين على ان يوم التناد هو يوم القيامة وهو اليوم الذى يكثر فيه نداء اصحاب الجنة اصحاب النار وبالعكس ،والنداء بالسعادة لاهلها وبالشقاوة لاهلها وغير ذلك ويوم القيامة لعظمته هول قد جاء بمسميات كثيرة عدها القرطبى نحوا من خمسين اسما .

وقد اورد الرازى (٣) رحمه الله فى سبب تسميته بيوم التناد ،عدة اسباب .

---

(١) المرجع السابق : ص (٥٦٤) .

(٢) التفسير الكبير ، لفخر الرازى (٢٧ :٦٢) .

(٣) غافر : آية ٣٢ .

(٤) المناداة بالعنة على الظالمين والمناداة الى المحشر ،وقال رحمه الله التناد مشتق من قولهم ند فلان اذا هرب ،ثم قال لانهم اذا سمعوا زفير النار يندون هاربين فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه .

فخوفهم مؤمن آل فرعون لما يلحقهم من العذاب ان لم يؤمنوا فى ذلك اليوم الذى ينادي فيه على الظالمين اللعنة ... الخ . وقوله تعالى " يوم تولون مدبرين "

فقد قال قتادة (١) منصرفين عن موقف الحساب الى النار ، فهذه الاية يخوف بها مؤمن آل فرعون من الحساب يوم القيامة وانه حاصل وان الله عزوجل سينتقم منهم ثم يراح بهم الى النار .

ثم يبين لهم انهم لامفر لهم عندما يكون فى تلك المواقف (مالكم من الله من عاصم)(٢) قال مجاهد " فارين عن النار غير معجزين "(٣).

(٦) المرحلة السادسة : الجنة والنار :-

قد وقفنا من قبل على اهمية الايمان باليوم الاخر ، وان الاقتصاص ينتظر الظلمة والثواب والاجر العظيم للذين استجابوا لربهم فى حياتهم الدنيا ولقد جاءت نداءات مؤمن آل فرعون وكذا سحرته بالتذكير باليوم الاخر ، فجاء فى وصف النار على لسان السحرة ان المجرمين لهم النار وانهم لا يحيون فيه ولا يموتون .

---

(١) المرجع السابق : (٢٧ :٦٢)

(٢) غافر : آية

(٣) الفخر الرازى (٢٧ : ٦٢)

وان اصحاب الايمان الذين قد عملوا الصالحات لهم النعيم المقيم من جنات تجرى من تحتهم الانهار خالدين فيها .

كما جاء على لسان مؤمن آل فرعون ان النجاة هى فى دعوة موسى وهى الدعوة الى دار القرار وان هذه الدنيا ماهى الا متاع قليل .

قال تعالى حكاية على لسان السحرة انه من يأتى ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى " ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى (١) .

هذا الكلام قيل انه جاء على لسان السحرة لان الكلام قبله كان حوارا بينهم وبين فرعون فى رفضهم باطله واثارهم ما عند الله عزوجل .

واذا كان كذلك فقد يكونون قد سمعوه من موسى او مؤمن آل فرعون وخلاصته انهم حذروه ان من مات كافرا على كفره ولم يدخل فى دائرة الايمان والعمل الصالح فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى فهو محقق عذابا باقيا العذاب فرعون الذى زعم انه اشد وابقى فلا يقضى عليه يموت ولا يحيى حياة تنفعه فتكون هانئة عليه ، وعلى العكس من ذلك من آمن وعمل صالحا فله الدرجات العلى ومنه مايدل على عدم اعتبار الايمان المجرد عن العمل فى استتباع الثواب لان ما ارتبط بالاعمال الصالحة هو الفوز بالدرجات العلى لا الثواب مطلقا (٢)

(٢)وقال تعالى حكاية على لسان مؤمن آل فرعون :-

قال تعالى حكاية عن تقرير مؤمن آل فرعون لمرحلة الدار الاخرة واعلام قومهم بها : يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الاخرة هى دار القرار " الى قوله فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب " ويا قوم مالى ادعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار (٣) .

---

(١) طه : الايات (٧٤ ـ ٧٦) .

(١) (١) حاشية الجمل على الجلالين (٣: ١٠٣) .

(٢) غافر : الايات ٣٦ / ٤٠ .

جاء فى هذه الايات حكاية لما قاله قومه آل فرعون لفرعون وقومه مبينين لهم ان الاخرة هى دار الثواب والبقاء والدوام وبين لهم الطريق الى حصول الجنة بعمل الصالحات وحذر من عمل السيئات وانها طريق النار والخسارة ثم عظمة ثواب الطائعين بانهم ينالون فرقهم ما قدموا (بغير حساب) ثم خوفهم فى آخر كلامهم بما سيذكرون . الاخرة (فستذكرون ما اقول لكم) ومع ذلك فلم ييأسهم من رحمة الله فرد امرهم الى الله عزوجل فلعلهم يستجيبون ليحصلوا على ثواب الدنيا والاخرة وفوض امره الى الله فيما سيحصل من افعالهم (١) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى ،(٢٧ : ٧٢) .

الخاتمة
والنتائج

***** الخاتمــــة *****

****

ان خاتمة هذا البحث تتمثل فى النتائج فى الدعوة والعقيدة التى جاءت فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام ، ولقد حاولت ان اقف فى كل نهاية فصل لاسجل دروس العبرة ودروس الدعوة المستفادة . النتائج فى الباب الاول من قصة موسى عليه السلام (نتائج الدعوة) :-

(١) اتفاق دعوة موسى عليه السلام مع غيره من الانبياء حيث دعى الى الاصول فجاءت دعوته فى جوانب العقيدة المختلفة .

(٢) تشابه مواقف الكفار فى جدالهم وتعنتهم واعراضهم وما يفترونه على الرسل واتباعهم فى كل عصر ، وذلك لصرف الناس عن دين الحق ، كما فعل فرعون وملئه اتجاه موسى عليه السلام

(٣) كانت كل دعوة رسول تبدأ فى مرحلتها الاولى : المستضعفين واما دعوة موسى عليه السلام فقد بدأت (بالملأ) بفرعون وقومه ، وذلك لتسلط فرعون على العباد تسلطا لا يستطيعون معه ان يفعلوا شيئا .

(٤) تأثير الشهوات والهوى والتقليد على نفوس الفراعنة اعماها عن ادراك الصواب ، على الرغم من كثرة الشواهد عليه ؛ وكذا الشأن فى نفوس المتاثرين بالشهوات والاهواء والتقليد فى كل عصر ومصر .

(٥) استخفاف الرؤساء بالضعفاء ، وتأثيرهم على العامة ، وتملكهم عقول الناس وحرياتهم وقدرتهم على تضليلهم وصدهم عن دين الله سبحانه وتعالى .

(٦) كون الاتباع مستضعفين فهذا لا يعفيهم من المسئولية ويؤاخذون على الاتباع بدون تمييز .

(٧) خوف ارباب الباطل من سلطان الحق الذى لا يبقى معه الا الحق وبظهوره تنتهى مصالحهم القائمة على الظلم والاستبداد .

(٨) الثبات على الحق مما بلغت وسائل الصد عنه من تعذيب واغراء
(٩) قدرة الانبياء عليهم الصلاة والسلام على الاقناع بالحجة النظرية ، والحجة العملية التى تعطى لهم من قبل الله عزوجل (المعجزات) لتكشف للجميع ان الرسول على حق .
(١٠) لا ينزل العذاب بامة حتى تقوم عليهم الحجة الكافية كما رأينا فى شان فرعون وقومه ، وتنزل الايات الواحدة تلو الاخرى لكى يراجعوا عن طريق البطش والفساد .
(١١) الابتلاء والامتحان سنة من سنن الله للمؤمنين حتى يثبتوا على الطريق اذ لا يأتى النصر الا بعد التمحيص .
(١٢) تصريح الامة الى طوائف متناحرة من سنن الفراعنة والطغاة لينشغل الناس بانفسهم عنهم وعن تسلطهم .
(١٣) من تربى تحت سيط الذل والقهر والظلم حتى طبعت نفسه على الخنوع من العبودية بمكان من ازالتها عنه وتحتاج الى علاج من نوع خاص يبعث فيهم الكرامة والحرية .
(١٤) استعمال الاساليب الحكيمة والقول اللين مع المدعويين وخاصة مع علية الاقوام اذ هذه نتيجة قد اعطتها دعوة موسى لفرعون وامره عز وجل باللين ولطافة القول مع فرعون وهو اشد عدو لله عزوجل .
(١٥) الملأ هم عقبة الاصلاح ولكن لا يخلو ملأ من صالح ، والمستضعفين هم انصار الرسل .
(١٦) لم تبدأ دعوة موسى بالمطالبة بحقوق بنى اسرائيل والمصارعة على الحكم والسعى الجاد فى اقامة الدولة الاسلامية وانتزاع السلطة من ايدى الطغاة وعلى رأسهم فرعون المتاله ،بل سار على ما سار عليه الانبياء من الدعوة من القاعدة والدعوة الى التوحيد مع انه كان ابنا لفرعون وكان يستطيع ان يحل من اعلى ليدعو الناس بالدعوة بعد ذلك مخالف للسنة الدعوة

الربانية بالابتداء بالدعوة . والدعوة الى التوحيد اولا الى الحكم والدولة .

(١٧) لا بد ان تحتسب الامة بمثال التيه الذى ضرب عليهم ، وذلك لخذلانهم انفسهم بالتمسك رسالة ربهم مع اعطائهم الله عزوجل من عطايا تمكنهم القيام بها .

(١٨) كما ان فى فترة نتيجة اخرى وهى انا نعلم ان صلاح الامم بعد فسادها انما يكون بانشاء جيل جديد يجمع بين حرية البداوة واستقلالها ، وعزتها وبين معرفة الشريعة والفضائل ، وهذا قد يكون قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولكن بعده بالتمسك بكتاب الله عزوجل وسنة نبيه والوقوف عندها ، وان النتائج فى مجال الدعوة كثيرة فى قصة موسى ضمنت لك فى نهاية كل فصل دروس الدعوة المختلفة فى كل مرحلة من مراحل حياة موسى عليه السلام ومواجهته مع سائر المدعويين وحسبى هنا ان اشرت الى طرف منها .

واما نتائج العقيدة فهى كالتالى :-

(١) دعوة الانبياء كانت واحدة فى جانب الاعتقاد ،بحيث دعوا الى الاركان الايمانية التى يجب الايمان بها كما رأينا فى دعوة موسى عليه السلام .

(٢) الشرك امر طارئ على الامم وبقايا آثار التوحيد الموجود بينهم يدلك على ان الاصل التوحيد .

(٣) لم يدعى احد الالوهية والربوبية غير فرعون وهذا الادعاء كان فى الظاهر لا فى الباطن . اذ ان وجود الله امر فطرى تقربه الفطر وخاصة فى وقت الضيق .

(٤) اسلوب القرآن فى عرض العقيدة يتناسب مع مستويات الناس المختلفة وفيه الغذاء لكل الناسولا يستفز منه احد كما هو الشأن فى اسلوب المتكلمين فى عرض العقائد .

(٥) منهج القرآن فى عرض العقيدة يورد الشبه ويبطلها ويقرر

الحق ويقرر الامر فى ذلك بحيث يجعله فى رؤية العقل اجلى البديهيات والمقررات .

(٦) فى قضية اثبات وجود لفرعون كان موسى يعرض وجوده عزوجل من خلال صنعته وخلقه ، وكان فى طريقه عرض ذلك من قبل الانبياء ما يطلى حقيقة واحدة وهى الاعراض عن الباطل وتبين الحق

(٧) الله عز وجل يكلم عباده لشرفهم عنده ولاقامة الحجة عليهم اذ لو لم يكلمهم لما عرفوه عزوجل .

(٨) لو رأى الناس ربهم فى الدنيا لامنوا جميعا ولهذا احتجت عنهم فى الدنيا .

(٩) قدر الله عزوجل ان ينقذ بنى اسرائيل لموسى عليه السلام وان تربى عند فرعون . وحذر فرعون من بنى سرائيل ولكن لم ينفع حذر من قرر فقدر الله نافذ .

(١٠) الانبياء يحتجون فى اثبات الرسالة المعجزات والبراهين العقلية والحسية ن ولعل البارهين الحسية تقوم بها الحجة على الناس اجمعين وخاصة على اصحاب الصنعة الذين جاءت المعجزة بما يناسب تفرقهم فيه , اذ ان مستوى العامى من الناس لا يدركون شيئا كالمحسوس وآثاره .

(١١) قصة موسى مع الخضر وما فيها من الدروس الكثيرة التى اعظمها تفرد الله عزوجل بالملك والحكمة والادارة والعلم وانه من ما من ملك مقرب ولا نبى مرسل الا وعلمه محدود وملكه محدود وارادته محدوده فلا يجوز ولا يمكن لاحد ان يتعدى حدود ما اعطاه الله من علم او ملك او اراده .

(١٢) امر المعاد من الامور التى عرفها البشرية حتى الذين اوغلوا فى الوثنية نجد شعورهم ليوم آخر يخافون منه ، ولهذا تصوره بشريا لما طرأ عليه من الانحراف عندين الله عزوجل .

هذا وقد سقت لك فى نهايات المباحث والفصول النتائج والدروس فى كل مبحث وحسبى فى الخاتمة هذا ان اشرت الى اهمها واعظمها او الى شىء منها ، وما توفيقى الا بالله العلى العظيم عليه توكلت واليه انيب

المراجع

***** المراجع *****

(١) القرآن الكريم .

(٢) الابانة عن اصول الديانة - لابى الحسن الاشعرى - حققه وخرج احاديثه عبد القادر الارناؤوط ، مكتبة دار البيان ، الطبعة الاولى سنة ١٤٠١ هـ ، ١٩٨١ م .

(٣) الاسلام وتقاليد الجاهلية - آدم عبد الله الالورى - مطبعة المدنى ١٣٩٧هـ .

(٤) الاقتصاد فى الاعتقاد - ابو حامد الغزالى - دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الاولى ١٤٠٣ هـ

(٥) الاعتقاد - للراغب الاصفهانى - ت- محمد جمال اختر " رسالة ماجستير جامعة ام القرى ، عام ١٤٠١ هـ .

(٦) الاعجاز اللغوى فى القصة القرآنية - محمود السيد محمد ، مؤسسة شباب الجامعة - الاسكندرية سنة ١٩٨١ م .

(٧) الانسان فى ظل الاديان (المعتقدات والاديان القديمة) - د. عمارة نجيب / مكتبة المعارف الرياض - سنة ١٤٠٠ هـ .

(٨) الايمان كما يصوره الكتاب والسنة - د. على عبد المنعم - دار البحوث العلمية - الكويت - ط ١ / سنة ١٣٩٨ هـ .

(٩) ابراهيم عليه السلام ودعوته فى القرآن الكريم - احمد البراء الاميرى - دار المنار - جدة - ط الاولى - سنة ١٤٠٦ هـ .

(١٠) ابن جزىء ومنهجه فى التفسير - على محمد الزبيدى - دار القلم ط١ - سنة ١٤٠٧ هـ .

(١١) ابن حزم وموقفه من الالهيات - عرض ونقد - د. احمد الحمد جامعة ام القرى .

(١٢) ابن القيم الجوزية وجهوده فى الدفاع عن عقيدة السلف د. عبد الله محمد جار النبى .

(١٣) احكام القرآن - لابى بكر محمد على الرازى الجصاص - دار الكتب بيروت سنة ١٣٣٥ هـ - ط الاولى .

(١٤) احكام القرآن - القرطبى ، لابن عبد الله محمد الانصارى القرطبى مكتبة الرياض الحديثة .

(١٥) اخطاء يجب تصحيح من التاريخ - د. جمال عبد الهادى محمد مسعود ودكتورة . وفاء محمد رفعت - دار طيبة جدة - ط الاولى سنة ١٤٠٦هـ

(١٦) اساس البلاغة - لجار الله الزمخشرى - ت.عبد الرحيم محمود - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

(١٧) اسلوب الدعوة القرآنية ومنهاجا - د. عبد الغنى محمد سعد بركة - دار غريب للطباعة مكتبة وهبة - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٢ هـ .

(١٨) اصلاح الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم - الحسين محمد الدمغانى ت . وترتيب واصلح عبد العزيز الاهل - دار العلم للملايين - ١٩٧٧ م

(١٩) اصول الدعوة الاسلامية - د. على محمد جريشة - مكتبة دار الوفاء جدة - ط الاولى سنة ١٤٠٧ هـ .

(٢٠) اصول الدعوة - د. عبد الكريم زيدان ، دار البيان ، ط ٣ ، سنة ١٣٩٦ هـ .

(٢١) اضواء البيان - للشيخ العلامة محمد امين بن محمد المختار الشنقيطى تتمه . عطية محمد سالم - عالم الكتب . بيروت .

(٢٢) اضواء على طرق الدعوة الى الاسلام - د. محمد آمان بن على الجامى طبع ارئاسة العامة لادارات البحوث العلمية والدعوة والارشاد سنة ١٤٠٤ هـ .

(٢٣) الاعتقاد والهداية الى سبيل الرشاد ، ابى بكر بن الحسين البيهقى صححه وعلق عليها عليه كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب .

(٢٤) اغاثة اللهفات من مصايد الشيطان - ابن القيم الجوزية - ت - محمد حامد الفقى .
(٢٥) الجام العوام عن علم الكلام ، الامام الغزالى ، المطبعة اليمنية
(٢٦) انوار التنزيل واسرار التاويل - ناصر الدين ابى سعيد عبد الله ابن عمر الشيرازى البيضاوى - موسسة شعبان .
(٢٧) اولى العزم من الرسل - محمد السمان - دار الاعتصام .

(ب)

(٢٨) بدائع الفوائد - ابن القيم الجوزية - دار الكتاب العربى ، عنى بتصحيحه والتعليم عليه ومقابلة اصول للمرة الاولى - ادارة الطباعة المنيرية .
(٢٩) البحر المحيط - لمحمد بن يوسف بابى حيان الاندلسى - دار الفكر - ط الرابعة سنة ١٤٠٣ - .
(٣٠) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز - مجد الدين يعقوب الفيروزبادى - المكتبة العلمية - بيروت - ت . الاستاذ - محمد على النجار ؟
(٣١) بنو اسرائيل فى القرآن والسنة - د. محمد سيد طنطاوى ، الزهراء الاعلام العربى - سنة ١٤٠٧ هـ .
(٣٢) بيان تلبيس الجهمية فى تاسيس بدعهم الكلامية - ابن تيمية - ط الاولى سنة ١٣٩١ هـ صححه محمد عبد الرحمن بن قاسم .

(ت)

(٣٣) تاريخ الدعوة الى الله بين الامس واليوم - دام عبد الله الالورى مكتبة وهبه - الطبعة الثانية - سنة ١٣٩٩ هـ .
(٣٤) التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ابى المظفر الاسفراينى ت. كمال يوسف الحوت . عالم الكتب ط١٤٠٣/١هـ.
(٣٥) تذكرة الدعاة - الاستاذ البهى الخولى - دار القرآن الكريم - الطبعة الثالثة ، ١٤٠٣ هـ .

٣٦) التسهيل لعلوم التنزيل - للشيخ الامام محمد بن احمدبن جزى الكلبى دار الكتاب العربى الطبعة الثانية - بيروت .
٣٧) التعريفات - للشريف الجرجانى - دار الكتب العلمية - بيروت ط ١٤٠٣ هـ .
٣٨) تفسير الالوسى ، روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى شهاب الدين السيد محمود الالوسى البغدادى - دار الفكر - سنة ١٤٠٢ هـ .
٣٩) تفسير ابى السعود - دار احياء التراث - بيروت .
٤٠) تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل ، للامام ابى محمد الحسين بن مسعود الفراء - البغوى وتحقيق ، - خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار - دار المعرفة - بيروت - ط الثانية سنة١٤٠٧ هـ .
٤١) تفسير التحرير والتنوير - الشيخ محمد طاهر ابن عاشور - الدار التونسية ١٩٨٤ م .
٤٢) تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطى وجلال الدين المحلى - دار المعرفة بيروت .
٤٣) تفسير السورة التى يذكر فيها القصص من تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ الناقد المفسر عبد الرحمن بن ابى حاتم الرازى رحمه الله - دراسة وتحقيق الطالب - ابراهيم بكر على - رسالة ماجستير جامعة ام القرى سنة ١٤٠٦ هـ .
٤٤) تفسير سورة طه - د. محمد البهى - مكتبة وهبه ط الاولى سنة ١٣٩٧ هـ .
٤٥) تفسير القاسمى ، المسمى محاسن التاويل - محمد جمال الدين القاسمى .دار الفكر بيروت .الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ .

(٤٦) تفسير القرآن العظيم - للامام الجليل الحافظ عماد الدين ، ابى الفداء اسماعيل ابن كثير القرشى الدمشقى - مطبعة الاستقامة القاهرة - الطبعة الثانية ١٣٧٣ هـ .

(٤٧) التفسير القرآنى للقرآن . عبد الكريم الخطيب . دار الفكر .

(٤٨) التفسير الكبير ، تفسير الفخر الرازى - للامام محمد الرازى ، فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الرى ، ط الاولى سنة ١٤٠١ هـ - دار الفكر - بيروت .

(٤٩) تيسير الكريم الرحمن فى تفسير الكلام المنان - العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدى - حققه وضبطه ونسقه وصححه - محمد زهرى النجار الرئاسة العامة الادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد الرياض - ١٤٠٤ هـ .

(٥٠) تفسير المراغى - احمد مصطفى المراغى - دار الفكر ط الثالثة ١٣٩٤ هـ .

(٥١) التفسير المنير لمعالم التنزيل المسمى سراج لبين لكشف معنى قرآن مجيد - محمد نووى الجاوى - شركة ومطبعة البابى الحلبى واولاده بمصر - الطبعة الثانية سنة ١٣٧٤ هـ .

(٥٢) تفسير النسفى (مدارك التنزيل وحقائق التاويل) للامام الجليل ابى البركات عبد الله ابن احمد بن محمود النسفى ، دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

(٥٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد - الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

(٥٤) التيسير فى احاديث التفسير - محمد المكى الناصرى ، دار الغرب الاسلامى ، الطبعة الاولى ١٤٠٥ هـ ، بيروت .

(ج)

(٥٥) جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، ابى جعفر محمد بن جرير الطبرى شركة ومطبعة البابى الحلبى واولادة :بمصر : الطبعة الثالثة ،سنة ١٣٨٨ هـ .
(٥٦) الجواب الكافى _ لابن القيم الجوزية ، ت . عبدج اللطيف آل محمد الفواغير _ دار الفكر والنشر والتوزيع ، عمان سنة ١٩٨٦ م .

(ح)

(٥٧) حادى الارواح _ ابن القيم الجوزية _ وطبعة دار الكتاب العربى ت . السيد الجميلى ، ط ٣ / ١٤٠٧ هـ .
(٥٨) حد الاسلام وحقيقة الايمان ، للشيخ عبد المجيد الشاذلى _ مركز البحث العلمى جامعة ام القرى سنة ١٤٠٤ هـ .
(٥٩) حاشية الدسوقى على ام البراهين _ محمد السوقى :دار الفكر للطباعة _ بيروت .
(٦٠) حاشية الانتصاف فى الانتصار على الكشاف _ للامام نصر الدين احمد الاسكندرى . بهامش كتاب تفسير الكشاف للزمخشرى .
(٦١) حاشية الجمل على الجلالين (الفتوحات الالهية) _ سليمان العجيلى الشهير بالجمل _ دار احياء التراث العربى _ بيروت .
(٦٢) حجة الله البالغة _ للامام العلامة المعروف بولى الله بن عبد الحليم المحدث الدهلوى _ دار المعرفة للطباعة والنشر _ بيروت _ لبنان .

(خ)

(٦٣) خصائص الدعوة الاسلامية - محمد امين حسن - مكتبة المنار - الاردن سنة ١٤٠٣ هـ .
(٦٤) الخليل ابراهيم عليه السلام فى الكتاب والسنة - عبد الله على محمد ابو يوسف - رسالة ماجستير ام القرى سنة ١٣٩٧ هـ .

(د)

(٦٥) دراسات قرآنية - محمد قطب - دار الشروق - جدة - ط الثانية سنة ١٤٠٠ هـ .
(٦٦) الدر المنثور فى التفسير المأثور - للامام عبد الرحمن جلال الدين السيوطى - دار الفكر - ط الاولى سنة ١٤٠٣ هـ .
(٦٧) الدعوة الاسلامية اسسها وغايتها - احمد غلوش ط . دار الكتاب المصرى القاهرة .
(٦٨) الدعوة الاسلامية دعوة عالمية - الشيخ محمد الراوى - الدار العربية بيروت - الطبعة الثانية .
(٦٩) الدعوة الاسلامية فى عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه - محمد ابراهيم غيطاس - المكتب الاسلامى ؛ ط الاولى - سنة١٤٠٦هـ
(٧٠) الدعوة الاسلامية فى عهدها المكى مناهجها وغايتها - د. رؤوف شلبى دار القلم - ط الثانية سنة ١٤٠٢ هـ .
(٧١) الدعوة الى الله فى سورة ابراهيم - سيدى محمد الحبيب - دار الوفاء - جدة - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٦ هـ .
(٧٢) الدعوة الى الاسلام - الامام محمد ابو زهرة - دار الفكر العربى .
(٧٣) دعوة التوحيد اصولها والادوار التى مرت بها مشاهيرها ودعاتها د. محمد خليل الهراس - مكتبة الصحابة بطنطا - بمصر .

(٧٤) دعوة الرسل - احمد العدوى - دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٣٩٩ هـ .
(٧٥) دليل الفالحين شرح رياض الصالحين - محمد بن علان الصديقى ، دار الكتاب العربى .
(٧٦) دور اليهود فى افساد العقيدة الاسلامية - حسنى محمد ابراهيم رسالة ماجستير جامعة ام القرى - سنة ١٤٠٣ هـ .
(٧٨) الديانات القديمة - الشيخ محمد ابو زهرة - دار الفكر العربى ١٣٨٥ هـ .

(ر)

(٧٩) الرد على الجهمية - للامام عثمان بن سعيد الدارمى - المكتب الاسلامى - بدمشق - الطبعة الثانية - ١٣٨١ هـ .
(٨٠) الرد على المنطقيين - لشيخ الاسلام ابن تيمية - ادارة ترجمان السنة ٤٧٠ - شادمان - لاهور - الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٢ هـ .
(٨١) ركائز الدعوة فى القرآن - محمد ابراهيم شقرة - المكتبة الاسلامية الطبعة الاولى سنة ١٤٠٣ هـ .
(٨٢) رسائل الاصلاح - محمد الخضر حسن - دار الاصلاح - الدمام .
(٨٣) رسالة العلوم (علو الله على خلقه) د. موسى بن سليمان الدرويش مكتبة العلوم والحكم الطبعة الاولى ١٤٠٧ هـ .
(٨٤) الرسالة القشيرية فى علم التصوف - الناشر - دار الكتاب العربى بيروت .
(٨٥) الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة عبد الرحمن ابن سعدى - الرئاسة العامة الادارية البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد ١٤٠٥ هـ .
(٨٦) زاد المسير - ابن الجوزى - ت . محمد بن عبد الرحمن عبد الله خرج احاديثه ، السعيد بن بسيونى زغلول ، دار الفكر ط الاولى / ١٤٠٧ هـ .

(٨٧) الزهر النضر – لابن حجر العسقلانى ، ضمن الرسائل المنيرية ، ادارة المطابع المنيرية .

(ش)

(٨٨) الشخصية اليهودية – د. صلاح عبد الفتاح الخالدى – دار القلم دمشق – الطبعة الاولى سنة ١٤٠٧ هـ .
(٨٩) شرح السنة – للبغوى (ابو محمد الحسين بن مسعود البغوى ، . شعيب الارناؤوط ، المكتب الاسلامى ط الاولى / ١٣٩٠ هـ .
(٩٠) شرح صحيح مسلم – للنووى ، مطبعة الشعب .
(٩١) شرح العقائد النفسية – التفتازانى – بغداد ، مكتبة المثنى ١٣٢٦هـ .
(٩٢) شرح العقيدة الطحاوية – لمحمد ابو الحن الدمشقى – ت . شعيب الارناؤوط – نشر مكتبة دار البيان – توزيع مكتبة المؤيد الطبعة الاولى ١٤٠١ هـ .
(٩٣) شرح القاموس ، لمحب الدين السيوطى الزبيدى – ط الاهلية سنة ١٢٨٦ هـ .
(٩٤) شرح الكافية الشافية ،جمال الدين ابو عبد الله ابن مالك حققه وقدم له د. عبد المنعم احمد هريدى ،دار المؤمون .
(٩٥) شرح المقاصد ، للعلامة سعد الدين التفتازانى . مطبعة دار الطباعة القاهرة ١٣٧٧ هـ .
(٩٦)الشرك ومظاهره –مبارك بن محمد الميلى – امين مال – مكتبة النهضة الجزائرية ٣٧ شارع القامة – ٢ شارع العربى مهيدى ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .
(٩٧) صحيح البخارى للامام الجليل محمد بن اسماعيل البخارى ، مطبعة دار احياء التراث العربى .

(٩٨) صحيح مسلم - ابى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى دار التراث العربى - بيروت سنة ١٣٧٥ هـ .
(٩٩) صحيفة همام بن منبه - ت - رفعت فدرى عبد المطلب : مكتبة الخانجى القاهرة - الطبعة الاولى ١٤٠٦ هـ .

(ظ)

(١٠٠) الظاهرة القرآنية - مالك بن نبى - الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ، ط ٣ /١٤٠٣ .

(ع)

(١٠١) العبرة من قصة موسى فى القرآن الكريم - محمد خيرى عدوى رسالة ماجستير جامعة ام القرى - سنة ١٤٠٠ هـ .
(١٠٢) عبقرية الصديق - عباس محمود العقاد - دار الكتاب العربى بيروت - لبنان .
(١٠٣) العبودية - لشيخ الاسلام ابن تيمية - الناشر - دار المدنى سنة ١٣٩٨ هـ / ١٤٠٦ هـ .
(١٠٤) عصمة الانبياء والرد على الشبه الموجهه اليهم - د. محمد ابو النور الحديدى - مطبعة الامانة . ١٣٩٩ .
(١٠٥) عظمة المنة فى رؤية المؤمنين ربهم فى الجنة - عبد الرحمن بن عبد الرحمن الاهدل - مكتبة الطالب مكة المكرمة - الطبعة الثانية ١٤٠٧ .

(١٠٦) العقائد الاسلامية - سيد سابق - دار الكتاب العربى .

(١٠٧) العقيدة اساس التربية ـ حافظ فريدة ـ رسالة دكتوراة جامعة ام القرى مكة المكرمة سنة ١٤٠٣ هـ .

(١٠٧) عقائد المفكرين - العقاد - ط بيروت .

(١٠٨) العقيدة الاسلامية - سفينة النجاة - د. كمال محمد عيسى - طبع دار العلم للملايين الطبعة الاولى .

(١٠٩) العقيدة الاسلامية ،د. على عبد المنعم عبد الحميد ـ دار القلم الطبعة الثانية سنة ١٤٠٣ هـ .

(١١٠) عقيدة التوحيد فى فتح البارى شرح صحيح البخارى ـ دراسة تحليلية شاملة . لعقيدة الحافظ - احمد عصام الكاتب - منشورات الاوقاف الحديثة - ط ١٤٠٣ .

(١١١) شرح العقيدة الاصفهانية - ابن تيمية - ابى العباس تقى الدين احمد عبد الحليم - قدم له وعرف به . حسين محمد مخلوف ،دار الكتب الحديثة ـ لصاحبها . توفيق عفيفى ـ ١٤ شارع الجمهورية

(١١٢) عقيدة المسلم ـ لابى بكر الجزائرى - دار الشروق ـط الرابعة سنة ١٤٠٤ هـ .

(١١٣) عقيدة المسلم ـ محمد الغزالى ـ عنى بطبعة ونشره . عبد الله ابراهيم الانصارى ، ادارة احياء التراث الاسلامى قطر . ١٤٠٣ هـ

(١١٤) العقيدة فى الله ـ د. عمر سليمان الاشقر ـ مكتبة الفلاح الكويت ١٩٨٤ م .

(١١٥) العقيدة فى ضوء القرآن الكريم -د. صلاح عبد العليم ـ المطبعة الاسلامية ط الاولى سنة ١٤٠٢ هـ .

(١١٦) العقيدة والاخلاق واثرها فى الفرد والمجتمع ـ محمد عبد الرحمن البيصار ـ الطبعة الرابعة .

(١١٧) على مائدة القرآن مع المفسرين والكتاب ـ احمد محمد جمال دار الفكر الطبعة الثانية .
(١١٨) عمدة القارىء شرح صحيح البخارى ـ بدر الدين ابو محمد محمود ـ العينى مكتبة ومطبعة البابى الحلبى .
(١١٩) عيون الانبياء فى طبقات الاطباء ـ موفق الدين ابى العباس احمد بن القاسم ـ الخزرجى (ابن ابى اصيبعه) دار الفكر بيروت ـ ١٣٧٧ هـ .

(ف)

(١٢٠) فتح القدير فى الرواية والدارية من علم التفسير ـ محمد بن على الشوكانى ـ دار المعرفة ـ بيروت .
(١٢١) الفرق بين الفرق .للبغدادى .موسسة الحلبى . ت. طه عبدالروؤف سعد .
(١٢٢) الفروق اللغوية ـ لابى هلال العسكرى ـ ط ١٢٥٣ هـ .
(١٢٣) الفطرة فى العقيدة الاسلامية ـ حافظ الجعبرى ـ رسالة ماجستير جامعة ام القرى ١٣٩٩ هـ .
(١٢٤) فى العقيدة الاسلامية بين السلفية والمعتزلة ـ تحليل . ونقد د. محمود احمد خفاجى ـ ط الاولى ـ سة ١٣٩٩هـ .

(ق)

(١٢٥) القاموس الاسلامى ـ احمد عطية ـ مكتبة النهضة المصرية ط الاولى سنة ١٣٨٦ هـ .

(١٢٦) القاموس المحيط ـ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادى مكتبة البابى الحلبى ـ القاهرة ـ ط الثانية سنة ١٩٧٢ م .
(١٢٧) قصص الانبياء احداثها وعبرها ـ محمد الفقى ـ مكتبة وهبة ط الاولى ـ سنة ١٣٩٩ هـ .
(١٢٨) قصص الانبياء ـ عبد الوهاب النجار ـ دار احياء التراث العربى بيروت الطبعة الثالثة .
(١٢٩) القيامة الكبرى ـ عمر سليمان الاشقر . مكتبة الفلاح . الكويت

(ك)

(١٣٠) كتاب الاربعين ـ للفخر الرازى ـ ط الاولى ١٣٥٣ هـ ؛ حيدر اباد .
(١٣١) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عزوجل ـ ابن خزيمة . ت ـ د . عبد العزيز ابراهيم الشهوانى ـ دار الرشد ـ الرياض .
(١٣٢) كتاب التوحيد ـ لشيخ الاسلام ابن تيمية . ت. محمد السيد الجليند مؤسسة علوم القرآن ـ دمشق ـ دار القيم للتعاليم الاسلامية ـ جدة الطبعة الثالثة ـ سنة ١٤٠٧ هـ .
(١٣٣) الكليات ـ البقاء ـ الحنفى ـ ط ١٢٥٣ هـ .
(١٣٤) الكواشف الجلية شرح العقيدة الواسطية ـ عبد العزيز السلمان الطبعة الحادية عشر سنة ١٤٠١ هـ .

(ل)

(١٣٥) لباب التأويل فى معانى التنزيل ـ علاء الدين على بن محمد بن ابراهيم ـ البغدادى المعروف بالخازن ـ دار المعرفة ـ للطباعة والنشر بيروت .

(١٣٦) لسان العرب ـ للامام العلامة ابى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقى المصرى ـ دار صادر ـ بيروت .
(١٣٧) لسان الميزان . الذهبى ، موسسة الاعلمى للمطبوعات ـ بيروت ١٩٧١ م ، الطبعة الثانية .

(م)

(١٣٨) مباحث فى علوم القرآن ـ د. مناع القطان .
(١٣٩) متن اللغة ـ احمد رضا ـ دار مكتبة الحياة ، بيروت . ١٣٧٧ هـ
(١٤٠) المجتمع العربى قبل الاسلام ـ د. رؤوف شلبى ـ المكتبة العصرية صيدا .
(١٤١) مجمع البيان فى قصص القرآن ـ سميح عاطف ـ دار الفكر ـ بيروت ط الثانية .
(١٤٢) مجموعة الرسائل والمسائل ـ ابن تيمية ، ت . محمد رشيد رضا سنة ١٣٤١ هـ .
(١٤٣) مجموعة الرسائل ـ حسن البنا ـ طبعة دار القرآن .
(١٤٤) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ـ احمد بن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن محمد بن قاسم العاصمى النجدى ـ طبع تحت اشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين ـ تنفيذ مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة ـ سنة ١٤٠٤ هـ .
(١٤٥) محيط المحيط ـ المعلم بطرس البستانى ـ مكتبة لبنان .
(١٤٦) مختار الصحاح ـ محمد بن ابى بكر الرازى ـ ط دائرة المعاجم مكتبة لبنان ـ سنة ١٩٨٦ هـ .
(١٤٧) مدارج السالكين ـ ابن القيم الجوزية ـ ت . محمد حامد الفقى دار الكتاب العربى١٣٩٢ هـ .

(١٤٨) مذاهب فكرية معاصرة ـ محمد قطب ، دار الشروق ـ ط الاولى ـ سنة ١٤٠٣هـ .
(١٤٩) مذكرة العقيدة (مطبوعة) د. كمال ابو النجا ـ ١٤٠٦هـ .
(١٥٠) مرشد الدعاة ـ محمد نمر الخطيب ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ الطبعة الاولى ـ سنة ١٤٠١هـ .
(١٥١) مروج الذهب ـ ابو الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ت. محى الدين عبد المجيد ـ المكتبة التجارية الكبرى ـ القاهرة ط الرابعة سنة ١٩٦٤م .
(١٥٢) مسند الإمام احمد ـ للامام احمد بن حنبل ـ دار الدعوة ـ استنبول سنة ١٤٠١هـ .
(١٥٣) المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير للرافعى . احمد بن محمد بن على الفيومى ، ط بدون .
(١٥٤) معجم مقاييس اللغة ـ لابى الحسين احمد بن فارس بن زكريا ت . عبد السلام محمد هارون ن دار الفكر .
(١٥٥) مع الانبياء فى القرآن ـ عفيف طبارة ـ دار القلم ـ الطبعة الثانية .
(١٥٦) مع الله دراسات فى الدعوة والدعاة ـ محمد الغزالى ـ دار الكتب الاسلامية ،ط الخامسة ١٤٠١هـ .
(١٥٧) المعارف لابن قتيبة . دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان .
(١٥٨) معجم الفاظ القرآن الكريم ـ مجمع اللغة العربية ـ الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ـ ط الثانية ـ ١٣٩٠هـ .
(١٥٩) المعجم الوسيط ـ مجمعة اللغة العربية ـ قام باخراج هذه الطبعة د. ابراهيم انيس ـ د. عبد الحليم منتصر ـ عطية الصوالحى محمد خلف الله احمد ـ ط الثانية ـ سنة ١٣٨٠هـ .

(١٦٠) معالم الدعوة فى قصص القرآن الكريم - د. عبد الوهاب الديلمى

(١٦١) المعجزة الكبرى - الشيخ محمد ابو زهرة . مطبعة دار غريب للطباعة.

(١٦٢) مغنى اللبيب - ابن هشام - طبع دار احياء الكتب العربية .

(١٦٣) المغنى - القاضى الجبار ، مطبعة الدار المصرية للتاليف والترجمة .

(١٦٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والادارة - لابى عبد الله بن ابى بكر الدمشقى المشتهر بابن القيم الجوزية - دار الكتاب بيروت. (١٦٥)المفردات فى غريب القرآن - لابى القاسم محمد المعروف بالراغب الاصفهانى .ت. محمد سيد الكيلانى - الطبعة الاخيرةسنة ١٣٨١ هـ .

(١٦٥) مقارنة الاديان بين اليهودية والاسلام - د. عوض الله جاد حجازى الطبعة الثانية ١٤٠١هـ .

(١٦٦) مقدمة تاريخ ابن خلدون - عبد الرحمن بن خلدون - ضبط المتن الاستاذ خليل شحادة مراجعة .د. سهيل زكار .

(١٦٧) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، وبها مشه الملل للشهرستانى . دار المعرفة بيروت .

(١٦٨) المنار المنيف - ابن القيم ،ت. عبد الفتاح غدة ، الطبعة ٢ ١٤٠٢/ هـ .

(١٦٩) مناهج القرآن الكريم فى الدعوة الى الايمان ،د. على بن محمد بن ناصر الفقيهى .

(١٧٠) منهاج السنة - ابن تيمية . دار الفكر.الطبعة الثانية١٩٨٠م .

(١٧١) منهج الانبياء فى الدعوة الى الله - محمد سرور بن نايف زين العابدين - الطبعة الاولى - دار الارقم - الكويت ١٤٠٥ هـ .

(١٧٢) منهج الانبياء فى الدعوة الى الله - فيه الحكمة والعقل - د. ربيع هادى مدخلى - الدار السلفية - الطبعة الاولى - سنة ١٤٠٦هـ

(١٧٣) منهج الدعوة النبوية فى المرحلة المكية - على بن جابر الحربى الزهراء للاعلام العربى - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٦ .

(١٧٤) الموسوعة العربية الميسرة - باشراف محمد شفيق غربال - دار احياء التراث العربى .

(١٧٥) موقف الامام ابن تيمية من التصوف والصوفية - د. احمد محمد البنانى .

(ن)

(١٧٦) النبوات - ابن تيمية - دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٥ م .

(١٧٧) نظام الاسلام - محمد المبارك - مكتبة الفيصلية مكة المكرمة .

(١٧٨) نظرات فى الثقافة الاسلامية - د. محفوظ على عزام - دار اللواء للنشر والتوزيع - الطبعة الاولى سنة ١٤٠٤ هـ .

(١٧٩) نهاية الاقدام - الشهرستانى - حرره وصححه الفرد جيوم .

(هـ)

(١٨٠) هداية المرشدين الى طريق الوعظ والخطابة - الشيخ على محفوظ دار المعرفة .

(١٨١) هذه مفاهيمنا - الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد ابن آل الشيخ مطابع القصيم - الرياض

(ى)

(١٨٢) الوحى المحمدى - الشيخ محمد رشيد رضا - المكتب الاسلامى .

الفهرس

الفهـــرس

الموضــوع

الفصل الرابع

الباب الثانى

العقيدة فى قصة موسى عليه الصلاة والسلام

الفصل الثاني

الفصل الثالث